

رَفَع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

2

الموسوعة الميسرة في

التاريخ الإسلامي

تقديم د. راغب السرجاني

السيرة النبوية

الخلفاء الراشدون

الدولة الأموية

الدولة العباسية

الدولة الفاطمية

الدولة الأيوبية

دولة المماليك

المسلمون في الأندلس

الدولة العثمانية

الأقليات المسلمة



الموسوعة الميسرة

في

التلخيص الإسلامي

الجزء الثاني

إعداد

فريق البحوث والدراسات الإسلامية (فدا)

إشراف ومراجعة

قاسم عبد الله إبراهيم

محمد عبد الله صالح

تقديم

الدكتور الأديب الشيخ جاسني

جميع الحقوق محفوظة

- الطبعة الأولى: يونيو ٢٠٠٥ م
الطبعة الثانية: ديسمبر ٢٠٠٥ م
الطبعة الثالثة: إبريل ٢٠٠٦ م
الطبعة الرابعة: أكتوبر ٢٠٠٦ م
الطبعة الخامسة: يناير ٢٠٠٧ م
الطبعة السادسة: فبراير ٢٠٠٧ م
الطبعة السابعة: إبريل ٢٠٠٧ م

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/٩٨٥١

الترقيم الدولي: I.S.B.N:

977 - 6119 - 63 - 8

مركز السلام للتجهيز الفني
عبد الحميد عمر
٠١٠٦٩٦٢٦٤٧

مؤسسة اقرأ

للنشر والتوزيع والترجمة

١٠ ش أحمد عمارة - بجوار حديقة الفسطاط

القاهرة ت.ف: ٥٣٢٦١١٠ محمول: ٠١٠٢٣٢٧٣٠٢ - ٠١٠١١٧٥٤٤٧

www.iqraakotob.com

E-mail: info@iqraakotob.com

الباب الخامس

الغول المسلمون

أمة أذاقت المسلمين - في بداية الأمر - شروياتها...
ثم عرف الإسلام الطريق إلى قلوب أبنائها فتحمسوا له
ونذروا أنفسهم لإعلاء كلمة الله في الأرض ووسعوا
الرقعة الإسلامية بشكل لم يتكرر حتى الآن...

تاريخ المغول المسلمين

يتبادر إلى ذهن الكثير من الناس عند ذكر التتار أو المغول جميع الصفات التي لا تمت للإنسانية بصلة، من وحشية وقسوة وإبادة وقضاء على الأخضر واليابس؛ وذلك لما بدر منهم في البداية، عندما اجتاحوا العالم الإسلامي بجيوشهم الجرارة حتى ظن الكثير من الناس في ذلك الوقت أن نهاية المسلمين قد بدأت، وأن الفناء في انتظارهم، وكتب الكثير من علماء المسلمين ومؤرخيهم يرثون العالم الإسلامي عاجزين عن الوصف والتعبير عما يحدث^(١).

أصل المغول

يعود أصلهم إلى صحراء غوبى بأطراف بلاد الصين الشمالية، وهم قبائل رعوية تعبد الأوثان والكواكب وتسجد للشمس عند شروقها، وتنتشر عندهم ديانة يطلق عليها الشامانية ويقدمون أرواح الأجداد ويقدمون القرابين للحيوانات المفترسة.

ويطلق لفظ التتار على قبائل المغول والترك والأويغور والسلاجقة وغيرهم من قاطنى هذه المناطق، فيعتبر لفظ التتار شاملاً لكل من قبائل المغول والترك اللذين ستتناولهما بشكل كبير فى هذا الباب، وفى الباب الخاص بالدولة العثمانية، وقد شمل لفظ المغول أيضاً هذه القبائل؛ نظراً لسيطرة جنكيز خان - الذى ينتمى لقبائل المغول- على القبائل الأخرى المحيطة به، بل أُطلق لفظ الجنس المغولى ليشمل معظم قاطنى قارة آسيا (الجنس الأصفر).

(١) راجع وصف ابن كثير فى نهاية الدولة العباسية.

والسؤال الآن ما هو أثر المغول فى تاريخ المسلمين غير القتل والإبادة؟ ماذا تعرف أخى المسلم عن المغول بعد تدميرهم لبغداد وهزيمتهم فى عين جالوت؟

الإجابة -أخى المسلم- والتى تغيب عن أذهان الكثير من المسلمين هى أن المغول بدءوا يدخلون فى الإسلام بعد خمسة وثلاثين عاماً من دخولهم ديار المسلمين، بل لم يمض نصف قرن على دخولهم ديار المسلمين إلا وأصبحت الغالبية العظمى منهم مسلمين وأعز الله بالكثير منهم الإسلام، وفتحوا الكثير من البلاد وثبتوا بها أقدام المسلمين لفترة كبيرة من الزمن، بل حارب الكثير منهم أبناء جلدته فى سبيل الإسلام.

ومما كرس عند كثير من المسلمين الصورة الأولى للمغول و التتار الاجتياح التترى بقيادة تيمورلنك لبلاد المسلمين، وفى هذه المرة يتم الاجتياح والتتار معتنقون الإسلام، ويتبعون وسائل فاقت فى بشاعتها ما فعله سابقوهم قبل أن يدخلوا فى الإسلام.

ولا ننكر أن الكثير من المغول والتتار لم يتخلصوا من بعض الصفات المتأصلة فى الآباء والأجداد حتى بعد دخولهم الإسلام، وأن الجانب العقيدى والدعوى الإسلامى لم يكن مثلما كان فى عهد المسلمين الأوائل، ولكن يجب ألا نغفل عن إبراز إيجابياتهم فى تاريخ المسلمين، وإسهامهم فى زيادة الرقعة الإسلامية بشكل لم يسبق له مثيل، ولم يتكرر حتى الآن، وفى إدخال الإسلام إلى الكثير من البلاد التى لم يطأها المسلمون قبلهم، وتأثيرهم فيها برغم المحاولات المستمرة من أعداء الإسلام لإبادتهم والقضاء عليهم، والتى ذاقوا فيها الأمرين وما زالوا حتى الآن يعيشون آلامها، ولكنهم يتحملون ويتمسكون بدينهم، وحينما يعود المسلمون إلى رشدهم سيكون لهؤلاء المسلمين بالغ الأثر فى إعادة بسط سلطان المسلمين على هذه البلاد وعلى العالم أجمع بإذن الله.

ونستطيع أن نقول أن المغول ورثوا ديار الإسلام من أقصى الشرق إلى حدود المنطقة العربية وحدود وسط أوروبا.

ومن أسباب التعميم الكبير على تاريخهم أنهم ذابوا في المجتمعات الإسلامية التي حكموها وأصبحوا من أهلها، كما أن دولتهم الكبيرة تفتتت إلى دول (خانات) كثيرة، وكانت الحروب بينها لا تنقطع، فلم يظهروا بعد إسلامهم كيدٍ واحدة وحتى عندما استطاع تيمورلنك أن يضم أجزاء كثيرة من بلاد المغول ما زادها إلا تفتتًا وتمزيقًا.

تقسيم دولة المغول الكبرى:

احتل جنكيز خان جزءاً كبيراً من المعمورة وقسم إمبراطوريته بين أبنائه من زوجته الأولى كما كان ينص تشريع المغول (اليساق) فأعطى ابنه الأكبر جوجي بلاد روسيا وخوارزم والقوقاز وبلغار (مدينة قازان الحالية في روسيا) وما يمكن ضمه من غرب المعمورة، وأعطى ابنه جغطاي بلاد الأويغور (ولاية كانسو في الصين حالياً) والتركستان الغربية وبلاد ما وراء النهر، وأعطى ابنه تولوي خراسان وفارس وما يمكن ضمه من آسيا الصغرى وبلاد العرب، وأعطى ابنه أوغطاي بلاد المغول (منغوليا الحالية) والصين والخطا (تركستان الشرقية) وما يمكن ضمه من شرق المعمورة.

وستتناول في هذا الباب كل منطقة على حدة، ونتبع تاريخها إلى ما آلت إليها الآن وسنضيف إليها فصلاً خاصاً بالهند نظراً لأن المغول هم آخر من حكموا الهند من المسلمين، بل وبلغت الدولة الإسلامية في الهند أقصى اتساع لها في عهدهم، وبذلك سيكون ترتيب الفصول كالتالي:

الفصل الأول: منطقة شرقي أوروبا وغربي سيبيريا.

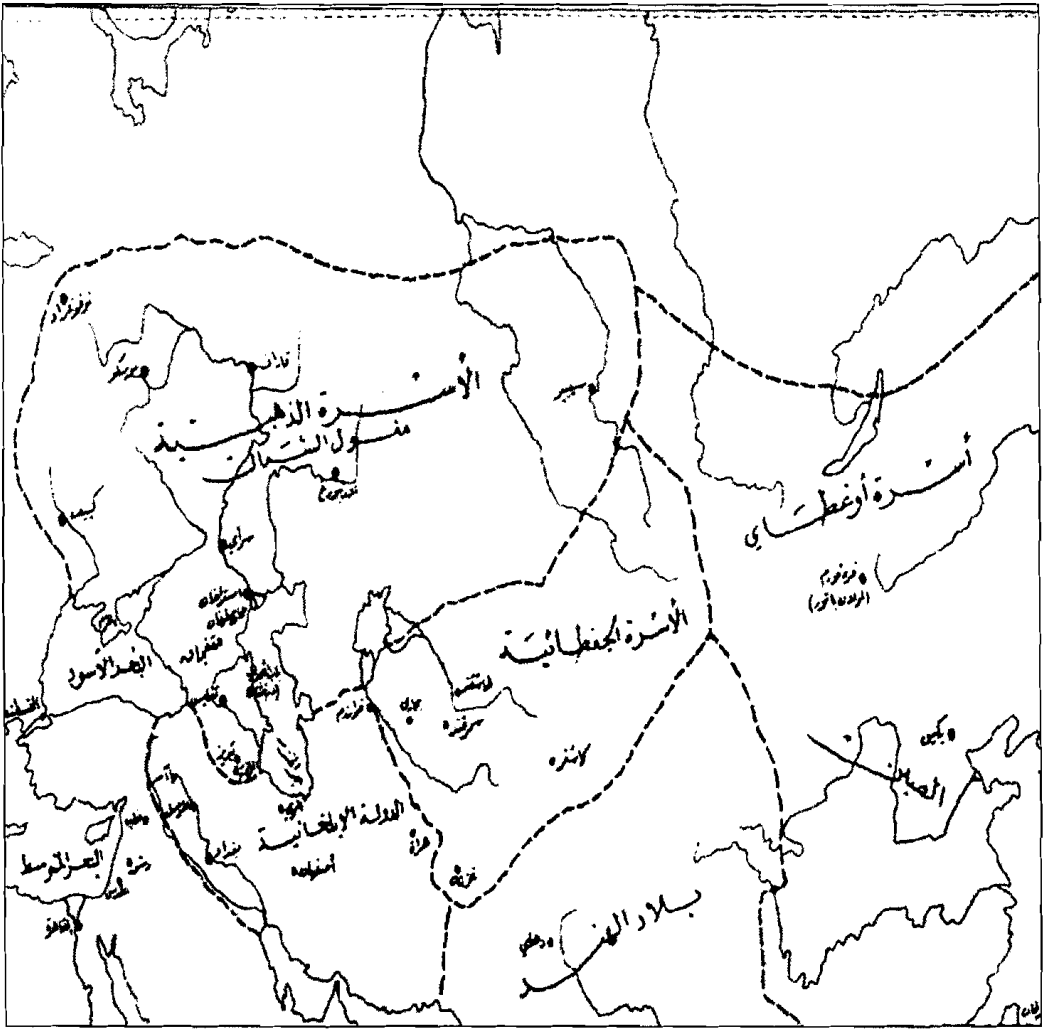
الفصل الثاني: منطقة إيران.

الفصل الثالث: منطقة الصين ومنغوليا.

الفصل الرابع: منطقة تركستان الغربية.

الفصل الخامس: منطقة الهند.

وقبل أن نبدأ في سرد الأحداث ننقل كلام نفيس للعلامة أبو الحسن الندوي حول معجزة انتشار الإسلام في التتار.



خريطة توضح أقسام دولة المغول

انتشار الإسلام في التتار

وقبل أن ينجرف العالم الإسلامى مع هذا السيل الجارف العنيد، وينظمس معالمة وملاحه، كما كان المشاهد الملموس عند ذوى البصيرة والخبرة من المؤرخين المسلمين فى ذلك الحين، بدأت دعوة الإسلام تنتشر فجأة فى هذا الشعب، ويتحقق على أيدي دعوة الإسلام ما لم يتحقق بالأسنة والرماح، وبطش السلاطين والملوك، وبدأ الإسلام يتسرب فى نفوس أعدائه، ويأخذ بمجامع قلوبهم، إن خضوع هذا الشعب الذى قهر المسلمين أمام الإسلام من أغرب الوقائع والأحداث فى التاريخ، فإن هجوم التتر على العالم الإسلامى كالجراد المنتشر، وإخضاع العالم الإسلامى كله، ليس من الغريب المدهش كما يبدو فى الظاهر، فإن عالم الإسلام فى القرن السابع كان بدوره مصاباً بتلك الأمراض والأسقام، التى تلحق الأمم عامة فى أوج حضارتها وشوكتها، وبالعكس من التتر، ذلك الشعب القوى الأبقى الذى نشأ على حياة البداوة، والهمجية والضراوة، ولكن الغريب المدهش أن هذا الشعب خضع للمسلمين. المفتوحين المقهورين، واعتنق دينهم فى أوج قوته، وذروة سلطانه، ذلك الدين الذى فقد كثيراً من سلطانه السياسى والمادى آنذاك، وكان أتباعه موضع سخرية واحتقار فى نظر التتار...

وقد أبدى «أرنولد» استغرابه فى هذا الصدد فى كتابه المشهور

Preaching of Islam «الدعوة إلى الإسلام» حيث قال:

«... ولكن لم يكن بد من أن ينهض الإسلام من تحت أنقاض عظمته الأولى، وأطلال مجده الخالد، كما استطاع بواسطة دعائه أن يجذب أولئك الفاتحين المتبربرين ويحملهم على اعتناقه، ويرجع الفضل فى ذلك إلى نشاط الدعوة من المسلمين الذين كانوا يلاقون من الصعاب أشدها المناهضة منافسين

قويين، كانا يحاولان إحراز قصب السبق في ذلك المضمار، وليس هناك في تاريخ العالم نظير لذلك المشهد الغريب، وتلك المعركة الحامية التي قامت بين البوذية والمسيحية والإسلام، كل ديانة تنافس الأخرى، لتكسب قلوب أولئك الفاتحين القساء، الذين داسوا بأقدامهم رقاب أهل تلك الديانات العظيمة ذات الدعاة والمبشرين في جميع الأقطار والأقاليم...».

«... ويظهر أنه لم يكن من اليسير منافسة الإسلام في مستهل الحكم المغولي لغيره من الديانات القوية، كالبوذية والمسيحية كانت عملاً بعيد المنال؛ إذ إن المسلمين كانوا قد قاسوا أكثر من غيرهم من ذلك الاضطراب الذي صحب غارات المغول، وإن معظم هذه المدن التي كانت حتى ذلك الحين مجمع السلطة الدينية وكعبة العلم في الإسلام في القارة الآسيوية، قد أصبح معظمها أطلالاً دارسة، حتى أن الفقهاء وأئمة الدين الأتقياء، كان نصيبهم القتل أو الأسر، وكان من بين حكام المغول-الذين عرفوا عادة بتسامحهم نحو الأديان كافة-من يظهر الكراهية للدين الإسلامي على درجات متفاوتة، فقد أمر جنكيز خان بقتل كل من يذبح الحيوانات على النحو الذي قرره الإسلام، ثم سار على نهجه قوبيلائي، فعين مكافآت لكل من دل على من يذبح بهذه الطريقة، واضطهد المسلمين اضطهاداً عنيفاً دام سبع سنين، حتى أن كثيراً من المعدمين وجدوا في سن ذلك القانون فرصة لجمع الثروة، واتهم الأرقاء مواليتهم بهذه التهمة لكي يحصلوا على حريتهم، وقد عانى المسلمون أقسى ضروب العسف والشدة في عهد كيوك (١٢٤٦ - ١٢٤٨م) الذي ألقى بزمام أمور الدولة إلى وزيريه المسيحيين، والذي امتلاً بلاطه بالرهبان من المسيحيين...».

«وقد اضطهد أرغون (١٢٨٤ - ١٢٩١م) رابع إيلخانات المغول في فارس، المسلمين في بلاده، وصرفهم عن كافة المناصب التي كانوا يشغلونها في

القضاء والمالية، كما حرم عليهم الظهور فى بلاطه، وعلى الرغم من جميع المصاعب، أذعن هؤلاء المغول والقبائل المتبريرة آخر الأمر لدين هذه الشعوب التى ساموها العسف وجعلوها فى مواطن أقدامهم...».

إن هذا الحدث مثار دهشة وعجب، ولكن استغرابنا يشتد، حينما لا نجد تفاصيله وافية فى بطون التاريخ، إننا لا نكاد نعثر على أسماء هؤلاء الأعلام والأبطال الذين حققوا هذه المآثر، وأدخلوا هذا الشعب الهمجى فى حظيرة الإسلام، مع أن هذه المآثر لا تقل أهمية عن أى مآثرة إسلامية فى التاريخ، ولهم فضل لا ينكر لا على رقاب المسلمين فحسب، بل على الإنسانية كلها، إلى أن يأذن الله لها بالفناء، فإنهم أنقذوا العالم من دمار محتوم، ووضعوه تحت رعاية شعب يؤمن بالله وحده، ويدعو إلى دين محمد ﷺ.

إن دولة جنكيز خان توزعت بعد وفاته إلى أربعة فروع، وبدأ الإسلام ينتشر فى هذه الفروع الأربعة، وأصبح التتر يعتنقون الإسلام بجهود الخاقان، حتى دخلوا فى ظرف مائة سنة فى دين الله، وقد سرد أرنولد عدة أحداث تلقى الضوء على هذا الباب، إنه يحكى قصة شيوع الإسلام فى فرع جوجى خان الابن الأكبر لجنكيز خان، الذى كان يحكم على سيرا داردا، الجزء الغربى من الدولة، فيقول:

«وكان بركة خان (١٢٥٦ - ١٢٦٧ م) أول من أسلم من أمراء المغول: وكان رئيساً للقبيلة الذهبية فى روسيا بين سنتى ١٢٥٦ و ١٢٦٧ م (ومن الأهمية أن نلاحظ أن نجم الدين مختار الزاهدى وضع لبركة خان فى سنة ١٢٦٠ رسالة تؤيد بالبراهين رسالة النبى الدينية، وتدحض ما ذكره المنكرون لهذه الرسالة، وتمدنا بوصف للمناظرات التى قامت بين المسيحيين والمسلمين) وقد قيل فى سبب إسلامه أنه تلاقى يوماً مع عير للتجار آتية من بخارى، ولما خلا بتاجرين منهم سألهما عن عقائد الإسلام، فشرحها شرحاً مقنعاً انتهى به إلى

اعتناق هذا الدين والإخلاص له وقد كاشف أصغر إخوته أول الأمر عن تغييره لدينه، واعتناقه الإسلام، وحبب إليه أن يجذو حذوه، ثم أعلن بعد ذلك اعتناقه لهذا الدين...».

«وقد دخل بركة خان في حلف مع ركن الدين الظاهر بيبرس (١٢٦٠ - ١٢٧٧م) سلطان المماليك في مصر، الذي بدأ تلك العلاقات الوثيقة من جانبه، فقد احتفى بشرذمة من جند القبيلة الذهبية يبلغ عددها المائتين، ولما لاحظ هؤلاء الجند العداء المستحكم بين ملكهم وبين هولاء فاتح بغداد، وهم الذين كانوا ينضون تحت لوائه، فروا إلى سوريه، حيث يتيمون منها شطر مصر، وهناك استقبلوا بكل مظاهر الحفاوة والتكريم في بلاط بيبرس، الذي أقنعهم بصحة الدين الإسلامي واعتناقه، وكان بيبرس نفسه في حرب مع هولاء، وقد هزمه بيبرس وأخرجه من سورية منذ أمد قريب، وقد أرسل بيبرس اثنين من المغول اللاجئين وغيرهم من الرسل يحملون كتاباً إلى بركة خان، وقد نقل هؤلاء عند عودتهم إلى مصر، أن لكل أمير وأميرة في بلاط بركة خان إماماً ومؤذناً خاصاً، وأن الأطفال كانوا يحفظون القرآن في المدارس، وكان من أثر هذه العلاقات الودية التي قامت بين بيبرس وبركة خان، أن كثر الوافدون من رجال القبيلة الذهبية على مصر حيث اتخذوا الإسلام ديناً لهم».

إنه يحكى قصة انتشار الإسلام في الإيلخانية الفرع الثاني لأسرة جنكيز خان ويقول:

«كان الإسلام أقل انتشاراً في بلاد الفرس حيث أسس هولاء أسرة إيلخانات المغول، ولكي يقوى على صد هجمات بركة خان وسلطان مصر، تحالف هولاء مع القوات المسيحية في الشرق كملك أرمينية والصليبيين وكانت زوجته المحببة إليه مسيحية، فعملت على استمالة زوجها نحو إخوانها في الدين، كما تزوج ابنه

أباقاخان (١٢٦٥ - ١٢٨١ م) من ابنة امبراطور القسطنطينية، ومع أن أباقا نفسه لم يتخذ المسيحية ديناً له، امتلاً بلاطه بالقسيسين من المسيحيين، وأرسل السفراء إلى بعض أمراء أوروبا، فكان يرسل القديس لويس ملك فرنسا، وشارل ملك صقلية، وجيمس ملك أرغونة يطلب إليهم التحالف معه على المسلمين، كما أرسل لهذا الغرض أيضاً بعثاً من ستة عشر سفيراً من المغول إلى مجمع ليون سنة ١٢٧٤م، حيث دخل رئيس أولئك السفراء في المسيحية وعمد مع بعض رفاقه، وقد طمع المسيحيون، فعلقوا الآمال على اعتناق أباقا خان المسيحية، ولكن الأيام أظهرت أن تلك الآمال لم تكن إلا سراباً خادعاً، وكان أخوه تكودار أحمد، الذي اعتلى العرش من بعده أول إيلخانات المغول الذين اعتقدوا الإسلام في فارس وقد شب على المسيحية، لأنه (كما يحدثنا بذلك كاتب مسيحي من معاصريه) «تعمد في صباه وتسمى باسم نقولا ولكنه دان بالاسلام عندما بلغ سن الرشد عن طريق اتصاله بالمسلمين الذين كان كَلِفاً بهم، وأصبح مسلماً ديناً، ولما ارتد عن المسيحية، رغب في أن يسمى محمد خان، وبذل قصاره في تحويل كافة التتار إلى دين محمد وعقائده، ولما أظهروا صلابة في الارتداد عن دينهم، لم يجرؤ على حملهم على اعتناق الاسلام، وإنما لجأ إلى ذلك عن طريق بذل العطايا والمنح وألقاب الشرف، حتى أن عدداً كبيراً من التتار دخل في عهده في عقيدة المسلمين»، وقد بعث تكودار أحمد نبأ إسلامه إلى سلطان المماليك في مصر (قلاوون) في ذلك الكتاب:

«إلى سلطان مصر، أما بعد فإن الله - سبحانه وتعالى - بسابق عنايته ونور هدايته، قد كان أرشدنا في عنقوان الصبا وريعان الحدائث، إلى الإقرار بربوبيته والاعتراف بوحدانيته، والشهادة لمحمد - عليه أفضل الصلاة والسلام - بصدق نبوته وحسن الاعتقاد في أوليائه الصالحين من عباده وبريته، ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ فلم نزل

ثميل إلى إعلاء كلمة الدين وإصلاح أمور الإسلام والمسلمين، إلى أن أفضى إلينا الجليل وأخينا الكبير نوبة الملك فأضفى علينا من جلابيب اللطافة ولطائفه، ما حقق به آمالنا في جزيل آلائه وعوارفه، وجلى هذه المملكة علينا وأهدى عقيلتها إلينا، فاجتمع عندنا في قوريليان (وهو المجتمع الذي تقدح فيه الآراء) جميع الإخوان والأولاد والأمراء والكبراء، ومقدمو العساكر وزعماء البلاد، واتفقت كلمتهم على تنفيذ ما سبق به حكم أخينا الكبير، في إنفاذ الجم الغفير من عساكرنا التي ضاقت الأرض برحبها من كثرتها، وامتألت الأرض رعباً من عظيم صولتها وشديد بطشها، إلى تلك الجهة، بهمة تخضع لها صم الأطواد، وعزيمة تلين لها الصم الصلاد، ففكرنا فيما تمخضت زيد عزائمهم عنه، واجتمعت أهواؤهم عليه، فوجدناه مخالفاً لما كان في ضميرنا من اقتفاء الخير العام، الذي هو عبارة عن تقوية شعار الإسلام، وألا يصدر عن أوامرنا ما أمكننا إلا ما يوجب حقن الدماء وتسكين الدهماء، وتجري به في الأقطار، رجاء نسائم الأمن والأمان.

ويستريح به المسلمون في سائر الأمصار في مهاد الشفقة والإحسان، تعظيماً لأمر الله وشفقة على خلق الله، فألهمنا الله تعالى إطفاء تلك النائرة، وتسكين الفتن الثائرة، وإعلام من أشار بذلك الرأي بما أرشدنا إليه من تقديم ما يرجى به من شفاء مزاج العالم من الدواء، وتأخير ما يجب أن يكون آخر الدواء، وأننا لا نحب المسارعة إلى هز النصال للنصال إلا بعد إيضاح المحجة، ولا نبادر لها إلا بعد تبين الحق وتركيب الحججة، وقوى عزمنا على ما رأيناه من دواعي الإصلاح، وتنفيذ ما ظهر لنا به وجه النجاح؛ إذ كان الشيخ قدوة العارفين بالرحمن، الذي هو نعم العون لنا في أمور الدين، فأرسلناه رحمة من الله لمن (لبي) دعاه، ونقمة على من أعرض عنه وعصاه، وأنفذنا أقصى القضاة قطب (الملة) والدين،

والأتابك بهاء الدين، اللذين هما من ثقات هذه الدولة الزاهرة؛ ليعرفوهم طريقتنا، ويتحقق عندهم ما ينطوى عليه لعموم المسلمين جميل نيتنا، وبيننا لهم أنا من الله تعالى على بصيرة، وأن الإسلام يجب ما قبله، وأنه تعالى ألقى في قلوبنا أن نتبع الحق وأهله، فإن تطلعت نفوس إلى دليل تستحكم بسببه دواعي الاعتماد، وحجة يثقون بها من بلوغ المراد، فلينظروا إلى ما ظهر من أمرنا مما اشتهر خبره، وعم أثره، فإننا ابتدأنا بتوفيق الله بإعلاء أعلام الدين وإظهاره، في إيراد كل أمر وإصداره، تقديمًا لنا موس الشرع الحمدي، على مقتضى قانون العدل الحمدي، إجلالاً وتعظيمًا، وأدخلنا السرور على قلوب الجمهور، وعفونا عن كل من اجترح سيئة واقترف، وقابلناه بالصفح، وقلنا عفا الله عما سلف، وتقدمنا بإصلاح أوقاف المسلمين من المساجد والمشاهد والمدارس، وأمرنا بتعظيم أمر الحجاج، وتجهيز وفدها، وتأمين سبلها، وتيسير قوافلها، وأنا أطلقنا سبيل التجار المترددين على تلك البلاد؛ ليسافروا بحسب اختيارهم على أحسن قواعدهم، وهو يلتبس مخالفة سلطان مصر بحيث تعمر تلك الممالك وتلك البلاد وتسكن الفتنة الثائرة، وتغمد السيوف الباترة، وتحل العامة أرض الهوينى، وتخلص رقاب المسلمين من أغلال الذل والهوان.

وإن من يدرس تاريخ المغول؛ ليرتاح عندما يتحول فجأة من قراءة ما اقترفوه من الفظائع وما سفكوه من الدماء، إلى أسمى عواطف الإنسانية وحب الخير التي أعلنت عن نفسها في تلك الوثيقة التاريخية التي كتبها تكودار أحمد إلى سلطان المماليك في مصر، والتي يدهش الإنسان لصدورها من مثل ذلك المغولي.

وقد أحفظ تكودار أحمد واضطهاده المسيحيين، المغول الذين كانوا شديدي الاتصال بهم برغم مخالفتهم في الدين، وشكوه إلى قوبيلائي خان، متهمين إياه بأنه خالف بذلك سنن أجداده، وقد قامت في وجهه ثورة على رأسها ابن أخيه

أرغون الذى دبر قتله، ثم خلفه على العرش، وفى أثناء حكم أرغون (١٢٨٤ - ١٢٩١ م) القصير، استرد المسيحيون مكائهم من جديد، على حين لم يكن بد من أن يلقى المسلمون الاضطهاد، فصرفوا عن كافة المناصب التى كانوا يشغلونها فى القضاء والمالية، وحرّم عليهم الظهور فى بلاطه.

وقد ظل خلفاء تكودار أحمد على وثنيهم، حتى دخل غازان (١٢٩٥ - ١٣٠٤م) سابع الإيلخانات وأعظمهم شأنًا فى الدين الإسلامى فى سنة ١٢٩٥م، وجعله دين الدولة الرسمى فى فارس وفى عهد إيلخانات المغول الثلاثة الأخيرين الذين سبقوا غازان، أمل المسيحيون آمالاً كبيراً فى تحويل الأسرة الحاكمة فى فارس عن الدين الإسلامى، تلك الأسرة التى أظهرت نحوهم عطفًا شديدًا، وأسندت إليهم كثيرًا من مناصب الدولة الهامة، وكان بيدوخان سلف غازان، الذى كان رأس الفتنة فى فارس، والذى جلس على العرش فى سنة ١٢٩٥م بضعة أشهر فقط، قد آثر الدين المسيحى وجهد فى وضع العقبات فى سبيل انتشار الإسلام بين المغول، فحرّم على كل شخص أن يدعو لذلك الدين، أو أن ينشر عقائده بينهم.

وقد شب غازان على البوذية قبل اعتناقه الإسلام، وشيد عدة معابد للبوذية فى خراسان، وكان يسر كثيرًا بمصاحبة الكهنة الذين ينتمون إلى هذا الدين، والذين كانوا قد وفدوا إلى فارس فى جماعات كبيرة منذ بسط المغول سلطانهم فى هذه البلاد، ويظهر أن غازان كان بطبعه يميل إلى تقليب نظره فى المسائل الدينية؛ لأنه درس عقائد الأديان المختلفة المنتشرة فى زمانه.

وقد أيد رشيد السدين، وزيره العالم ومؤرخ عصره، بالبرهان صحة اعتقاده الإسلام، الذى أخذ على عاتقه المحافظة على شعائره فى حماس وغيره طوال عهده. إن ابن كثير نفسه ذكر إسلام غازان فى وقائع ٦٩٤هـ بارتياح بالغ، ويبدو

منه - ويؤيده فى ذلك غيره من المؤرخين أن الفضل فى ذلك يرجع إلى الأمير التركى الصالح توزون، فإن ملك التتر أسلم بجهوده، كتب ابن كثير فى وقائع ٦٩٤هـ يقول: وفيها ملك التتار قازان بن أرغون بن أبغا بن تولى بن جنكيز خان فأسلم، وأظهر الإسلام على يد الأمير توزون رحمه الله، ودخلت التتار أو أكثرهم فى الإسلام ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رءوس الناس يوم إسلامه، وتسمى بمحمود، وشهد الجمعة والخطبة، وخرب كنائس كثيرة، وضرب عليهم الجزية، ورد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد، وظهرت السبح والهياكل مع التتار والحمد لله. يقول أرنولد: «إن أخاه أوجايتو الذى خلفه فى سنة ١٣٠٤م باسم محمد خداينده كان على المسيحية -دين أمه- وعمد باسم نيقولا على أنه لم يلبث أن أسلم بعد موت أمه، وهو لا يزال شاباً فى مقتبل العمر، وذلك بتأثير زوجته، ويذكر ابن بطوطة أن سيرة ذلك الأمير كان لها أثر كبير فى نفوس المغول، ومن ذلك العهد غدا الإسلام الدين السائد فى دولة إيلخانات فارس».

الفرع الثالث من هذه الأسرة كان يحكم البلاد المتوسطة، وكان مؤسسها جغتائى بن جنكيز خان. يقول أرنولد: «وإن ما لدينا من المعلومات عن تقدم الإسلام وانتشاره فى امبراطورية المغول الوسطى، التى كانت من نصيب جغتائى لا يزال ضئيلاً، وكان كثير من أعقاب هذه الأسرة يستعينون فى دولتهم بوزير من المسلمين، على الرغم من إنه لم يبد أى ميل إلى الاسلام وقد ضيق جغتائى على رعاياه من المسلمين بما سنه من القوانين الشديدة الحرج، التى ضيقت على شعائرهم الدينية، فيما يتعلق بذبح الحيوانات للطعام وفرائض الوضوء، ويذكر الجوزجانى أن جغتائى هذا كان ألد أعداء المسلمين من بين خانات المغول كافة، وقد بلغ من شدة عداته لهذا الدين أنه لم يكن يرغب فى أن ينطق أحد بكلمة مسلم فى حضرته، اللهم إلا إذا أريد بها التحقير والحط من شأنها، وقد ربت

أرغنة Orghana زوجة قراهورلاكو حفيد جغتائي وخليفته، ابنها على الإسلام، وتقدم باسم مبارك شاه فى سنة ١٢٦٤ م، مطالباً بعرش خاقانية جغتائي الذى كان مثار النزاع بين أمراء المغول، ولكن سرعان ما خلعه ابن عمه براق خان، ويظهر أنه لم يكن لإسلامه أى أثر بين المغول، فإننا لو رجعنا فى الواقع إلى أسماء أبنائه لا نجد أحداً منهم قد دخل فى دين أبيه، وقد قيل إن براق خان نفسه «قد أدركته البركة بتلقيه نور العقيدة» قبل موته فى سنة ١٢٧٠ م بأيام قليلة، وأنه تسمى باسم السلطان غياث الدين، إلا أنه دفن حسب طقوس المغول القديمة ولم يدفن وفق شعائر الدين الإسلامى، وأن من أسلموا فى عهده ارتدوا إلى وثنياتهم الأولى، ولم يتم انتشار الإسلام بين المغول فى مملكة جغتائي إلا فى القرن التالى لإسلام مبارك خان ذلك على إثر إسلام طرما شيرين حوالى سنة ١٣٢٦ م وقد ظل المغول الذين اقتفوا أثر زعيمهم متمسكين فى هذه المرة بدينهم الجديد، وعلى الرغم من ذلك لم يتأصل الميل إلى الإسلام بعد فى نفوس المغول، فان بوزون الذى كان خان المغول فى السنين العشر التالية (ولو أن صحة هذا التاريخ غير محققة) لم يلبث أن طرد طرما شيرين من العرش، واضطهد المسلمين، على أننا لم نسمع عن ظهور أول ملك مسلم فى كاشغر إلا بعد سنين قليلة، وكان ضعف أسرة جغتائي قد أتاح لهذه المملكة أن تستقل بحكم هذه البلاد، ويقول بعض المؤرخين إن إسلام تغلق تيمور خان (١٣٤٧ - ١٣٦٣ م) ملك كاشغر كان على يد رجل من أهل الورع والتقوى فى مدينة بخارى، يقال له الشيخ جمال الدين، وكان معه جماعة من التجار، وكانوا قد اعتدوا على الأراضى التى خصصها ذلك الأمير للصيد، فأمر بأن توثق أيديهم وأرجلهم، وأن يمثلوا بين يديه، ثم سألمهم فى غضب: كيف جرؤوا على دخول هذه الأرض، فأجاب الشيخ بأنهم غرباء ولا يعلمون أنهم يجوسون أرضاً محرمة، ولما علم الأمير أنهم من الفرس قال: إن الكلب أغلى من أى فارسي، فأجاب الشيخ: «نعم! قد كنا أحسن من الكلب وأجس ثمناً

منه لو أننا لم ندن بالدين الحق».

ولما راع الأمير ذلك الجواب أمر بأن يقدم إليه ذلك الفارسى الجسور عند عودته من الصيد، ولما خلا به سأله ماذا يعنى بهذه الكلمات وما ذلك الدين؟ فعرض عليه الشيخ قواعد الإسلام فى غيرة وحماس انفطر لهما قلب الأمير، حتى كاد يذوب كما يذوب الشمع، وصور له الكفر بصورة مروعة اقتنع معها بضلال معتقداته وفسادها، وقال: «ولكنى إذا اعتنقت الإسلام الآن فلن يكون من السهل أن أهدى رعاياى إلى الصراط المستقيم فلتمهلى قليلاً، فإذا ما آلت إلى مملكة أجدادى فعد إلى».

وذلك أن امبراطورية جغتائى انقسمت فى ذلك الوقت إلى إمارات صغيرة وظلت على ذلك سنين طويلة، حتى نجح تغلق تيمور فى توحيد الامبراطورية كلها تحت سلطانه، وجمع كلمتها كما كانت من قبل، وفى هذه الأثناء كان الشيخ جمال الدين قد عاد إلى بلده حيث مرض مرضاً شديداً فلما أشرف إلى الوفاة قال لابنه رشيد الدين «سيصبح تغلق تيمور يوماً ما ملكاً عظيماً، فلا تنس أن تذهب إليه وتقرئه منى السلام ولا تحش أن تذكره بوعده الذى قطعه لى» ولم يلبث رشيد الدين إلا سنين قليلة، حتى ذهب إلى معسكر الخان وكان قد استرد عرش امبراطورية آباءه تنفيذاً لوصية أبيه، ولكنه لم يستطيع أن يظفر بالمثل بين يدى الخان، برغم ما بذله من جهود وأخيراً لجأ إلى هذه الحيلة الطريفة: ففى ذات يوم أخذ يؤذن فى الصباح المبكر على مقربة من فسطاط الخان فأقلق ذلك الصوت نوم الخان، وأثار غضبه فأمر باحضاره ومثوله بين يديه وهناك أدى رشيد الدين رسالة أبيه، ولم ينس تغلق تيمور وعده وقال: «حقاً ما زلت أذكر ذلك منذ أعتليت عرش آبائى، ولكن الشخص الذى قطعت له ذلك الوعد لم يحضر من قبل، والآن فأنت على الرحب والسعة..» ثم أقر بالشهادتين وأصبح مسلماً منذ ذلك الحين «وأشرقت شمس الإسلام ومحت بنورها ظلام الكفر...»

ولكى ينشر هذا الدين بين رعاياه اتفق تغلق تيمور ورشيد الدين على أن يستقبل الملك الأمراء واحدا بعد واحد، ويعرض عليهم الإسلام فمن قبله جوزى الجزاء الحسن، ومن أباه ذبح كما يذبح الوثنيون وعباد الأصنام.

أما الفرع الرابع الذى ينتمى إلى اجتائى خان والذى برز فيه من الملوك والفاحين أمثال منجوخان، وقويلاى خان، والذى كان يحكم الجزء الشرقى من امبراطورية التتر، فيقول فيه أنولد: «ولابد أن يكون هناك كثير من أنصار النبى قد انتشروا فى طول امبراطورية المغول وعرضها، مجاهدين فى طى الخفاء لجذب الكفار إلى حظيرة الإسلام فى عهد اجتائى (١٢٢٩ - ١٢٤١م) نقرأ عن إسلام بوذى يدعى Kuguz وكان حاكماً على بلاد الفرس من قبل المغول، وفى عهد تيمور خان (١٢٢٣ - ١٢٢٨م) كان انندا حفيد قويلاى (١٢٥٧ - ١٢٩٤م) مسلماً متحمساً كما دفع كثيراً من أهل تانجوت إلى اعتناق هذا الدين، وعلى الرغم من استدعائه إلى بلاط تيمور وبذل الجهد فى ارتداده إلى البوذية، أبى إلا التمسك بدينه الجديد، فألقى به فى غياهب السجن، ولكنه لم يلبث أن أطلق سراحه بعد قليل خشية ثورة أهالى تانجوت الذين كانوا شديدي التعلق به».

وهكذا دخل هذا الشعب (الذى دوخ العالم الإسلامى كله وداس أطرافه بأقدامه ونعال خيوله، والذى لم تتماسك أمامه أى قوة) فى دين الله الإسلام فى بضع سنين وبدت هذه الحقيقة مرة أخرى واضحة جلية أن الإسلام لا يزال يملك أكبر نفوذ ويتمتع بأغرب موهبة فى تسخير الأرواح، وكسب الأنصار والأصدقاء، إن التتر لم يسلموا رسمياً فحسب بل برز فيهم عدد كبير من العلماء والفقهاء والمجاهدين، والدعاة والربانيين وأهل الصدق واليقين وأدوا دورهم الثمين فى حماية حمى الإسلام فى ظروف دقيقة ولحظات عصيبة من التاريخ.

الفصل الأول

المغول فى شرقى أوروبا وغربى سيبيريا

نتناول فى هذا الفصل الجزء الذى أقطعه جنكيز خان لابنه الأكبر جوجى والتي شملت بلاد الروس وبلغار والقوقاز، وما يمكن ضمه من غرب المعمورة (شرقى أوروبا وغربى سيبيريا) وأطلق على أسرة جوجى التي حكمت الجزء السابق ذكره أسرة مغول الشمال أو القبيلة الذهبية، وقد وصى جنكيز خان لجوجى بوراثة منصب الخان الأعظم للمغول بعد وفاته، ولكن وافت جوجى المنية قبل أبيه فاختر أخوه أوغطاي لهذا المنصب، وخرج المنصب من عائلة جوجى، ولكن برغم ذلك كانت لأسرة جوجى مكانة خاصة عند المغول فكانت لهم ثلث الغنائم التي يحصل عليها المغول فى حروبهم وهى نسبة توافق النسبة التي تصل إلى الخان الأعظم.

باتو:

ورث باتو الحكم بعد وفاة أبيه جوجى وفى قرارة نفسه حقد شديد على عمه أوغطاي الذى اعتبره قد انتزع منصب الخانية العظمى من أسرة جوجى.

توسعات باتو:

جهز الخان الأعظم أوغطاي جيشًا بلغ ٣٠,٠٠٠ جندى تحت قيادة باتو، ويتضمن الجيش ثلاثة قادة هم كيوك بن أوغطاي ومانغو بن طولوى وبايدار بن جغطاي وكلهم تحت إمرة باتو واستطاع هذا الجيش أن ينتصر على أمير بلغار (وهى التي تمثل الآن مدينة قازان فى روسيا والأجزاء المحيطة بها وهاجر سكان هذه المنطقة إلى البلقان واستوطنوا المنطقة التي يطلق عليها بلغاريا الآن) وكانت قد استعصت على المغول من قبل، وعندما احتلوها واصلوا تقدمهم فى شرق

أوروبا، ففضوا على دولة الخزر وواصلوا تقدمهم إلى بلاد الروس ودخلوا مدينة كييف (عاصمة أوكرانيا الآن) أعظم مدن الروس في ذلك الوقت، ودمروها تدميراً، وتمكنوا أيضاً من دخول موسكو وأحرقوها، ثم انقسموا قسمين قسم بقيادة باتو سار إلى بلاد المجر وانتصر على جيشها وذبحه بالكامل، أما القسم الآخر فكان بقيادة بايدار واتجه إلى ألمانيا ولكنه انهزم ومات بايدار غماً وبهذه الهزيمة توقف تقدم المغول في أوروبا.

في ذلك الوقت توفى أوغطاي الخان الأعظم للمغول عام ٦٤٤هـ وانتخب كيوك بن أوغطاي خائناً أعظم للمغول، وتوقفت الحروب في أوروبا وهاجرت الكثير من قبائل المغول إلى منطقة حوض نهر الفولغا، واستقرت بها وبنيت مدينة سراي على نهر الفولغا لتكون عاصمة لمغول الشمال.

تأثر مغول الشمال بالإسلام:

كان للإسلام بالغ الأثر في نفوس أبناء جوجي، ويرجع ذلك لأن أباهم جوجي تزوج الأميرة رسالة بنت خوارزم شاه، التي وقعت في الأسر وهي أخت السلطان جلال الدين، فعاشت مع أسرة جوجي، وكان لها تأثير كبير في نفوس أبنائه باتو وبركه وغيرهما لذلك كان باتو عطوفاً على المسلمين بالرغم من أنه لم يعتنق الإسلام.

زاد حقد باتو بعد تولى كيوك منصب الخان الأعظم، وقد كان كيوك من قبل تحت إمرته في الحروب مع أوروبا، وقد تربى كيوك على يد نصراني عهد أوغطاي له بتربيته، وعندما تولى منصب الخان الأعظم أعلن اعتناق النصرانية وانتشر الكثير من الرهبان والقساوسة في بلاد المغول، وأخذوا يجرسون كيوك على باتو؛ لأنه يعطف على المسلمين فاشتعلت الخلافات بين باتو وكيوك حتى جهز كيوك جيشاً لمحاربة باتو، إلا أن كيوك توفى عام ٦٤٦هـ قبل وصول الجيش

لمنازلة باتو، فعمل باتو جاهداً على نزع منصب الخان الأعظم من عائلة أوغطاي، وبمساعدة أخيه برکه نصب مانغو ابن تولوى خائناً أعظم؛ لينتقل منصب الخان الأعظم من أسرة أوغطاي إلى أسرة تولوى عام ٦٤٨هـ.

صرتق:

عندما مات باتو عام ٦٥٠هـ تولى ابنه صرتق رئاسة مغول الشمال ولم يستمر كثيراً فقد توفى وكان أبناؤه صغاراً فتولى عمه برکه خان المنصب.

برکه خان:

يعد أبو المعالي ناصر الدين بركة خان أول من أسلم من حكام المغول، ولذلك كان مغول الشمال سباقين في دخول الإسلام عن بقية الأسر المغولية، وقد أسلم عام ٦٥٠هـ وهو عائد من قره قورم، عاصمة دولة المغول الكبرى، فمر على بخارى والتقى بأحد العلماء فيها فأشهر إسلامه، وتولى حكم دولة مغول الشمال عام ٦٥٣هـ، وبإسلامه دخل الكثير من مغول الشمال في الإسلام، وكان شديد الحب والحماسة للإسلام، فبايع الخليفة المستعصم في بغداد وأتم بناء مدينة سراي (مدينة سراتوف في روسيا الآن)، عاصمة مغول الشمال وبنى بها المساجد وجعلها أكبر مدن العالم في ذلك الوقت.

العداء بين بركة وهولاكو وغيرته على المسلمين:

زين هولاكو لأخيه الخان الأعظم مانغو المهجوم على بغداد والسيطرة على ما بقي من بلاد المسلمين فرحب مانغو بالفكرة، وجهاز جيشاً لتنفيذها وما إن وصل الخبر إلى بركة خان وكان ذلك في عهد باتو إلا والتهبت مشاعره، وألح على أخيه باتو في منع الهجوم على المسلمين، وقال له: (إننا نحن الذين أقمنا مانغو خائناً أعظماً وما جازانا على ذلك، إلا أنه أراد أن يكافينا بالسوء في

أصحابنا ويخفر ذمتنا ويتعرض إلى ممالك الخليفة، وهو صاحبى وبينى وبينه مكاتبات وعقود ومودة، وفي هذا ما لا يخفى من القبح والشناعة).

واقتنع باتو تماماً بكلام أخيه فبعث باتو إلى هولاکو يكفه عما ينويه، فامثل هولاکو لباتو، وأجل تنفيذ ما ينوى حتى مات باتو فسار هولاکو، واحتل قلاع فرقة الإسماعيلية الحشاشين الضالة، وأكمل طريقه إلى بغداد، فى الوقت الذى تسلم بركة خان الحكم، فأراد بركة أن يوقف تقدم هولاکو إلا أن جنوده رفضوا معاونته؛ لأنهم بذلك يخالفون ما وافق عليه الخان الأعظم، ولأن أكثر الجنود ما زالوا على وثنتهم، وما زالوا متأثرين بجانكيزخان فلم يجد بركة خان من طريقة لمحاربة هولاکو إلا باختلاق الذرائع للحرب فطالب بأعمال تبريز ومراغة، اللذين يدخلان ضمن حدوده، واعتبر تعدى جنود هولاکو عليها تعدياً عليه، ومن جهة أخرى طالب هولاکو بثلث الغنائم كما جرت العادة فى عهد باتو وبعث رسله بذلك إلى هولاکو، فاغتاظ هولاکو وقتل الرسل بل وسير جيشاً لمحاربة بركة خان فانهمز جيش هولاکو شر هزيمة فى عام ٦٦٠هـ، ثم عاود الهجوم على بركة خان فى نفس العام بقيادة قائده تاباى نويان، فانهمز جيش بركة بقيادة نوغاي، وأراد هولاکو أن يجهز على بركة خان فأرسل جيشاً كبيراً يؤازر جيشه المنتصر بقيادة ابنه أباقا، فسار الجيش لملاقاة بركة خان فخرج لهم بركة خان بنفسه على رأس الجيش، واستطاع أن يلحق بجيش هولاکو هزيمة منكرة عام ٦٦١هـ فى القوقاز وفر ما بقى من جيش هولاکو مع ابنه أباقا.

التعاون مع المماليك:

كثرت المراسلات والاتصالات بين بيبرس وبركة خان؛ حيث حث بيبرس بركة خان على قتال هولاکو، ولفت نظره إلى أن الإسلام يوجب عليه قتال أعداء الدين حتى لو كانوا أهله وعشيرته، وبالفعل ساعد بركة خان بيبرس فى قتال هولاکو،

وفى نفس الوقت كان يجارب هولاءكو مباشرة؛ ليخفف من وطأته على المماليك.

محاولات بركة خان لزعة وحدة المغول الوثنيين:

لم يكتف بركة خان بمناصرة المسلمين ومحاربة أبناء جلدته فى سبيل الله بل عمل على إضعاف دولة المغول الوثنية وتفتيت كلمتها؛ لتتوفر له فرصة السيطرة عليها وإدخالها فى الإسلام، فاستغل خروج الخان الأعظم مانغو لقتال بعض الخارجين عليه ومعه أخوه قبلاي، وكان قد ترك أخاه أرتق بوكا مكانه لحين عودته، فاستغل بركة خان موت مانغو فى الطريق لإثارة الفتنة بين أرتق بوكا وقبلاي، حيث اتفق الجند والأمراء على تولية قبلاي بينما بعث بركة خان إلى أرتق بوكا قوة لمنازعة أخيه قبلاي على الخانية العظمى، وحرص أيضاً أسرة أوغطاي على مساعدة أرتق بوكا، ووقعت الحرب بينهما عام ٦٥٨هـ، واستمرت عدة سنوات واضطر هولاءكو لترك الحروب فى الشام، وعاد إلى قره قورم وتدخل لإنهاء الحرب فأنهاها ونصب أخاه قبلاي خانا أعظم بعد أن أخضع أسرة أوغطاي، وفى ذلك الوقت حث بركة خان الكثير من جنود هولاءكو فى الشام على الانضمام إلى جيش بيبرس والدخول فى الإسلام، وأطاعه الكثيرون وتحولوا لحرب هولاءكو، فاشتد الغيظ والحقد فى قلب هولاءكو مما سببه بركة من متاعب حتى أصيب بالصرع ومات عام ٦٦٣هـ، وورث أباقا ابن هولاءكو الحقد على بركة خان، فسار لمحاربه إلا أن نوغاي قائد جيش بركة قد صد الهجوم، فعاد أباقا الكرة واستطاع أن ينتصر على جيش بركة وأصيب نوغاي فى هذه المعركة بسهم فى عينه وكان له مكانه خاصة عند بركة لإسلامه معه، فسار بركة خان بنفسه لقتال أباقا ولكنه توفى فى الطريق عام ٦٦٥هـ.

مانكوتيمر:

تولى مانكوتيمر بن طغان بن باتو الحكم بعد موت بركة خان؛ حيث لم يكن

لبركة أبناء، واستمرت الحروب بينه وبين أباقا كان النصر فيها حليفا لأباقا وحدثت حروب بين مانكوتيمر وإمبراطور القسطنطينية خرب فيها مانكوتيمر بلاد الإمبراطور.

تدان مانكو:

خلف أخاه مانكوتيمر بعد موته عام ٦٧٩هـ، وحدث قتال بينه وبين براق خان من أسرة جغتاي فانتصر تدان مانكو، ثم حدث الصلح بينهما، فحرض براق خان على قتال أباقا ووقعت بينهما الحروب.

وأعلن تدان مانكو إسلامه بعد مراسلاته مع السلطان المنصور قلاوون، فعمل على تطبيق الشريعة، ثم انصرف عن الحكم لمجالسة العلماء، وخلفه ابن أخيه تلابغا عام ٦٨٦هـ لحكم مغول الشمال.

تلابغا:

وقع خلاف بين تلابغا والقائد نوغاي عندما سارا الحرب بعض أمم الشمال؛ حيث هلك كل من كان مع تلابغا في الطريق الذي سلكه، بينما لم يهلك أحد مع نوغاي في الطريق الآخر، فظن تلابغا أن نوغاي أراد هلاكه، فتنبه نوغاي لما ينوي تلابغا فبادر بالتخلص منه، وولى أخاه طقطاي حكم مغول الشمال عام ٦٩٠هـ.

طقطاي:

نشأ خلاف بين طقطاي ونوغاي، واستطاع طقطاي أن يقتل نوغاي، ثم ذهب لقتال ملك الدولة الأيلخانية غازان لمنازعتة على أذربيجان ومراغة، ولكن غازان توفي قبل أن يلتقى بجيوشه مع بطقطاي، ودخل في حرب مع سلطان ما وراء النهر (اسبغا) عام ٧٠٩هـ وهزمه وتوفي طقطاي عام ٧١٢هـ.

غيث الدين محمد أوزبك:

وهو بن طغرلجا أخى طقطاي، الذى قتله طقطاي، واتفق مع كبك ملك بلاد ما وراء النهر من أسرة جغتاي على حرب أبى سعيد ملك الدولة الإيلخانية، ولكن هزيمة بيسور قائد جيوش كبك جعلت غياث الدين يتجنب مواجهة أبى سعيد، ومات محمد أوزبك عام ٧٢٢هـ.

محمود جاني بك:

وهو ابن محمد أوزبك، ومما يذكر فى عهده أنه تمكن من ضم أذربيجان، وتوفى عام ٧٥٨هـ.

محمد بردى بك:

هو ابن محمود جاني اشتهر بالظلم، وقتل أكثر أقربائه؛ لكى لا ينازعه أحد فى الحكم، وفرض الضرائب الباهظة والجزية على الروس، وتوفى عام ٧٦٢هـ.

انتشار الفوضى وانقسام دولة مغول الشمال

بالرغم من اتساع دولة مغول الشمال التى امتدت من أواسط بولندا فى الغرب، إلى أواسط سيبيريا فى الشرق، ومن المحيط المتجمد الشمالى فى الشمال إلى أذربيجان فى الجنوب، وكانت تتضمن عدة شعوب منهم التتر المسلمين فى شرق أوروبا وغرب سيبيريا، وحوض نهر الفولغا والروس النصارى فى أجزاءها الغربية، والترک فى خوارزم والأذربيين فى أذربيجان، وشعوب القوقاز وغيرهم، إلا أنه بموت محمود بردى بدأت الفوضى تعم البلاد؛ حيث كان ابنه توقناميش صغيراً وبدأت الانقسامات فى الظهور فاستقل الحاج محمد خان بمنطقة سيير، واستقل ماماي خان بالقرم بعد أن نصب عبد الله خان فى مدينة سراي، واستقل الحاج شركس بمنطقة الحاج طرخان. (استراخان)، وفر توقناميش إلى سمرقند عند الجغتائين، وكان تيمورلنك قد قوى أمره فى ذلك الوقت، فرحب

بتوقتاميش، و أعاد له ملكه، ولكن ما لبث أن اندلع الخلاف بينهما ونشب القتال عام ٧٨٨هـ، وانتهت الحروب بانتصار تيمورلنك وسيطرته على بلاد مغول الشمال، واختفى توقتاميش، وكثرت الروايات عن مصيره.

وبعد أن سيطر تيمورلنك على بلاد مغول الشمال عين من قبله خانا عليها، واتجه لمواصلة حروبه في مناطق أخرى فأخذت البلاد في التدهور والانقسام، وتوالى على بلاد مغول الشمال العديد من الخانات ووقعت الحروب بين التتار والليتوانيين، فانتصر التتار وكذلك وقعت الحروب بين التتار والروس عام ٨١١هـ، ثم اتفقا على حرب الليتوانيين، وظهرت عدة خانات في بلاد مغول الشمال، وهي قازان والقرم واستراخان وسيبير وحوارزم، وكلها انفصلت عن مدينة سراي، وأخذت تقاتل بعضها البعض، وانحاز فريق منها للروس وانحاز فريق آخر لليتوانيين وتكررت مأساة الأندلس في بلاد مغول الشمال، واستغل الروس التمزق الذي أصابها في ابتلاع الجزء تلو الآخر، حتى استولوا عليها بالكامل، وستتناول هذه الخانات إلى ما آلت إليه الآن باستثناء خانية حوارزم فستدرج في الفصل الخاص بتركستان الغربية.

خانية قازان

محمد أوغلان خان:

قل ارتباط قازان بعاصمة مغول الشمال سراي بعد تيمورلنك وعندما وقع الخلاف بين أحد خانات سراي وهو محمد أوغلان وأخوه كجك محمد عام ٨٤١هـ استطاع كجك محمد أن يتربع على عرش سراي، في حين هرب محمد أوغلان إلى مدينة قازان وسيطر عليها وعلى المناطق المحيطة بها، واستقل بها عن سراي وكون خانية قازان، وبدأ توسعه ملكه منها.

حارب محمد أوغلان الروس، بسبب أنه التجأ إليهم عندما هرب من أخيه كجك محمد، ولكنهم تنكروا له بالرغم من حسن معاملته لهم عندما كان خائفاً على سراي، فهجم على بلادهم عدة مرات، وكان يكتفى بالغنائم حتى جاء هجومه عليهم عام ٨٥٠هـ، وحاصر فيه موسكو وأسر بطريقها، وفى أثناء حصاره لموسكو استغل أحد أمراء المغول من أبناء شوبان الفرصة، وسيطر على قازان، فاضطر محمد أوغلان أن يفك الحصار عن موسكو، ويعود إلى قازان، واستطاع أن يستعيد السلطة فيها.

محمود خان:

أطلق محمد أوغلان سراح بطريق موسكو، فتسبب ذلك فى الخلاف بين محمد أوغلان وابنه محمود فقتل محمد أوغلان، وسيطر ابنه محمود على الحكم عام ٨٥٠هـ، ونتيجة لذلك فر إخوة محمود إلى موسكو، واستمر حكم محمود حتى توفى عام ٨٧٢هـ.

إبراهيم خان:

وهو ابن محمود خان، وفى نفس الوقت تزوجت أمه من عمه قاسم الذى فر إلى موسكو، وأخذ يهاجم قازان بمساعدة الروس حتى توفى عام ٨٧٣هـ، واستمرت الحروب بين الروس وقازان برغم محاولات أم إبراهيم فى التوسط بين ابنها، وبين الأمير إيفان الثالث، حتى انسحب الروس إلى موسكو بعد أن خربوا أطراف قازان، وتوفى إبراهيم عام ٨٨٣هـ.

الهام خان:

استمر حكمه عشر سنوات، وكان أخوه محمد أمين قد تشاكل معه، فذهب إلى الروس وأعانوه بقوة هجم بها على قازان عام ٨٩٣هـ، وتمكن من السيطرة

عليها وخلع أخاه الهام وجلس مكانه وأسر أخوه لدى الروس.

محمد أمين خان:

اتصل أهل قازان بماموق خان الشيباني في القوقاز ليولوه عليهم خاناً بعد أن كرهوا محمد أمين، فحاول ماموق أن يدخل قازان عام ٩٠٢هـ فاستنجد محمد أمين بإيفان الثالث، فأعانه ففشل ماموق في دخول قازان، ولكنه عاود الكرة، واستطاع دخول قازان ثم هرب محمد أمين وأسرته إلى موسكو، ولم يستطع ماموق أن يكسب أهل قازان فاستغلوا خروجه للحرب، وأغلقوا أبواب المدينة في وجهه عند عودته، وراسلوا إيفان الثالث يطلبون تعيين عبد اللطيف أخى محمد أمين خاناً عليهم، فوافق إيفان ونصب فعلاً عبد اللطيف، ولكن محمد أمين استطاع أن يسترد قازان عام ٩٠٨هـ وأرسل عبد اللطيف إلى موسكو أسيراً، وفي ذلك الوقت قامت زوجة محمد أمين وكانت من قبل زوجة أخيه الهام بإثارة محمد أمين ضد الروس، فسار بجيش كبير من قازان وبلاد النوغاي (الأجزاء التي تتضمن أطراف الأورال مثل مدن أوفنا وأورنبيرغ) إلى بلاد الروس، وهكذا كثرت الحروب بين الروس وقازان في أيام محمد أمين، وفي ذلك الوقت أطلق سراح عبد اللطيف أخو محمد أمين بوساطة منكلى كراى خان القرم، فعاد عبد اللطيف إلى قازان بعد أن أمنه أخوه، بل وجعله ولياً للعهد في قازان، إلا أنه توفي قبل موت محمد أمين الذى مات عام ٩٢٥هـ ولم يكن هناك ولى للعهد فعين الروس شيخ على خاناً على قازان.

صاحب كراي:

اقترح محمد كراى خان القرم على موسكو تعيين أخيه صاحب كراى خاناً على قازان، فرفضت موسكو لخوفها من وحدة المسلمين، فاتفق محمد كراى مع أهل قازان على ذلك وأعانوه وخلعوا شيخ على ونصبوا صاحب كراى خاناً

لقازان، وتوحدت قازان والقرم فى حربها مع الروس، فأخذت موسكو ترسل جيوشها بقيادة شيخ على لمحاربة أهل قازان، وارتكبت هذه الجيوش أبشع الجرائم فى أهل قازان فى عامى ٩٣٠هـ، ٩٣١هـ.

وعرض صاحب كراى خان القرم على الخليفة العثمانى سليمان القانونى تبعية قازان للعثمانيين، فوافق الخليفة وأرسل إلى موسكو يخبرهم بذلك، فكان رد الروس أن إمارة قازان تتبعهم.

صفا كراي:

وسارعت روسيا بإرسال جيوشها إلى قازان حتى تسبق العثمانيين إليها فى الوقت الذى ذهب صاحب كراى إلى العثمانيين للإتيان بقوة وترك مكانه لابن أخيه صفا كراى وحاول الروس احتلال قازان، ولكنهم فشلوا لما أبداه أهلها من مقاومة كبيرة ولكن أهل قازان قد أرهقتهم الحروب، فراسلوا روسيا يعرضون التبعية الاسمية لها، وتعيين خائناً من قبلها فعينت عليهم جان على عام ٩٣٩هـ وترك صفا كراى البلاد متجهاً إلى القرم.

وكان القرم دائمى الهجوم على الروس لتخفيف وطأتهم على قازان وتوفى أمير موسكو واسيلى الرابع وتولى مكانه ابنه إيفان الرابع (الرهيب) وقد أطلق عليه هذا اللقب لما ارتكبه من جرائم بشعة فى المسلمين، فاقت كل الوصف، وفى عام ٩٤٢هـ استطاع أمراء قازان قتل جان على المعين من قبل الروس، وراسلوا صفا كراى ليعود لحكم قازان، فعاد إليها وهاجم الروس فى العام التالى وتوفى صفا كراى عام ٩٥٦هـ فأصبحت قازان بلا خان.

وبعد عدة مناوشات مع الروس عقدوا اتفاقاً معهم بعودة شيخ على إلى حكم قازان، وأخرج أمراء القرم من قازان ومنهم بولك كراى بن صاحب كراي. ثم قرر إيفان الرهيب حسم مشكلة قازان مستغلاً تحسن علاقاته مع ليتوانيا

وامارة استراخان، وبرغم دعم القرم لقازان ومراسلة الخليفة العثماني سليمان القانوني لخان النوغاي؛ لمساعدة قازان المسلمة ضد الروس أعداء المسلمين ووصول النوغاي فعلاً إلى قازان، وخلع شيخ على وتنصيب محمد خان من قبلهم على قازان، إلا أن إيفان الرهيب سار مع الشيخ على هذا الخائن الذي لا تهمه إلا مصلحته الشخصية، واتجها إلى قازان واستطاعوا بعد مقاومة عنيفة من أهلها أن يدخلوها عام ٩٥٩هـ لتبتلعها روسيا وترتكب بها أبشع الجرائم والمنكرات التي سنتكلم عنها فيما بعد.

خانية استراخان (الحاج طرخان)

استقل الحاج شركس باستراخان عن سراي عام ٧٦٢هـ واستطاع دخول سراي ولكنه ما لبث أن خرج منها بعد عدة أشهر، وعندما احتل تيمورلنك منطقة مغول الشمال نصب على سراي عاصمة بلاد مغول الشمال قويرجق خان، فخضعت له سراي وما إن توفي حتى تسلم تيمر قتلغ الأمر عام ٨٠٢هـ ثم جاء من بعده براق خان وفي عهده تسلم محمد أوغلان خانية سراي.

انتقلت استراخان لتبعية القرم في عهد أحمد خان حاكم القرم ثم استقل بها حسين خان ثم عادت للقرم في عهد محمد كراي عام ٩٣٠هـ.

خضعت استراخان إلى عبد الكريم بن أحمد خان من القرم، ثم ابن أخيه آقوبك ابن قاسم ثم عبد الرحمن خان عام ٩٤١هـ، ثم جاء النوغاي فاستولوا على استراخان وعينوا عليها درويش على خان، ثم حيدر خان بن أحمد خان في عام ٩٤٨هـ ثم آق كدك خان حفيد أحمد خان ثم يمغورجي خان، حتى استولى عليها صاحب كراي عام ٩٥٨هـ وأعاد درويش على خان، ثم استطاع يمغورجي أن يستعيد استراخان واتفق مع خان القرم وأمير النوغاي بدعم الدولة العثمانية وعزم إيفان الرهيب الأمير الروسي على احتلال استراخان، ووافقه على ذلك

أمير النوغاي مرزا يوسف، فتذرع إيفان للحرب مع استراخان بأن أمر يمغورجي أن يعيد درويش على خان على استراخان فرفض يمغورجي، فانقض إيفان على استراخان واستطاع أن يحتلها عام ٩٦٢هـ بجيش تحت إمرة مرزا إسماعيل ونصب درويش على خاناً عليها، ثم عقد درويش على مع روسيا اتفاقاً ينص على عدم تعيين خاناً من بعده على استراخان، أي تكون استراخان من بعده إمارة روسية، وحاول درويش على أن يتفق مع دولت كراي خان القرم على تعيين أحد أبنائه ولياً للعهد على استراخان بعد موت درويش، فلما علمت روسيا بذلك استولت على استراخان عام ٩٦٥هـ وضمته إليها وواصلت بشائعها مع التتار المسلمين.

خانية سيبيريا

ولى باتو بن جوجي أخاه شيان على شرقي الأورال، فبنى مدينة سيبير وتأسست عام ٦٤٠هـ إمارة سيبيريا التابعة لسراي عاصمة دولة مغول الشمال، وتوالى على حكم سيبيريا أبناء شيان (الأسرة الشيبانية)، وبعد عهد تيمورلنك انفصلت عن سراي مع انفصال الإمارات الأخرى، وتوالى على حكمها أبناء شيان حتى عهد قوتشم خان الذي نقض العهد مع الروس، الذي ينص على التبعية لروسيا وتعاون مع النوغاي في حرب الروس، وشجع القوزاق على عصيانهم، وفي هذا الوقت ظهر يرمق بن تيما واستطاع أن يجمع حوله بعض أشقياء القوزاق، وقام بعمليات سطو وتخريب في بلاد التتار، فتمكن من الاستيلاء على قلعة سيبير عام ١٠٠٣هـ وباعها للروس، وفر قوتشم إلى بلاد الباشكير، وعاش بمدينة أوفا حتى مات وحاول ابنه على خان وايشم خان أن يجررا بلادهما من الروس ولكنهما فشلا، وباستيلاء الروس على قازان واستراخان وسيبير واصلوا تقدمهم في بلاد شرقي أورال، فاحتلوا بلاد النوغاي

وقضوا على أكثر خانات بني شيان في سييريا.

خانية القرم

ماماي:

استقل ماماي صهر محمد بردى بالقرم عن سراى عام ٧٦٢هـ واستطاع تنصيب عبد الله بن محمد أوزبك خائناً على سراى بعد أن تمكن من السيطرة عليها، واضطر في حربه مع الروس أن ينسحب إلى مقره فى القرم حتى جاء تيمورلنك، واحتل بلاد مغول الشمال وعين قويرجق خائناً على مغول الشمال.

حاجى كراي:

وفى عهد محمد أوغلان عام ٨٣٩هـ عندما حدث الخلاف بينه وبين أخيه، اتجه بعض أبناء أوغلان إلى شبه جزيرة القرم، أمثال غياث الدين ودولت بردى وترجع حاجى كراى على حكم القرم حتى وفاته عام ٨٧١هـ.

منكلى كراي:

هو ابن حاجى كراى وفى عهده خرج عليه أخوه صدر، فاحتفى بالجنويين الذين كان لهم بعض المواقع على ساحل شبه جزيرة القرم فى مدينة أكفا، وكان فى ذلك الوقت السلطان محمد الفاتح يحارب الجنويين، واستطاع تطهير شبه جزيرة القرم منهم، ووقع منكلى كراى فى يد السلطان محمد الفاتح فذهب به إلى استنبول ثم أعاده خائناً على القرم وأصبحت القرم تحت حماية العثمانيين.

وكان العداء مستمراً بين القرم وسراي، فحدث خلاف بين منكلى كراى والروس، فى حين اتحد أحمد خان سراى مع الليتوانيين، واستمرت الحروب بين الحلفين، وعندما تولى مرتضى بن أحمد خان الحكم فى سراي، وواصل الحرب مع القرم وتمكن منكلى كراى عام ٨٩٠هـ من الانتصار على سراى وأسر مرتضى

خان، لكن أهل سراي تمكنوا من إحراز الانتصار على القرم فى العام التالى وإطلاق سراح مرتضى خان.

استطاع منكلى كراى أن يحرز انتصاراً كبيراً على الليتوانيين، وكادت تخضع له لولا تدخل أحمد خان أخى مرتضى خان، واستطاع منكلى كراى أن يقضى على مدينة سراي عام ٩٠٧هـ؛ حيث تأخر الليتوانيون فى دعم سراي فدخلها منكلى كراى ودمرها تدميراً ومحاًها من الخريطة.

بدأت العلاقات تتوتر مع روسيا عام ٩١٧هـ؛ حيث تحالف تار القرم مع الليتوانيين فى هجومهما على روسيا ثم توفى منكلى كراى عام ٩١٩هـ.

محمد كراي:

تولى الحكم عام ٩٢١هـ بعد موت أبيه منكلى كراي، واستطاع أن يولى أخاه صاحب كراى على قازان، واستطاع أن يسيطر على استراخان فتوحدت هذه الإمارات فى حرب الروس، ولكن هجوم الروس المتواصل على قازان قد جعل أهلها يطلبون الصلح من الروس، ولم استطع تار القرم تثبيت أرجلهم فيها وكان تار القرم دائمى الحرب مع الروس، واستطاعوا دخول مدينة تولا على بعد ١٥٠ كم من موسكو وانتشروا فى ولاية رزان حول تولا حتى استنجدت روسيا بالخليفة العثمانى سليم الأول، فأرسل الخليفة يمنعه وبرغم توضيح محمد كراى للخليفة عداوة روسيا الشديدة للإسلام والتنكيل بالمسلمين إلا أنه صمم على رأيه، وكذلك الخليفة العثمانى سليمان القانونى وخاصة زوجته روكسلان الروسية التى كان لها تأثير كبير عليه؛ فلذلك لم تستمر الغارات على الروس وحارب محمد كراى أيضاً البولنديين.

سعادت كراي:

وعرف الغدر طريقه إلى محمد كراى عام ٩٢٩هـ من قبل ولديه غازى ويابا اللذين قتلاه وتسلم غازى الخانية ولم يرض الخليفة العثمانى عما حدث فى

القرم، فعين من قبله سعادت كراى أخا محمد كراي، وما إن استتب له الأمر فى القرم حتى قبض على غازى وبابا وقتلها.

إسلام كراي:

استولى إسلام كراى على الحكم فى القرم عام ٩٣٨هـ، فاتفق الخليفة العثمانى مع إسلام كراى على جعل القرم ولاية عثمانية، وإسلام كراى هو الوالى عليها، ثم عاد صاحب كراى فساعدته العثمانيون على السيطرة على الحكم فى القرم وقتل ابن أخيه إسلام.

صاحب كراي:

اشتعلت الحروب مع الروس وخاصة وأن صاحب كراى كان خائناً على قازان ثم رحل منها وترك مكانه صفا كراى بن أخيه واستطاع أن يضم استراخان عام ٩٥٨هـ.

دولت كراي:

قتل صاحب كراي؛ لانشغاله بضم استراخان من قازان، ولكنه لم يستطيع تخليص قازان من أيدي الروس واستمر خانا للقرم حتى عام ٩٨٥هـ.

محمد كراى الثانى:

تباطأ محمد كراى فى مساعدة عثمان باشا قائد الجيش العثمانى فى حروبه فى القوقاز، فتحرك عثمان باشا فى اتجاهه، ووعده أخاه إسلام كراى بجعله والياً للقرم إذا ساعده فقتل إسلام محمد وتسلم منصب الوالى ومن وقتها أصبح تعيين ولاية القرم من قبل العثمانيين فى استنبول.

النفوذ الروسى فى القرم:

استطاعت روسيا أن تجتذب إليها القوزاق نتيجة للمعاملة السيئة التى تعرضوا لها من الصدر الأعظم العثمانى قره مصطفى، وفى معاهدة أدرنه عام

١١٢٥هـ تخلصت روسيا من الجزية التي كانت تدفعها للقرم، واستطاعت احتلال ميناء آزوف ثم تدخلت في تعيين شاهين كراي واليًا للقرم عام ١١٨٦هـ وبرغم تمكن دولت كراي الثالث من السيطرة على القرم عام ١١٨٩هـ، إلا أن روسيا أجبرت العثمانيين على إعطاء القرم الاستقلال في معاهدة كوجوك فينارجه، وأعدت شاهين كراي لحكم القرم واستطاعت أن تضم القرم عام ١١٩٧هـ، ولم تستطع الدولة العثمانية استعادة القرم من روسيا، وفي العصر الحديث أهدت روسيا القرم إلى جمهورية أوكرانيا في عهد الاتحاد السوفيتي، وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي ما تزال القرم تتبع جمهورية أوكرانيا المستقلة.

استطاع الروس أن يبتلعوا أجزاء من بلاد المسلمين مثل مغول الشمال والقوقاز والتركستان، وبمجرد دخولهم لأي جزء منها وخاصة القرية من موسكو كانوا يقومون بأبشع الجرائم للتنكيل بالمسلمين، والتي فاقت محاكم التفتيش في إسبانيا، وحاولوا باستمرار تطوير أساليبهم وقد اخترنا بعضاً من هذه الوسائل على سبيل المثال لا الحصر:

من هذه الوسائل:

- ١- مراسلة إسبانيا ليأخذوا منها خبرتها في التنكيل بمسلمي الأندلس.
- ٢- القتل وهتك الأعراض وغيرها من وسائل التعذيب والإبادة.
- ٣- التشريد والتهجير حتى هاجر الكثير من التتر المسلمين إلى الأمصار الإسلامية وأوروبا وأمريكا، وما بقي منهم في الاتحاد السوفيتي تم توزيع الكثير منهم على أنحاء الاتحاد السوفيتي، حتى يكون المسلمون أقلية في أي مكان يعيشون فيه، بل وزجوا بالألوف من المسلمين في مجاهل سيبيريا حيث تصعب الحياة ففضى على كثير منهم فيها، وكان الروس ينفون إلى سيبيريا شعوباً بأكملها مثلما فعلوا مع تتر القرم والشيشان والباشكير وغيرهم.

- ٤- توطين الروس فى المناطق المسلمة للمساهمة فى تقليل نسبة المسلمين الكاسحة فيها، ونزع ملكية أخصب الأراضى فى تلك المناطق، وإعطائها للمستوطنين الروس، وهدم ديار الكثير من المسلمين فيها، وقد وطنوا شعوبًا أخرى غير مسلمة فى مناطق المسلمين أيضًا كما وطنوا الكثير من اليهود فى القرم.
- ٥- هدم الكثير من المساجد وتحويل بعضها إلى كنائس وإسطبلات للخيول ومسارح وثكنات عسكرية، ودور للخمر، ومصادرة الأوقاف الإسلامية، وتحويل المدارس القرآنية والكتاتيب إلى دور لنشر المسيحية.
- ٦- فرض الضرائب الباهظة على المسلمين، والعمل على خفض مستوى معيشتهم، وإجبارهم على الخدمة العسكرية، فى حين كانت تعفى المرتد عن دينه، وكانوا قلة قليلة جدًا، بالإضافة لمن يكتم إسلامه منهم.
- ٧- الإجبار على التنصير واعتبار اعتناق أى دين غير الأرثوذكسية جريمة عقوبتها الإعدام، وإصدار قانون بذلك فى عهد القيصرية؛ إيفان الرهيب وبطرس الأكبر، والإمبراطورة حنا، والقيصر اسكندر الثانى. وحتى القيصرية الذين كانوا يلغون هذا القانون، مثل الإمبراطورة كاترين الثانية، لم يفعلوا ذلك حبًا فى الإسلام ولكن لخوفهم من العثمانيين الذين كانوا فى حرب معهم، ولحاولة كسب المسلمين ضد أعداء الروس لذلك اضطر الكثير من المسلمين إلى إظهار النصرانية لعدة قرون بينما قلوبهم مطمئنة بالإيمان، وكانوا يورثون الإسلام سرًا إلى أبنائهم ثم إلى أحفادهم، حتى أعطيت الحرية الدينية الكاملة عام ١٣٢٣هـ وأظهر الكثير من التتار الذين أجبروا على النصرانية إسلامهم الذى كتموه لعدة قرون.

٨- اختطاف أطفال المسلمين وفصلهم عن أهلهم وتربيتهم فى مدارس نصرانية.

٩- عندما سيطر الشيوعيون على الحكم، وأعلنوا أن الأديان هى أفيون الشعوب، وعملوا على تحجيم الأنشطة الدينية بصفة عامة سواء للمسلمين أو النصارى أو اليهود أو البوذيين بيد أنهم اختصوا المسلمين بالاضطهاد والبطش دون غيرهم.
وتمثل ذلك فى الآتى:

أ- لم تفعل تجاه الأديان الأخرى شيئاً مقارنة بما فعلته بالمسلمين، ويرجع ذلك لأن أصحاب الفكر الشيوعى يهود، ويشترك معهم النصارى الذين يمثلون الحكام فى السيطرة على الحزب الشيوعى، ومهما حاول أى مسلم الوصول إلى الحزب الشيوعى وأظهر إخلاصه لهم بخلوا عليه بالثقة ولو للحظة بل وفتكوا بالكثير منهم لمجرد الشك.

ب- منعوا المسلمين من أداء فريضة الحج ومنعوا الزكاة وأعمال الخير وأجبروا المسلمين على السفر وزادوا من ساعات العمل فى رمضان ليشقوا على المسلمين وأرهبوا المسلمين إذا ما أدوا الصلاة فى المسجد.

ج- العمل على تمكين (جمعية نشر المعلومات السياسية) من تحقيق أهدافها والتى تقوم بحملات دعاية ضد الإسلام وإصدار الكتب بكل اللغات الموجودة فى الاتحاد السوفيتى التى تتضمن الاستهزاء والسخرية بالإسلام وإصاقه بالتخلف والتأخر للتأثير على المسلمين.

د- فرض اللغة الروسية على السكان وكتابة لغاتهم بحروف أجنبية.

هـ- الحرص على التعليم المختلط لما فيه من فساد للأخلاق وإثارة للشهوات.

و- الإبادة المستمرة لأى صوت معارض، وذكر أنه فى عهد ستالين أيد من المسلمين ما يقارب ١١ مليون مسلم، واتهمت الكثير من الشعوب المسلمة بالخيانة فى الحرب العالمية الثانية ونفيت إلى مجاهل سيبيريا.

ز- تعطى الإحصائيات الروسية باستمرار نسبة وأعدادا قليلة للمسلمين لشييط هممهم وإشعارهم بأنهم أقلية ضعيفة يجب أن تستسلم للأمر الواقع وتخضع للروس؛ لأن أى محاولة من جانبهم لن يكون لها تأثير، ولن تؤدى إلا للإجهاز عليهم، وفى حين أن أعداد المسلمين أكثر بكثير، مما تعطيه الإحصائيات الروسية حيث يزيدون عن عشرين مليون مسلم، وتزايدهم يفوق تزايد الروس والشعوب غير المسلمة الأخرى.

ح- تفتت وحدة المسلمين، وتقسيم بلادهم إلى وحدات صغيرة، وتقوية النزعة القومية فيهم، وإثارة المشاكل بينهم ودجهم فى المجتمع الروسى ليسهل السيطرة عليهم، ولتصعب عليهم أى محاولة للاستقلال.

والتقسيم السياسى فى روسيا أثناء فترة الاتحاد السوفيتى بالغ التعقيد حيث يضم ثلاث مستويات؛ المستوى الأول: وهو الجمهوريات الاتحادية وهم ١٥ جمهورية تكون باتحادها الاتحاد السوفيتى الذى يدار من موسكو، وكان من ضمنها جمهوريات التركستان وجمهورية أذربيجان ذوو الأغلبية المسلمة.

وتتضمن هذه الجمهوريات الاتحادية الخمسة عشر جمهوريات أخرى ذات استقلال ذاتي، وهو استقلال اسمى فقط؛ لخداع شعوبها وإيهامهم بأن لهم شخصية ظاهرة وهذا هو المستوى الثانى فى التقسيم السياسى.

أما المستوى الثالث: فهو مقاطعات ذات استقلال ذاتي وهو كذلك يعتبر اسمياً فقط بينما فى الحقيقة لا يمت للاستقلال بصلة وقد تتبع هذه المقاطعات الجمهوريات ذات الاستقلال الذاتى أو تتبع مباشرة الجمهورية الاتحادية.

وتبين الخريطة أهم الجمهوريات والمقاطعات الإسلامية ذات الاستقلال الذاتى فى روسيا الاتحادية؛ وهي: جمهورية باشكيريا وعاصمتها سترليتاماك، وجمهورية تتاريا (تترستان) وعاصمتها قازان، وجمهورية جوفاشيا وعاصمتها شبوقساري، وجمهورية موردوف وعاصمتها سارانسك، وجمهورية ماريا وعاصمتها يوشكارايولا، وجمهورية أدمورت وعاصمتها آييفسك، ومقاطعة أورنبرغ وعاصمتها مدينة أورنبرغ.

مقاومة المسلمين:

برغم كل هذه الجهود المضنية لتنصير المسلمين وإبادتهم إلا أن المسلمين تحملوا وتمسكوا بدينهم، وكانوا أقوياء فى صبرهم كما كانوا أقوياء فى حروبهم، وكان للمسلمين التتر النصيب الأكبر من البطش والظلم الروسي، وذلك لقرب بلادهم من موسكو، ولكن بالرغم من ذلك عملوا على نشر الإسلام فى روسيا فدخلت الكثير من القبائل الوثنية فى الإسلام، وكان التتر يستغلون الفرصة عندما يخفف عنهم الروس من وطأتهم، كما حدث فى عهد الإمبراطورة كاترينا الثانية عندما أعطت لهم الحرية الدينية فعكفوا على نشر دينهم وأظهروا إسلامهم الذى أخفوه فى عهد من سبقها من القيصرية، وبمجرد انتهاء عهد كاترينا جاء لحكم روسيا قيصرية أشد بطشاً بالمسلمين ممن سبقوهم، فعاد المسلمون إلى إخفاء إسلامهم، وترسخ لديهم الكره الشديد للروس حتى ارتبط الإسلام عندهم ارتباطاً عصياً بجنسهم فتلازم لفظ تترى مع لفظ مسلم لشدة ما فعله الروس بهم، وفى الحرب العالمية الأولى حاول المسلمون الانضمام لكل قوة تناهض النظام الحاكم فى روسيا، ولكن للأسف الشديد كلما تعاونوا مع أى حركة تبدى فى البداية الوعود لهم ثم تنقضها بمجرد الوصول للحكم، وتواصل التنكيل بهم بصورة أشد، وبرغم ذلك كان المسلمون على درجة كبيرة

من السذاجة، ولم يتعلموا من الدروس السابقة ومن أمثلة ذلك تأييدهم للحزب الدستوري الديمقراطي، فغدر بهم ثم اتجهوا إلى الحزب الاشتراكي الثوري فنكلوا بهم وهكذا.. وعندما جاءت الثورة البلشفية عام ١٣٣٦هـ — ووعدت المسلمين باحترام دينهم وثقافتهم ورفع الظلم الذي عانوه في عهد القيصرية إذا ما نصروا الثورة، واستمر المسلمون في سذاجتهم ونصروا الثورة وما إن استتب الأمر للشيوعيين حتى أذاقوا المسلمين الأمرين، ومارسوا ضدهم سياسة عدوانية رهيبة. وقد جرت محاولات أخرى للمسلمين تعبر عن مقاومتهم تمثلت في تأسيس الجمعيات والهيئات السياسية الخاصة بهم وقد قضى الشيوعيون على أغلبها وما بقى منها اشترك الشيوعيون في الإشراف عليه.

محاولات الاستقلال:

حاول المسلمون التتر الاستقلال عن روسيا، ونظموا وحدات عسكرية لهم تسيطر عليها منظمة (حري شورى) وأعلنوا في عام ١٣٣٦هـ قيام جمهورية مستقلة باسم ايديل أورال تشمل منطقتي باشكيريا وترستان، ولكن جاءت قوة روسية قضت عليها، وكان قد سبقهم تتر القرم بانتخاب لجنة مسلمة لتكون نواة حكومة إسلامية وطنية، ولكنها لم تستمر أكثر من ثلاثة شهور، فقد جاءت أيضاً قوة روسية قضت عليها. وقد أعاد تتر القرم المحاولة أيام الحرب العالمية الثانية، فتعاونوا مع الألمان واستسلموا لهجومهم الكاسح، وظنوا أن الألمان سيحفظون لهم هذا الجميل، ولكن الألمان أمروا الفرقة التترية المستسلمة لهم بالسير ١٥٠ كم حفاة، فهلك منهم الكثير في الطريق، ثم أودع من تبقى منهم في أحد السجون ثم منع عنهم الطعام ليموتوا جوعاً، فبدأ الأحياء يأكلون جثث الموتى فأخرجوهم من السجن وقتلوهم رمياً بالرصاص، وما إن هزمت ألمانيا وسيطر الروس على القرم حتى بدأ الروس الانتقام الأكبر من تتر القرم فأعلنوا أن تتر القرم عملاء للألمان وهدموا مساجدهم، وأحرقوا المصاحف في ميادين عامة، وفتحوا نيران أسلحتهم على السكان العزل بدون تمييز،

ونفوا من بقى حيا إلى مجاهل سييريا حيث الزمهير الشديد، فمات منهم الكثير وهام الباقون على وجوههم ولم يتبق الآن فى شبه جزيرة القرم من التار إلا القليل.

ويعيش الآن المسلمون التتر فى روسيا وهم يجهلون الكثير عن دينهم نظراً لأثر المحاولات المستمرة من الروس لغزو فكرهم وتشويه الإسلام.

وستعرض لأحوال المسلمين فى التركستان والقوقاز فى الفصول القادمة.

الفصل الثاني

المغول فى إيران

أعطى جنكيز خان لابنه تولوى بلاد فارس وخراسان وما يمكن ضمه من بلاد العرب وآسيا الصغرى، وتعتبر أسرة تولوى هى الأوفر حظاً من حيث المساحة التى حكمتها، فقد حكم هولاكو بن تولوى ومن بعده أبناؤه المنطقة التى نتاولها فى هذا الفصل، والتى عرفت بالدولة الإيلخانية، ومن جهة أخرى أسس قوبيلاي أسرة حكمت فى بلاد الصين، سيرد ذكرها فى الفصل القادم، ونتناول الآن تاريخ الدولة الإيلخانية وحتى وقتنا الحالى.

هولاكو:

سبق أن تكلمنا عنه فى نهاية الدولة العباسية، وفى الفصل السابق وكان له الدور الرئيسى فى نقل الفكرة السيئة عن المغول للمسلمين، لما ارتكبه فيهم من جرائم بشعة تقشعر منها الأبدان.

واستطاع أن يضم إلى ملكه بغداد وتوغل فى بلاد الشام فدخل حلب عام ٦٥٨هـ وغادر البلاد إلى قره قورم لتهدة الأوضاع بين أخوته المتنازعين على الخانية العظمى، فاستطاع تهدة الأمور وتنصيب قوبيلاي خائناً أعظم، وإخضاع أبناء أوغطاي ثم عاد ليجد كتبغا قد دخل دمشق، ولكنه انهزم فى عين جالوت وقتل فيها وازداد غيظه من ابن عمه بركة خان، فأخذ يحاربه فانتصر بركة خان فى الجولة الأولى ثم عاود هولاكو الحرب ومعه ابنه أباقا فانتصروا على جيش بركة خان عند مدينة دربنت (باب الأبواب)، ثم جمع بركة خان جيوشه وهزمهم عند نهر ترك فى بلاد القوقاز، وأخذت أعداد من جنوده تفر إلى بلاد

الشام وتنضم للظاهر بيبرس وتدخل في الإسلام، فنزلت به المصائب من كل مكان، فأصيب بالصرع وكان شديد الكره للمسلمين وزاد من ذلك الكره زواجه بنصرانية أخذت تشجعه على إبادة المسلمين، إلا أنه في أواخر أيامه عهد بترية ابنه الثانى تكودار لمرب مسلم ومات هولوكو عام ٦٦٣هـ.

أباقا خان:

كانت مدته كلها حروباً على جميع الجبهات، فمن الشمال كانت حروبه مع أبناء عمومته مغول الشمال، ففي البداية مع بركة خان ثم مع مانكوتيمر وقد أحرز على مانكوتيمر انتصاراً كبيراً، ثم ما لبث أن اتحدت عليه أسرة أوغطاي بقيادة قيدو بن قاشين وأسرة جغطاي بقيادة براق خان مع مغول الشمال، فكانت ضده الجبهة الشرقية أما من الغرب فكانت حروبه لا تنقطع مع المماليك، وقد انتصروا عليه عدة مرات منها عام ٦٧٣هـ واستطاعوا الوصول إلى الأناضول فى عهد بيبرس، ثم حاول غزو الشام مرة أخرى ولكنه فشل عام ٦٧٩هـ، ثم انهزم مرة أخرى أمام جيوش السلطان قلاوون عام ٦٨٠هـ، وكان نهر الفرات يمثل الحدود بين الدولة الإيلخانية والمماليك، ومات أباقا عام ٦٨٠هـ وتسلم مكانه أخوه تكودار وقد ورث أباقا كره المسلمين عن أبيه وورثه لابنه أرغون ومما زاد فى كراهيته للإسلام زواجه من ابنة امبراطور القسطنطينية بتخطيط صليبي.

تكودار:

أول من أسلم من أسرة هولوكو، وهو ابنه الذى عهد إلى مرب مسلم بترية فشب على الإسلام، وتسمى باسم أحمد وحاول عقد صلح مع السلطان قلاوون عام ٦٨١هـ ولكن ابن أباقا خان أرغون قد تمرد على عمه تكودار وقتله، وتولى مكانه فى الوقت الذى أرسل فيه تكودار وفداً إلى السلطان قلاوون لعقد الصلح.

أرغون:

ورث كراهية الإسلام عن أبيه أباقا خان، ولذلك تخلص من عمه تكودار المسلم وأخذ يتحالف مع الصليبيين والأرمن ضد المماليك، وكذلك ضد تدان مانكو خان مغول الشمال الذى أسلم ومات عام ٦٩١هـ وتسلم مكانه أخوه كيغاتو.

كيغاتو:

لم يمكث فى الحكم إلا قليلا حتى قتل عام ٦٩٣هـ.

بيدو:

وهو ابن عم كيغاتو وابن طرخاى بن هولاکو ولم تطل مدة حكمه اذ قتل عام ٦٩٥هـ.

غازان:

كان يدين بالبوذية ثم أعلن إسلامه عام ٦٩٤هـ وتسمى باسم محمود، وعندما تولى الحكم عام ٦٩٥هـ أسلمت معه أسرة تولوى كلها وسبعون ألفا من التتار، وأصبحت الدولة الإيلخانية مسلمة، وبرغم ذلك لم تنته حروبه مع المماليك وكان معظمها ينتهى بهزيمته، ومن أشهر هزائمه أمام المماليك معركة شقحب عام ٧٠٢هـ فى بلاد الشام التى اشترك فيها الخليفة العباسى وسليمان المماليك وابن تيمية، وكانت هزيمة منكرة لغازان، وفى نفس الوقت كانت هناك حروب مع مغول الشمال فى عهد طقطاى بسبب مراغة وتبريز التى يسيطر عليها الإيلخانيون، وتسببت الهزائم التى منى بها غازان فى الشام إلى توقف الحرب بينه وبين طقطاى، وتوفى غازان عام ٧٠٣هـ وخلفه أخوه أولجايتو.

أولجايتو:

نشأ على النصرانية ثم اعتنق الإسلام وتسمى باسم محمد (محمد خرابنده) ولكن للأسف الشديد اعتنق المذهب الرافضى (الشييعي) عام ٧٠٩هـ وأخذ

يجبر رعيته على اتباع هذا المذهب، وقعت حروب بينه وبين المماليك ومغول الشمال، كان للأميرين الفارين من المماليك قرة سنقر والأفرم دور كبير فى الانتصار على طقطاي خان مغول الشمال؛ ولذلك راسل طقطاي المماليك للاتحاد ضد الإيلخانيين ولكن ما لبث أن مات طقطاي، وكان المماليك فى حروبهم مع الإيلخانيين لهم الغلبة قى أكثر الأحيان وفى عام ٧١٦هـ جاء إلى محمد خرابنده من مكة حميضة بن أبى نعى لمحاربة أهل مكة فساعده محمد خرابنده وخاصة أن أهل مكة من السنة ولكن مات محمد خرابنده قبل الهجوم على مكة فلم تحدث حرب وتولى بعد محمد خرابنده ابنه أبو سعيد.

أبو سعيد:

عندما تولى الحكم كان صغيراً وراسل جوبان وزير أبيه محمد أوزبك خان مغول الشمال بتسلم البلاد ولكنه رفض، ثم قامت الحرب بين ييسور قائد جيوش أسرة جغطاي وأبى سعيد، استطاع أبو سعيد أن ينتصر وكان محمد أوزبك قد اتفق مع ييسور على حرب أبى سعيد ولكن هزيمة ييسور جعلت محمد أوزبك ينسحب من الحرب.

وحاول محمد أوزبك الاتحاد مع السلطان محمد بن قلاوون سلطان المماليك لمحاربة أبى سعيد ولكن السلطان محمد قلاوون عقد صلحاً مع أبى سعيد.

وفى عهد أبى سعيد بدأ المذهب السنى يعود للبلاد بعد أن حاول أبوه فرض المذهب الشيعى عليها، وبدأت الأوضاع تتدهور فى الدولة الإيلخانية، وتظهر فيها الانقسامات ويستقل الولاة بما لديهم، وظهرت عدة دول منها الجلائرية والأراتقة فعمت الفوضى فى البلاد، وانقرضت الدولة الإيلخانية والتى كان آخر حكامها أبو سعيد.

جاء تيمورلنك عام ٧٨٤هـ ليجتاح البلاد واستطاع السيطرة على كافة

أجزائها عام ٨٠٧هـ ثم بموت تيمور تجزأت مملكته وتوزعت بين أبنائه وأحفاده وكان تيمورلنك يعتنق المذهب الرافضى (الشيعى) وورث ذلك لأبنائه وأحفاده وكان لهم دور كبير فى نشره فى عدة مناطق من أملاك الدولة التيمورية.

الصفويون:

ومع تجزؤ دولة تيمورلنك بين أبنائه وأحفاده والضعف الذى بدأ ينخر فى أرجائها ظهر الصفويون فى الدولة الإيلخانية.

إسماعيل الصفوي:

تمكن إسماعيل بن حيدر بن الجنيد بين صفى الدين الأردبيلى (أردبيل بلد فى أذربيجان) من أن يجمع حوله أنصاراً من التركمان وأن يسيطر على أملاك أسرة الألق قيلونى عام ٩٠٧هـ ويضم أكثر أجزاء من العراق وأذربيجان، واتخذ من تبريز عاصمة للملكه، وأخضع الأمراء التيموريين فى الجهات التى سيطر عليها واعتنق المذهب الشيعى واستطاع فى وقت قصير أن يمد نفوذه إلى هراة ونهر جيحون شرقاً والخليج العربى وخليج عمان جنوباً، مستغلاً الأقلية الشيعية التى تقف بجانبه فى كل حرب يخوضها، أو فى أى منطقة يدخلها وهزم إسماعيل الصفوى أمام العثمانيين فى موقعة جالديران عام ٩٢٠هـ وفقد بعدها ديار بكر وتبريز، وغيرها، وكان يقاتل أيضاً الأوزبك فى الشرق، وانتصر عليهم فى بداية الأمر ثم انهزم أمامهم واستردوا منه كل ما ضمه من بلادهم، وكانوا يدعونه للعودة إلى السنة والإسلام الصحيح، ولكنه كان متمسكاً بالمذهب الشيعى، وكانت له علاقات طيبة مع ظهير الدين محمد بابر حاكم الهند، ثم ما لبث أن توترت هذه العلاقات بسبب مذهبه الشيعى.

وكان إسماعيل الصفوى شديد الكره للمسلمين السنة، فبالإضافة إلى حروبه معهم اتفق مع البرتغاليين والصليبيين على حرب أهل السنة بصفة عامة

وحرب الدولة العثمانية بصفة خاصة.

وتوفى إسماعيل الصفوى عام ٩٣٠هـ وخلفه ابنه طهماسب، وقد تلقب إسماعيل بلقب شاه وتبعه فى ذلك من جاء بعده.

طهماسب:

تولى الحكم صغيراً، فكان زعماء الشيعة هم الحكام الفعليين فى بداية الأمر حتى اشتد عوده فحارب الأوزبك وانتصر عليهم، واتجه لتأديب والى بغداد الذى أعلن خضوعه للعثمانيين ولكن العثمانيين استطاعوا دخول العراق وضموا إليهم بغداد وطردهم الصفويين من العراق، وفى الوقت ذاته كان الأوزبك يتقدمون من الشرق فى بلاد الصفويين، ودخلوا مدينة مشهد عاصمة خراسان، فاضطر طهماسب لأن يعقد صلحاً مع العثمانيين، وهدأت الأوضاع على الجبهتين الشرقية والغربية وتوفى طهماسب عام ٩٨٤هـ وتولى بعده ابنه إسماعيل، وكان طهماسب شديد القسوة عديم الثقة بأى شخص حتى أبناءه فقد حبس ابنه إسماعيل فى السجن قرابة ٢٥ عاماً ولم يخرج إلا بعدما توفى أبوه، وحدث صراع على السلطة بين أبناء طهماسب إسماعيل ومحمد وعباس، فتولى فى البداية إسماعيل ثم قتل ثم تولى (محمد خرابنك) لمدة ١٠ سنوات ثم تبعهم عباس عام ٩٩٥هـ.

عباس:

استغل العثمانيون فترة الفوضى التى عمت الدولة الصفوية وضموا إليهم تبريز وأرمينيا وبلاد الكرج (جورجيا) والداغستان ففكر عباس فى تهدئة الأوضاع على الجبهة الغربية للتفرغ للأوزبك فى الجهة الشرقية، فنقل العاصمة إلى أصفهان وعقد معاهدة صلح مع العثمانيين اعترف فيها بضمهم للأراضى السابق ذكرها مع أذربيجان، واتجه لحرب الأوزبك فانتهز عليهم واقتطع جزءاً

من أرضهم وبعد ١٥ عامًا من الصلح مع العثمانيين، وعندما استتب له الأمر من جهة الشرق اتجه غربًا لقتال العثمانيين لاسترداد ما ضموه من الصفويين، وكان قد درب الإنكليز جنوده وأعدوهم جيدًا للقتال، واستغل عباس الثورات الداخلية في الأناضول، فهجم على الأراضي العثمانية المتاخمة له استطاع أن يضم تبريز وأرمينيا وجزءًا كبيرًا من أذربيجان، وقارص، واتجه إلى بغداد فلم يستطع دخولها فلجأ إلى المكر والخديعة مع حاكمها الذي يعطى الأولوية لمصلحته الشخصية، فتمكن من دخولها، وكان أمر البرتغال قد بدأ يضعف فاتفق عباس مع الإنكليز على طرد البرتغاليين من الخليج العربي، وتمكنوا من طردهم من هرمز عام ١٠٣١هـ وكان أيضًا شديد التعصب للمذهب الشيعي شديد الحقد على المسلمين السنة، وكان يتمنى لو يتحالف معه الأوروبيون ضد العثمانيين، وكان شديد الغلظة فقد قتل ولده الكبير، ووقع عين اثنين من أبنائه ومات عام ١٠٣٧هـ وتولى بعده حفيده صفى الدين.

صفى الدين:

بدأ الضعف يعرف طريقه للدولة الصفوية، فحاربهم العثمانيون واستردوا منهم العراق وبغداد، وعقد معاهدة بين الدولتين عام ١٠٤٩هـ؛ لتحديد الحدود بينهما.

عباس الثاني: تولى الحكم عام ١٠٥٢هـ وأهمل شئون الحكم.

سليمان الأول (صفى الثاني): تولى عام ١٠٧٧هـ واستولى فى عهده الهولنديون على جزيرة قشم، وضم الأوزبك خراسان وأغار حكام عمان (اليعاربة) على ميناء بندر عباس.

حسين الأول: وهو ابن عباس الثاني، وفى عهده بدأت تظهر الحركات الأفغانية، فأعلن مير محمود بن أويس فى هراه التمرد على الصفويين، واستطاع أن يضم مشهد عام ١١٣٥هـ، وأخذ يتوغل فى الدولة الصفوية ودخل أصفهان

عاصمتهم ولم يبق للصفويين إلا بعض الأجزاء الشمالية، واستغل الروس هذه الفرصة وأبدوا للشاه حسين الأول مساعدته ضد الأفغان، وهم فى الحقيقة يريدون ضم المزيد من أراضى الدولة الصفوية فأبدى الصفويون موافقتهم.

طهماسب الثانى:

كان الروس قد توغلوا فى الدولة الصفوية واحتلوا بلاد داغستان، وأخذوا يتقدمون نحو بلدة شماكا، فبرز لهم العثمانيون، وهددوهم بأن أى تقدم فى أراضى الصفويين يعنى إعلان الحرب على العثمانيين فتوقف هجومهم.

ووقع طهماسب مع الروس معاهدة يتنازل فيها عن الكثير من الأجزاء الشمالية للبلاد، فاستنجد أهلها بالعثمانيين المسلمين من الروس الصليبيين، فوقعت معاهدة بين الروس والعثمانيين، تضمنت ضم الروس لسواحل بحر قزوين وجيلان وماندران، فى حين يأخذ العثمانيون الولايات الغربية، وواصل العثمانيون بعدها تقدمهم فى فارس فضموا تبريز وهمدان، فى الوقت الذى كان مير محمود يذبح ما بقى من الأسرة الصفوية، ثم ضعفت الإمكانيات العقلية لمير محمود فاتفق الأفغان على تولية الأمير أشرف عليهم عام ١١٣٧هـ، ووقع القتال بينه وبين العثمانيين، ثم عقد بينهما صلح بمقتضاه يعترف أشرف بأن السلطان العثمانى هو خليفة المسلمين، ويعترف العثمانيون به شاهها على فارس وأبقى العثمانيين ما ضموه من أراضى فارس.

ظهر نادر خان وكان من قطاع الطرق وجمع حوله الأتباع وأيد طهماسب واستطاع أن يطرد الأفغان من هراة ومشهد، وأخذ يتبعهم حتى دخل أصفهان وسقط أشرف قتيلًا فى حروبه مع نادر خان عام ١١٤٢هـ، وبهذا انتهى حكم الأفغان لفارس بعد سبع سنوات حكموا فيها.

واصل نادر خان انتصاراته فاتجه لحرب العثمانيين، واستطاع أن يهزمهم

عند همدان ودخل أذربيجان.

أحب طهماسب أن يثبت وجوده، فحارب العثمانيين ولكنه انهزم أمامهم عام ١١٤٤هـ واضطر أن يوقع معهم معاهدة للتنازل عن جزء من أراضيه.

الأفشار

نادر خان:

استغل نادر خان وهو مؤسس أسرة الأفشار الفرصة لبسط نفوذه على البلاد، فانتقد المعاهدة التي أبرمها طهماسب، وقبض عليه وعين ابنه الصغير عباس مكانه وأعلن نفسه وصياً عليه لمحاربة الدولة العثمانية، واستطاع فى النهاية أن ينتصر وأبرم مع الدولة العثمانية معاهدة أعادت له بمقتضاها الأراضي التى دخلتها فى فارس، باستثناء العراق واستعاد مازندران وجيلان من الروس، ثم استعاد داغستان وأذربيجان منهم؛ لأنه هددهم بالتحالف مع العثمانيين ضدهم.. وبموت ولى العهد عباس الثالث عام ١١٤٨هـ أعلن نادر خان نفسه حاكماً على البلاد، واستطاع أن يتوسع فى ملكه، فضم إليه كافة بلاد الأفغان وأغار على عمان عام ١١٥٠هـ، واستطاع دخول بلاد الهند ودخل دهلى عام ١١٥١هـ، ولكنه لم يعلن نفسه سلطاناً عليها وتوغل فى بلاد الأوزبك، وضم بخارى وخوارزم، ولكن عمت الفوضى بلادها وكثرت الثورات، منها ثورة قبائل اللزكى فى داغستان، التى سار ليؤديها فانهزم فتأثر بذلك نفسياً وكثرت الضغوط عليه فى البلاد من ثورات وحروب مع العثمانيين وغيرها، وحاول إعادة المذهب السنى للبلاد، وعمل على جعل مذهب الإمام جعفر الصادق مذهباً خامساً للمسلمين، ولكن العثمانيين لم يقبلوا وأكره الفرس على ذلك، وحاول إنشاء أسطول فارسى، ولكنه فشل ومات وهو فى طريقه لإخماد ثورة فى بلاد الأكراد عام ١١٦٠هـ.

على بن إبراهيم:

اختلف قادة نادر خان، فانسحب أحدهم وهو أحمد خان الدوراني وأسس إمارة الأفغان في قندهار، وضم إليها أجزاء كثيرة، بينما عين على قولى ابن أخى نادر خان سلطاناً على الفرس، وعرف بعادل شاه وقتل كل أسرة نادر خان باستثناء حفيده شاه رخ، ثم حدثت خلافات بين على وأخيه إبراهيم قتل على إثرها إبراهيم، ثم قتل على وتولى الحكم بعدهما شاه رخ.

شاه رخ:

عندما تولى كان صغيراً فثار عليه مرزا سيد محمد، وأعلن أن شاه رخ ينوى مواصلة ما بدأه جده فى القضاء على المذهب الشيعي، واستطاع مرزا أن يتمكن من شاه رخ ويضعه فى السجن، وأعلن نفسه شاهاً على فارس ولكن يوسف على قائد جيوش شاه رخ قد تمكن من قتل مرزا وأبنائه، وأعاد شاه رخ إلى الحكم وأعلن نفسه وصياً عليه لأنه كفيف وصغير.

وتدخل قائدان أحدهما يقود فرقة بحرية عربية ويدعى علم خان، والآخر يقود فرقة كردية ويدعى جعفر خان فقبضوا على يوسف وقتلاه وأودعا شاه رخ فى السجن، ثم اختلفا واقتتلا فانتصر علم خان، ثم قتل علم خان فى حربه مع أحمد خان الدوراني حاكم بلاد الأفغان، الذى ضم إليه بلاد خراسان من الفرس ومات شاه رخ فى السجن عام ١٢١٠هـ وانتهى حكم الأفيشار.

الزندیون:

كريم خان:

كان كريم خان الزندی الكردي فى جيش نادر خان قد تحالف مع زعيم البختيار، ثم اختلف معه فقتله وخضع له بذلك الجزء الجنوبي ثم دخل فى حرب مع القاجار والأفغان واستطاع فى النهاية أن ينتصر عليهم واستقرت البلاد.

زكى خان:

هو أخو كريم خان من أمه، تسلم الحكم بعد وفاة أخيه ولكنه وُوجه بأبى الفتح بن كريم، فلجأ إلى الحيلة بإعلان أنه من جند كريم خان، وما إن استتب له الأمر حتى قضى على كل خصومه، ووقف جنده بعد ذلك مع صادق خان أخى كريم خان فهدد بإبادة كل من يعين صادق خان فخاف الناس.

أرسل جيشاً لمحاربة القاجار المعارضين له وكان قائدهم أغا محمد، فانقلب قائد جيش زكى خان وكان يدعى مراد خان على زكى خان واغتالوه عام ١١٩٥هـ.

سقوط الدولة الزندية:

خلا الجو لأبى الفتح بن كريم فتولى الحكم ولكن صادق خان عمه قد وقف فى وجهه، وخلعه وتسلم مكانه ثم جاء القائد على مراد خان وتمرد على صادق خان وقتله، وقتل جميع أسرته باستثناء جعفر خان، ووقعت الحرب بين على مراد خان والقاجار فاستغل جعفر خان الفرصة وقام بثورة، ومات على مراد خان وهو فى طريقه لإخاد الثورة.

ثم أصبحت الحرب بين القاجار بقيادة أغا محمد وجعفر خان ومات جعفر مسموماً، ثم تولى ابنه لطف خان قيادة جيشه فهزم أمام القاجار واضطر فى النهاية إلى الاستسلام إليهم فقتلوه، وقتلوا كل من بقى فى أسرة الزندية وانتهت تماماً عام ١٢٠٩هـ.

القاجار:

أغا محمد قاجار:

بعد أن قضى على أسرة الزندية عام ١٢٠٩هـ واستطاع أن يضم إليه جورجيا وأرمينيا، وكان الجيش الروسى قد احتل داغستان، وبدأ يتوغل فى

أذربيجان، ولكنه انسحب عندما ماتت القيصرة كاترينا الثانية، وجاء من بعدها قيصر مسالم.. واتخذ أغا محمد من طهران عاصمة لدولته وقتل عام ١٢١١هـ.

فتح على شاه:

حاول عقد المعاهدات مع الصليبيين ولكنهم كانوا باستمرار يخذلونه، فقد حاول مع الإنكليز وكانوا على وشك إبرامها، ولكن خافت إنكلترا من أن ينتج عن المعاهدة تعاون بين الروس والفرنسيين فلم يبرمها، فاتجه إلى فرنسا وأبرم معاهدة وتنازل لها عن جزيرة خرج في الخليج العربي، وبعد شهرين من المعاهدة أبرمت فرنسا مع روسيا معاهدة تعطي لروسيا الحق في التوسع في الدولة الفارسية والعثمانية، وبالفعل هاجمت روسيا الأراضي الفارسية، واحتلت أرمينيا، واضطر الشاه أن يعقد اتفاقية مع روسيا يتنازل فيها عن داغستان وجورجيا وأرمينيا ونصف أذربيجان وغيرها، ولم يقنع الروس بهذا بل احتلوا تبريز عام ١٢٤٣هـ وأجبروا الشاه على توقيع معاهدة تركمان جاي.

حارب العثمانيين عام ١٢٣٥هـ وكان يريد بذلك استرداد العراق، وقد استطاع أن يستعيد بعض أملاكه السابقة، ووقع معاهدة أرضروم عام ١٢٣٨هـ بين الطرفين.

محمد شاه عباس:

وهو حفيد فتح على شاه، تولى الحكم عام ١٢٥٠هـ وكثرت في عهده الثورات ولكنه قضى عليها جميعاً، وظهرت في عهده الحركة البابية والتي تفرعت منها البهائية، وهي إحدى الفرق الضالة، بدعم من الروس لكي تنشب الفتنة بين المسلمين وحارب فرقة الإسماعيلية الضالة بعد أن فر قائدها إلى الهند، ودعمه الإنكليز في شن غارات على فارس.

وتوغل الأفغان فى إقليم سستان، واحتل الإنكليز جزيرة خرج.

ناصر الدين شاه:

تولى الحكم عام ١٢٦٤هـ وفى عهده قامت ثورة البايية عام ١٢٦٤هـ وأعدم زعيمهم، ونفى حسن بن على المازندراني وبهاء الله الذى أسس فرقة البهائية الضالة، والتي دعمها الإنكليز وساعد الإنكليز ضد أمير الأفغان ووش محمد، واضطر ناصر الدين أن ينسحب من غرب أفغانستان، بعد معاهدة باريس عام ١٢٧٤هـ بين انكلترا والأفغان، واحتل الإنكليز ميناء بوشهر على الخليج العربى وميناء المحمرة على شط العرب، وزاد النفوذ الروسى فى شمال البلاد بينما زاد النفوذ البريطانى فى الجنوب..

وقامت ضد الشاه حركة سلمية يقودها أحد علماء الشيعة وذلك للتدخل الإنكليزي، واستبداد الشاه، فأحب الشاه أن يرضيهم، فألغى معاهدة التبغ مع شركة تالبوت الإنكليزية.

مظفر الدين شاه:

تولى الحكم عام ١٣١٣هـ وأقام فى عهده المجلس التشريعى وقامت فى عهده عدة حركات وتوفى عام ١٣٢٤هـ.

محمد على شاه:

قسم الروس والإنكليز البلاد فى عهده إلى مناطق نفوذ، وأراد أن يفرض الحكم العسكرى على البلاد، فتحرك الجنود الروس وضربوا مبنى المجلس النيابي، فحدثت ثورة فى البلاد لاستبداد الحاكم ونفوذ الروس الكبير فى البلاد، حتى اضطر إلى منح البلاد دستوراً ولكن الثورات لم تهدأ، فاضطر أن يغادر البلاد إلى روسيا، وعين بدلاً منه ابنه الصغير أحمد شاه، وعين عضد الملك

وصياً عليه، ولما مات عين أبا القاسم خان ناصر الملك وصياً.

أحمد شاه:

عندما تسلم الحكم كان تحت الوصاية فعاش حياة الترف واللهو وحتى بعدما بلغ سن الرشد وتوج ملكاً لم يتغير أسلوبه في الحياة، وفي عهده اتفق الإنكليز والروس على تقسيم البلاد إلى ٣ مناطق نفوذ، الأولى: في الشمال وهي للروس، والثانية: في الجنوب وهي لانكلترا، والثالثة: في الوسط وهي محايدة، وفيها حكومة طهران وتعهدوا بعدم المنافسة في أي من المجالات السياسية أو التجارية.. وحدثت الحرب العالمية الأولى وكانت فارس أرضاً لنزاع الروس والإنكليز من جهة، والألمان والعثمانيين من جهة أخرى، فلما انتهت الحرب كانت روسيا قد سحبت نفوذها من فارس، حتى تتفرغ للثورة الشيوعية، وحتى لا تعين فارس معارضي الثورة الشيوعية، فخلا الأمر للإنكليز وعقدت مع فارس اتفاقية عام ١٣٣٧هـ تعترف باستقلال فارس ولكنها في الحقيقة تتضمن فرض الحماية البريطانية على فارس، فانتقد الشعب الفارسي هذه الاتفاقية وقامت الثورات والحركات الانفصالية في أذربيجان وجيلان وخراسان ومازندران وغيرها، بالإضافة إلى أن الولايات المتحدة والدول الكبرى الأخرى قد رفضتها.

انقلاب حوت:

قاده كل من رضا بهلوى وضياء الدين الطباطبائي وهو انقلاب سلمى لتغيير الحكومة والغاء الاتفاقية بين فارس وإنكلترا، ووجد الإنكليز في رضا بهلوى الصفات التي يتمنونها في رجالهم من تسلط وحب للزعامة، فأعانوه واضطر الشاه لأن يغير الحكومة ويكلف ضياء الدين الطباطبائي بتشكيل الحكومة الجديدة وأشار الطباطبائي إلى إنكلترا بأن الحكومة الجديدة لكي تنجح

يجب أن تلغى الاتفاقية مع إنكلترا، فوافقت إنكلترا على إلغائها ليكون نفوذها في إيران خفيًا لا ظاهرًا ولإنجاح عملائها، أما رضا بهلوى فكان طموحه أكبر من ذلك بكثير، فتولى قيادة فرق القوزاق التي هي القوة العسكرية العظمى في إيران، وبذلك يكون له التحكم الحقيقي ويستطيع في أى وقت أن يغير النظام وأخذ يفرض إرادته على الحكومة، وأجبرها على دمج الشرطة في وزارة الحربية وفرض نفسه زعيمًا لوزارة الحربية مع احتفاظه بقيادة فرق القوزاق، وأخذ يتصل بالكتلة الوطنية ليحقق بها أهدافه المنشودة، ثم أخذ يخرج الحكومة ويعمل على تشويه صورتها حتى تقوم عليها الثورات وأجبر الشاه على عزل صديقه ضياء الدين الطباطبائي من رئاسة الحكومة؛ ليخلو له الجو ودعت بريطانيا فارس لتولية رضا بهلوى رئاسة الحكومة، ولكن الشاه رفض فتوالى على رئاسة الحكومة عدة رؤساء كان رضا بهلوى يعمل دائمًا على إفشالهم، وعزلهم حتى اضطر الشاه إلى تعيين رضا بهلوى رئيسًا للحكومة فاستتب له الأمر وفرض نفسه وجعل المجلس النيابي يختاره ملكًا للبلاد عام ١٣٤٤هـ، وبذلك انتهى حكم الأسرة القاجارية.

الأسرة البهلوية:

رضا بهلوي:

أعلن نفسه شاهًا للبلاد وأصبحت كل مقاليد الحكم بيده وغير اسم البلاد من فارس إلى إيران، ليوهم الشعب بعدم سيطرة الفرس على الشعوب الأخرى داخل بلاده من ترك وعرب وأكراد، وغيرهم، وكان منفتحًا على الفكر الأوروبي فظهرت نساؤه الثلاث سافرات، وأمر بخلع الزى الإيراني، ولبس الزى الإفرنجي وأمر الشرطة بنزع الحجاب عن وجوه النساء، وكل ذلك إرضاءً لأوروبا، ولم يستطع زعماء الشيعة معارضته باستثناء والد الخميني في مدينة قم،

فذهب إليه الشاه بنفسه وضربه حتى أسكته، واستطاع رضا بهلوى أن يقضى على جميع معارضيه وعمد إلى تطبيق القانون الفرنسي.

ووقع الشاه اتفاقية مع العراق عام ١٣٥٦هـ تنازل فيها العراق عن جزء من شط العرب يقدر بـ ٧٧٥٠ مترا.

إيران والحرب العالمية الثانية:

أعلن الشاه حياده التام فى بداية الأمر، ثم اكتسحت ألمانيا أوروبا اكتساحاً كبيراً فأخذ الشاه يميل إلى ألمانيا، وكانت إيران هى المصدر الوحيد لألمانيا فى المواد الخام، وخاصة فى بداية الحرب حيث كان الروس متحالفين مع ألمانيا، ثم تحول التحالف بين الروس والألمان إلى عدااء ودخلت ألمانيا الأراضى الروسية، فأكد الشاه حياد بلاده، وفى نفس الوقت كان التعاون مع الألمان يتم سراً وكثير عدد العملاء والخبراء الألمان فى إيران فدعا الحلفاء إلى ترحيل الألمان الذين لا تدعو الحاجة لوجودهم فى إيران، فرفض الشاه وهو يظن أن الألمان ستكون لهم الغلبة، وسيردون إليه القوقاز من روسيا، ولكن انهزم الألمان فوافق الشاه على إبعاد الألمان من بلاده ثم فرض الحلفاء عليه تسليمهم، فاضطر للموافقة على ذلك وحاولوا التذرع بأى شيء لدخول إيران حتى أسرعوا بدخولها عام ١٣٦٠هـ وتقدم الروس فى أذربيجان واحتلوا تبريز ودخل الإنكليز من الهند ومن العراق إلى ولاية كرمنشاه، وفى نفس الوقت تقدمت البحرية الإنكليزية فى اتجاه ميناء المحمرة واضطرت إيران فى النهاية إلى توقيع اتفاقية توافق بموجبها على بقاء القوات الروسية والإنكليزية فى الأراضى التى احتلتها فى إيران، وطرد البعثات السياسية لدول المحور، وأجبرت روسيا وإنكلترا الشاه على التنازل عن العرش لابنه محمد، وغادر الشاه البلاد إلى جزيرة موريشيوس حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية هناك، ثم انتهى به المطاف إلى مدينة جوهانسبرج فى جنوب أفريقيا حتى مات.

محمد رضا بهلوى:

تسلم الحكم عام ١٣٦٠هـ فى أثناء الحرب العالمية الثانية وأظهر ميله للإنكليز والروس، لأنهم يسيطرون على أجزاء كبيرة من البلاد وكان الشاه ميالاً لحياة اللهو والترف، وكون شرطة سرية بلغت فى آخر أيامه ٥٠٠٠٠٠ شرطى سرى (السافاك) عقدت معاهدة بين الإنكليز والروس وإيران تعترف فيها إنكلترا وروسيا باستقلال إيران، وتعهدا بسحب قواتهما من إيران بعد ستة أشهر من انتهاء الحرب مع ألمانيا، وأعلنت إيران عام ١٣٦٢هـ الحرب على دول المحور لترضى الحلفاء.

وبدأ النفوذ الأمريكى يدخل إيران فى الحرب العالمية الثانية، وأخذ الخبراء الأمريكيون يتدفقون على إيران ويحلون محل الألمان.. وفى عام ١٣٦٢هـ عقد مؤتمر فى طهران حضره كل من رئيس أمريكا روزفلت، والرئيس الروسى ستالين، ورئيس وزراء بريطانيا تشرشل، أكدوا فيها استقلال إيران وأشاع الروس والإنكليز أنهم سيعيدون الأسرة القاجارية إلى الحكم حتى يخضع لهم الشاه، فلجأ لأمريكا فأصدر الرئيس الأمريكى بياناً يؤكد فيه أنه لن يسمح أبداً بتقسيم إيران.

وكانت الشعوب الغير فارسية فى إيران دائماً مهملة، ويفضل عليهم الفرس، فأخذت الحركات الثورية تقوم، وفى نفس الوقت كانت روسيا وإنكلترا تساعدهم وذلك لإثارة الفتن بين المسلمين والعمل على تفتيتهم ونشر مفاهيم القومية.

ومن الحركات التى ظهرت إعلان جمهوريتى أذربيجان وكردستان المستقلتين عن إيران عام ١٣٦٥هـ ولكن حكومة إيران عملت على إيقاع الشقاق بينهما، ثم داهمت القوات الإيرانية الجمهوريتين فاستسلمت أذربيجان، واقتحمت القوات الإيرانية كردستان، التى قاومت واستطاعت إيران إخضاع كردستان بعد أن قتلت ٠٠, ١٥ كردى، وأعدمت زعماء الانفصال. ونظراً لنفوذ الإنكليز فكان الشاه يجاملهم ولو على حساب دينه، فعندما ظهرت قضية فلسطين وتقسيمها وإعلان دولة إسرائيل رفضت الدول الإسلامية كلها ذلك باستثناء

تركيا وإيران اللتين كان للانكليز نفوذ فيهما.

وحرصت أمريكا على تقوية إيران عسكرياً، وذلك لعدة أهداف منها: مناهضة الشيوعية القريبة منها في روسيا، ولأن السكان أكثرهم من الشيعة فيخلفون عن حوهم من المسلمين السنة، فتكون قبلة موقوتة للمنطقة، وفي نفس الوقت لا تعادى إيران إسرائيل وليدة أمريكا، وفي نفس الوقت تكون رداءً للعراق ذات النفوذ الإنكليزي، ولذلك دعمت إيران الأكراد المتمردين في العراق حتى التقى ممثلو الدولتين في الجزائر في مؤتمر أوبك (الدول المصدرة للبترو) عام ١٣٩٥هـ واتفقوا على كف إيران عن مساعدة التمرد الكردي في العراق في مقابل التفاهم حول منطقة شط العرب.

الثورة الإسلامية:

شاع في البلاد فساد الشاه، وولعه بالنساء والجنس، وجزيرة كبش التي أعدها لتكون مقراً للرزيلة والفجور، وانتشرت أفاعيل أخته الأميرة أشرف في قصرها، وزاد الطين بله فساد المجتمع وانتشار زواج المتعة في البلاد الذي يحله الشيعة، بالإضافة إلى الإسراف والبذخ، وتدهور اقتصاد البلاد برغم إمكاناتها وما ترتبه الشرطة السرية (السافاك) من تعذيب وقتل لكل من يظهر المعارضة للشاه، وبرز الخميني واندلعت الثورات في أنحاء إيران واستمرت لمدة عام وكان ذلك في عام ١٣٩٩هـ قتل فيها أكثر من ٧٦ ألف قتيل من الشعب الإيراني، واضطر الشاه أن يغادر البلاد ووصل الخميني من فرنسا فاستقبلته الجماهير الإيرانية، وأعلن قيام الجمهورية الإسلامية، وعين أبو الحسن بنى صدر أول رئيس للجمهورية ومهدى بازر رئيساً للوزراء، وأعلنت الثورة مبادئها التي كانت تبديها فقط لتكسب التأييد الداخلي والخارجي من المسلمين، ومنها العمل بالإسلام دون التعصب للمذهب الشيعي ومبادئه، وكذلك تأييد القضية

الفلسطينية ومعاداة الصليبية وقطعت علاقاتها مع أمريكا، ولكن بمجرد ما استتب لهم الأمر بدأت الأقنعة تسقط، وبدأوا يظهرن نزعتهن الشيعية المتعصبة ضد المسلمين السنة، وبدأوا يضيقون الخناق عليهم، وكان الخميني هو الحاكم الفعلي لإيران والحكومة كانت صورة فقط للدولة.

الحرب مع العراق:

طلبت العراق إيران بايعاز من أمريكا باسترجاع ما أخذته من شط العرب، والانسحاب من جزيرتي طنب وأبي موسى اللتين احتلتها إيران من الإمارات عام ١٣٩١هـ ولكي تفرض على إيران الحرب طالبت بمنطقة عربستان من إيران، والتي تقطنها غالبية عربية، وبها المصدر الرئيسي للبترو في إيران، فاندلعت الحرب بين الدولتين عام ١٤٠٠هـ والتي بدأتها العراق بدخول قواتها لأراضي إيران، واستمرت الحرب ثمانية أعوام حتى توقف إطلاق النار في بداية عام ١٤٠٩هـ وتبين في هذه الحرب أن أمريكا كانت تمد إيران بالأسلحة، وكذلك اليهود، وبذلك انكشفت المؤامرة التي أشعلت نيران الحرب لاستنزاف المسلمين..

ومنذ قيام الثورة وحتى موت الخميني كان الخميني هو المتحكم الفعلي في البلاد، وكان له الدور الأكبر في عزل وتولية رؤساء إيران، فقد عزل أبا الحسن بنى صدر، وعين مكانه محمد رجائي، وفر أبو الحسن بنى صدر إلى باريس، هو ومسعود رجوي، الذي كون منظمة مجاهدي خلق ضد النظام الإيراني، وفي عام ١٤٠١هـ قتل رئيس الجمهورية محمد على رجائي، وكذلك رئيس الحكومة محمد جواد في انفجار قبيلة، ثم تولى المنصب الرئيس على خامنئي حتى عام ١٤٠٩هـ وفي هذا العام مات الخميني، ثم تولى رئاسة إيران على أكبرهاشمي رفسنجاني ثم محمد خاتمي.

ثم عاد رفسنجاني ليخوض معركة انتخابية بعد انتهاء فترة محمد خاتمي، ولكنه منى بهزيمة ساحقة أمام أحمددي نجاد محافظ طهران الذي يرتدي الملابس الأوروبية بدلاً

من الزي التقليدي لزعماء إيران، وقد أعلن أحمدي نجاد أنه سيعمل على إعادة إيران إلى حظيرة المجتمع الدولي، وكذلك عدم الممانعة في إعادة العلاقات مع أمريكا .

تبلغ نسبة المسلمين السنة في إيران ٣٦٪ بينما تبلغ نسبة الشيعة ٦٢٪ ومما هو جدير بالذكر أن نسبة الشيعة في إيران كانت لا تزيد عن ١٠٪ في عهد إسماعيل الصفوي، ولكن استمرار حكم الصفويين الشيعة الذي بلغ ما يقرب من ٢٠٠ عام قد أثر على الشعب الفارسي، وخاصة مع الوسائل التي كان الشيعة يتبعونها مع السنة من اضطهاد وإجبار في كثير من الأحيان على اعتناق المذهب الشيعي، فأدى ذلك إلى انتشار المذهب الشيعي في البلاد وهجرة الكثير من أهل السنة والذين بقوا منهم حتى الآن يضيق عليهم الخناق باستمرار.



خريطة إيران

الفصل الثالث

المغول فى بلاد الصين ومنغوليا

فى هذا الفصل ستعرف على تاريخ المنطقة التى أقطعها جنكيز خان لابنه أوغطاي وهى بلاد المغول (منغوليا) والصين والخطا (تركستان الشرقية) ونوجه انتباه القارئ إلى تداخل أسرة جغتاي وأسرة تولوى فى حكم هذه المنطقة مع أسرة أوغطاي؛ كى لا يلبس الأمر على القارئ، وستناول دراسة المنطقة التى تمثل الآن جمهورية الصين الشعبية وجمهورية منغوليا.

أوغطاي:

عندما مات جوجى بن جنكيز خان قبل موت أبيه نصب أوغطاي خائناً أعظم للمغول بعد موت جنكيز خان عام ٦٢٦هـ.

كيوك:

عندما توفى أوغطاي تسلم ابنه كيوك منصب الخان الأعظم، وكان فى ذلك الوقت يجارب تحت قيادة ابن عمه باتو بن جوجى فى أوروبا، وبمجرد تولى كيوك المنصب عام ٦٤٤هـ أعلن تنصره بإيعاز من مربيه النصرانى وزاد فى عهد الرهبان والقساوسة فى البلاد الخاضعة للمغول، وأخذوا يحثون كيوك على قتال المسلمين وقتال ابن عمه باتو الذى يعطف على المسلمين، وأعد كيوك العدة لقتال باتو ولكنه مات عام ٦٤٧هـ وجيشه فى الطريق إلى باتو فلم يحدث قتال.

خروج منصب الخان الأعظم من أسرة أوغطاي

ما إن مات كيوك حتى استغل ابن عمه باتو الفرصة وأرسل قوة إلى قره قورم لتنصيب مانغو بن تولوى، فانتقل منصب الخان الأعظم من أسرة أوغطاي إلى أسرة

تولوى فاغتازت لذلك أسرة أوغطاي، وكان كبيرها حينئذ قاشين أخو كيوك.
 خرج مانغو مع أخيه قوبيلاى لحرب من خرج عليه فى بلاد الخطا، وترك
 مكانه لحين عودته أخاه أرتق بوكا، ومات مانغو قبل أن يعود إلى قره قورم
 فدعم كل من بركة خان بن جوجى وقيدو بن قاشين بن أوغطاي أرتق بوكا
 وحثوه على التمسك بمنصب الخان الأعظم فى حين كان قوبيلاى يريد نفس
 المنصب، فوقع بين الأخوين أرتق بوكا وقوبيلاى الحرب، فترك أخوهم هولاكو
 الحروب فى غرب مملكة المغول، وجاء ليوقف القتال واستطاع بالفعل أن يوقفه
 وأن ينصب أخاه قوبيلاى خائناً أعظم وأن يخضع قيدو بن قاشين بن أوغطاي.
 نقل قوبيلاى مقر الحكم من قره قورم إلى (خان باليغ) وهى مدينة بكين
 الآن، وخان باليغ تعنى مقر الخان، وبذلك انقسمت المنطقة الخاضعة للأسرة
 أوغطاي إلى منطقتى نفوذ:

- ١- منطقة منغوليا وبلاد الخطا (تركستان الشرقية) وعاصمتها مدينة قره قورم تحكمها أسرة أوغطاي، وستدخل فى حكمها أسرة جغطاي.
 - ٢- منطقة بلاد الصين وعاصمتها بكين ويحكمها قوبيلاى بن تولوى.
- وسندرس كل منطقة على حدة حتى نصل إلى ما آلت إليه فى تاريخنا المعاصر.

منطقة منغوليا وبلاد الخطا:

عندما نقل قوبيلاى مقر الخان الأعظم إلى بكين بقيت قره قورم وما يحيط
 بها من بلاد الخطا لأبناء أوغطاي.

قيدو:

وقد تولى قيدو بن قاشين بن أوغطاي بعد أبيه قاشين، وكان قيدو يوالى
 المسلمين، ويتمتع بعلاقة طيبة مع بركة خان، والسلطان بيبرس وقد وقع القتال بين

قيدو وبرايق خان من أسرة جغتاي، انتهت بهزيمة قيدو فأصبح الجغتائيون هم أسياد الموقف، وبموت قيدو عام ٧٠٤هـ وافقوا على تعيين ابنه شابار مكانه، ثم اندلعت الحروب من جديد بين الأوغطائيين والجغتائيين انتهت بانتصار الجغتائيين على الأوغطائيين وكان زعيمهم هو دوداخان وخضعت له التركستان الشرقية كلها (الخطا) والغربية وبلاد الأوغطائيين، واختلط في حكم هذه المنطقة الجغتائيون والأوغطائيون فقد تولى حكمها عام ٧٤١هـ أحد أفراد أسرة أوغطاي وهو على خان، وانتشر الإسلام في هذه المنطقة أيام طرما تشيرين (٧٢٢ - ٧٣٥هـ) الذي أسلم وأسلم معه الكثير من المغول من أسرة جغتاي.

وحكم أيضاً هذه المنطقة من أسرة أوغطاي دانشمندجه ولما احتل تيمورلنك المنطقة ولى سيورغتمشر بن دانشمندجه، وتبعه ابنه محمود ولكن السلطة الفعلية للمنطقة كانت بيد تيمورلنك، ثم بموت تيمورلنك تفككت مملكته، وعندما حكم منغ الصين وطردها منها ما بقى من أسرة قوبيلاي توجهوا للشمال في قرة قورم، فتبعهم وأخضعهم وجعل تعيينهم من قبله في حين أن الوضع في التركستان الشرقية كان أشبه بالتفتت، وأصبحت عبارة عن عدة خانات في كاشغر وأقصو وغيرها تدين بالولاء لمانغو، وبذلك أصبحت منطقتا منغوليا وبلاد الخطا (تركستان الشرقية) والأويغور (كانسو) تدين بالولاء لأسرة مانغو وسنستكمل ما حدث لهما في الحديث عن منطقة الصين.

بلاد الصين:

عهد أسرة قوبيلاي (٦٧٥ - ٧٦٩هـ):

(العهد المغولي) عندما نقل قوبيلاي مقر الخان الأعظم إلى بكين، كان المغول يسيطرون على الجزء الشمالي من الصين، أما الجزء الجنوبي والذي يشمل مملكة سونغ فقد استطاع قوبيلاي أن يضمه عام ٦٧٩هـ وأسس قوبيلاي امبراطورية واسعة في

الصين، وأخذت أسرة قوبيلاي تحكم هذه الامبراطورية حتى عام ٧٧١هـ فى عهد طوغان تيمور، واشتهرت هذه الأسرة بالبذخ والإسراف فى المتع والشهوات.

وصل الإسلام إلى الصين منذ أيام عثمان بن عفان عن طريق التجارة والدعوة، وبلغ عدد البعثات الإسلامية للصين فى عهد الأمويين ١٦ بعثة وفى عهد العباسيين ١٢ بعته، وقد انتشر الإسلام فى عهد أسرة قوبيلاي (العهد المغولي) فقد اعتمد حكامها على المغول المسلمين سواء فى الجيش أو فى المناصب ففى الجيش جاء الكثير من المسلمين من تركستان وبلاد ما وراء النهر جنوداً، وفى المناصب وصل نفوذ المسلمين إلى أنهم حكموا ٨ ولايات من ١٢ ولاية تتكون منها الصين، ومن أشهر المسلمين نفوذاً فى الصين شمس الدين عمر الذى كان ضابطاً فى الجيش ثم حاكماً عسكرياً فى مدينة تاي يوان، ثم حاكماً لمدينة بنياغ، ثم قاضياً فى مدينة بكين، ثم حاكماً لبكين ثم مديراً سياسياً فى بلاط قبلاى خان، ثم حاكماً لولاية ستشوان، ثم حاكماً لولاية يونان، وقد قام بإنشاء المدارس والمعاهد الدينية، ولعل أكثر المساجد الموجودة الآن فى الصين كان بناؤها فى العهد المغولي، وكان المسلمون فى الصين لهم مكانة مرموقة، سواء من الناحية المادية أو الفكرية أو الثقافية، وكانوا دائماً يشغلون أعلى المناصب؛ لتميزهم وبروز شخصيتهم بين السكان.

عهد منغ (٧٧٠ - ١٠٥٢هـ):

تمكن منغ أحد أعداء امبراطورية المغول أن يدخل بكين عام ٧٧٠هـ فى عهد طوغان تيمور، وأن يطرد أسرة قوبيلاي من الامبراطورية، ففروا إلى الشمال فى قرة قورم وما حولها، وتوالى عدة خانات من أسرة قوبيلاي على قرة قورم وما حولها يعينون من قبل أسرة منغ، حتى تمت السيطرة الصينية الكاملة عليها عام ١٠٤٣هـ وكان الضعف والتفكك قد دب فى أوصال تركستان

الشرقية وقامت عدة إمارات، فيها فى كاشغر وأقصو وطرفان يحكمها أفراد من أسرة جغتاي، ويدينون بالولاء لأسرة منغ فبسطت أسرة منغ نفوذها على منغوليا وبلاد تركستان الشرقية والأويغور (كانسو).. وظل وضع المسلمين فى عهد أسرة منغ، كما كان فى عهد أسرة قوبيلاي وظل لهم دور بارز فى البلاد.

العهد المنشورى (١٠٥٤:١٣٢٩):

عندما جاءت أسرة تسونغ (الأسرة المانشورية) إلى الحكم اختلف تعاملها مع المسلمين عمن سبقوها، فقد ظل المسلمون فى الصين سواء من جاءوها من خارجها أو الذين أسلموا فيها أصحاب مناصب عالية فى البلاد، ولهم عاداتهم وتقاليدهم الإسلامية الرفيعة، التى تجبر الناس على احترامهم، والنظر إليهم بتقدير واحترام ويرفضون الرضوخ لأى شيء يخالف دينهم، فخشى حكام الأسرة المانشورية من المسلمين ومن نفوذهم، واشتعل الحقد فى نفوس الموظفين الصينيين الذين يرون المسلمين أصحاب مراكز عالية، وقيم مثلى، ومؤهلات وإمكانات عالية لم يكن للصينيين مثلها، فعمل الموظفون الصينيون على إثارة الدسائس ضد المسلمين، ومما زاد من غضب وحقد الأسرة المانشورية على المسلمين مساعدة قائدين مسلمين لينغان وانغ آخر أمراء أسرة منغ فى محاولة استعادة ملكه، وأعلنا العصيان فى ولاية كانسو عام (١٠٥٨هـ) ولكن قضى على الحركة وقتل ٥ آلاف مسلم وبدأ حكام الأسرة المانشورية يتربصون بالمسلمين للقضاء عليهم وتوترت العلاقات بين الحكام والمسلمين، فقام المسلمون بعدة ثورات، وللأسف الشديد كان المسلمون يختلفون معاً ويقتل بعضهم بعضاً لأتفه الأسباب، وللإختلاف فى أمور فقهية بسيطة، فكانت السلطات المانشورية ترسل الجيش إلى المناطق التى يحدث فيها نزاع بين المسلمين بحجة تهدئة الأوضاع، ولكنها فى الحقيقة كانت ترسل الجيش لإبادة المسلمين، وقتل الكثير منهم، مستغلة الفرقة بينهم، وظل المسلمون يقومون بثورات ضد الحكام،

ولكن لتفرقهم وقيام الثورات الإسلامية فى مناطق كثيرة دون التنسيق بينها، كانت السلطات المنشورية تقضى عليها، وتقتل الكثير من المسلمين ويبدو أن السياسة القمعية التى اتبعتها الأسرة المنشورية مع المسلمين، قد جعلت أكثرهم يتجه للمسلم، وحاول حكام الأسرة المنشورية أيضاً اتباع نفس الأسلوب بعد ذلك، ووافقوا عام ١٣٢١هـ على إعطاء ترخيص لإمام مسجد بكين (إلياس عبد الرحمن) بإنشاء معهد إسلامى وتدرّيس اللغة العربية فيه، وحاول الخليفة العثمانى عبد الحميد الثانى الاتصال بمسلمى الصين وإرسال مبعوثين إلى بكين أسسوا مدرسة فى مسجد بكين والتحق بها الكثير، ولكن السلطات الصينية لاحقتهما لخوفها من إحياء النشاط الإسلامى فى الصين فعادا إلى استنبول.

العهد الجمهورى (١٣٢٩: ١٣٦٩هـ):

أيد المسلمون قيام الحكم الجمهورى ليخلصهم من اضطهاد الأسرة المنشورية، واعترف الحكم الجمهورى بأن المسلمين أحد العناصر التى تكون شعب الصين وبذا يتكون الشعب الصينى من

(١) الصينيون (٢) المنشوريون

(٣) المغول (٤) المسلمون (الهوى)

(٥) التبت

وقد كان العلم الصينى مكوناً من خمسة ألوان هى الأحمر والأزرق والأصفر والأبيض والأسود، ويمثل المسلمون اللون الأبيض، وهدأت أوضاع المسلمين فى الصين باستثناء تركستان الشرقية، وتأسس الكثير من المؤسسات الإسلامية التى أدت دوراً كبيراً فى تعليم المسلمين، وجمع التبرعات لهم، والقيام بالأعمال الخيرية والاتصال بالدول الإسلامية.

الوضع في تركستان الشرقية :

فتح قتيبة بن مسلم الباهلى إقليم تركستان الشرقية، ودخل مدينة كاشغر عام ٩٦هـ وسيطر المسلمون عليها فترة من الزمن، وأسلم أكثر أهلها وكان لهم دور كبير فى نشر الإسلام فى الصين عن طريق الدعوة، ثم سيطر عليها المغول ثم أخذ الضعف ينخر فى أوصالها، وتفككت إلى عدة خانات مما سهل للأسرة المنشورية السيطرة عليها فى الفترة ما بين ١١٤٩ - ١١٩٩هـ وأطلقت عليها سيكيا نغ أى الولاية الجديدة.

كثرت الثورات فى منطقة تركستان الشرقية وكانسو ومن أشهرها ثورة يعقوب بك عام ١٢٧١هـ، وتمكنت تركستان الشرقية من الاستقلال عن الصين وأعلنت قيام جمهورية تركستان الشرقية واستمر استقلالها ١٣ عامًا، وفى نفس الوقت كانت كانسو تناهض الاحتلال الصينى ولم تؤازرها تركستان الشرقية كما يجب، فسحق الصينيون المقاومة فى كانسو، وتفرغوا لتركستان الشرقية، واستطاعوا أن يسيطروا عليها عام ١٢٩١هـ وقتلوا يعقوب بك.

وجاء العصر الجمهورى فاستفز الصينيون مسلمى تركستان ببعض التصرفات، منها بطش الحاكم المعين من قبل الصين مسعود بك، وقيامه بقتل الكثير من المسلمين المعارضين لظلمه، فطلب المسلمون من الحكومة الصينية سماع قضاياهم دون أن تمر على هذا الطاغية، فنصحت الحكومة بالكف عن البطش بالناس فأبدى طاعته ولكن فى الحقيقة تمادى فى الظلم والبطش بالناس، فثار السكان وقتلوا المفوض السياسى فى البلاد، وانتخبوا تيمور قائدًا لهم وأرسلت الصين جيشًا لوقف الثورة، ولجأ قائده للحلول السلمية مع الثائرين واتفق معهم على العفو العام ومغادرة تيمور البلاد وهدأت الأوضاع.

واعتدى رئيس الشرطة فى عام ١٣٤٩هـ على امرأة مسلمة، فجن جنون

السكان وقتلوا رئيس الشرطة في حفلة استدرجوه إليها، واتحد المسلمون في تركستان الشرقية، واستطاعوا السيطرة عليها، برغم معاونة روسيا للصين في حربها مع المسلمين، وأعلن المسلمون قيام جمهورية باسم تركستان الشرقية عام ١٣٥٢هـ عاصمتها كاشغر، وعين جوجنياز رئيساً لها، وثبت دامل رئيساً لوزرائها ولكنها لم تستمر أكثر من عام، فداهم الصينيون والروس البلاد وسيطروا عليها عام ١٣٥٣هـ وأعدم رئيس الدولة ورئيس وزرائها وأعضاء الحكومة وعشرة آلاف مسلم.

الوضع أثناء الحرب العالمية الثانية:

استطاعت اليابان في الحرب العالمية الثانية أن تخضع شمالى الصين لقبضتها، وتمكنت من دخول بكين في الفترة من ١٣٥٢ - ١٣٥٧هـ وكانت الصين وروسيا تحاربان اليابان، وحاولت اليابان تقريب المسلمين إليها ليساعدها في السيطرة على الصين، فتركت لهم حرية إنشاء المدارس التعليمية، وإصدار الجرائد ونظم المسلمون في تركستان الشرقية أنفسهم، وأنشئوا المطابع والمدارس والمجلات والجرائد، وأصدرت اليابان قراراً بإطلاق الحرية للصينيين في اعتناق الإسلام، ويسرت السفر لأداء فريضة الحج.

انقسم المسلمون إلى فريقين، فريق يؤيد اليابان، وفريق آخر يؤيد الشيوعيين، الذين بدأوا يظهرن نتيجة للعلاقات مع روسيا، فحارب فريق مع اليابان وحارب فريق آخر مع الشيوعيين الذين أكثروا من الوعود للمسلمين، وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية و هزمت اليابان، استطاع الشيوعيون بسط نفوذهم على أكثر أجزاء الصين، باستثناء جزيرة تايوان التي انتقلت إليها الحكومة الوطنية السابقة وكان الروس يحاولون ضم أكبر قدر ممكن من أراضي الصين بسياستهم التوسعية، وحاول المسلمون الاستقلال في كانسو، لكنهم هزموا من

الشيوعيين فى معركة لانتشو، وكان قائد المسلمين حسين مابوفانغ، ثم تابع الشيوعيون سيرهم إلى تركستان الشرقية، وكان المسلمون قد استقلوا بجزئها الشمالى بدعم من الروس بقيادة على خان، ولكن الشيوعيين قد تمكنوا من السيطرة الكاملة على تركستان الشرقية وفر زعماء البلاد.

وما زالت تركستان الشرقية حتى الآن تحاول الاستقلال عن الصين، ولكن الصينيين يخدمون أى محاولة تظهر هناك، والإعلام يعتم على ما يحدث للمسلمين فى الصين.

وبالنظر إلى وضع الصين الآن فقد سيطر الصينيون على كافة أجزاء الصين وتركستان الشرقية ما عدا جزيرة تايوان التى يدعمها الغرب ضد الصينيين، واستطاعت منغوليا أن تنفصل بجزء كبير من أراضيها وتستقل عن الصينيين، وذلك بدعم الروس وتكون دولة منغوليا وعاصمتها الآن باتور (قرة قورم سابقاً) ويكثر المسلمون فى الأجزاء الشمالية الغربية حيث تزيد نسبتهم بينما تقل كلما اتجهنا نحو الشرق، ويشكل الآن المسلمون فى الصين حوالى ١٠% من إجمالى السكان البالغ عددهم ما يزيد عن مليار و٣٠٠ مليون نسمة، ويحاول الصينيون إعطاء إحصائيات أقل بكثير من العدد الحقيقى للمسلمين، حتى تثبط عزائم المسلمين، وغير الصينيون أسماء الكثير من المدن الإسلامية لفصلها عن تاريخها ولتصبح مرتبطة بالفكر الشيوعى ومن أمثلة ذلك مدن أورمجي، تيهوا يارقند، سوجي، كاشغر، شوفو، وغيرها.



جمهورية الصين وجمهورية منغوليا

الفصل الرابع

المغول في تركستان الغربية

كان نصيب جغتاي من البلاد التي استولى عليها المغول كل من تركستان وبلاد الاويغور (كانسو) وبلاد ما وراء النهر، وقد علمنا من الفصل السابق أن بلاد الاويغور وتركستان الشرقية قد آلت في النهاية للصينيين، وتكون الآن إحدى الولايات الصينية، وستتناول في هذا الفصل الجزء الباقي من تركستان.

تتابع على حكم هذه المنطقة من أسرة جغتاي العديد من الخانات كان أول من دخل في الإسلام منهم مبارك شاه الذي تولى الحكم عام ٦٦٤هـ وقد كان سبب إسلامه أمه أرغنه المسلمة زوجة قره هولالكو حفيد جغتاي، ولم يدم ملكه إلا قليلاً فسرعان ما خلعه ابن عمه براق خان وحل محله في نفس العام.

واشتهر براق خان مجروبه ضد أسرة أوغطاي وانتصاره عليهم، ويقال إنه أسلم في آخر أيامه وتسمى بغياث الدين ثم جاء من بعده حكام منهم:

دودا خان الذي استطاع إخضاع الأوغطائيين، وكجك خان الذي كثرت في عهده الحروب بين الجغتائيين والدولة الإيلخانية، وانتصرت فيها الدولة الإيلخانية، وضعف بعدها الجغتائيون، وخاصة أن مملكتهم الواسعة، والتي كانت تضم أملاكهم وأملاك الأوغطائيين، تسلم أمرها خانات ضعاف لم يتمكنوا من السيطرة عليها.

وعندما تسلم أمر هذه المملكة الواسعة طرما شيرين عام ٧٢٢هـ اعتنق الإسلام وأسلم معه الكثيرون من أسرة جغتاي، ولكن التفكك قد عرف طريقه إلى الدولة، واحتفظ بعض حكامها بوثنيتهم (مغولستان) وأسلم

الآخرون، واستطاع بوزون خان أن يخلع طرما شيرين ويحل مكانه ولم يكن بوزون مسلماً فاضطهد المسلمين وبرغم ذلك تمكن المسلمون من تنصيب حاكم مسلم هو على خان من أسرة أوغطاي على المنطقة، وجاء من بعده حاكم آخر مسلم هو محمد خان في الفترة من (٧٤٣ - ٧٤٤هـ) ثم قازان الذي بوفاته عام ٧٤٧هـ انقسمت المملكة إلى عدة إمارات، واستطاع الأمراء الأتراك أن يجاربوا المغول وسيطروا على أجزاء كثيرة من البلاد، حتى ظهر توغلق خان الذي استقل بكاشغر في تركستان الشرقية في عام ٧٤٨هـ، وأخذ يتوسع في ملكه حتى ضم بلاد ما وراء النهر وفي عهده أسلم ما يزيد عن ١٦٠٠٠٠ من المغول.

تيمورلنك

يرجع أصل تيمورلنك إلى قبيلة البرلاس التركية وقد دعم أحد أجداده جنكيز خان فأحبه وجعله وصياً على ابنه جغتاي، فبرز بين المغول، وقد ولد تيمورلنك في بلدة كش عام ٧٣٦.

أرسل توغلق خان جيشاً إلى سمرقند لإخضاعها، وكانت قبيلة البرلاس تسكن في إحدى ضواحيها، فاتصل تيمورلنك بقائد الجيش وأكرمه فأعطى القائد أوامره للجيش بالآلا يقربوا من قبيلة البرلاس، ودعى تيمورلنك لمقابلة الخان، الذي كافأه بتعيينه حاكماً لمدينة كش وهي المدينة التي ولد فيها تيمورلنك.

تيمور يوسع ملكه:

عين تيمور أميراً على مدينة سمرقند، وعين إلياس بن توغلق على بلاد ما وراء النهر، وكان تيمورلنك يسيء إلى أهل سمرقند فدب الخلاف بينهما فراسل إلياس أباه، فأوصاه أبوه بقتل تيمورلنك أمير سمرقند، ففر تيمور قبل أن يصلوا

إليه واتحد مع أخى زوجته الأمير الفار أيضاً، وجمعوا حولهم بعض المؤيدين وحاربوا المغول فانتصروا عليهم، وعندما توفى توغلق خان غادر ابنه إلياس بلاد ما وراء النهر ليتسلم مكان أبيه، فدانت لتيمورلنك بلاد ما وراء النهر واتخذ سمرقند عاصمة لدولته.

حارب إلياس بن توغلق تيمورلنك وانتصر عليه، ولكن إلياس فشل فى دخول سمرقند ثم أعلن أخو زوجة تيمورلنك نفسه أميراً على سمرقند فلم يعترض تيمور حتى لا يتفرقوا أمام المغول، ثم ما لبث أن حاربه وانتصر عليه وأصبح تيمور أميراً للتتار وسيطر تماماً على ما وراء النهر، حتى أن قمر الدين المعين عليها اسمياً من قبل أسرة جغتاي اضطر لمغادرتها، وعين تيمور عام ٧٧١ سيورغتمش بن دانشمنديج من أسرة أوغطاي خائناً على بلاد ما وراء النهر، وعين تيمور نفسه وزيراً لسيورغتمش بينما السيطرة الفعلية كانت بيد تيمور، واستطاع تيمور أن يضم إلى ملكه هراة وحوارزم، فى الوقت الذى كانت تركستان الشرقية تحت سلطة جغتاي، وبذلك ضمن تيمور عدم اتحاد المنطقتين. وقد ظلت تركستان الشرقية تحت حكم الجغتائيين حتى احتلها الصينيون، استنجد توقتاميش خان بلاد مغول الشمال بتيمور بعدما دخل ماماي خان القرم مدينة سراي، فأنجده تيمور ودخل مدينة سراي واستطاع أيضاً إخضاع الروس ودخل مدينة موسكو عام ٧٨٣هـ واستطاع تيمور فى الفترة من ٧٨٢ - ٧٨٦هـ أن يضم أكثر أجزاء الدولة الإيلخانية.

ووقعت الخلافات بين تيمورلنك وتوقتاميش فسار تيمورلنك إلى بلاد المغول الشمالية، وانتصر عليهم، وعين على سراي خائناً من قبله.

اتجه تيمورلنك عام ٨٠٠هـ إلى الهند واستطاع ضم كشمير ودهلى وهزم السلطان محمود وعين على دهلى حاكماً من قبله...

اتجه تيمورلنك إلى الأناضول لمحاربة السلطان العثماني بايزيد الأول؛ وذلك لإيوائه أحمد بن أويس، وقره يوسف الخارجين على تيمورلنك بعد أن أخضع فى طريقه حلب ودمشق وبغداد، وخاف المماليك من تيمور ودفعوا له إتاوة وخطب باسمه ثم واصل تيمور طريقه لمحاربة العثمانيين، فالتقى معهم فى سهل أنقرة عام ٨٠٥هـ وهزم العثمانيين ومات تيمورلنك عام ٨٠٨هـ وهو فى طريقه لغزو الصين، ومما يذكر عن تيمورلنك (لنك أى الأعرج) أنه نشأ على المذهب الشيعى وتبعه فى ذلك أبناؤه وأحفاده، وهذا ما رسخ المذهب الشيعى فى عدة مناطق من ملكه، وبالذات بلاد الفرس (إيران) ولجأ الشيعة فى أكثر الأحيان لفرض المذهب الشيعى على الناس.

وللأسف الشديد لم تؤد توسعات تيمورلنك إلا لتفتيت البلاد، فكان من نتائج غزوه لبلاد مغول الشمال أن ازداد تفككها، وظهرت الإمارات فيها بشكل واسع وأعاد للأناضول عصر الطوائف، وتسبب فى توقف فتوحات العثمانيين فى أوروبا، ليلموا شمل دولتهم التى فتتها، ولم يذق بأسه الشديد إلا المسلمون، برغم أنه كان مسلماً ولكن الأمة كثيرا ما ترزأ بمصائب من أبنائها، وكان يسره إذا انتصر على جيش أن يجمع أفراده ويكون من جماجمهم هرمًا، وفى بعض الأحيان كان يضعهم فى حفرة ويدفنهم أحياء، وكان يستمتع بإهانة الأمراء والملوك المهزومين، وبهذا انتمى تيمور للإسلام اسمًا فقط بينما سوّدت أفعاله تاريخه؛ ولذلك ترسخ عند الكثير من المسلمين الصورة السيئة للمغول والتتار حتى بعد إسلامهم، واستغل أعداء الإسلام انتساب تيمور للإسلام ليشوهوا به الإسلام والمسلمين والإسلام بريء تمامًا من أفاعيله.

تفكك الدولة التيمورية بعد وفاة تيمورلنك:

بعد موت تيمورلنك أخذت النزاعات تدب فى أوصال الأسرة التيمورية،

واستقل الكثير من أطراف البلاد، وظلت الأسرة التيمورية تحكم بلاد ما وراء النهر حتى جاء آخر ملوكها السلطان محمود ومات عام ٩٠٠هـ، فذب الخلاف بين أبنائه وظهر الأوزبك والصفويون وغيرهم، أما في الهند فحكم فرع من الأسرة التيمورية، وسيرد ذكرها في الفصل الخاص بالهند.

وستناول الآن أحوال تركستان الغربية بعد الأسرة التيمورية وحتى الآن..

الأسرة الشيبانية:

ترجع أصول هذه الأسرة إلى شوبان بن جوجي، وكان باتو أخا شيبان قد أعطاه شرق أورال بحيث يتبع سراى عاصمة مغول الشمال.

وفي منتصف القرن العاشر الهجري اتجه محمد الشيباني أحد أحفاد شوبان من سيبيريا إلى بلاد ما وراء النهر، يقود جيشاً عرف بجيش أوزبك، مستغلاً التفكك الذي تعاني منه بلاد التتار، وقضى على أبناء محمود خان آخر السلاطين التيموريين، وهاجرت قبائل مع محمد الشيباني من سيبيريا إلى بلاد ما وراء النهر والذين بقوا منها هناك عرفوا بقياصرة تيومن.

أسس محمد الشيباني الدولة الشيبانية عام ٩٠٦هـ في بلاد ما وراء النهر واستطاع أن يضم سمرقند ويتخذها عاصمة لدولته، وقد استنجد خان سمرقند بحاكم الهند ظهير الدين محمد بابر، والذي يرجع في أصوله للتيموريين، وقامت الحروب بين محمد الشيباني وظهير الدين محمد بابر، والذي كان يعاونه الصفويون في الدولة الإيلخانية، ولكن محمد الشيباني استطاع أن يسيطر نفوذه على بلاد ما وراء النهر، برغم المقاومة من حاكم الهند، وتوفى محمد الشيباني قتيلاً في حروبه عام ٩١٦هـ، وتتابع من بعده على حكم بلاد ما وراء النهر عدد من الخانات من أسرة شوبان لمدة قرن من الزمان حتى عام ١٠٠٧هـ؛ حيث دب الضعف في أواخر أيام الأسرة الشيبانية، فعندما آل الحكم إلى عبد

الله الثاني عام ٩٩١هـ ثار عليه ابنه عبد المؤمن بإيعاز من الصفويين، فهُزم عبد الله أمام ابنه، وفقد الكثير من ملكه حتى مات عام ١٠٠٦هـ ثم ما لبث ابنه أن قتل عام ١٠٠٧هـ وضاعت هيبة الشيبانيين (الأوزبك) وتولى الحكم بعدهم أنسابوهم الذين عرفوا بالجانين.

الأسرة الجانية:

وهم أنساب الشيبانيين، ويعود أصلهم إلى استراخان، حيث فر الكثير من أمرائها عندما احتلها الروس، واستقروا في بخارى وقوى نفوذهم في عهد الشيبانيين (الأوزبك) حتى تسلموا مقاليد البلاد وظلت تحكم البلاد حتى قضى عليهم عام ١٢٠٠هـ وفي فترة حكمهم انقسمت البلاد إلى عدة خانات هي بخارى وخوقند وفرغانه، وسمرقند وخوارزم وغيرها، والتي تشكل الأجزاء التي خضعت للاحتلال الروسي من تركستان، أما بلخ وبادخشان وغيرها من الأجزاء الواقعة شرقي نهر جيحون، فكانت بلاد الأفغان، والآن سندرس الأجزاء التي خضعت للاحتلال الروسي:

الأجزاء التي خضعت للاستعمار الروسي:

تكونت عدة خانات في تركستان الغربية وأهمها.

خانية بخارى:

حكمت أسرة المانغيت خانية بخارى، فقد تولى أحد أبنائها وهو عبد الرحيم، وزارة بخارى أيام الجانيين، ثم تزوج مير معصوم شاه أحد أبناء الأسرة من ابنة أبي الغازي، آخر خانات الجانيين، فدانت له خانية بخارى عام ١٢٠٠هـ وحاول استرداد ما فقده الجانيون في بلاد الأفغان، ولكنه فشل وضعفت خانية بخارى في بداية القرن الرابع عشر، وتوالت عليها الهجمات الروسية (١٢٨٢ - ١٢٨٩هـ) وتقدم الروس في الخانية عام ١٣٢٨هـ في الوقت الذي تولى فيه سيد مير الخانية، وقامت

الحرب العالمية الأولى، وبدأ النفوذ الروسي يقل، فاستقل سيد مير بخانية بخارى، إلا أن الثورة الشيوعية قامت واستطاعت إتمام احتلال خانية بخارى عام ١٣٣٨هـ.

خانية خوارزم:

كما سبق وأن ذكرنا، كانت خوارزم تابعة لدولة مغول الشمال، حتى ضمها تيمورلنك إلى أملاكه ثم بعد تفكك الدولة التيمورية، استطاع الشيبانيون أن يسيطروا عليها ويؤسسوا بها خانية خوارزم (خيو) عام ٩٢١هـ ودخلوا في حروب مع خانية بخارى، وامتد حكمهم حتى عام ١٢١٩هـ باستثناء عام ١١٥٣هـ عندما استطاع نادر خان أن يحتل خوارزم، ثم ما لبث أن عادت إليهم منذ عام ١٢١٩هـ وبدأ وزراءؤهم يتسلمون حكم الخانية، حتى دخل محمد سيد أحمد خان خوارزم في طاعة الروس عام ١٢٩٠هـ ولكنهم كانوا يعتبرون أنفسهم مستقلين، وعندما قامت الثورة الشيوعية انسحب الروس منها عام ١٣٣٦هـ ثم ما لبث أن احتلها الشيوعيون عام ١٣٣٧هـ.

خانية خوقند (فرغانة)

استقلت عام ١١١٢هـ وحكمها أحفاد محمد بابر ظهير الدين مؤسس دولة المغول في الهند، واستطاع عالم خان أحد حكام خوقند أن يضم طشقند عام ١٢١٥هـ ونشبت الحرب بين خانية خوقند وخانية بخارى واستطاع حكام بخارى أن يستولوا على (فرغانة) خوقند ما بين عام (١٢٥٥ - ١٢٥٦هـ) ولكن حكام خوقند استطاعوا أن يستعيدوها، واستمر حكمهم لخوقند حتى عام ١٢٩٣هـ حيث احتلها الروس.

التركستان تحت وطأة الاحتلال الروسي:

استطاعت روسيا أن تضم جميع جهات التركستان، باستثناء تركستان الشرقية التي ضمها الصين، وكان آخر ما ضموه من بلاد التركستان هي

الثلاث خانيات السابقة، ومنعهم احتلال الإنجليز لأفغانستان من مواصلة ابتلاعهم لبلاد المسلمين.

وما إن وطئت أقدام الروس بلاد تركستان حتى واصلوا جرائمهم، التي سبق وأن ذكرناها في فصل مغول الشمال، ولكنها كانت بصورة أقل، ذلك لأن احتلال التركستان كان في فترة قريبة، وأيضا لأن تركستان بعيدة عن موسكو، بينما كان التتار في حوض نهر الفولغا وشمال القوقاز كان لهم النصيب الأكبر من الطغيان الروسي.

وللأسف الشديد اختلفت اتجاهات المسلمين من تتار وترك وقوقاز في روسيا، فكان البعض يريد الاستقلال التام والبعض يريد الاستقلال الذاتي، وكان كل فريق يسير في اتجاه غير الذي يسير فيه الآخرون، فالبعض يسير في اتجاه الاشتراكية والبعض يسير في اتجاه الشيوعية وغيرها، وكان السياسيون في روسيا يستغلون المسلمين باستمرار في الوصول إلى الحكم، ويمنونهم بالأمانى إذا وصلوا للحكم، ولكنهم بمجرد وصولهم للحكم يذيقون المسلمين ألوانا من العذاب تفوق سابقهم.

لم يتعظ المسلمون من التجارب، وكانوا ينضمون لأي حركة معارضة للنظام الحاكم، حتى لو كانت مبادئها تتعارض مع الإسلام، وبالتالي يتنازلون عن بعض أمور دينهم ويظنون أن من انضموا إليهم سيخلصونهم من الظلم المحيط بهم، فما كان من الذين أحسنوا الظن بهم إلا أن غدروا بهم وزادوهم رهقاً وظلماً بمجرد ما يستتب لهم الأمر، أضف إلى ذلك الجهل وعدم الفهم الصحيح للإسلام المنتشر بين كثير من المسلمين في روسيا ومحاولات روسيا المستمرة لتشويه صورة الإسلام، والاستهزاء به وغزوها الفكرى للمسلمين، سواء في التعليم أو الدعاية أو برامج الإذاعة أو الكتب أو المجلات أو السينما أو

النشاط الاجتماعي وغيرها.

وبرغم كل هذا فقد قاوم المسلمون الاحتلال الروسي ومن الأمثلة على ذلك: قيام قبائل الأوزبك بحركة ضد الروس عام ١٣٢٢هـ (حركة الجهاد) ولكنها فشلت وعندما قامت الثورة الشيوعية في البلاد ١٣٣٦هـ أعلن الأوزبك استقلال بلادهم، وكونوا حكومة تركستان المستقلة والتي اتخذت من مدينة خوقندو مقراً لها إلا أن الشيوعيين قد انقضوا عليهم وطوقوا بلادهم وارتكبوا فيهم أبشع الجرائم لإخادهم.

التقسيمات السياسية في تركستان:

عملت روسيا على تفريق وحدة سكان تركستان، فقسمت بلادهم إلى خمس جمهوريات اتحادية، بل وأعطت بعض المناطق بداخل هذه الجمهوريات الاستقلال الذاتي في شكل مقاطعات وذلك كالآتي:

١- جمهورية قازاقستان (كازاخستان):

وهي ليست جزءاً من بلاد ما وراء النهر، ولكنها ضمن منطقة تركستان وهي جمهورية كبيرة المساحة ٣٠٠,٧١٧,٢ كم^٢ وعاصمتها ألماتا وقد دفعت روسيا بأعداد كبيرة من الروس والأوكرانيين ليرفعوا نسبة النصارى في هذه الجمهورية الشاسعة حتى وصلت نسبتهم الآن إلى ٥٤% من إجمالي عدد السكان وكانت الجمهورية الإسلامية الوحيدة في روسيا التي تحتوى على معامل نووية.

٢- أوزبكستان:

وبها أكبر مدن تركستان مثل سمرقند، والعاصمة طشقند، وبخارى، وخوقند، وتحتوى على مقاطعة ذات استقلال ذاتي، وهي قرة قالباق، وعاصمتها نوخوس وبها مدينة خوارزم (خيوة).

٣- تركمانستان:

وعاصمتها عشق آباد وبها مدينة مرو، استولى الروس على القسم الأكبر من بلاد التركمان إثر الحرب التركمانية ١٢٩٧-١٢٩٨.

٤- قيرغيزستان:

وكانت عاصمتها أثناء الاحتلال الروسي فرونزي، نسبة إلى القائد الروسي الذي احتلها، وبعد أن استقلت أصبحت العاصمة مدينة بيشكيك ويوجد بها مدينة فرغانة وعند الاحتلال الروسي لها أبيد أكثر من ثلث سكانها والجمهوريات الأربع السابقة يرجع معظم سكانها إلى أصل تركي.

٥- جمهورية طاجكستان:

ويرجع معظم سكانها إلى أصل فارسي وعاصمتها مدينة دوشانبي وبها إقليم غورنو باداخشان ذو الاستقلال الذاتي.

الاستقلال عن روسيا:

وكانت المقاومة للاستعمار على أشدها في التركستان ولكن الروس كانوا يعتمدون عليها إعلامياً حتى جاء عام ١٤٠٩هـ؛ حيث سقطت الشيوعية في الاتحاد السوفيتي ثم انحل الاتحاد السوفيتي عام ١٤١١هـ، فاستقلت الجمهوريات الخمس السابقة، وبدأت تفتح على العالم الإسلامي، وحرصت على تكوين علاقات طيبة مع الدول الإسلامية، وبخاصة تركيا لتشابهها معها في اللغة والأصل، وغيرها من الروابط وأصبحت علاقتها مع روسيا في ظل رابطة دول الكومنولث، واستقرت الأوضاع إلى حد كبير في الجمهوريات التركستانية باستثناء طاجكستان، حيث قامت فيها حرب أهلية بين المعارضة ورئيس طاجكستان الذي يدعمه الروس.

تواجه قازاقستان مشكلة زيادة نسبة المهاجرين الروس، والأوكرانيين عن

السكان الأصليين؛ حيث تصل نسبتهم إلى ٥٤% بينما السكان المسلمون الأصليون نسبتهم ٤٥% وبمجرد حصول قازاقستان على الاستقلال، أجبرتها أمريكا على التخلص من المفاعلات النووية التي فى أرضها، وكذا الأسلحة النووية التي خلفها الروس.

تسعى روسيا لإيجاد نفوذ لها فى تركستان، وأقرب دليل على ذلك مساعدتها لرئيس طاجكستان فى حربه ضد المعارضة.

أفغانستان:

لم تظهر دولة الأفغان إلا قريباً حيث كانت الأجزاء المكونة لها تتوزع بين الدولة الإيلخانية والهند والأوزبك.

فقد سيطر على أجزائها التيموريون، ثم ما لبث أن انقسمت دولتهم إلى إمارات عديدة، ومنها إمارة هراه التي كانت تتبع خراسان، والتي كان يحكمها أحد فروع الأسرة التيمورية، وكانت هناك إمارة كابل وغزنة وكان يسيطر عليها ظهير الدين محمد بابر حاكم الهند، وكان ذلك عام ٩٣٢هـ واستطاع الصفويون دخول قندهار ثم أخذها منهم الأوزبك، ثم عاد مغول الهند فسيطروا عليها عام ١٠٢١هـ وسلموها للصفويين عام ١٠٣٨هـ.

أفغانستان تحت السيطرة الصفوية

استطاع الصفويون أن يضموا إلى دولتهم أكثر الأجزاء الأفغانية، ثم ظهرت بعض المحاولات للاستقلال عن الصفويين أهمها ما حدث فى قندهار وهراه؛ حيث ظهر فى قندهار ميرأويس واستطاع أن يطرد الحاكم المعين من قبل الصفويين عام ١١٢٠هـ، وحكمها مير ثم توفى وورث ابنه محمود الحكم وهو صغير فاستولى عمه على الحكم بدعم الصفويين، ولكن ما لبث محمود أن كبر فحارب عمه واسترد قندهار.

أما ما حدث في هراة فكان أكبر بكثير، فقد شجع ما حدث في قندهار على القيام بعمل أكبر ضد الصفويين، فظهر أسد الله من القبائل الدورانية (العبدلية) واستطاع أن يسيطر على هراة ويحكمها، ثم جاء مير محمود من الأسرة الدورانية فحارب الصفويين وانتصر عليهم، واستطاع أن ييسط نفوذه على معظم أراضيهم بما فيها عاصمتهم أصفهان عام ١١٣٥هـ، ولم يتبق للصفويين إلا أجزاء صغيرة في الشمال، فاستنجد الصفويون بالروس فاستغلوا الفرصة وأخذوا يتقدمون في أراضي الصفويين، فأوقف العثمانيون تقدمهم ثم حدثت معاهدة بين العثمانيين والروس لتقسيم الأجزاء الشمالية بينهم، ثم خلع الأفغان مير محمود لضعفه عقلياً وتسلم مكانه ابن عمه أشرف بن عبد العزيز، فاتجه لمحاربة العثمانيين، لأنه لم يرض عن اتفاقهم مع الروس على اقتسام الأراضي الشمالية من الصفويين، ثم ظهر نادر خان الذي يدعم الصفويين، وقاتل الأفغان واستطاع أن يخرجهم من أراضي الصفويين، بل استطاع إخضاع بلادهم بالكامل.

ظهور الدولة الأفغانية:

بعد وفاة نادر خان عام ١١٦٠هـ رجعت فرقة الأفغان التي كانت تحارب معه إلى قندهار، ونادت قائدها أحمد شاه العبدلي من الأسرة الدورانية وعرفت إمارته باسم الدولة الأفغانية.

الأسرة الدورانية:

حكمت الأسرة الدورانية أفغانستان أكثر من قرنين من الزمان، وقد توالى عليها عدد من الحكام:

أحمد شاه:

وهو مؤسس الأسرة الحاكمة ومؤسس دولة أفغانستان، واستطاع أن يضم

إليه الملتان ولاهور وكشمير، وحارب الشيخ، واتخذ من قندهار عاصمة لدولته ومات عام ١١٨٧هـ وتسلم بعده ابنه تيمور شاه.

تيمور شاه:

نازع أخوه سليمان في الملك، ولكنه تمكن من السيطرة على قندهار، وقتل أخاه ونقل العاصمة إلى كابل، وحارب الشيخ الذين احتلوا الملتان، وانتصر عليهم واسترد منهم الملتان عام ١١٩٦هـ، واستقل في أيامه أمراء السند ذاتياً وحارب أمير بخارى معصوم، وانتصر عليه وأخذ ثورة في كشمير، وكان الإنكليز يشجعون الشيخ في الهند والقاجارين في فارس على قتاله، وتوفي عام ١٢٠٧هـ وتولى ابنه زمان شاه الحكم.

نزاع أبناء تيمور على الحكم:

تولى زمان شاه الحكم بعد أبيه حتى عام ١٢١٥ فخلعه أخوه محمود ووضعته في السجن، ولكن أخاهم الثالث شجاع الملك أعلن نفسه ملكاً في بيشاور واستطاع أن يحتل كابل، ويخلع أخاه محمود، ويخرج أخاه زمان شاه من السجن وقد عمي.. ثم استطاع محمود أن يعود للملك مرة أخرى عام ١٢٢٤هـ ثم قتل محمود أخاً له يدعى فتح خان، فقام أخ لهم آخر يدعى دوست محمد بمحاربة محمود، والثأر لأخيه واستطاع دخول كابل، واستغل أعداء الأفغان الفرصة، فاحتل الفرس هراه واحتل الشيخ الإمارات الهندية، واستنجد شجاع الملك بالإنكليز، فساروا بقوة ودخلوا كابل وأعادوا شجاع الملك إلى الحكم ١٢٥٥هـ، واستسلم دوست محمد للإنكليز فنفوه إلى البنغال.

وفي أثناء انسحاب الجيش الإنكليزي هجم الأفغان عليه بقيادة محمد زائي ومعه أكبر خان بن دوست محمد، وكاد الجيش الإنكليزي أن يباد وقتل شجاع الملك في الحرب، واضطر الإنكليز أن يعيدوا دوست محمد للحكم.

دوست محمد خان:

حاول تهدئة الأوضاع الداخلية بإعادة إخوته وأبنائه للإمارات وكذلك الأوضاع الخارجية بعقد معاهدة صداقة مع إنكلترا والصلح مع الروس، ولكن تقم الإنكليز عليه لعدم مساعدتهم في الثورات التي قامت ضدهم في الهند، وحاول الإنكليز غزو بلاد الأفغان، ولكنهم وجدوا مقاومة عنيفة جعلتهم يفشلون في دخولها وتوفي دوست محمد عام ١٢٨٠هـ وتسلم بعده ابنه شير علي

شير علي والاحتلال الإنكليزي لأفغانستان:

زادت تدخلات إنكلترا في شئون الأفغان بعدة ذرائع، منها صد هجمات القبائل الأفغانية عن الهند، ومرة بالوقوف في وجه الامتداد الروسي، ولذلك اضطر شير علي أن يستعين بالروس ضد الإنكليز، فرحب بالوفد الروسي ورفض الوفد الإنكليزي، فانقضت إنكلترا على أفغانستان واحتلتها عام ١٢٩٥هـ وتوفي شير علي في العام التالي.

يعقوب بن شير علي:

تولى بعد أبيه الحكم تحت الاحتلال الإنكليزي وكان مسائراً للاحتلال فرفضه الأفغانيون، واضطر أن يتنازل عن الحكم بعد ٣ أعوام من توليه، لأن رجاله هاجموا الوزير الإنكليزي في كابل وقطعوه إرباً واشتدت المقاومة الأفغانية للاحتلال الإنكليزي، حتى اضطرت إنكلترا للانسحاب من أفغانستان وعقدت اتفاقية تستقل بمقتضاها أفغانستان، مع استمرار تحكم الإنكليز في سياستها الخارجية.

عبد الرحمن:

تسلم الحكم بعد خروج الإنكليز وهو ابن أفضل بن دوست محمد وحاولت روسيا دخول مدينة هراة عام ١٣٠٢هـ فأسرعت إنكلترا لوقفها، وعقدت بين

الروس والإنكليز معاهدة بطرسبرغ التي بمقتضاها تكتفى روسيا بما احتلته من إقليم خراسان (جمهورية تركمانستان)، وعدم التقدم في أفغانستان، ولكن روسيا عادت للتدخل في أفغانستان، وحاولت ضم باداخشان فعقدت إنكلترا وروسيا معاهدة عام ١٣١٣هـ اعترفت فيها روسيا أن باداخشان جزء من بلاد الأفغان، ورسمت الحدود بين مناطق السيطرة الروسية وأفغانستان، وحاول أيوب بن عم علي، الذي فر إلى إيران وجمع رجاله وغزا بلاد الأفغان، واحتل قندهار إلا أن عبد الرحمن أجبره على الانسحاب والرجوع إلى إيران، وكذلك حاول إسحاق خان ابن عم عبد الرحمن الذي تولى المناطق الشمالية أن يحتل كابول، ولكن عبد الرحمن استطاع أن يهزمه واضطر للفرار إلى سمرقند في حماية الروس وتوفي عبد الرحمن عام ١٣١٩هـ.

حبيب الله خان:

تولى الحكم بعد موت أبيه عبد الرحمن وزاد في عهده النفوذ الإنكليزي، واضطرت روسيا وإنكلترا أن يبرما معاهدة يعترفان فيها باستقلال أفغانستان، وحاول العثمانيون استقطاب حبيب الله في الحرب العالمية الأولى، ولكنه كان يؤيد الإنكليز فنقم عليه الأفغانيون وقتلوه عام ١٣٣٨هـ.

أمان الله خان:

هو ابن حبيب الله خان، تسلم السلطة بعد موت أبيه وتلقب باسم ملك، وفي عهده حارب الأفغان الإنكليز بقيادة محمد نادر شاه، وانتصر الأفغان وطردهم الإنكليز من كل المناطق التي يحتلونها، وأبرموا مع الإنكليز معاهدة تعترف فيها باستقلال أفغانستان، وشعر أن الأمر قد استتب له، فركن إلى الترف واللهو وأعجب بالحضارة الأوروبية، فسار يقلدها رغم ما تحمله من مخالفات للإسلام، وانصرف إلى رحلة طويلة في أوروبا، وأبعد عن البلاد محمد نادر شاه بتعيينه سفيراً لأفغانستان في

باريس، وأعجب بالسفور فطبقه على أهل بيته، وظهرت نساؤه سافرات متبرجات، فى رحلته الأوروبية فنقم عليه الشعب، فما زاده ذلك إلا إصراراً، وأصدر أمراً بخلع الزى الأفغانى وجعل الزى الأوروبى زياً عاماً فاشتد غضب الشعب فاستغل أحد الوصولين هذه الظروف، وهو باجى السقاو جمع حوله أهل المصالح وقطاع الطرق واستطاع أن يسيطر على كابول وأن يجبر أمان الله على التنازل عن الحكم لأخيه عناية الله وسافر أمان الله إلى بريطانيا ليكمل لهوه وترفه.

عناية الله :

اشتد فى عهده خطر باجى السقا، الذى أعلن نفسه ملكاً على أفغانستان باسم حبيب الله غازى، وعمت الفوضى البلاد، وفشل عناية الله فى السيطرة عليها، وتدخل محمد نادر شاه وخاصة أنه من الأسرة الحاكمة، والتف حوله الشعب نظراً لبلائه الحسن فى القتال ضد الإنكليز، ورفعوه على عرش أفغانستان عام ١٣٤٨ هـ.

محمد نادر خان :

بمجرد وصوله إلى الحكم ألقى القبض على باجى السقا، وأعدمه شنقاً ومضى فى إصلاح البلاد مما أصابها فقضى على الرشوة والفساد، وعفا من إدارة البلاد الذين عرفوا بفسادهم، ولكنه قتل على يد أحد أبناء الذين شملهم الإغفاء، عام ١٣٥٢ هـ وتسلم بعده ابنه محمد ظاهر شاه.

محمد ظاهر شاه :

عندما تسلم الحكم كان يبلغ من العمر ١٩ عاماً، ولكن رجال أبيه أعانوه فى شئون الحكم فسارت البلاد بشكل طيب لمدة ١٥ عاماً، ثم بدأ يشعر بذاتيته فأبعد من كان حوله وبدأ ينحرف عن الطريق الصحيح وأصدر منشوراً ملكياً عام ١٣٧٩ هـ يبيح للنساء الخروج سافرات فاستجابت الأسر التى تحب التقليد

الأعمى لأوروبا، وخلع نساؤها الحجاب وزاد الانفتاح على الدول النصرانية في البلاد، وسمح للروس بزيادة نفوذهم في أفغانستان، وأخذوا يبحثون عن مؤيدين لهم فيها فوجدوا ضالتهم في رئيس الوزراء محمد داود، وفي نفس الوقت زوج أخت الشاه، فأحس الشاه بميول محمد داود فأعفاه من منصبه، فأخذ محمد داود يعمل في الخفاء للقضاء على النظام الحاكم في أفغانستان، وبدأ الشيوعيون يظهرون في البلاد وقويت شوكتهم، وفيما يبدو أن المعسكرين الشرقي والغربي قد قسموا العالم إلى مناطق نفوذ بينهما، وكانت أفغانستان من نصيب الروس فأطلقوا لهم العنان في مد النفوذ فيها، وفي نفس الوقت بدأ الوعي الإسلامى بالخطر المحيط من قبل الروس، وزيادة خبراتهم في البلاد.

وحدثت مصادمات بين المسلمين والشيوعيين، انتهت أغلبها بنصر المسلمين برغم تفوق الشيوعيين في الإمكانيات الحربية ودعم الروس والصينيين.

الحكم الشيوعي:

محمد داود:

استطاع محمد داود بتنسيق بين الروس والشيوعيين أن يقوم بانقلاب عسكري في عام ١٣٩٣هـ والشاه في إيطاليا، وتمكن محمد داود من البلاد، وألغى الملكية وأعلن الجمهورية ونصب نفسه رئيساً لها وأخذ يضيق الخناق على الحركات الإسلامية.

ما لبث أن توترت العلاقات بينه وبين الشيوعيين، لأنه كان يعتبر أنه بوصوله للحكم استتب له الأمر، بينما الروس يعتبرونه مرحلة من مراحل دخول الشيوعية تمهيداً لترسيخها في البلاد، فكثر الاغتيالات وذلك لإثارة الفوضى في البلاد والإشارة إلى عدم استقلالها، فأحس محمد داود بالخطر المحيط به فأسرع بالقبض على زعماء الشيوعية في البلاد ومنهم نور محمد تراقي، وحفيظ

الله أمين، وبابرك كارمل ولكنه قبل أن يجهز على من تبقى حدث انقلاب ضده عام ١٣٩٨هـ بقيادة محمد غلاب أحد قادة حزب خلق الشيوعى، ومعه العميد الشيوعى عبد القادر الذى قاد الانقلاب السابق ضد محمد ظاهر شاه، والآن يقوده ضد حليفه محمد داود وسمى هذا الانقلاب بثورة ساور (أى ثورة نيسان)، وأخرج من السجن الزعماء الشيوعيين وعين نور محمد تراقى زعيم حزب خلق الشيوعى رئيساً للجمهورية.

نور محمد تراقى:

ما إن تسلم السلطة حتى سفك الدماء وأزهق الأرواح فى البلاد وأظهر الشيوعية فى أبهى صورها، وقتل فى يوم واحد ١٥٠٠٠، وجيء بمحمد داود وقتل أمامه أبناؤه الـ ٢٩، ثم أجهز عليه هو وباقى أفراد أسرته، وأقام القتل فى زعماء المسلمين وعامتهم، والتفت لحزب برشام الشيوعى المنافس، فأبعد قاداته من البلاد بتعيين زعمائه سفراء فى الخارج، ومن أمثلتهم بابرك كارمل الذى عين سفيرا فى تشيكوسلوفاكيا.

بدأ خطر هؤلاء الزعماء الخارجى فى الظهور، فقد بينوا الحالة التى تحياها البلاد وخاصة أن حزب برشام يرى الارتباط بموسكو مباشرة والمناداة بالشيوعية العالمية، بينما يرى حزب خلق الحاكَم أن العمل بالشيوعية يكون فى نطاق الدائرة المحلية فقط، فقام نور محمد تراقى بعزل السفراء المعينين فى الخارج، ولكنهم لم يعودوا إلى أفغانستان لما يتوقعونه من فتك ينتظرهم، ثم اتجه نور محمد تراقى إلى موسكو، وأبرم معاهدة مع الروس يفتح بها أبواب البلاد للجيش الروسى بحجة حماية نظامه ضد المعارضة والمقاومة الداخلية، وبدأ يظهر الحزب الإسلامى بقيادة قلب الدين حكمتيار عام ١٣٩٩هـ وحدثت انتفاضة فى معسكرات هراة، وتمرد العسكر فى الجيش، فأرسل الروس إلى أفغانستان أول

وحدة هجومية فى رمضان عام ١٣٩٩هـ ووقع الخلاف بين رئيس الجمهورية ورئيس وزرائه حفيظ الله أمين، ودعا الروس نور محمد تراقى للاستعانة ببابرك كارمل، ولكن نور محمد تراقى اعتذر بحجة أن رئيس الوزراء لا يطبق بابرک، فدبر الروس محاولة لاغتيال حفيظ الله أمين بتأييد رئيس الجمهورية، ولكنها فشلت واستطاع حفيظ الله أمين أن يسيطر على البلاد، ويعتقل نور محمد تراقى وينصب نفسه رئيساً للجمهورية فى أواخر عام ١٣٩٩هـ.

حفيظ الله أمين:

حاول حفيظ الله أمين أن يهدئ الأوضاع فى البلاد ويحسن العلاقات مع دول الجوار، ولكن روسيا كانت تريد رئيساً خاضعاً خضوعاً كاملاً لموسكو لا جزئياً، فأخذت تثير الفوضى فى البلاد ووقعت مصادمات بين الجيش الأفغانى والروس الموجودين فى البلاد، ودعم الروس حزب برشام الذى يعيش رئيسه بابرک كارمل فى تشيكوسلوفاكيا كلاجئ سياسى أى خاضعاً للروس، وأعد الروس عدتهم للإطاحة بحفيظ الله أمين وتنصيب عميلهم بابرک كارمل، فدعموا وزير الدفاع محمد أسلم، الذى قام بالهجوم على القصر الجمهورى عام ١٤٠٠هـ واعتقل رئيس الجمهورية حفيظ الله أمين وأعدمه فى اليوم التالى ونصب بابرک كارمل رئيساً لأفغانستان وهو بخارج البلاد.

بابرك كارمل:

ما إن وصل بابرک إلى كابول حتى تدفق الروس على البلاد وسيطروا على كابول وأرسلوا قواتهم للسيطرة على بقية الأقاليم، وأصدرت الأمم المتحدة قرارها بانسحاب الروس من أفغانستان، وأعلن وزراء خارجية الدول الإسلامية فى إسلام آباد أن الغزو الروسى يعد مخالفة كبيرة للقانون الدولى، غير أن كل هذه النداءات لا تفيد، فالأمم المتحدة هى أداه تتحكم بها الدول الكبرى فى العالم، وقتل فى عام

١٤٠٠هـ ما يقارب مليون مسلم على يد الروس في أفغانستان.

المقاومة الإسلامية:

كانت المقاومة الإسلامية للشيوعيين والروس على أشدها في أفغانستان، فأهل أفغانستان يشتهرون منذ زمن بعيد بتمسكهم الشديد وتمسكهم للإسلام، فأخذوا يقاومون أعداء الإسلام، وألحقوا بهم خسائر فادحة برغم تقدم الأسلحة الروسية، ولكن من عيوب المقاومة انقسام رجالها إلى عدة جمعيات، كثيراً ما حدثت بينها خلافات أدت للتناحر بينها.

من أشهر الجمعيات التي حدثت بينها تصادم الجمعية الإسلامية بقيادة برهان الدين رباني والحزب الإسلامي بقيادة قلب الدين حكمتيار، وبرغم ذلك لقن المجاهدون الأفغان الروس والشيوعيين دروساً في القتال لن ينسوها، ووجدت روسيا نفسها في مستنقع تفقد فيه يومياً العديد من فلذات أكبادها وتخسر المليارات من الأموال، واستطاعت هذه الحفنة الصغيرة من المجاهدين، التي اعتقد الروس أنهم سيسحقونها، أن تذيب الروس الأمرين وخاصة أنهم أهل البلاد الأكثر دراية بالقتال.

فاضطر الروس عام ١٤٠٨هـ لتوقيع اتفاق يقضى بانسحابهم من أفغانستان بعد الخسائر الفادحة التي تكبدوها في هذه الحرب لينقذوا ما يمكن إنقاذه، ولا يمكن وصف العناء الشديد الذي تحمله الشعب الأفغاني من قتل وتشريد ولاجئين في باكستان وغيرها من الدول الإسلامية، ولم يترك الروس البلاد إلا وعملاؤهم الشيوعيون يسيطرون على الحكومة الأفغانية، وكان آخرهم نجيب الله محمد، ولم يهدأ المجاهدون وحاولوا القيام بانقلاب عسكري ضد الحكم الشيوعي، ولكن الروس عاونوا الشيوعيين في إخماذه، وواصل المجاهدون جهادهم ضد الشيوعيين، وشكلوا وزارة مؤقتة مرتين ولكنهم سرعان ما

اختلفوا، وفي نفس الوقت وجد النظام الشيوعي نفسه عاجزا عن المقاومة، فاستقال الرئيس نجيب الله محمد عام ١٤١٢هـ من منصبه وتهيأ الوضع للمجاهدين في السيطرة على البلاد، ولكن استمرت المصادمات بينهم وبعد أن كانوا بالأمس يضربون أروع الأمثال في الكفاح والجهاد ضد أعداء الإسلام زاد البأس بينهم، وانقسمت أفغانستان لعدة مناطق متناحرة وأخذ أعداء الإسلام يدونهم بالأسلحة لإضرار نيران الفتنة والشقاق بينهم.

حركة طالبان:

ظهرت في عام ١٤١٥هـ تدعمها باكستان واستطاعت السيطرة على أكثر أجزاء أفغانستان حتى دخلت كابول عام ١٤١٥هـ واستطاعت أن تسيطر على أكثر من ٧٥٪ من مساحة البلاد، وتحالفت ضدها الفصائل الأفغانية الأخرى بدعم من الروس وإيران والدول المجاورة الأخرى باستثناء باكستان، حيث خافت هذه الدول من امتداد مفاهيم الحركة إليها.

وكادت طالبان أن تقضى على المعارضة لولا المساعدات الخارجية التي أنقذتها، واستطاع أحمد شاه مسعود أن يستعيد مدينة مزار شريف (كبرى مدن المعارضة) بعد أن دخلتها قوات طالبان، وظلت نبرة المعارضة تعلو تارة وتنخفض تارة أخرى، كما انهارت العلاقات الدولية بين أفغانستان والمجتمع الدولي إبان حكم طالبان بزعامة الملا محمد عمر.

وبعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الشهيرة، التي حدث فيها اعتداء على الولايات المتحدة الأمريكية، أشارت أصابع الاتهام إلى تنظيم القاعدة، الذي يتخذ زعيمه أسامة بن لادن من أفغانستان مقراً له، وبالفعل هاجمت أمريكا أفغانستان واجتاحتها وفر ابن لادن والملا محمد عمر إلى مكان مجهول وقضى الأمريكان على حركة طالبان ونصبت حامد كرزاي رئيساً لأفغانستان.

الفصل الخامس المغول في الهند

سيكون مجال دراستنا في هذا الفصل هو منطقة شبه القارة الهندية، والتي تمثل الآن عدة دول هي الهند وباكستان وبنجلاديش ونيبال وبوتان وسريلانكا والمالديف.

وصل الإسلام إلى الهند عن طريق التجارة والدعوة والفتح، فمنذ أيام الخليفة عمر بن الخطاب كانت محاولات فتح الهند على نطاق ضيق، وبدأت تأخذ شكلها الجلى في عهد الأمويين عندما أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي عدة حملات لفتح الهند، فنجحت إحداها بقيادة محمد بن القاسم في فتح بلاد السند (جزء من باكستان اليوم) عام ٩٢هـ واستمرت الحروب بين المسلمين والهنود حيث كان ملوك الهند وحكام مقاطعاتها والبراهمة (ذوو النفوذ الكبير في المجتمع الهندي حيث كانوا يعتبرون أعلى طبقة في المجتمع لدرجة ألحقتهم بالآلهة فمنحوا نفوذاً وامتيازات كبيرة في المجتمع الهندي) يحثون الطبقات الدنيا من الشعب الهندي لقتال المسلمين ودعاتهم خوفاً على مراكزهم ونفوذهم في المجتمع مما قلل من انتشار الإسلام في الهند.

وفي عهد الدولة العباسية تمكن هشام بن عمرو التغلبي والى السند من فتح الملتان وكشمير.

ثم بضعف الدولة العباسية وتفكك أجزائها تكونت عدة إمارات في السند منها إمارة المنصورة وإمارة الملتان وإمارة إسماعيلية حتى جاء الغزنويون.

الغزنويون:

ورث الغزنويون الدولة السامانية وتسموا بالغزنويين نسبة إلى مدينة غزنة، التي

اتخذوها عاصمة لدولتهم ومؤسسها هو سُبُكْتِكِين الذى حارب البنجاب وانتصر عليهم، ثم جاء ابنه محمود بن سبكتكين، وكان كثير الجهاد فى سبيل الله وغزا فى بلاد الهند سبع عشرة مرة، واستطاع أن يوحد أجزاء السند تحت إمرته ثم فتح قنوج وكوجرات، وهدم فيها معبد سومنات، الذى يعتبره الهنود مكان تناسخ الأرواح حسب معتقداتهم، وانتشر الإسلام فى أكثر الأجزاء التى فتحها محمود فى الهند.. وتوفى محمود عام ٤٢١هـ وجاء ابنه مسعود ففتح مدينة بنارس على نهر الغانج وانتهى حكم الغزنويين عام ٥٥٥هـ وتولى بعدهم الغوريون الحكم.

الغوريون:

استطاع شهاب الدين الغورى أن يسيطر على أجزاء الدولة الغزنوية، ثم أخذ يتوغل فى بلاد الهند، وتمكن مملوكه قطب الدين أيبك من السيطرة على دهلى وانفرد بما تحت يديه، واتخذ دهلى عاصمة له وعين له نائبا على ما وراء نهر الغانج وهو محمد بن بختيار الخلجى الذى استطاع أن يفتح بيهار والبنغال واستقل بما لديه واتخذ لانغبور عاصمة له.

قطب الدين أيبك:

اعتقل شهاب الدين الغورى مملوكه قطب الدين أيبك ثم أعتقه، ومات شهاب الدين، فكون قطب الدين دولة له واتخذ لاهور عاصمة لها.

ايلتمش:

لما مات قطب الدين أيبك استقل مملوكه شمس الدين ايلتمش بدهى، وأسس أسرة حاكمة فيها انتهت عام ٦٦٤هـ.

بلبن:

عندما مات ناصر الدين محمود بن ايلتمش تولى الحكم نائبه على دهلى غياث الدين بلبن، فانفرد بالسلطة وكون أسرة حكمت حتى عام ٦٨٩هـ.

دولة الخليجين:

برز جلال الدين فيروز الخلجي نائب معز الدين كيقباد آخر ملوك دولة بلبن، فخرج على معز الدين وخلعه وقتله وتولى السلطة وأسس الدولة الخلجية.

جهز علاء الدين ابن أخى جلال الدين جيشاً التقى بعمه وقتله وتولى مكانه عام ٦٩٦هـ وحارب التتار وانتصر عليهم وردهم عن دهلى، ودخل كوجرات وفتح فى عام ٧٠٣هـ بلاد الدكن فى الهند، ووصل إلى أقصى جنوب الهند ودخل كيرالا، وبموت علاء الدين تولى ابنه الصغير شهاب الدين الحكم، فكانت السلطة بيد نائب أبيه على دهلى، فسجن إخوة شهاب الدين الثلاثة وأعمى أعينهم واكتفى بحبس أخيهم الرابع (قطب الدين مبارك) فحزنت أمهم لذلك حزناً شديداً ودبرت لقتل نائب علاء الدين حتى قتل فتسلم الحكم مبارك وسجن أخاه شهاب الدين مع إخوته ثم أرسل جيوشه إلى غربى الدكن وكيرالا وأجزاء أخرى من الهند.

ثم اتفق الأمراء على خلع قطب الدين مبارك وتولية ابن أخيه خضر الذى كان غلاماً صغيراً، فخاف قطب الدين على ملكه فقتل إخوته الأربعة وابن أخيه خضر، أحس ناصر الدين خسرو خان كبير أمراء قطب الدين بالخطر القادم من سيده، فقتله وتسلم الحكم مكانه ولكن المسلمين كرهوه ليله للهنود، فجاء أمير السند غياث الدين بقوة ودخل دهلى وتسلم الحكم بينما فر ناصر الدين خسرو.

آل تغلق:

يعتبر غياث الدين تغلق هو مؤسس أسرة تغلق، التى حكمت الهند قرابة قرن من الزمان منذ عام ٧٢٠هـ، وتولى بعده ابنه جونه الذى تسمى بمحمد، وتلقب

بأبي المجاهد فكان يقتل تارك الصلاة، وتمكن من فتح كيرالا وأرسل قوة إلى الصين ولكنها هلكت في جبال الهيمالايا، ولما مات تولى ابن عمه فيروز شاه الذى كان من العابدين، فأنشأ المدارس وبنى المساجد والمستشفيات، وأقام الحصون، وبعد موته عمت الفوضى فى البلاد، وتنازع الأمراء على الحكم، ثم تولى الحكم عدة ملوك حتى دخل تيمورلنك دهلى عام ٨٠١هـ، ثم خرج منها فرجع إليها محمود شاه آخر ملوك آل تغلق، ثم مات عام ٨١٥هـ وبموته انتهى حكم آل تغلق وكان دخول تيمورلنك الهند السبب الرئيسى فى تفكك الدولة الهندية المسلمة واستقلال كل إمارة بذاتها.

آل خضر:

خضر هو أحد رجال تيمورلنك وقد بقى بدهلى حتى بعد خروج تيمورلنك واستطاع أن ينفرد بالسلطة بعد موت محمود شاه، وحكمت أسرته حتى عام ٨٥٥ حيث خرج بهلول اللودى على علاء الدين آخر ملوك آل خضر وتمكن من الانتصار عليه وأسس الأسرة اللودية.

اللوديون:

أسسها بهلول اللودى الأفغانى وحكمت فى دهلى من عام ٨٥٥هـ حتى ٩٣٢هـ وفى نفس الوقت كانت هناك عدة إمارات فى الهند مستقلة بذاتها الغالبية العظمى منها يحكمها المسلمون، والقليل جداً يحكمها هندوك مثل إمارة فيا يانكر فى أقصى غربى جنوب الهند وكانت تقاتل الإمارات المسلمة.

الحكم المغولى (التيموريون)

محمد بابر شاه:

تمكن إبراهيم الثانى آخر ملوك اللوديين من السيطرة على الحكم فى دهلى،

فاتصلوا بظهير الدين محمد بابر حاكم غزنة فى بلاد الأفغان، الذى أقبل بجيشه إلى الهند، واستطاع أن ينتصر على إبراهيم الثانى فى موقعة بانى بت عام ٩٣٢هـ واتخذ من مدينة أغرة مقراً له فى الهند، ثم اجتمع بقية أمراء اللوديين وتعاون معهم الراجبوت الذين يمثلون أكبر قوة فى وسط الهند، وكونوا حلفاء ضد ظهير الدين فأعلن ظهير الدين الجهاد ضد الكفرة والراجبوت ومن يؤازرهم، فالتقى الجمعان فى موقعة خانوه عام ٩٣٣هـ وانتصر ظهير الدين وأعلن بعدها التسامح الدينى فى الهند ليسيّط على الحكم، وتوفى عام ٩٣٧ وتولى بعده ابنه همايون.

همايون:

وفى عهده تفتت الدولة المغولية واستقلت الكثير من الإمارات وازداد الخطر الصليبي، فقد وصل البرتغال إلى سواحل الهند، وأقاموا بعض المراكز لهم منذ عام ٩١٤هـ واستنجد حاكم كوجرات المستقلة بالخليفة العثمانى سليمان القانونى لإبعاد البرتغاليين عن سواحلهم، فأرسل الخليفة أسطولاً كبيراً أنزل بالبرتغاليين هزائم منكرة، ثم تعاهد حاكم الكوجرات مع البرتغاليين على بناء قلعة لهم فى ديو عام ٩٤٢هـ، ثم عاد فنقض معهم العهد ودخل معهم الحرب فانتصر البرتغاليون واحتلوا ديو عام ٩٤٣هـ فسارع الخليفة سليمان العثمانى بإرسال الأسطول العثمانى إلى الهند، فحاصر ديو ولكن حاكم كوجرات ظن أن العثمانيين يريدون ضم كوجرات فمنع عنهم المؤن، فاضطر الأسطول العثمانى أن يغادر سواحل كوجرات، وتمكن همايون من ضم أكثر بلاد الأفغان للملكه ودخل كابل.

محمود جلال الدين (أكبر شاه):

وفى عهده بلغت الدولة أقصى اتساع لها فقد ضم معظم الهند بالإضافة إلى

بلاد الأفغان، وفي عام ٩٨٦هـ اتخذ فكرة غريبة ظناً منه أنها ستقوى نفوذه في الهند، وهي إيجاد دين يجمع بين الإسلام والبراهمية والبوذية والزرادشتية وغيرها، وحرّم ذبح الأبقار وأباح الزواج من المشركات بل وأباح للمشركين الزواج من المسلمات، وجعل مدينة فتح پور مقراً للعقيدة المخترعة، وفي عهده تأسست فرقة الشيخ ذات الفكر الغريب، ويعتبر غور هو مؤسسها حيث يدعى أتباعه أنه ذهب إلى مكة وحج للبيت وقرأ القرآن وعرف أنه إله، وأعطاه الملك أكبر شاه قطعة أرض بنى عليها مدينة أمريستار، ويصل عددهم الآن في الهند إلى ١٠ ملايين يتركزون في البنجاب.

ثم تولى من بعده عدة حكام من أشهرهم محي الدين محمد أورنكزيب الذي ضم إلى ملكه بخارى وخوارزم وبيجاپور وأبطل ما ابتدعه أكبر شاه ودون الفقه، ثم جاء ابنه قطب الدين محمد معظم بهادور فاعتنق المذهب الشيعي، وبدأت الدولة في عهده في الضعف، وقوى أمر الشيخ والمهراثا، وتوالى الحكام وازداد الضعف وبدأت الإمارات الهندية تستقل، فاستقل الشيخ بالبنجاب، واستقل المهراثا بالكوجرات، واستقلت الدكن، وبدأ النفوذ الإنكليزي يدخل الهند حتى انتهت الدولة المغولية بآخر حكامها بهادور حيث أسقط الإنكليز الدولة المغولية عام ١٢٧٣هـ ونفوا بهادور خارج الهند.

الاستعمار الأوروبي للهند:

البرتغاليون:

كانوا أول الأوروبيين وصولاً إلى الهند، فقد وصل فاسكودي غاما إلى الهند عام ٩٠٤هـ، فطمع في البلاد فعاد فاستأذن دولته في احتلال الهند، فأرسلت الأساطيل لاحتلال الهند، واستطاع البرتغاليون الاحتفاظ فقط ببعض المواقع الساحلية، ولم يستطيعوا التوغل للداخل لكثرة السكان وقلة عدد البرتغاليين،

وكان الأمراء المسلمون في الهند يستعينون في البداية بالمماليك، ولكن البرتغاليين انتصروا عليهم ثم استعان الأمراء المسلمون في الهند بالعثمانيين، فأعانوهم وانتصروا على البرتغاليين، ولكن خشى بعض الأمراء أن يضم العثمانيون ممالكهم إليهم فمنعوا عنهم المؤن فغادر العثمانيون الهند، واحتفظ البرتغاليون ببعض المراكز الساحلية في الهند مثل: داما ن شمال بومباي، وجزيرة ديو، وغوا بالإضافة إلى جزر المالديف وجزيرة سيلان (سريلانكا) التي احتلها البرتغاليون، وارتكبوا فيها الفظائع، وأبشع الجرائم ضد المسلمين منها مذبحه ماتار في سريلانكا عام ١٠٥٣هـ، ومارسوا الاضطهاد الدائم للمسلمين، واستطاع البرتغاليون أن يسيطروا على التجارة في المحيط الهندي ما يزيد على قرن.

الهولنديون:

عندما استقل الهولنديون عن الإسبان وتحطم الأسطول الإسباني عام ٩٩٨هـ على يد الإنكليز، لم تكف هولندا بالاستقلال عن الإسبان بل سعت للحصول على أكبر قدر ممكن من المستعمرات، ومنها جزر المالديف وجزيرة سريلانكا، وغيرهما في المحيط الهادي، وبدأ الهولنديون في رفع أسعار التوابل لسيطرتهم على الكثير من طرق التجارة في المحيط الهادي، مما شجع الإنكليز على الدخول في المنافسة معهم.

الإنكليز:

عندما رفعت هولندا أسعار التوابل عمل الإنكليز على التجارة مباشرة مع المشرق، فعملوا على إنشاء شركات تجارية لهم في بلاد المشرق، واتخذت عدة أسماء حتى اتحدت معاً وتسمت باسم (شركة الهند الشرقية) وكانت مراكزها في البداية في جزر الهند الشرقية (إندونيسيا وماليزيا) وغيرهما لأن البرتغاليين

والهولنديين منعوا انكلترا من دخول الهند، فدخلت معهم فى حرب، حتى تمكنت من النزول على بر الهند، وكانت أول المدن التى نزلتها هى مدراس، ثم توغلوا فى الهند حتى دانت لهم كلها إلى أن استقلت عنهم.

الفرنسيون:

اتبعوا نفس سياسة الإنكليز فى إنشاء شركات تجارية فرنسية فى الهند، وكانت الشركات الأجنبية كلها تحرص على شراء أراض لها، وبناء حصون لها لدعم مركزها فى الهند، وتمهيداً لاحتلال البلاد، وكان للفرنسيين بعض المراكز فى الهند منها مونديشيرى وعندر ونيوان وكاريكال.

الاحتلال الإنكليزى للهند:

بدأت (شركة الهند الشرقية) الإنكليزية فى شراء الأراضى فى الهند وبناء الحصون، وأخذت تتوغل فى الهند، وفى البداية كانت تنقل المواد الخام إلى أوروبا من الهند، ثم بحدوث الثورة الصناعية فى أوروبا أخذت تنقل المواد المصنعة من أوروبا إلى الهند، وفى نفس الوقت كانت الشركات الإنكليزية تحصل على ضرائب من السفن التى تمر فى الطرق التى تسيطر عليها، حيث كان للشركة الإنكليزية أسطول يحميها، فتحولت الشركة البريطانية من ملكية الأفراد لها إلى ملكية بريطانية لها، بعد أن تملك بريطانيا أملاك شركة الهند الشرقية أخذت تغزو الإمارات الهندية وتضم الواحدة تلو الأخرى، ورأى الإنكليز أن المسلمين هم العقبة الأساسية فى توغلهم فى الهند، فأخذوا يستميلون الهنادك وخاصة أن الهنادك يحقدون على المسلمين؛ لأنهم هم الحكام، وفى نفس الوقت كان العداء الصليبي المستفحل من الإنكليز يدفعهم لفعل أى شيء ضد المسلمين، فأخذ الإنكليز يعينون الهنادك والسيخ والمهراتا على المسلمين حتى تمكن لهم فى الهند.

سقوط الدولة المغولية في الهند:

كانت إنكلترا إذا احتلت جزءاً من الهند عملت على تقريب الهنادك واضطهاد المسلمين، وكانت الحامية البريطانية في الهند تتضمن هنوداً سواء من المسلمين أو الهنادك، وذلك للحصول على مصدر يرزقون منه، حيث عم الفقر في البلاد بعد سيطرة الإنكليز على كل مواردها، وفي مرة من المرات أمر الإنكليز جنودهم باستخدام الشحم المأخوذ من الخنزير لكي يصونوا بنادقهم، فثار المسلمون على هذا الأمر ورفضوه، وخاصة أنه يمس عقيدتهم، ففضى الإنكليز على الثائرين من المسلمين، فتألم إخوانهم لذلك وهجموا على الضباط الإنكليز، وقتلوا أحدهم ثم فروا إلى دهلي عند الملك بهادور آخر ملوك المغول، واشتعلت الثورة في أكثر بلاد الهند، فسار الإنكليز بقوة كبيرة إلى دهلي وحاصروها، ثم استطاعوا دخولها لتفوق أسلحتهم وقبضوا على الملك بهادور وقتلوا أبناءه أمامه، بل وطبخوا له طعاماً من لحومهم، ونفوه إلى رانغون عاصمة بورما، وألغى الإنكليز الحكم المغولي في الهند، وأعلنت فرض سيطرتها الكاملة على كافة أجزاء الهند، وأخذوا ينكلون بالمسلمين فهدموا الكثير من المساجد وصادروا أملاكهم، وحولوا بعض المساجد إلى ثكنات عسكرية، ورحب الهنادك بهذه الأفاعيل وأخذوا يشاركون الإنكليز في أفاعيلهم الوحشية.

ولم يكتف الإنكليز بذلك بل عملوا على فتح المدارس للهنادك وتحضيرهم، في حين أن المسلمين كان الكثير منهم يرفض الالتحاق بهذه المدارس؛ لأنها تبث كره الإسلام والمسلمين، وتعمل على نشر النصرانية، فعم الجهل والفقر بالمسلمين بعد أن كانوا حكام البلاد، وبرغم ذلك فقد كان هناك بعض الحكام لبعض الولايات من المسلمين والمعينين من قبل الإنكليز، لأن حكمهم للبلاد كان واقعاً وعرفاً معتاداً للهنادك برغم قلة عددهم بالنسبة للهنادك.

وقد حرص الإنكليز على تفتيت المسلمين وهدم الإسلام، وذلك من خلال

تشجيع الفكرة القومية الهندية من جهة، ومن جهة أخرى إنشاء فرق ضالة ذات وجهة إسلامية لتفريق صفوفهم، فعملت على إحياء فكرة العقيدة المشتركة لأكبر شاه، ووجدت ضالتها في أحد المسلمين ويدعى مرزا غلام أحمد القادياني ودعمته في تأسيس مذهب القاديانية الضال وانقسمت فرقته إلى فرقتين: الأحمديّة والقاديانية.

وما زال الإنكليز إلى يومنا هذا يدعمون القاديانيين في كل مكان لمحاربة الإسلام في كل بقاع الأرض، ورغم ذلك حاول المسلمون مقاومة المستعمرين الإنكليز، وعملوا على تكوين الأحزاب والجمعيات الخاصة بهم، وكان الإنكليز والهنادك يقفون ضدهم دائماً.

تفاعل المسلمين في الهند مع الأحداث في العالم الإسلامي

وتأثر المسلمون في الهند مما أصاب العالم الإسلامي، فعندما سقطت الخلافة الإسلامية العثمانية عام ١٣٣٧ هـ قامت مظاهرات للمسلمين في أنحاء الهند تندد بالإنكليز وبالذو الذي قاموا به في إسقاط الخلافة، ومن قبلها أخذوا ينددون باحتلال إيطاليا لليبيا، وكذلك كان للحركة الوهابية أثرها في الهند، ونددوا بمعاملة الهولنديين الوحشية لشعب إندونيسيا المسلم، ورفضوا تكوين دولة لليهود في فلسطين وغيرها من المواقف التي تؤكد مؤازرتهم لإخوانهم المسلمين في شتى بقاع الأرض.

وبرغم كل ذلك فقد كان هناك تباين في توجهات المسلمين، فبالإضافة إلى اختلاف مذاهبهم من سنة وفرق ضالة مثل الشيعة والإسماعيلية والقاديانية، كانت هناك آراء متباينة في وضع المسلمين في الهند، فالبعض يرى التخلص من الاحتلال الإنكليزي للهند والاندماج مع الهندوس في دولة واحدة، لكي يؤدي ذلك إلى أثر إيجابي في الدعوة إلى الإسلام في الهند، والبعض الآخر يرى التخلص من الاستعمار واستقلال المسلمين في دولة خاصة بهم بعيداً عن

الهندوس الذين يمثلون حقداً وبغضاً للإسلام والمسلمين، وكان صاحب هذه الفكرة هو الشاعر محمد إقبال، وكان من أشهر الأحزاب التي تكونت في الهند حزب المؤتمر الذي يتزعمه غاندى المتعصب لهندوسيته والذي كان يلين قليلاً للمسلمين حتى يجوز تأييدهم، وحزب الرابطة الإسلامية بقيادة محمد على جناح والذي يرى الانفصال عن الهندوس وتكوين دولة مستقلة للمسلمين في الهند.

استقلال الهند وتقسيمها:

كان الإنكليز برغم تفضيلهم للهندوس على المسلمين، إلا أنهم كانوا ينكلون بأبناء أى جنس آخر غيرهم فى سبيل حفظ أبنائهم، فقد شكل الهنود الكثير من فرق الجيش الإنكليزى، وعندما قامت الحرب العالمية الثانية وزاد خطر اليابان بعد وصولها لبورما على حدود الهند خاف الإنكليز، ووعدوا الهند بمنحها الاستقلال بعد الحرب، حتى لا يستغل الهنود فرصة الحرب وينقلبوا على الإنكليز، وفى نفس الوقت كان الإنكليز كما ذكرنا يدفعون بالجنود الهنود إلى الهلاك فى الحرب، فعلى سبيل المثال فى معركة العلمين أراد الإنكليز اقتحام حقل للأغام، ولم يكن لديهم عدد كاف من المواشى لتفجيرها، فزجوا بكتيبة هندية للقيام بهذه المهمة فهلكت عن آخرها، وهذا ما زاد فى الكره المشترك للمسلمين والهندوس للإنكليز، وفى عام ١٣٦٦هـ قررت بريطانيا منح الهند استقلالها فى نطاق تقسيمها إلى دولتين، إحداهما للهندوس ويطلق عليها الهند والأخرى للمسلمين، والتي أطلق عليها المسلمون باكستان أى أرض الأظهار، وإطلاق الحرية فى كل ولاية هندية للانضمام للهند أو باكستان أو الاستقلال بنفسها برغم معارضة غاندى الشديدة لهذه الفكرة لأنه كان يريد السيطرة على المسلمين تماماً.

وبالفعل كونت الولايات الشمالية الشرقية فى الهند (البنغال الشرقية وجزء من آسام) والشمالية الغربية (جزء من البنجاب والسند وبلوجستان) دولة

باكستان وعاصمتها كراتشي، والباقي للهند وعاصمتها دلهي ثم أصبحت نيودلهي وكل من باكستان والهند يأخذان نظام الديمونيونات أي يكون مع استقلالها ارتباط مع التاج البريطاني، وخضوعها لإشراف الحاكم العام البريطاني، وكان تقسيمًا جائرًا على المسلمين فقد قسموا بعض الولايات ذات الأغلبية المسلمة مثل البنجاب والبنغال بين المسلمين والهندوس، وأرادت بعض الولايات الهندية الانضمام لباكستان مثل جوناكاد، ودعا إلى ذلك حاكمها المسلم وكذلك إمارة حيدر آباد بسبب حاكمها المسلم، ولكن الهند رفضت ذلك، وأرسلت قوة إلى كل ولاية لاحتلالها وضمها إلى الهند، بينما ولايتا نيبال وبوتان كانتا في الأصل مستقلتين عن الإنكليز، حيث لم يدخلوهما، وأهلهما بوذيون فلم ينضموا إلى الهند وانضمت ولاية سكيم إلى الهند عام ١٣٩٦هـ واستقلت سرى لانكا عن الهند عام ١٣٦٧هـ وكانت جزر المالديف ذات الأغلبية المسلمة تتبعها ثم استقلت جزر المالديف عن سرى لانكا عام ١٣٧٣هـ، وعندما انقسمت الهند إلى الهند وباكستان نكل الهندوس بالمسلمين في الهند أشد التنكيل، فهاجر الكثير منهم إلى باكستان، وكان الهندوس يحرقون القطارات التي تنقل المسلمين إلى باكستان لحقدهم الشديد عليهم.

مشكلة كشمير:

نظرًا لمناخ كشمير الطبيعية من حيث انتشار الجبال الشاهقة فيها، فقد استعصت على المسلمين في فتحها حتى جاء رجل يدعى شمس الدين شاه مرزامن خراسان ليخدم ملكها الوثني، فقربه إليه الملك وأقطعته هو وابنه مناطق كثيرة يحكمانها، ثم عندما مات الملك تزوج بامرأته التي آل إليها الحكم، وأسلمت وأرادت أن تغدر به، فسجنها وانفرد بالسلطة وأسس أسرة حكمت البلاد أكثر من قرنين (٧٤٤ - ٩٧٠هـ)، وفي نهاية عهدهم كان أكبر شاه ملك الهند قد بسط نفوذه على كشمير

منذ عام ٩٦٣هـ حتى ١٠١٤هـ ومنذ حكم المسلمون كشمير والإسلام ينتشر بين أهلها، حتى غدت غالبيةهم العظمى مسلمة، وعندما انتهى حكم المغول لكشمير عام ١١٦٤هـ سيطر عليها الأفغان حتى عام ١٢٣٤هـ وازداد فيها انتشار الإسلام ثم جاء الإنكليز فأعانوا السيخ على الأفغان فاحتل السيخ كشمير عام ١٢٣٤هـ وحتى عام ١٢٦٢هـ وعملوا على اضطهاد المسلمين، ونشروا الظلم فى البلاد وهدموا وحرقوا الكثير من المساجد وحولوا بعضها إلى اصطبلات للخيل، وقام المسلمون بالكثير من الثورات ضد السيخ حتى سيطر الإنكليز على البلاد عام ١٢٦٢هـ فباعوا كشمير لأسرة الدوغرا لمدة ١٠٠ عام بسبعة ونصف مليون روبية وعقدت الاتفاقية فى مدينة أمريستار التى هى منبع الفكر السيخى، وأخذ حكام أسرة الدوغرا يذيقون المسلمين ألواناً من الظلم والاستعباد والاضطهاد طوال فترة حكمهم للبلاد، من ضرائب باهظة، ومصادرة أراضيتهم، وأملاكهم، وحرموا عليهم ذبح الأبقار وكانت عقوبة ذلك الإعدام، ثم خففت للحبس ١٠ سنوات، واضطر الكثير من السكان للهجرة إلى البنجاب للنجاة من الظلم المقام عليهم، وأخذ الإنكليز يساعدون أسرة الدوغرا فى صب القهر والتعذيب على شعب كشمير المسلم، وأخذت الحركات الإسلامية تظهر فى كشمير تدعو للتخلص من هيمنة أسرة الدوغرا، والإنكليز المعادين للإسلام، وجاء وقت الاستقلال للهند عام ١٣٦٦هـ وتقسيمها فأراد الشعب الكشميرى المسلم الانضمام إلى باكستان بينما حاكم كشمير (المهراجا) آخر حكام أسرة الدوغرا عمل على منع حدوث ذلك، فأسس عصابات من الهندوس الكشميريين، والهندوس الذين أتوا من الهند لمنع انضمام كشمير إلى باكستان، وأخذت هذه العصابات فى الهجوم على المسلمين، وقتلت منهم ١٣٧٠٠٠ مسلم، فقام المسلمون بالمظاهرات وأطلقت الشرطة التابعة للمهراجا النار على المتظاهرين الذين يطالبون بانضمام كشمير إلى باكستان وسجنت الكثير منهم، وتدفع المجاهدون المسلمون على كشمير لنجدة إخوانهم، واستطاعوا

تحرير جزء من كشمير بينما فر المهراجا (هري سنغ) إلى الهند، وعقد مع الهند اتفاقية بانضمام كشمير إلى الهند عام ١٣٦٦هـ برغم أن المسلمين يشكلون ٨٠% من سكانها وهذا ما يتنافى مع شروط تقسيم الهند إلى منطقتين، مسلمة وهندوسية تعتمد على الغالبية القاطنة، وتعهدت الهند بإجراء استفتاء في الولاية بمجرد إعادة الاستقرار بها وسحب قواتها منها، ولكن اتضح أن هذه الدعوة ما هي إلا وسيلة تساعد الهند في احتلال كشمير، فأرسلت جيوشاً إلى كشمير لتساعد جيوش حاكمها السابق، وأعلنت أنها ستساعد من يرغب في الهجرة إلى باكستان، وأعلنت عن مكان يتجمع فيه راغبو الهجرة، وما إن احتشد الكثير من المسلمين في هذا المكان حتى أطلقت عليهم النيران وقتل ما يزيد عن نصف مليون مسلم، واستطاع عدد مائل لهم أن يفر إلى باكستان وأخذ الجنود الهنود يقبضون على كثير من النساء المسلمات لهتك أعراضهن، ويقطعون أئداء النساء أمام أهلهن، وقتل مئات الألوف من المسلمين، واندلع القتال بين الهندوس والمجاهدين المسلمين في كشمير في الحرب الهندية الباكستانية الأولى عام ١٣٦٧هـ، وقد تمكن المجاهدون من تحرير جزء كبير من كشمير، وأخذوا يوقفون تقدم الهندوس في كشمير، وأرسلت باكستان قواتها إلى كشمير عام ١٣٦٧هـ، وهكذا اندلعت الحرب بشكل كبير بين الهندوس وبين الجيش الكشميري المدافع عن كشمير الحرة، ويساعده المجاهدون والجيش الباكستاني، ولم تستطع الهند التقدم في كشمير الحرة، فقد وقف لها المجاهدون بالمرصاد برغم تفوق الهندوس في العدد والعتاد، إلا أن الروح الإيمانية للمسلمين قد أوقفت توغل الهند في كشمير، وبعد أن طال سكوت الأمم المتحدة على الحرب في كشمير، ظننا بأن الهند ستحسم المشكلة وتحتل كشمير، وكل ذلك بإيعاز من الدول الصليبية التي تسيطر على الأمم المتحدة وتحكم من خلالها العالم.

اضطرت الأمم المتحدة إلى إصدار قرار بوقف إطلاق النار في كشمير عام

١٣٦٨هـ وقررت خروج القوات العسكرية من كشمير وإجراء استفتاء فيها لتقرير المصير، فأبدت الهند موافقتها على قرار الأمم المتحدة، بينما فى الحقيقة ظلت قواتها مرابضة فى الجزء الذى دخلته فى كشمير ثم أعلنتها صراحة فى عام ١٣٧٧هـ بأنها ترفض استقلال كشمير عن الهند، وأخذ الهنود فى اضطهاد السكان المسلمين وأخذوا يجلبون الهنادك ليسكنوا أجزاء كشمير التى وقعت تحت سيطرتهم ليقبلوا الأغلبية الكاسحة للمسلمين فيها.

وحاول الهندوس بشتى الوسائل تغيير هوية المسلمين وغزوهم فكرياً، بل وأرسلوا رجال مخابراتهم إلى إسبانيا وروسيا ليعطوهم خبرتهم فى التنكيل بالمسلمين سواء الأندلسيين أو التتار.

أخذ المسلمون يقاومون كل المحاولات الهندية لفصل المسلمين عن دينهم وثقافتهم، وانتشرت حركات الجهاد وظهرت جبهة تحرير جامو وكشمير، وغيرها، واتحد المجاهدون تحت اسم الاتحاد الإسلامى لمجاهدى كشمير واتحدت المنظمات السياسية تحت اسم حركة تحرير كشمير، وقد نشأت أيضاً فى باكستان الكثير من المنظمات الإسلامية أبرزها الجماعة الإسلامية، التى طالبت بتطبيق الشريعة ومؤسسها هو أبو الأعلى المودودى وكان أول رئيس لباكستان (بنغلاديش وباكستان المتحدتين) هو محمد على جناح والذى قامت فى عهده أول حرب بين باكستان والهند، وما لبث أن توفى وتسلم مكانه الخوجا نظام الدين عام ١٣٦٧هـ ثم غلام محمد عام ١٣٧١هـ ثم اسكندر مرزا عام ١٣٧٤هـ الذى ألغى نظام الدومينون فى باكستان، ثم أيوب خان عام ١٣٧٨هـ والذى جعل حكم البلاد عسكرياً وغير العاصمة من كراتشى إلى روالبندي (إسلام أباد) كى تكون قريبة من كشمير ولكنه حل الجماعة الإسلامية واعتقل أعضائها وصادر أموالها.

الحرب الهندية الباكستانية الثانية عام ١٣٨٥هـ:

اندلعت الحرب بين الهند وباكستان للمرة الثانية بسبب كشمير، وامتدت جبهات القتال إلى باكستان الغربية بينما لم تدخل الهند باكستان الشرقية لتهديد الصين بدخول الحرب إذا فعلت ذلك، حيث كانت على خلاف حدودى مع الهند، وحدثت بينهما حرب عام ١٣٦٢هـ انتصرت فيها الصين؛ ولذلك كانت الصين تدعم باكستان واستطاع الباكستانيون أن يبذوا مقاومة فائقة وبطولات رائعة فى القتال، حتى إذا تحولوا للانتصار، وكادت الهند أن تهزم أسرع مجلس الأمن وأعلن وقف إطلاق النار، وعقد مؤتمر طشقند فى جمهورية أوزبكستان التابعة للاتحاد السوفيتى فى ذلك الوقت، وقد نص الاتفاق على إعادة الحال كما هو عليه قبل الحرب، وتبادل الأسرى وحل مشكلة كشمير بالطرق السلمية، ففقدت باكستان وكشمير جهودهما وانتصاراتهما.

أخذت الهند ونصارى العالم يعملون على تفتيت الوحدة بين شطرى باكستان، حتى يتفرق المسلمون وتضعف شوكتهم، وبرز مجيب الرحمن زعيم حزب عصمة عوامى فى باكستان الشرقية (بنغلاديش) والذى يطالب بالاستقلال الذاتى لها، وبرز أيضاً ذو الفقار على بوتو زعيم الشعب، والذى يتمثل نشاطه فى باكستان الغربية، وقامت المظاهرات فى باكستان الشرقية، فاضطر أيوب خان أن يعتزل الحكم عام ١٣٨٩هـ وجاء من بعده يحيى خان، والذى كان شيعياً فأدت سياسته إلى زيادة الفوضى والاضطرابات فى البلاد، وفى نفس الوقت عملت الهند على دعم المعارضة فى باكستان الشرقية، والتى يتزعمها مجيب الرحمن، ودعت الهندوس فى باكستان الشرقية إلى دعمه وتأييده، ودعمته أمريكا، وفى نفس الوقت دعمت المعارضة فى باكستان الغربية بقيادة ذى الفقار على بوتو، ودعمه الشيعة والقاديانيون، وبذلك فالخطة الدولية قامت على دعم الانفصال

فى باكستان بشطريها، وقائدا المعارضة رجلاان انتهازيان تطغى مصلحتهما الشخصية على المصلحة العامة.

وتفجرت الأوضاع فى باكستان الشرقية فى عام ١٣٩١هـ نتيجة تأجيل اجتماع المجلس النيابى، وعمت الفوضى، وانتشرت الجرائم فيها، فاعتقل مجيب الرحمن، وحدثت فيضانات كبيرة فى بنغلاديش أدت إلى لجوء ما يقرب من ٩ ملايين شخص أكثرهم من الهندوس إلى الهند، وأخذت الهند تستعد للضربة المرتقبة لباكستان، وأخذ الانفصاليون يطلبون العون من دول العالم وعلى رأسها اليهود، التى أعلن وزير خارجيتهم أنهم يؤيدون كفاح بنغلاديش ضد باكستان.

الحرب الهندية الباكستانية الثالثة ١٣٩١هـ:

أعدت الهند عدتها لفصل شطرى باكستان عن بعضهما، وعقدت حلفاً عسكرياً مع روسيا عام ١٣٩١هـ لردع أى محاولة تهديد تأتى من الصين، ثم أعلنت الهند أن الثوار البنغلاديش والذين تكونوا من اللاجئيين قد شنوا هجوماً على بنغلاديش، وهذه كلها أكاذيب حقيقتها أن الهند هى التى تهاجم بنغلاديش، وخاصة أنها تحيط بنغلاديش من كل جانب عدا الجنوب حيث خليج البنغال، وفى نفس الوقت كان معظم التركز العسكرى فى باكستان الغربية وكشمير الحرة؛ لأنها جبهات القتال الأساسية، ولم يحدث من قبل تكوين جبهة قتال فى باكستان الشرقية، فالقوة الباكستانية فى بنغلاديش كانت أقل، وفى نفس الوقت كانت القوات الهندية تفوق القوات الباكستانية فى الجبهة الشرقية بما يعادل ٦ أضعافها، ومجهزة بكل الوسائل الحديثة فى القتال تدعمها روسيا واليهود، وبينما إمكانات الباكستانيين فى الشرق ضعيفة، واندلع القتال على كافة الجبهات الشرقية والغربية وكشمير، وتقدمت الهند فى بنغلاديش وبرغم المقاومة الباسلة التى أبداها الباكستانيون فى الشرق إلا أنهم اضطروا

للاستسلام، أما فى الغرب فكانت الحرب سجالاتا بين الطرفين وأعلن مجلس الأمة وقف القتال، إلا أن الهندوس والروس قد عارضوا حتى توقف القتال فى نهاية ١٣٩١هـ ولا يمكن وصف المجازر والمذابح التى أقيمت للمسلمين فى بنغلاديش بعد إعلان الاستسلام، فقد تفنن الهنود فى أساليب القتل والتعذيب للمسلمين، وكانهم فى مسابقة للإبداع فى الإبادة.

سلم يحيى خان البلاد إلى ذى الفقار على بوتو وغادر البلاد بعد أن خربها إلى إيران، حيث إنه -كما ذكرنا- شيعى، وأعلنت بنغلاديش استقلالها عن باكستان وقيام الجمهورية وأخرج مجيب الرحمن من السجن وعين حاكماً لبنغلاديش، واعتبر أن الفترة السابقة كانت احتلالاً باكستانياً لبنغلاديش، فنكل بباكستان، واعتبر الجيش الباكستانى الموجود فى بنغلاديش من الأسرى فأخذ يقتل فيهم وفى عام ١٣٩٥هـ قام انقلاب ضده وتولى مشتاق أحمد ولكن ما لبث أن كثرت الانقلابات فتولى خالد مشرف الرئاسة ثم عبد الستار محمد صايم ثم ضياء الرحمن عام ١٣٩٧هـ واغتيل فى انقلاب عسكرى عام ١٤٠١ وتسلم مكانه عبد الستار محمد صايم، ثم ما لبث أن حدث انقلاب عسكرى أبيض عليه عام ١٤٠٢هـ وتسلم الحكم حسين محمد إرشاد، ويتنازع على رئاسة الوزراء كل من خالدة ضياء والشيخة حسينة

اتفاقية سيملا:

عقدت القمة بين رئيس باكستان ذى الفقار على بوتو، ورئيسة الوزراء أنديرا غاندى التى تتحمل قدراً كبيراً من المسؤولية عما حدث لباكستان، واتفقوا فى مدينة سيملا على: استقلال بنغلاديش واستعادة باكستان (باكستان الغربية) لكافة ما فقدته أثناء الحرب ويقدر بـ ٨٦٢٠ كم^٢ باستثناء ما فقدته فى كشمير والتى تقدر بـ ٤٠٠ كم^٢، وأن تسترد الهند ما فقدته فى الحرب ويقدر بـ ٦٠٠ كم^٢.

أما فى باكستان فقد عم العنف السياسى، وطالبت المعارضة بإبعاد ذى الفقار على بوتو عن الحكم حتى قام انقلاب عسكرى ضده عام ١٣٩٧هـ، قاده قائد الجيش محمد ضياء الحق وتسلم منصب رئاسة الدولة عام ١٣٩٨هـ وفى نفس الوقت رئاسة الوزراء، وقرب إليه الجماعة الإسلامية حيث كان خاله أمير الجماعة الإسلامية، فأعطى بعض الوزارات إليهم، ولكنهم برغم ذلك عارضوه لتطبيقه لنظام الحكم العسكرى، وأعدم ذو الفقار على بوتو بتهمة قتل أحد معارضيه عام ١٣٩٩هـ، وحرص على العلاقات الطيبة مع أمريكا، وساعد المجاهدين الأفغان فى حربهم مع الروس، وفتح بلاده للاجئين الأفغان، وأمدهم بالسلاح وكانت أمريكا الممول الأول للسلاح، ليس لجبها للمسلمين ولكن لمنافستها لحلف وارسو، والحرب الباردة بينهما، وأواخر أيامه دعا لتطبيق الشريعة الإسلامية وقتل عام ١٤٠٩هـ بانفجار قنبلة، ولم يعلم حتى الآن من الذى وضع القنبلة، وتولى بعده غلام إسحاق خان وشكلت الوزارة.



خريطة دول الهند الآن

وضع المسلمين في الهند:

يعيش الآن في الهند ما يزيد عن ٩٠ مليون مسلم، يذوقون ألوان البأس والاضطهاد من الهندوس، من هدم للمساجد، وهتك للأعراض، وإزهاق للأرواح، وإبادة، وقد يتساءل البعض: لماذا لم ينتشر الإسلام في الهند مثلما انتشر في شمال إفريقيا وبلاد الفرس والروم وغيرها برغم أن المسلمين قد فتحوا الهند وحكموها عدة قرون؟ يرجع ذلك لعدة أسباب من أهمها: أن معظم المسلمين الذين حكموا الهند كانوا حديثي العهد بالإسلام، وكان أكثرهم

لا يطبق الشريعة الإسلامية في البلاد، ولم يكن لديهم التربية الإسلامية الكافية للدعوة إلى الإسلام، وإنما كان همهم الأكبر السيطرة والتحكم في البلاد، بالإضافة إلى الجهل باللغة العربية التي هي لغة القرآن، مما أدى إلى جهلهم بالكثير من أمور الدين.

كما سعى بعض الحكام المسلمين إلى كسب ود أهل البلاد بإعطائهم مطلق الحرية في دينهم وإقامة طقوسهم وعاداتهم التي يحرمها الإسلام، مثل حرق الزوجة بعد موت زوجها، والسماح بالزواج من المشركات، بل والسماح بزواج المسلمات من المشركين، وتحريم ما أحل الله، مثل تحريم ذبح الأبقار التي يقدسونها، ومن جانب آخر سعى بعض الحكام إلى إيجاد ما يطلق عليه العقيدة المشتركة بين الإسلام وغيره من الأديان في الهند، وكانوا يظنون أن ذلك سيثبت سلطانهم في البلاد ويرضى جميع الأطراف، ومن هنا ظهرت الكثير من الأديان بهذا الشكل مثل السيخ وغيرهم.

عمل الاستعمار الإنكليزي على اضطهاد المسلمين، والتعاون مع الهندوس ضدهم، وعمل على تضليل المسلمين بإنشاء المزيد من الفرق الضالة مثل القاديانية، والأحمدية، ودعمها باستمرار لإثارة الفتن، والتضليل بين المسلمين وحتى الآن يدعم الإنكليز هذه الفرق الضالة في العالم، وتبلغ نسبة المسلمين في الهند ١٤٪، وهي الديانة الثانية بعد الهندوكية، وتبلغ نسبة المسلمين في سريلانكا ٨٪ وفي نيبال حوالي ٤٪ وفي بوتان ٥٪ أما في باكستان وبنغلاديش والمالديف فأغلبية كاسحة للمسلمين، أما في كشمير فنتيجة لسياسة الهند الاضطهادية فيها قد وصلت نسبتهم إلى ٦٥٪، بعد أن كانت أكبر من ذلك بكثير، وتواجه بنغلاديش أخطار الفقر والجفاف والإرساليات التنصيرية إلى بلادها، وخاصة بعد انفصالها عن باكستان.

الباب السادس

الدولة العثمانية

ظل العثمانيون في حروب وجهاد ضد أعداء الإسلام أكثر من ستة قرون، ويكفيهم فخراً أنهم فتحوا القسطنطينية بعد أن عجز من سبقهم عن فتحها، واستطاعوا أن يفتحوا بلاداً لم يطأها أحد من المسلمين قبلهم، وامتدت فتوحاتهم إلى قلب أوروبا، ففتحوا اليونان ويوغسلافيا (الصرب والجبل الأسود الآن) والبوسنة والهرسك وألبانيا ومقدونيا وبلغاريا ورومانيا والمجر وبسارابيا (ملدافيا) وأوكرانيا وقبرص، وأجزاء واسعة من روسيا والنمسا وبولندا وسلوفاكيا وإيطاليا، كما أنهم فتحوا ما بقى من آسيا الصغرى (تركيا حالياً) وأرمينيا وجورجيا، وكافة بلاد القوقاز، وتوقفت فتوحاتهم عند أسوار فيينا.

الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى إلغاء الخلافة

نتناول في هذا الباب الدولة العثمانية والتي ظهرت منذ عام ٦٩٩هـ ولكنها لم تتسلم مقاليد الخلافة إلا في عام ٩٢٣هـ لتتحول من مجرد دولة إسلامية إلى مقر للخلافة الإسلامية، وحامى حمى الإسلام حتى انطوت صفحاتها في عام ١٣٣٧هـ.

ورغم أنها لم تشمل كل الأمصار الإسلامية إلا أنها ضمت أكثرها، وكانت محطاً لأنظار المسلمين في الأمصار التي تخرج عن نطاقها، بصفتها مقراً للخلافة وبصفة أن حاكمها خليفة للمسلمين، وأيضاً لكونها دولة من القوى العظمى آن ذاك في العالم إن لم تكن أعظمها.

ولعل من أهم أهداف هذا الباب - بعد معرفة هذه الفترة الزمنية الهامة من تاريخ المسلمين - هو إزالة التشويه الكبير الذى لحق بالخلافة العثمانية، والذى عكف عليه أعداء الإسلام فى أوروبا النصرانية، بدافع من حقدهم الصليبي الشديد على الإسلام، وللأسف الشديد تبعهم الكثير من مؤرخى المسلمين بسبب التقليد الأعمى لأوروبا، باعتبارها رمزا للحضارة العصرية، وتقدمها فى مختلف علوم المعرفة «والله لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه وراءهم».

وقد يتبادر إلى الذهن سؤال هام هو: لماذا بالذات هذا الكم الكبير من التشويه فى حق الخلافة العثمانية مقارنة بأى خلافةٍ أخرى فى تاريخ المسلمين؟

لقد كان العثمانيون يقاتلون أوروبا، حتى قيل إنهم كانوا يجاربون فى الجهات الأربع الأصلية فى سبيل الإسلام فى وقت واحد، فمن الغرب يقاتلون امبراطورية النمسا، والإسبان فى المغرب العربي، ومن الجنوب يقفون فى وجه البرتغاليين فى الجزيرة العربية، ويضغطون على الروس من الشمال ليخففوا من

وطأتهم على التتر والشراكسة المسلمين، ومن الشرق يجاربون الشيعة الذين عقدوا حلفاً مع الصليبيين لمحاربة أهل السنة والجماعة بصفة عامة، والخلافة العثمانية بصفة خاصة.

فماذا تنتظر -أخى المسلم- من نصارى أوروبا إلا التشويه للخلافة العثمانية، لقد سجلوا كل سلبية لها، وبالغوا فيها وجاءوا بكثير من الافتراءات، وتجاهلوا تماماً إيجابياتها بل وعدّوا الحكم العثماني استعماراً دخل بلاد المسلمين بالقوة والقهر، لكي يحدثوا الفتنة بين المسلمين، ويفرقوا شملهم وأثاروا العرب خاصة إلى مناهضة العثمانيين.

فالخلافة حسب دعواهم يجب أن تكون محصورة في العرب، ونسى بعض العرب قول رسول الله ﷺ: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى».

وأخذ الأوروبيون يصورون كل حركة ضد العثمانيين نصراً سواء كانت للمسلمين أو النصارى، ويصفون القائم بها بالإخلاص والوطنية، حتى لو كان القائمون بها من قطاع الطرق.

وجاء الأوروبيون بأفكار القومية ليشتتوا ويفرقوا المسلمين، حتى يتكون المناخ الملائم لأوروبا، لكي تلتهم الأمصار الإسلامية الواحدة تلو الأخرى، وبسبب النجاح الكبير الذي حققته أوروبا في تفريق المسلمين والوصول بهم لحالة من التأخر والتخلف، اتجهت أنظار الكثير من المسلمين إلى أوروبا كنموذج للتقدم والازدهار، وأقبل عليها الكثيرون من طلبة العلم من بلاد المسلمين الذين يجهلون الكثير عن أمور دينهم، فنقلوا ما تعلموه من ضلال وتشويه حرفياً وكتبوا المناهج الدراسية والتاريخ بما أملاه عليهم أعداء الإسلام، فكانت النتيجة أن هيمنت فكرة على كثير من المسلمين، وهي أن الخلافة العثمانية هي المسئولة كلية عما وصل إليه المسلمون من تخلف وضياع، وأن الوسيلة الوحيدة

للنهوض بالأمة الإسلامية هي التقليد الأعمى لأوروبا، لكى تصل إلى ما وصلت إليه من تقدم وازدهار، ونسى المسلمون أنه ما كانت لتقوم لهم قائمة فى الأرض إلا بتمسكهم بدينهم، وأن ما لحق بهم من ذل ودمار كان نتيجة طبيعية لتركهم دينهم وحب الدنيا والانغماس فى الشهوات.

ولا نقول إن الخلافة العثمانية كانت تمثل الإسلام بشكل صحيح، أو كانت تخلو من الأخطاء، بل نقول إن لها سلبيات وإيجابيات، شأنها شأن الخلافة منذ عهد الأمويين، وحتى العهد العثماني، فهكذا كل عصر له إيجابياته وسلبياته التى يجب أن نبرزها لكى نستفيد بالإيجابيات، ونتعلم من الأخطاء فلا نكررها. ولنبدأ فى تناول هذه الصفحة اللامعة من تاريخ المسلمين.

نبذة عن الترك:

قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة أن جمهورية تركيا الحالية (آسيا الصغرى سابقاً) هى الوطن الأصلي للأتراك التى ترجع إليها أصولهم، ولكن هذه المعلومة خاطئة تماماً، فالأتراك موطنهم الأصلي هو بلاد تركستان الموجودة بأواسط آسيا، التى تمثل أراضيها الآن جمهوريات قازاقستان وتركمانستان وطاجكستان وقيرغيزستان وأوزبكستان، والتى استقلت مؤخراً عن الاتحاد السوفيتى السابق، بالإضافة إلى جزء تحتله الصين حتى الآن يعرف بتركستان الشرقية، والذى تطلق عليه الصين إقليم سيكيا نغ، أى الولاية الجديدة، ويوجد جزء آخر من بلاد تركستان فى كل من إيران وأفغانستان، والذى كان يعرف سابقاً بخراسان، حيث تقسمه كل من إيران وأفغانستان وجمهورية تركمانستان السابق ذكرها.

والسؤال الآن كيف انتقلت بعض قبائل الترك إلى آسيا الصغرى (الأناضول)؟

يرجع الترك إلى الجنس المغولى (ذوى البشرة الصفراء) (أو أبناء يافث بن نوح) الذى يضم معظم قارة آسيا مثل الصينيين واليابانيين والمغول والتتر والملايو وغيرهم.

وكان الترك معروفين ببأسهم الشديد، وقدرتهم الحربية الفائقة نظراً لقسوة البيئة التي يعيشونها، حيث المرتفعات والأودية الجافة والصحارى ويشاركهم فى ذلك أبناء جلدتهم المغول والتر، وكانوا قبل الفتح الإسلامى يعبدون الأوثان والكواكب.

وفى عصر الدولة الأموية فتح المسلمون هذه البلاد، ودخل أهلها فى دين الله أفواجاً وتوارد على فتحها قادة مسلمون ذوو حماسة شديدة للإسلام، أشهرهم قتيبة بن مسلم الباهلى وآل المهلب الذين ولأهم الحجاج بن يوسف الثقفي، وأعز الله الإسلام بالترك.

نعود إلى السؤال الذى طرحناه منذ قليل، وهو: كيف وصلت بعض قبائل الترك إلى آسيا الصغرى؟ الإجابة أنه فى عهد الدولة العباسية زاد نفوذ الترك، فقد عمل العباسيون على توطين أقسام من جيش خراسان فى الأجزاء الأناضولية التابعة لهم والمتاخمة للإمبراطورية البيزنطية، وكانت الحدود بينها وبين الخلافة العباسية يطلق عليها الثغور، والتى كانت مسرحاً للقتال بين الطرفين، وكان الخليفة المهدي يستقدم الأتراك من فرغانة (فى جمهورية قيرغيزستان الآن) وبلخ (فى خراسان)، ويسكنهم الثغور مثل طرطوس وأضنة ومرعش وخرشنة وغيرها، وكلها فى المناطق الجبلية الفاصلة بين المسلمين والروم، وزاد عدد الترك فى هذه المناطق فى عهد المأمون والمعتمد.

وفى عهد المتوكل أصبح الأتراك هم عماد الجيش فى الدولة، وأصبحت الثغور الأناضولية تحت إمرتهم، وكانوا يخضعون للخليفة العباسى تارة، أو للحمدانيين فى حلب تارة، أو للطولونيين فى مصر تارة أخرى، ورغم هذا الانقسام فإن القتال لم ينقطع بين المسلمين والروم وكانت الحروب سجلاً بين الطرفين.

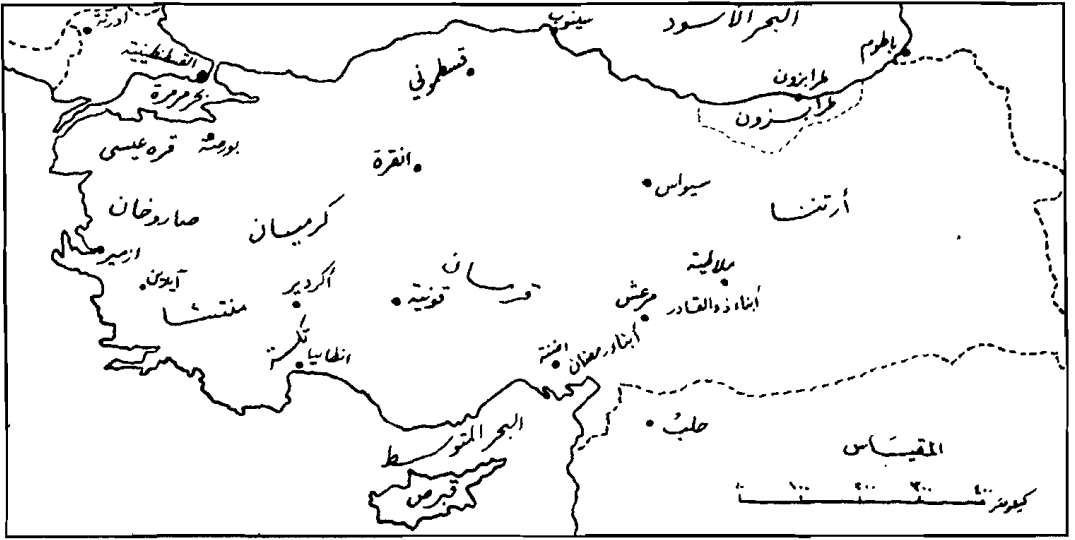
وفى مراحل ضعف الدولة العباسية ظهرت دولة السلاجقة، وهم من

الأتراك، وكانوا على صراع دائم مع الروم، ومن أبرزهم ألب أرسلان الذي انتصر على الروم انتصاراً حاسماً في معركة ملاذكرت عام ٤٦٣هـ.

وانساح السلاجقة بعد تلك المعركة في الأناضول، وأسسوا إمارات كثيرة واستطاع السلاجقة المنتشرون في الأناضول أن يقدموا للمسلمين آثاراً إيجابية كثيرة منها: استرداد بعض الأجزاء من الروم التي سبق أن أخذوها من المسلمين، وفتح كثير من أراضي الأناضول، وزاد التوسع والانتشار كثيراً في أيام ملكشاه بن أرسلان، وبقيت بعض الإمارات الصليبية في الأناضول تم فتحها بالكامل في عهد العثمانيين.

وعندما جاء الهجوم المغولي على بلاد المسلمين خاف بعض الحكام وتحالفوا للأسف الشديد مع المغول الكفرة ضد أبناء عقيدتهم المسلمين.

ووقعت بلاد السلاجقة بيد المغول، واستسلم أمراؤها لهم وصاروا معهم حرباً على المسلمين ثم هزم المغول في عين جالوت سنة ٦٥٨هـ وخرجوا بعدها من بلاد الشام، فسار الظاهر بيبرس عام ٦٧٥هـ إلى بلاد السلاجقة لينتقم منهم، والتقى بهم وبجلفائهم المغول والكرج في معركة البستان، وانتصر عليهم، ثم سار ففتح عاصمتهم قيصرية، ومع ضعف المغول زالت دولة سلاجقة الروم، وقامت عدة إمارات في الأناضول، منها أبناء أيدين، وأبناء تركة، وأبناء أرتنا، وأبناء كرميان، وأبناء حميد، وأبناء أشرف قره عيسى، وأبناء صاروخان، وأبناء منتشا، وأبناء جانبدار (أسفنديار)، وأبناء بروانة، وأبناء صاحب آتا، وأبناء قرمان، وأبناء رمضان، وأبناء ذى القادر.



الإمارات السلجوقية في الأناضول قبل قيام الدولة العثمانية

وكادت الأناضول أن تصاب بمثل ما أصيب به المسلمون في بلاد الأندلس وبلاد التتار، نتيجة لتفرق المسلمين ومحاربتهم لبعضهم البعض، والاستعانة بأعداء الإسلام على المسلمين، رغم ما حذرنا منه الله عز وجل من آثار التفرق في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

ولكن الله -عز وجل- قيض للأناضول العثمانيين الذين استطاعوا توحيد إماراتها، ونجت بإذن الله، من ويلات التفرق كما سنعلم في الصفحات التالية.

نشأة الدولة العثمانية:

مع زيادة الضغط المغولي القادم من الشرق على الأمصار الإسلامية لجأت الكثير من القبائل إلى الهجرة إلى الغرب هرباً من بربرية المغول، وهجومهم الوحشي، ومن ضمن هذه القبائل قبيلة قاتي التركمانية برئاسة سليمان شاه بن قيا لب، وكان موطنها بالقرب من مرو قاعدة بلاد التركمان فاتجهت القبيلة إلى

الغرب، حتى وصلت إلى خلاط شمال بحيرة وان، وهدأ الزحف المغولي فرغب سليمان في الرجوع إلى موطنه الأصلي، وفي طريق عودته وأثناء عبوره لنهر الفرات غرق فيه، واختلف أبناؤه الأربعة في الوجهة التي يتجهون إليها، فحقق الأخوان سنغور تكن وكون طوغور رغبة والدهما في العودة إلى موطن أبيهم وأما الآخران أرطغرل ودندان فقد اتجها إلى الشمال، وتولى أرطغرل زعامة أفراد القبيلة الذين بقوا في الأناضول، وبعث أرطغرل ابنه ساوجي ليطلب من الأمير علاء الدين السلجوقي، أمير إمارة القرمان التي مركزها مدينة قونية أن يعطيه أرضاً تعيش فيها القبيلة، ولكنه توفي في الطريق، وفي هذه الأثناء لاحظ أرطغرل جيشين يقتتلان؛ أحدهما مسلم - وكانت عليه علامات الهزيمة والضعف - وجيش بيزنطي نصراني يكاد ينتصر، فأسرع بعاطفته الإسلامية لیساعد الجيش المسلم، واستطاع بفضل الله أن يحول الهزيمة إلى نصر، وكان الجيش المسلم تحت إمرة الأمير علاء الدين والذي سعد بأرطغرل وأقطعه أرضاً على حدود بلاد الروم (الدولة البيزنطية) ليصد غاراتهم ويغير عليهم، وكان في كل انتصار يحققه عليهم يقطعه الأراضي التي فتحها.

وكان لأرطغرل ابن اسمه عثمان كان يتردد على رجل صالح يتحدث معه، وفي إحدى الزيارات رأى عثمان ابنة الرجل الصالح فأسرتّه، فطلب نكاحها من أبيها فرفض أبوها، فحزن عثمان لذلك حزناً شديداً، وفي يوم من الأيام إذ هو في سبات عميق إذا بجلسم عجيب يراه في منامه ما إن استيقظ منه حتى ذهب إلى الرجل الصالح فقص عليه الحلم، فوافق الرجل على زواجه من ابنته، وكان الحلم أنه رأى القمر سعد من صدر هذا الرجل الصالح وصار بداراً ثم نزل في صدر عثمان ثم خرجت من صلب عثمان شجرة نمت في الحال حتى غطت الأجواء بظلمتها عبر جبال القوقاز والبلقان وطوروس وأطلس، وخرج من جزعها أنهار دجله والفرات والنيل والطنونه

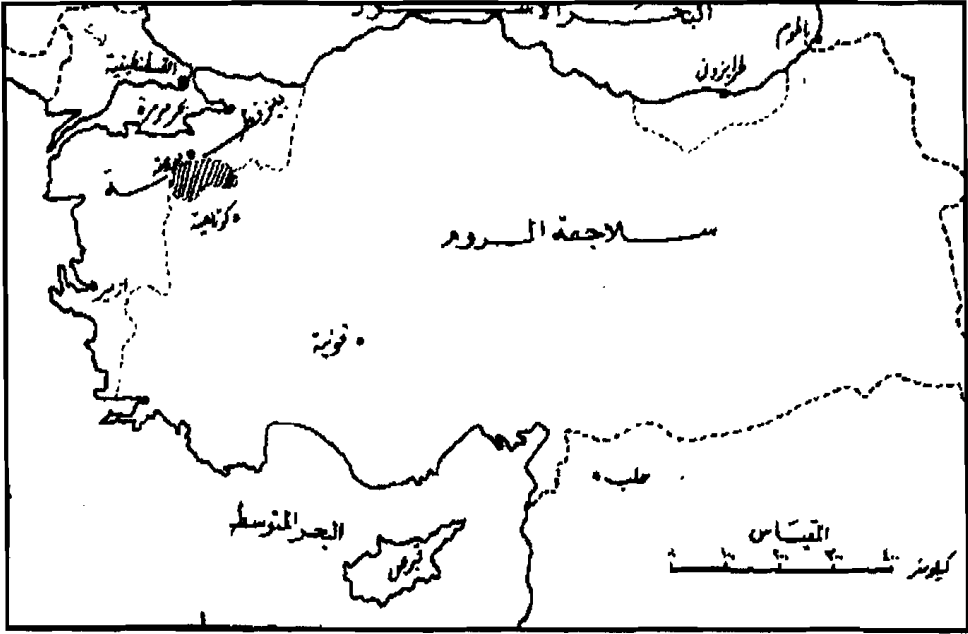
(فى البلقان) ورأى ورق هذه الشجرة كالسيوف، تحولها الريح نحو مدينة القسطنطينية، فعند سماع الرجل الصالح هذا الحلم تفاعل وزوجه ابنته. وبشره بأن أسرة عثمان ستحكم العالم.

السلطان الغازى عثمان الأول

(٦٩٩ - ٧٢٦هـ)

ولما توفى أرطغرل سنة ٦٨٧هـ تولى عثمان مكانه فبدأ يوسع أملاك القبيلة بموافقة علاء الدين أمير القرمآن، وفى سنة ٦٩٩هـ أغار المغول على إمارة القرمآن ففر من وجههم علاء الدين إلى بلاد بيزنطة ومات فى هذا العام، وتولى من بعده ابنه غياث الدين ثم قتل المغول غياث الدين، فأفسح المجال لعثمان لكى يستقل بما تحت يديه من أراضى ويقيم الدولة العثمانية التى نسبت لاسمه، واتخذ لها عاصمة هى مدينة بنى شهر أى المدينة الجديدة (اسكى شهر سابقاً)، واتخذ راية له هى علم تركيا حتى الآن، ودعا عثمان أمراء الروم فى آسيا الصغرى إلى الإسلام فإن أبوا فعليهم أن يدفعوا الجزية، فإن رفضوا فالحرب، فخشوا على أملاكهم منه واستعانوا بالمغول عليه، غير أن عثمان قد جهز جيشاً بإمرة ابنه الثانى أو رخان، وسيره لقتال المغول، فشنت شملهم ثم عاد وفتح مدينة بورصة عام ٧١٧هـ وأمن أهلها وأحسن إليهم فدفعوا له ٣٠,٠٠٠ من عملتهم الذهبية، وأسلم حاكمها أفرينوس، وأصبح من القادة البارزين ثم توفى عثمان فى عام ٧٢٦هـ وقد عهد لابنه أورخان بالحكم بعده، ودفن بمدينة بورصة التى أصبحت مدفن العائلة العثمانية بعد ذلك.

مما هو جدير بالذكر أن لفظ الغازى بمعنى المجاهد، وقد اتخذ السلطان عثمان هذا اللقب واتخذ شعاراً يسير عليه هو «إما غازٍ وإما شهيد» وقد تبعه فى ذلك الكثيرون من سلاطين الدولة العثمانية.



خريطة المنطقة التي قامت عليها الدولة العثمانية

السلطان الغازي أورخان الأول (٧٢٦ - ٧٦١ هـ)

على الرغم من أنه الابن الثاني لعثمان، إلا أن أباه قد أوصى بالحكم إليه من بعده، لاتصافه بعلو الهمة والشجاعة، بينما لم يوص لابنه الأكبر علاء الدين لميله للعزلة والورع، ولم يخالف علاء الدين الوصية فقدّره أخوه أورخان وسلمه الأمور الداخلية، وتوجه أورخان لتوسيع رقعة الدولة والأعمال الخارجية ونقل أورخان عاصمة البلاد إلى مدينة بورصة.

الإصلاحات الداخلية ووضع نظام للجيش:

قام علاء الدين بضرب العملة من الفضة والذهب، ووضع نظاماً للجيش وجعلها دائمة؛ حيث كانت الجيوش قبل ذلك لا تجمع إلا وقت الحرب وتصرف بعده، وخشى من تحزب كل فريق من الجند للقبيلة التابع إليها فأشار عليه (قرة خليل) والذي صار وزيراً بعد ذلك باسم خير الدين باشا بأخذ

الأطفال المشردين والأطفال الذين فقدوا آباءهم فى الحرب من الروم وتربيتهم تربية إسلامية وتدريبهم على فنون القتال فى ثكنات عسكرية؛ بحيث لا يعرفون حرفة إلا الجهاد فى سبيل الله ولا يعرفون إلا السلطان سيداً لهم، فمن جهة يجمعونهم من التشرد والانحراف والضياع، ومن جهة أخرى يدخلون فى الإسلام ويكونون رداء ضد أعدائه، وأطلق عليهم بى تشرى أى الجيش الجديد وحرفت بالعربية لتكون انكشارية، وغدا هذا الجيش قوة كبيرة ساعدت فى مد الفتوحات العثمانية فى أوروبا، وهذا ما أثار نصارى أوروبا وبلغ حقدهم الصليبي أوجه؛ حينما تمثلت أمامهم حقيقة أن هذا الجيش يمثل أبناءهم الذين لم يكتفوا باعتناق الإسلام بل تحولوا لقتالهم وفتح بلادهم، وعكف المؤرخون النصارى على تشويه صورة الانكشارية فى التاريخ، واتهموا الدولة العثمانية بأخذ الأطفال من آباءهم قهراً وإجبارهم على اعتناق الإسلام وهذه إحدى الافتراءات على العثمانيين.

ومع توارد السلاطين فى الدولة العثمانية ظهر منهم الضعفاء الذين سمحوا للانكشارية بالتدخل فى شئون الحكم، وأدى ذلك إلى زيادة نفوذهم فى الحكم وتحولهم إلى طريق الفساد والهزيمة حتى قُضى عليهم سنة ١٢٤٢هـ فى عهد الخليفة محمود الثانى.

كما اهتم أورخان بإعمار البلاد، ففتح المدارس وسن الأنظمة اللازمة لاستتباب الأمن بالداخل، وأكثر من بناء المساجد والتكايا وأجزل العطايا للعلماء والشعراء.

فتوحات أورخان (الشئون الخارجية):

وواصل أورخان فتوحاته، ففتح أزمير وأزنيق وإمارة قره سى التى مات حاكمها فاختلف ولداه، فضمها أورخان كى لا تقع فريسة بيد الروم (كلها مناطق فى

الأناضول) وكان أورخان إذا فتح مدينة عامل أهلها باللين والرفق ولم يعارضهم فى إقامة شعائر دينهم وأذن لمن يريد الهجرة بأخذ كافة منقولاته وبيع عقاراته.

الزواج من الأجنيبات:

وفى عام ٧٥٦هـ طلب إمبراطور بيزنطة يوحنا الخامس من السلطان أورخان مساعدته ضد إمبراطور الصرب أصطفان دوشان، الذى تحالف مع البندقية والإمارات الصربية للهجوم على القسطنطينية، على أن يزوجه بابنة الوصى على العرش يوحنا كانتا كوزين، والتى أختها زوجة لإمبراطور بيزنطة أى يصبح عديلاً للسلطان، ووافق أورخان إلا أن أصطفان قد أدركه الموت والجنود العثمانية فى الطريق فعادوا إلى بلادهم وتمت الزيجة، ومما هو جدير بالذكر أن زواج السلاطين من الأجنيبات النصارى قد انتشر بصورة كبيرة فى عهد الدولة العثمانية، فقد سبق لعثمان الأول الزواج من مسيحية من فليقيا وسبق لأورخان الزواج من فتاه يونانية مسيحية، وتبعهم الكثير من السلاطين العثمانيين فى ذلك، وكان ذلك من سليات الدولة العثمانية، حيث تمسك كثير من الزوجات النصرانيات بدينهن، واستغلن منصبهن كزوجة للسلطان فى التعصب لأبناء جلدتهن ومن على دينهن من رعايا الدولة العثمانية.

العبور للبر الأوروبى:

لاحظ أورخان ضعف الدولة البيزنطية، وانكماش رقعتها فقرر النزول إلى الشاطئ الأوروبى وفتح الأراضى التى تقع غرب القسطنطينية تمهيداً لفتحها، حيث إن المسلمين حاولوا فيما سبق فتحها من جهة الشرق، ولكنهم فشلوا فانطلق ابن أورخان الكبير سليمان مع أربعين من رجاله الأبطال، وعبروا للشاطئ الأوروبى، واستولوا على الزوارق هناك، ثم عادوا إلى الشاطئ الشرقى حيث لم يكن لدى الدولة أسطول فى ذلك الوقت، ثم انطلقوا مره أخرى إلى

الشاطئ الأوروبى فاتحين، فسيطروا على قلعة تزنب وشبه جزيرة غاليبولى ذات القلاع الهامة وبها تحكّموا فى مضيق الدردنيل وفى عام ٧٦٠هـ، توفى سليمان ولى العهد والقائد الفذ نتيجة سقوطه عن جواده وفى العام الثانى توفى أورخان وتولى الحكم ابنه الثانى مراد الأول.



الدولة العثمانية فى عهد أورخان الأول

السلطان الغازى مراد الأول

(٧٦١ - ٧٩١هـ)

الشئون الخارجية فى الأناضول:

كانت سياسة مراد الأول الخارجية متمثلة فى توسيع رقعة الدولة العثمانية، سواء من جهة الأناضول أم من جهة أوروبا، ولأن جهات الأناضول تحتوى على إمارات مسلمة فقد حاول بقدر الإمكان ضمها بالطرق السلمية كما

سنرى، مثل مصاهرة الأمراء؛ وذلك لأنه أراد توحيد المسلمين لمنازلة أعداء الإسلام؛ ولأن الجيش المسلم كان شديد الحماسة للجهاد في أوروبا أما في الأناضول فكان الجيش قليل الحماسة حتى قيل إن الجنود كانوا يساقون للقتال في الأناضول.

عندما تسلم السلطان مراد الأول الحكم واجه عداوة أمير القرمات (علاء الدين)، الذي استنهض همم الأمراء المستقلين في الأناضول لمحاربة الدولة العثمانية، فأعد السلطان مراد الأول جيشاً استطاع به دخول أنقرة عاصمة إمارات القرمات، واضطر علاء الدين أن يتنازل عن أنقرة للعثمانيين حتى يحافظ على بقية أملاكه وتزوج السلطان ابنة علاء الدين.

ومع ذلك لم تبرد نار الحقد في قلب الأمير علاء الدين، وانتظر الوقت المناسب حتى يعاود الكرة في الهجوم على الدولة العثمانية حتى إذا أعد العدة واتحد معه بعض الأمراء المستقلين في الأناضول، وقاموا بحرب ضد الدولة العثمانية في سنة ٧٨٧هـ فأرسل لهم مراد الأول جيشاً انتصر عليهم في سهل قونية، وأسر الأمير علاء الدين غير أن ابنته قد توسطت له عند السلطان فعفا عنه، وأبقى له إدارته ولكنه فرض عليه مبلغاً من المال سنوياً.

زوج السلطان ابنه يزيد من ابنة أمير كرميان، فقدم الأب مدينة كوتاهيه لابنته، فضمت إلى الدولة العثمانية وفي عام ٧٨٢ ألزم أمير دويلة الحميد بالتنازل عن أملاكه للدولة العثمانية.

في أوروبا:

وفي عام ٧٦٢هـ فتح العثمانيون مدينة أدرنه في الجزء الأوروبي، ونقل مراد إليها عاصمته لتكون نقطة التحرك والجهاد في أوروبا، وقد ظلت عاصمة للعثمانيين حتى فتحوا القسطنطينية عام ٨٥٧هـ.

كما تم فتح مدينة فلبيه (جنوبى بلغاريا اليوم) وكلجمينا و وردار، وبذلك صارت القسطنطينية محاطة بالعثمانيين من كل جهة فى أوروبا.

وخاف أمراء أوروبا الذين يجاورون العثمانيين من المد العثمانى، فكتبوا إلى البابا يستنجدونه وذهب إمبراطور القسطنطينية إلى البابا، وركع أمامه وقبل يديه ورجليه وطلب منه الدعم، برغم أن الإمبراطور على المذهب الأرثوذكسى والبابا على المذهب الكاثوليكي، وهما شديدا الاختلاف والعداوة، ولكنهما ضد الإسلام يتحدثون، فلبى البابا النداء وراسل ملوك أوروبا، يطلب منهم الاستعداد لشن حرب صليبية جديدة لوقف المد الإسلامى فى قلب أوروبا ولم ينتظر ملك الصرب (أوروك الخامس) دعم البابا، وانطلق فى اتجاه أدرنه هو وأمراء البوسنة والأفلاق (جنوبى رومانيا) وأعداد من فرسان المجر المرتزقة الذين رحبوا بالإغارة على العثمانيين، مستغلين انشغال السلطان ببعض حروبه فى الأناضول، غير أن الحامية العثمانية فى أوروبا اصطدمت بهم على نهر مارتيزا الذى يمر بأدرنه، وهزمتهم هزيمة منكرة فولوا الأدبار، وخشيت إمارة راجوزة الواقعة على سواحل دلماسيا المطلة على البحر الادرياتيكي من قوة العثمانيين، فأبرمت صلحاً مع الدولة العثمانية تدفع بموجبه جزية سنوية قدرها ٥٠٠ دوكا ذهباً.

اتفق ملك الصرب لازار بلينا نوفيتش وأمير البلغار سيسمان على قتال العثمانيين، ولكن بعد مناوشات خفيفة مع العثمانيين أدركوا مدى ضعفهم مقارنة بالعثمانيين، فاضطروا إلى دفع جزية سنوية وتزوج السلطان بابنة أمير البلغار.

نتيجة لتأخر الصرب والبلغار فى دفع الجزية اندفعت إليهم الجيوش العثمانية، ففتحت بعض المدن الصربية فى جنوبى يوغوسلافيا اليوم، وتمكنت من فتح مدينة صوفيا عام ٧٨٤هـ بعد حصار ثلاث سنوات وتم فتح مدينة سالونيك المقدونية التى تقع فى اليونان الآن.

حرم إمبراطور بيزنطة يوحنا باليوج ابنه اندرونيكوس من ولاية العهد؛ لأنه اتحد مع ساوجي بن السلطان مراد الذى أعلن التمرد على أبيه فأرسل السلطان لهم جيشاً قتل ساوجي وراسل السلطان الامبراطور البيزنطى الذى قتل بدوره اندروبيكوس أيضاً.

واقعة قوص أوه (كوسوفو) ٧٩١هـ:

استغل الصرب انشغال العثمانيين بمحاربة الأمير علاء الدين فى الأناضول، وقاموا بهجوم على الدولة العثمانية، واستطاعوا أن يحققوا بعض الانتصارات فى جنوب الصرب مما شجع أمير البلغار وسيسمان للهجوم على الدولة العثمانية، ولكن الجيوش العثمانية داهمته ففر إلى الشمال واعتصم فى مدينة نيكوبلى فى شمال بلغاريا، وجمع ما بقى من جيوشه وهجم على القوات العثمانية فهزم شر هزيمة ووقع أسيراً ولكن السلطان أحسن إليه وأبقاه أميراً على نصف بلاده وضم النصف الآخر للدولة العثمانية، ولما علم ملك الصرب ما لحق بسيسمان انسحب بجيوشه إلى الغرب، فأدركته الجيوش العثمانية والتقت معه فى موقعة قوص أوه أو سهل كوسوفو (إقليم يحاول الاستقلال عن يوغوسلافيا الآن وتسكنه أكثرية ألبانية مسلمة) وكان القتال سجلاً بين الطرفين حتى انحاز صهر الملك لازار إلى جانب المسلمين بفرقة البالغ قوامها ١٠٠٠٠٠ مقاتل فانهزم الملك لازار، وقتله المسلمون بسبب ما فعله من أفاعيل دنيئه بأسرى المسلمين.

وبينما يتفقد السلطان مراد الأول القتلى الصرب قام إليه جندى صربى من بين الجثث وطعنه بمخنجره فصرعه وقتل الجنود العثمانيون الصربى على الفور. وما يذكر فى هذه المعركة دعاء السلطان مراد الأول فى الليلة التى سبقت يوم المعركة:

(يا إلهى إننى أقسم بعزتك وجلالك أنى لا أبتغى من جهادى هذه الدنيا الفانية، ولكنى أبتغى رضاك ولا شيء غير رضاك، يا إلهى قد شرفتنى بأن هديتنى إلى طريق الجهاد

في سيلك فردني تشریفاً بالموت في سيلك).

الشئون الداخلية في عهد مراد الأول:

نظمت فرقة الخيالة والتي عرفت بسبياه أو السباهية أو الفرسان، بحيث يعطى لكل فارس جزءاً من الأرض إقطاعاً له. والمقيمون في هذه الأرض مسلمون كانوا أم نصارى يدفعون له خراجاً في وقت السلم، ويجهزونه بقدر المستطاع وقت الحرب ويجهزون جندياً آخرًا معه، وبرغم الخدمات التي قدمها هذا النظام في بداية الأمر إلا أنه جعل الجنود أصحاب نفوذ، وتسلط الكثير منهم على الموجودين بالأرض فقموا عليهم وبالتالي على الحكم.

السلطان الغازي بايزيد الأول

(٧٩١ - ٨٠٤هـ)

تسلم الحكم وهو يبلغ من العمر ٣٠ عامًا واشتهر بدوام الجهاد والحماسة الشديدة للإسلام حتى لقب باسم (يلدرم) أي الصاعقة لإقدامه وانقضاضه المفاجئ على العدو.

نشاطه في الأناضول:

في عام ٧٩٣هـ ضم إمارات منتشا وآيدين وصاروخان دون قتال، ولجأ أبناء حكامها إلى قسطنطيني عاصمة إمارة اسفنديار، كما فتح مدينة الأشهر آخر المدن للروم في غرب الأناضول، كما تنازل له أمير القرممان علاء الدين عن جزء من أملاكه بدلاً من ضياعها كلها.

واشتهر علاء الدين بالمرأعة والخيانة كما سبق في عهد السلطان مراد الأول، فاستغل انشغال السلطان بايزيد بالجهاد في أوروبا وهاجم العثمانيين واستطاع أن يسترد بعض الأراضي التي تنازل عنها، وأسر كبار القادة العثمانيين

فى الأناضول، فأسرع إليه الصاعقة بايزيد فهزمه وأسره هو وولديه، وبذلك انتهت إمارة القرمآن، ولحقها إمارة سيواس وتوقات ثم شق طريقه إلى إمارة اسفنديار ملجأ الفارين من أبناء الأمراء، فطلب من أمير اسفنديار تسليم الأمراء الفارين فأبى، فانقض عليه بايزيد وضم بلاده إليه، والتجأ الأمير إلى تيمورلنك الذى سيرد ذكره بعد قليل.

جهاده فى أوروبا:

عين السلطان بايزيد الأمير اصطفان بن لازار ملكاً للصرب، وسمح له بالاستقلال مقابل دفع جزية سنوية، ومساعدته هو وجنوده فى أى وقت يطلبهم، وتزوج السلطان بايزيد أوليفير أخت اصطفان.

اتجه إلى القسطنطينية عام ٧٩٤هـ وحاصرها، فهو بذلك أول سلطان عثمانى يحاصر القسطنطينية، وتركها محاصرة ثم انطلق إلى الأفلاق وأجبر حاكمها على معاهدة يعترف فيها بسيادة العثمانيين على بلاده مقابل جزية يدفعها سنوياً.

ضم السلطان بايزيد الأول نصف بلاد البلغار المتبقى بعد موت ملكها سيسمان، وأسلم ابنه فأخذه السلطان وجعله والياً على صامسون وبذلك أصبحت بلغاريا ولاية عثمانية.

دب الذعر فى أوروبا من انتصارات الدولة العثمانية، واستغاث ملك المجر بالبابا ونصارى أوروبا فأعلن البابا قيام حرب صليبية على العثمانيين، واستجاب له دوق بورغونيا (تقع فى شرق فرنسا) وأمراء النمسا وبارفاريا (جنوب ألمانيا) وفرسان القديس يوحنا، الذين أخرجوا من عكا ثم إلى قبرص ثم رودس فمالطة، وسار الجميع فى عام ٧٩٨هـ وحاصروا مدينة نيكويلى شمال بلغاريا، ووصل جيش العثمانيين وكان بقيادة أمير الصرب أصطفان، ومعه كثير من النصارى الخاضعين للدولة العثمانية والجنود العثمانيين، والتقى

الجمعان وهزم الجيش الصليبي هزيمة منكرة، وأسر الكثير من أمراء أوروبا فى هذه المعركة، منهم دوق بورغونيا الذى فدى نفسه بفدية كبيرة وأقسم للسلطان بايزيد ألا يقاتله أبداً مادام حيا فرد عليه بايزيد بقولته الشهيرة: (أنى أجزى لك ألا تحفظ هذا اليمين فأنت فى حل من الرجوع لمحاربتى إذ لا شيء أحب إلى من محاربة جميع مسيحي أوروبا والانتصار عليهم).

وبعد هذا الانتصار دفع إمبراطور بيزنطة ١٠٠٠٠٠ دينار ذهبية مقابل فك العثمانيين للحصار المفروض على القسطنطينية، وسمح للمسلمين ببناء مسجد لهم فيها.

الحرب مع تيمورلنك وتجزؤ الدولة العثمانية

نتصور فيما ذكرناه حتى الآن عن الدولة العثمانية أننا نعيش فى حلم جميل لا نريد الاستيقاظ منه، فإذا بنا نفاجا بكابوس مفزع يصرفنا مؤقتا عن الحلم الجميل.

يأتى ذكر هذا الكابوس المفزع مع قدوم الهجوم الشرس الذى يشنه تيمورلنك من الشرق على الأمصار الإسلامية وتيمورلنك كما أوردنا فى تاريخ التتر المسلمين أنه ينتسب للإسلام اسماً فقط وقد جعل منه أعداء الإسلام سلاحاً من أسلحتهم المتعددة، يشوهون به الإسلام والإسلام بريء من أفعاله.

عندما وصل تيمورلنك إلى بغداد وخربها عن آخرها فر أميرها إلى السلطان بايزيد، فأرسل إليه تيمورلنك يطلب تسليم الأمير الفار، فرفض السلطان بايزيد فانطلق تيمور إلى الدولة العثمانية ودخل مدينة سيواس، وقتل الأمير أرطغرل بن السلطان بايزيد الأول، وأخذ يتوغل فى الدولة العثمانية حتى التقى بجيشه البالغ قوامه ٨٠,٠٠٠ مع الجيش العثماني البالغ ١٥٠,٠٠٠ فى أنقرة سنة ٨٠٤هـ واستمرت المعركة من قبل شروق الشمس إلى ما بعد غروبها، ولكن أثناء المعركة انضمت من جيش السلطان بايزيد فرق آيدين ومنتشا وكرميان

وصاروخان إلى جيش تيمورلنك فانهزم السلطان بايزيد ووقع هو وابنه موسى في الأسر واختفى ابنه مصطفى وفر أبناؤه سليمان وعيسى ومحمد، وحاول السلطان بايزيد الفرار ٣ مرات ولكنه فشل فشلاً ذريعاً فأصابه الحزن الشديد من الإهانة التي لحقت به، وتوفى في عام ٨٠٥هـ وقيل أنه انتحر.

استولى تيمورلنك على بقية أراضي الدولة العثمانية في الأناضول، ولم يتركها إلا وقد عادت الإمارات التي كانت موجودة فيها قبل أن تضمها الدولة العثمانية إلى التجزؤ من جديد.

وانتهزت الولايات الأوروبية التي تحت الحكم العثماني ما حل بالدولة فأعلنت استقلالها، وهي البلغار والصرب والأفلاق فانكشمت الدولة العثمانية. ومما زاد الدولة تمزقاً تنازع أبناء السلطان بايزيد على السلطة، فاستقل سليمان بالجزء الأوروبي من الدولة العثمانية بما فيها مدينة أدرنه، وعقد حلفاً مع عمانويل الثانى إمبراطور بيزنطة ليساعده ضد إخوته، وأعطاه فى سبيل ذلك مدينة سالونيك وبعض سواحل البحر الأسود وتزوج من إحدى قريباته.

أما عيسى فبمجرد وفاة أبيه أعلن نفسه سلطاناً فى مدينة بورصة.

وأما محمد الذى كان مختبئاً فى الأناضول فحينما خف ضغط التتار خرج ومن معه من الجند يقاتل ما بقى من التتار وتمكن من السيطرة على توقات وأماسب واستطاع تخليص أخيه موسى من الأسر وسار لمحاربة إخوته.

انتصار محمد على إخوته وانفراده بالسلطة:

استطاع محمد أن ينتصر على أخيه عيسى بعد عدة معارك بينهما، وقتل عيسى ثم أرسل جيشاً بقيادة أخيه موسى لمحاربة أخيهما سليمان، ولكنه عاد يجر ذيل الخيبة وراءه، ولكنه لم ييئس فحاول موسى مرة أخرى الهجوم، واستطاع فى هذه المرة أن ينتصر وقتل سليمان على أبواب أدرنه عام ٨١٣هـ.

اتجه موسى لتأديب الصرب على موقفهم أثناء الهجوم التتري، وحارب ملك المجر الذى حاول مساعدة الصرب وانتصر موسى عليه.

وأراد موسى أن ينفصل بالجزء الأوروبى، وضرب الحصار على القسطنطينية، فاستنجد امبراطورها بالأمير محمد الذى أسرع فعقد حلفاً مع إمبراطور القسطنطينية، وملك الصرب ضد أخيه، وانتصر الحلف وقتل الأمير موسى وانفرد الأمير محمد بالسلطة.

السلطان الغازى محمد الأول

(٨١٦ - ٨٢٤هـ)

الشئون الخارجية:

يبدو أن السلطان محمد عاش معذب الضمير من جراء قتله لإخوته الثلاثة عيسى وموسى وسليمان، ولذلك انعكس ذلك فى معاملة الآخرين، ويتضح ذلك عندما انتصر على أمير القرمات وعفا عنه بعد أن أقسم له بالطاعة، ثم تمرد عليه مرة أخرى فانتصر السلطان عليه مرة أخرى وعفا عنه، وأيضا فى انتصاره على أمير أزمير قره جنيد ثم عفا عنه وعينه حاكماً لمدينة نيكوبلي.

الشئون الداخلية:

قام أحد القضاة ويدعى بدر الدين بجرعة يدعو فيها إلى مبادئ مشابهة للاشترائية، وتبعه فى ذلك الكثير وخاصة من أصحاب الديانات الأخرى، وأحس السلطان باستفحال أمره فقاتله وانتصر عليه وقتله.

ظهور الأمير مصطفى بن السلطان بايزيد:

ظهر فجأة الأمير مصطفى بن السلطان بايزيد وأخو السلطان محمد، وطالبه بالحكم فقاتله، وانضم إليه قره جنيد ودخل إلى بلاد اليونان، ولكنه هزم ففر إلى

إمبراطور بيزنطة الذي رفض تسليمه إلى السلطان محمد، ولكنه وعده بوضع أخيه تحت الإقامة الجبرية وخصص السلطان لأخيه راتباً شهرياً وبرغم خيانة قرة جنيد إلا أن السلطان عفا عنه مرة أخرى.

ومات السلطان عام ٨٢٤هـ ووصى لابنه مراد من بعده ولعلنا نلمس من الآن فصاعداً إحدى سلبات العهد العثماني، وهي قتل الإخوة لبعضهم تنازحاً على الملك، والتي ستظهر بصورة واضحة في السلاطين القادمين.

السلطان الغازي مراد الثاني

(٨٢٤ - ٨٥٥هـ)

تولى السلطة عام ٨٢٤ وعمره لا يزيد عن ١٨ سنة.

وانتهج سياسة تنبني على إعادة السيطرة على إمارات الأناضول التي استقلت عن الدولة العثمانية أثناء غزو تيمورلنك، حتى يوحد عدد كبير من المسلمين يكونوا قوة كبيرة تنطلق لفتح أوروبا، لذلك فقد أجل الفتوحات في أوروبا لحين استعادة إمارات الأناضول، فعقد هدنة مع ملك المجر مدتها خمس سنوات ولكن ظهرت عدة مشكلات:

طلب إمبراطور بيزنطة من السلطان مراد عدم الهجوم على القسطنطينية ولكي يضمن ذلك طلب من السلطان أن يسلمه اثنين من أخوته كرهينة، وهدد إمبراطور بيزنطة بإطلاق سراح مصطفى عم السلطان مراد إذا لم ينفذ شروطه، فرفضها السلطان مراد الأول فأطلق سراح عمه مصطفى، وزوده بعشرة مراكب فانطلق بها مصطفى لحصار مدينة غاليبولي على مضيق الدردنيل، فدخلها وترك فيها حامية، إلا أنه لم يتمكن من دخول قلعتها، وسار مصطفى نحو أدرنه وقتل القائد العثماني بايزيد باشا، وسار نحو ابن أخيه مراد ولكن حدثت خيانة في صفوف قواده، ففر مصطفى إلى مدينة غاليبولي حيث قبض عليه وأعدم.

وسارع السلطان مراد الثانى لىنتقم من امبراطور بيزنطة فضرب الحصار على القسطنطينية عام ٨٢٥هـ ولكنه لم يتمكن من فتحها.

فتنة أخو السلطان:

استغل الأمير مصطفى أخو السلطان مراد انشغال السلطان بمحاصرة القسطنطينية، فقام بالتمرد عليه يدعمه أمراء الدويلات المستقلة فى الأناضول، فاضطر مراد أن يفك الحصار عن القسطنطينية ويقاىل أخاه حتى هزمه وقتله.

فتنة قرة جنيد:

لم يؤثر عفو السلطان محمد الأول عن هذا الخائن مرتين، فقد أدمن الخيانة وبدأ يزاول هوايته فى عهد مراد الثانى، فاستولى على إمارة آيدين وأعلن انفصاله عن الدولة فوثب عليه الجيش العثمانى وقتله.

نشاط السلطان مراد فى الأناضول:

واصل السلطان مراد تحقيق هدفه الأول وهو إعادة الإمارات التى استقلت عن الدولة العثمانية فى الأناضول فعقد صلحاً مع أمير القرمات.

وجد أمير قسطنونى نفسه فى موقف حرج، إذ كان يدعم الأمير مصطفى أخا السلطان مراد، فأسرع بالتنازل عن نصف إمارته للسلطان مراد وزوجه ابنته.

سيطر السلطان مراد الثانى على الإمارات آيدين، منتشا، وصاروخان، وإقليم الحميد، وكرميان التى أوصى أميرها قبل موته بإلحاقها بالدولة العثمانية حيث لم يكن له من يعقبه، وانتهت بذلك مشاكل الأناضول وأصبح السلطان متفرغاً للجهاد فى أوروبا.

الجهاد فى أوروبا:

من أكثر الحروب التى خاضها السلطان فى أوروبا تلك التى خاضها مع

ملك المجر، وكان المسلمون تارة ينتصرون وتارة ينهزمون.

بدأ القتال بين السلطان وملك المجر وكان النصر للمسلمين حيث عقدت معاهدة تنازل فيها ملك المجر عن أملاكه شرقي نهر الدانوب، الذي أصبح حدًا فاصلاً بين الدولتين.

خشى أمير الصرب جورج برنكوفتش على ملكه، فعقد معاهدة مع العثمانيين تنازل فيها عن بعض المواقع للعثمانيين، وبمقتضاها يدفع جزية سنوية وتعهدهم بقطع علاقاته مع ملك المجر وتزوج السلطان ابنته مارا.

استعاد السلطان مراد الثاني مدينة سالونيك والتي آلت إلى البندقية عام ٨٣٣هـ واعترف أمير الأفلاق بالسيادة العثمانية عام ٨٣٦هـ واستطاع السلطان إخضاع بلاد الأرنووط (ألبانيا) وسلم أميرها أبناءه الأربعة كرهينة للسلطان، وعندما مات الأمير عام ٨٣٤هـ ضم السلطان أملاكه إليه، وما كاد السلطان يستعد لفتح القسطنطينية حتى عادت الدولة النصرانية إلى نقض العهود والتمرد، فقد عاد أمير الصرب جورج برنكوفتش إلى العصيان، فهاجمه السلطان وقتله، وفتح جزءاً من بلاد الصرب وحاصر بلغراد ستة أشهر، ولكنه لم يتمكن من فتحها، وأرسل السلطان جيشاً إلى إقليم ترانسلفانيا (الجزء الغربي من رومانيا حالياً) والذي كان يتبع وقتها المجر، فهزم الجيش واستشهد قائده مع ٢٠,٠٠٠ من الجنود، ثم أعاد الكرة مرة أخرى وأرسل جيشاً قوامه ٨٠ ألفاً فانهزم للمرة الثانية وأسر القائد العثماني عام ٨٤٥هـ.

استغل ملك المجر الهزيمتين الأخيرتين للجيش العثماني وسار بجيشه ومن انضم إليهم - من ألمان، وفرنسيين، وبنادقة، وبولنديين، وجنوبيين، وصرب، وأفلاق - إلى بلاد الصرب وانتصر على العثمانيين في ثلاث معارك متتالية، اضطر بعدها السلطان مراد لتوقيع معاهدة تنازل بمقتضاها عن الأفلاق للمجر،

ورد للصر ب بعض المواقع وقامت هدنة مدتها ١٠ سنوات، واختار السلطان أن يخلد إلى الراحة بعد هذه الحروب المتتالية وبعد وفاة ابنه الأكبر علاء الدين فذهب إلى ولاية آيدين فى غربى الأناضول، وترك ابنه محمداً الذى لم يبلغ من العمر ١٤ عاماً لتولى السلطة.

تحالف صليبي جديد ضد المسلمين:

استغل البابا هزائم المسلمين الأخيرة وحث ملك المجر على نقض العهد مع المسلمين، وتنادى نصارى أوروبا بمحرب صليبية جديدة ضد المسلمين، وخاصة أن السلطان قد ترك الحكم لابنه الصغير قليل الخبرة فى القتال.

موقعة وارنا (فارنا) ٨٤٨هـ:

جمع ملوك أوروبا جمعوهم وهاجموا بلاد البلغار، وخرج لهم السلطان مراد من عزلته، وهاجمهم بميش تولى قيادته بنفسه، والتقى الجمعان فى مدينة فارنا البلغارية على البحر الأسود فهزم الحلف الصليبي شر هزيمة، وقتل ملك المجر فى المعركة، فاختلف توازن الأعداء فهاجم السلطان معسكرهم وقتل مندوب البابا وترك مرة أخرى السلطان لابنه.

ثم اضطر السلطان للعودة مرة أخرى لتأديب الانكشارية الذين استخفوا بابن السلطان الصغير، فشغلهم بالحرب فى بلاد اليونان، حيث قسم الإمبراطور البيزنطى ملكه بين أولاده، فأعطى جنا القسطنطينية، وأعطى قسطنطين بلاد المورة (الجزء الجنوبى من اليونان).

تمرد اسكندربك:

اسكندر بك هو أحد أبناء أمير ألبانيا الذين كانوا رهينة عند السلطان العثماني، أعلن اسكندر إسلامه واستغل انشغال السلطان بالحرب فهرب إلى

السلطان الغازى محمد الفاتح (محمد الثاني)

(٨٥٥ - ٨٨٦هـ)

يحتل السلطان محمد الفاتح عند أغلب المسلمين الشهرة الأولى فى الدولة العثمانية، وذلك لعكوف مؤرخى أوروبا على تشويه تاريخ الدولة العثمانية، وللأسف الشديد تأثر كثير من المسلمين بهم حتى باتوا لا يعرفون عن إيجابياتها شيئاً غير فتح القسطنطينية، ولا يعرفون من حكامها إلا محمد الفاتح.

ومن الجدير بالذكر أنه برغم إيجابياته الكبيرة فهناك حكام آخرون بلغت فى عهدهم الدولة العثمانية أوجها أكثر بكثير من عهد محمد الفاتح، كما سيرد ذكره عن سيرة الحكام القادمين، ولكن لا ينكر أحد أن عهد محمد الفاتح من ألمع صفحات تاريخ العثمانيين بالكامل، ويكفيه شهادة رسول الله ﷺ عنه أنه قال: «لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش».

تولى محمد الفاتح الحكم وعمره ٢٢ عاماً وأول ما قام به أن أعاد زوجة أبيه الصربية مارا إلى أبيها ثم قتل أخاه أحمد الرضيع كما هو العرف السائد منذ زمن السلطان محمد الأول.

فتح القسطنطينية:

حاول المسلمون فتح القسطنطينية قبل العهد العثمانى عدة مرات يحدوهم فى ذلك حديث الرسول ﷺ عن أبى قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل أى المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ بكتب إذ سئل رسول الله ﷺ: أى المدينتين تفتح أولاً: أقسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: «مدينة هرقل تفتح أولاً» يعنى قسطنطينية.

❖ كانت أول محاولة للمسلمين لفتح القسطنطينية فى خلافة عثمان ابن عفان ؓ، وذلك فى أواخر سنة اثنتين وثلاثين هجرية (٦٥٣م) إذ قصدها جيش بقيادة معاوية بن أبى سفيان أمير الشام يومئذ، فاخترق آسيا الصغرى حتى ضفاف البسفور. كما قصدها أسطول إسلامى بقيادة بُسر بن أبى أرطاة لدعم الجيش الإسلامى البرى، فتحرك من (طرابلس الغرب) صوب القسطنطينية ولكن هذه المحاولة لم تنجح.

❖ وفى سنة أربع وأربعين هجرية (٦٦٤م) كانت الحملة الثانية فى عهد معاوية بن أبى سفيان، ولكن هذه المحاولة لم تنجح أيضاً.

❖ وفى سنة تسع وأربعين هجرية (٦٦٩م) أعاد معاوية الكرة لفتح القسطنطينية، فبعث جيشاً ضخماً بقيادة سفيان بن عوف، ومعه يزيد ابن معاوية وجماعة من أكابر الصحابة من المهاجرين والأنصار منهم عبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وأبو أيوب الأنصارى. وسار الأسطول الإسلامى بقيادة بسر بن أبى أرطاة، واخترق مضيق الدردنيل دون مقاومة. واستمر حصار المدينة براً وبحراً سبعة أعوام دون جدوى، فانسحب المسلمون سنة ثمان وخمسين هجرية (٦٧٨م) إلى قواعده.

❖ وفى سنة ست وتسعين هجرية (٧١٥م) تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك، فأعاد الكرة وانتدب أخاه مسلمة بن عبد الملك وأمره ألا يبرح القسطنطينية حتى يفتحها أو يأتى أمره. وسار مسلمة فى أوائل سنة ثمان وتسعين هجرية (٧١٦م) مختزقاً هضاب الأناضول، وفتح عدة مدن وحصون للروم، ثم بدأ حصار القسطنطينية، فحاصرها ثانية فى اليوم الثانى من محرم سنة تسع وتسعين هجرية (١٥ آب - أغسطس - ٧١م) ولكن لم تمض أسابيع قلائل على حصارها حتى

توفى سليمان بن عبد الملك في العاشر من صفر سنة تسع وتسعين هجرية (٧١٧ م) ودخل فصل الشتاء وكان شديد البرد، فانسحب مسلمة إلى ثغور الشام.

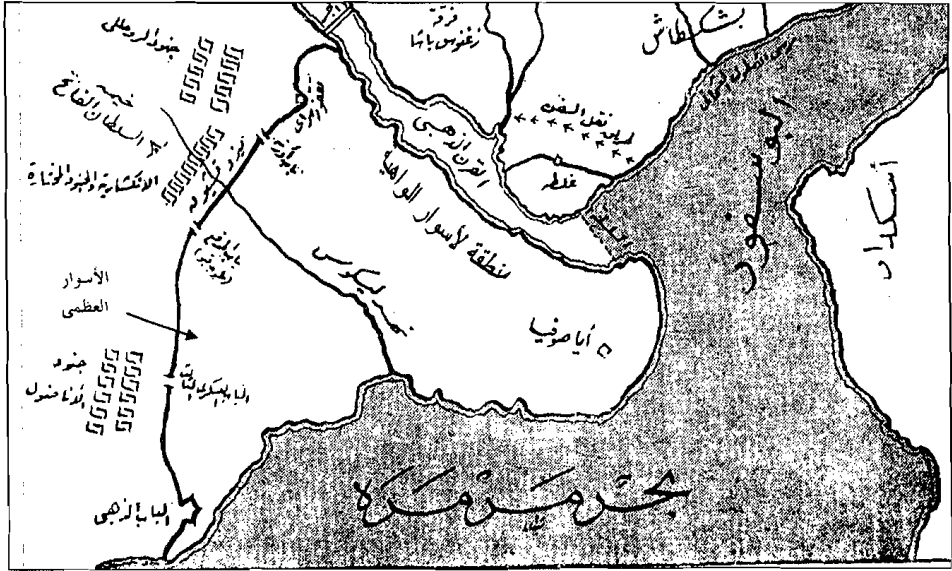
❖ ولم تحاول الخلافة بعد ذلك أن تعمل جادة لافتتاح القسطنطينية وإن كانت جيوشها قد اقتربت بعد ذلك غير مرة من هذه العاصمة.

❖ وقد وقعت أشهر هذه الغزوات أيام الخليفة المهدي من بني العباس، حيث سار ولده هارون الرشيد في صيف سنة خمس وستين ومائة هجرية (٧٨٣ م) غازياً للدولة البيزنطية، فاخترق هضاب الأناضول حتى أشرف على ضفاف البسفور الآسيوية، وعسكر فوق تلال خريسوبوليس (أسكوتاري) في مواجهة القسطنطينية، وكان على عرش القياصرة يومئذ طفل هو قسطنطين السادس، ومقاليد الحكم بيد أمه إيريني (ريني)، فهزم المسلمون البيزنطيين هزيمة نكراء، واضطرت إيريني أن تعقد الصلح وأن تتعهد بدفع جزية سنوية للمسلمين.

❖ وكانت أول محاولة للعثمانيين لفتح القسطنطينية في سنة ثمان وتسعين وسبعمائة الهجرية (١٣٩٥ م)، ولكن وصول تيمورلنك إلى حدود الدولة العثمانية الشرقية اضطر السلطان بايزيد إلى التخلي عن الحصار. وقد كانت القسطنطينية محط أنظار العثمانيين ومعقد آمالهم، منذ بداية حكمهم، فأوصى السلطان عثمان مؤسس الدولة العثمانية خلفاءه بفتحها، فلم توفق السلاطين بعد عثمان في تحقيق هدفهم، حتى جاء السلطان محمد الفاتح، فكتب الله أن يكون فاتح هذه المدينة العظيمة، ومن يومها حمل لقب: الفاتح.

لذلك أعد السلطان محمد الفاتح العدة لفتحها فبدأ ببناء قلعة على البر الأوروبى تشرف على مضيق البوسفور، وتقابلها على البر الآسيوى القلعة التى بناها السلطان بايزيد الأول، وبذلك يتحكم فى مضيق البوسفور ويمنع وصول الإمدادات إلى القسطنطينية.

وشعر امبراطور القسطنطينية بعزم السلطان على فتحها فعرض عليه دفع الجزية فرفض السلطان، وقبل أن تتعرض لأحداث الفتح تلقى نظرة على تحصين مدينة القسطنطينية الذى جعل منها مدينة صعبة المنال.



مدينة القسطنطينية

أولاً: كما نرى المانع المائى المتمثل فى بحر مرمرة وحتى مدخل القرن الذهبى عليه سلسلة عظيمة لمنع أو السماح بدخول أى سفينة.

ثانياً: الأسوار التى تحيط بالمدينة من جميع الجهات حتى من جهة البحر، ومن جهة البر توجد الأسوار العظمى التى يصعب اختراقها.

ثالثاً: الحصن الموجود عند مدخل القرن الذهبى لمقاومة أى عدو.

نعود مرة أخرى لسير الأحداث، فعندما رفض السلطان محمد الثانى أن يدفع له امبراطور بيزنطة الجزية فى مقابل عدم مهاجمة القسطنطينية، استنجد امبراطور بيزنطة بنصارى أوروبا، فأرسلت له جنوه (وهى إحدى الإمارات الأوروبية فى ذلك الوقت) ٣٠ سفينة حربية وجاءت فى الوقت الذى يحاصر فيه العثمانيون القسطنطينية من جميع الجهات، فاصطدمت السفن بالأسطول العثمانى واستطاع الجنويون التسلل إلى القرن الذهبى، وحينما حاول العثمانيون اللحاق بهم أغلقت السلسلة فى وجوههم بعد أن دخل الجنويون القرن الذهبى. كان عدد الجنود العثمانيين الذين يحاصرون المدينة من الجهة البرية قرابة ٢٥٠,٠٠٠ جندي أما من الناحية البحرية فكان هناك قرابة ١٨٠ سفينة بحرية. وجمع محمد الفاتح قواده وقال لهم:

إذا تم لنا فتح القسطنطينية تحقق فينا حديث رسول الله ﷺ ومعجزة من معجزاته، وسيكون من حظنا ما أشاد به هذا الحديث من التقدير، فأبلغوا أبناءنا العساكر فرداً فرداً أن الظفر العظيم الذى سنحرضه سيزيد الإسلام قدراً وشرفاً، ويجب على كل جندي أن يجعل تعاليم شريعتنا الغراء نصب عينيه، فلا يصدر عن أحد منهم ما يجافى هذه التعاليم، وليجتنبوا الكنائس والمعابد، ولا يمسوها بأذى، ويدعو القساوسة والضعفاء والعجزة الذين لا يقاتلون.

وأراد العثمانيون الدخول إلى القرن الذهبى حيث توجد بعض الأسوار الواهية فاتبعوا طريقة لم تخطر ببال أحد، وهى أنهم أعدوا ألواحاً خشبية تصل بين البحر فى

القرن الذهبى والبحر عند مدخل مضيق البوسفور، وألقوا على هذه الألواح الخشبية الدهون والشحوم، وأخذوا يزلقون السفن الحربية على الألواح الخشبية من مضيق البوسفور إلى القرن الذهبى، ثم أخذت المدافع العثمانية تدك أسوار القسطنطينية من جميع الجهات، فلم تستطع المدينة أن تصمد أمامهم، فدخلوها دخول الأبطال المنتصرين فى فجر يوم ١٥ من جمادى الأولى عام ٨٥٧هـ وقتل امبراطورها فى المعركة، وسيطر العثمانيون على المدينة سيطرة كاملة، وأمر السلطان محمد الفاتح أن يؤذن فى كنيسة آيا صوفيا إيداناً بتحويلها إلى مسجد، ومما هو جدير بالذكر أن كنيسة آيا صوفيا هذه هى مقر الأرثوذكس العالمى، التى تضاهاى الفاتيكان مقر الكاثوليك العالمى، كما أمر السلطان بتغيير اسم المدينة إلى إسلام بول (استنبول) أى مدينة الإسلام، واتخذت عاصمة للدولة العثمانية وظلت العاصمة حتى إلغاء الخلافة، وبذلك سقطت تماماً الدولة البيزنطية العدو الأول للمسلمين على مدى أكثر من ٨ قرون، وأمن أهل المدينة النصارى على حرية دينهم وممارسة شعائهم، واشترى نصف كنائس المدينة وحوّلها إلى مساجد وترك النصف الآخر من الكنائس للنصارى لممارسة شعائهم.

وأثناء حصار المسلمين للقسطنطينية عشر على قبر الصحابى الجليل أبى أيوب الأنصارى، الذى استشهد أثناء محاصرة القسطنطينية فى عهد يزيد بن معاوية، فبعد فتح القسطنطينية بنى مسجد فى هذا الموقع، وغدا تسلم السلاطين مقاليد الحكم فى هذا المسجد عُرفاً متبعاً حيث يتسلم السلطان الجديد سيف عثمان أرطغرل مؤسس الدولة.

الفتوحات فى أوروبا:

بعد أن تم فتح القسطنطينية وترميم أسوارها التى هدمت أثناء الفتح تقدم السلطان محمد الفاتح ليستكمل فتوحاته.

تحويل ولاية الصرب إلى ولاية عثمانية

كما نعلم أن السلاطين السابقين كانوا يعطون الاستقلال لإمارة الصرب في مقابل جزية تدفع كل عام، ولكن كثيراً ما كان الصرب يستغلون أى ظروف سيئة تمر بها الدولة العثمانية، ويمتنعون عن دفع الجزية، فأراد السلطان محمد الفاتح أن يعزز سيطرة الدولة العثمانية على بلاد الصرب، فسار إليها ودخلها عام ٨٥٨هـ ولكنه لم يتمكن من فتح عاصمتها بلغراد، وذلك لأن ملك المجر هونياد استمات فى الدفاع عنها، ولكن بهذا الفتح فقدت الصرب استقلالها وتحولت إلى ولاية عثمانية، ولم يبق خارج سيطرة العثمانيين إلا بلغراد التى تركها العثمانيون، ونجحوا فى إصابة ملك المجر الذى مات متأثراً بجراحه بعد مغادرة العثمانيين بعشرين يوماً.

فتح بلاد مورة (جنوب اليونان):

تمكن السلطان محمد الفاتح من فتح بلاد مورة عام ٨٦٣هـ وتمكن أيضاً من فتح معظم الجزر فى بحر ايجه.

فتح بلاد الأفلاق (جزء من رومانيا الحالية):

وصل للسلطان محمد الفاتح تعدى أمير الأفلاق على بعض التجار العثمانيين النازلين ببلاده، فجهز السلطان محمد الفاتح جيشاً لمحاربتة، فطلب الأمير الصلح مقابل جزية سنوية قدرها ١٠,٠٠٠ درهم ولكن اتضح أن أمير الأفلاق لم يطلب ذلك إلا ليتحد مع أمير المجر لمحاربة العثمانيين، فبعث إليه السلطان برسولين ليستفسرا عن ذلك، فقتل الرسولين، ولم يكتف بذلك بل أغار على بلاد البلغار التابعة للدولة العثمانية، فأعمل فيها القتل والسلب وعاد إلى بلاده ومعه ٢٥,٠٠٠ أسير، فأرسل له السلطان يدعوهُ إلى إعادة الأسرى والطاعة للدولة العثمانية، فأمر الرسل برفع عمائمهم لتعظيمه فأبى رسل السلطان فأمر الأمير بتثبيت العمائم على

رءوسهم بمسامير من حديد، وعلم السلطان بما حدث فجمع ١٥٠,٠٠٠ مقاتل وسار قاصداً بلاد الأفلاق، فهزم أميرها الذي فر إلى بلاد المجر بعد أن مثل بالأسرى المسلمين شر تمثيل، وامتلأت ضواحي بخارست عاصمة الأفلاق بجثثهم وبذلك أصبحت الأفلاق ولاية عثمانية.

فتح بلاد البوسنة ودخول أهلها في دين الله أفواجا:

امتنع أمير البوسنة عن دفع الجزية، فجهز السلطان محمد الفاتح جيشاً لفتح البوسنة، فسار إليها وفتحها عام ٨٦٦هـ وحاول ملك المجر ماتيئاس نزع البوسنة من أيدي العثمانيين، ولكنه فشل وما إن تم فتح البوسنة وجعلها ولاية عثمانية إلا ودخل أهلها وأشرفها في دين الله أفواجاً وانضم للجيش من أهلها ٣٠,٠٠٠ شاب.

اسكندر بك يعود إلى الظهور:

دعا البابا لحرب صليبية على العثمانيين بعد أن تمكنوا من فتح الكثير من بلاد أوروبا وسقوط القسطنطينية، غير أن البابا قد مات ولم تقم الحرب الصليبية، وكان اسكندر بك ممن شجعهم البابا على حرب العثمانيين، فلم ينتظر قيام حرب صليبية وقام بشن هجوم على العثمانيين، وكانت الحروب بين الطرفين سجالاتاً حتى توفي اسكندر بك سنة ٨٧١هـ واستطاع بعدها السلطان محمد الفاتح أن يخضع الأرناؤوط (ألبانيا) لسلطة الدولة العثمانية.

سيطرة العثمانيين على القرم والفشل في فتح بلاد البغدان:

عرض السلطان في عام ٨٧٨هـ على أمير البغدان اصطفان الرابع دفع الجزية، فرفض فسار إليه الجيش العثماني وانتصر عليه، لكنه لم يستطع فتح الإقليم، ففكر السلطان في دخول شبه جزيرة القرم والاستفادة من فرسانها في فتح البغدان، واستطاع السلطان أن يطرد الجنوبيين من مواقع كانوا يحتلونها في شبه جزيرة القرم، واتفق السلطان مع سكان شبه جزيرة القرم من التتر المسلمين على دفع خراج

سنوى، ثم اتجه الأسطول العثماني من شبه جزيرة القرم إلى مصب نهر الدانوب، فدخل بلاد البغدان وفر من أمامه الجيش البغداني ليستدرجوه إلى غابة كثيفة ثم انقضوا عليه وهزموه عام ٨٨١هـ ولذلك اشتهر أصفهان الرابع بمحاربة العثمانيين وسماه البابا بشجاع النصرانية وحامى الديانة المسيحية.

محاربة البنادقة:

أغار السلطان على بلاد البنادقة عام ٨٨٢هـ واستطاع فتح بلاد كرواتيا ودلماسيا (الجبل الأسود وجزء من ألبانيا وجزء من كرواتيا) ثم فتح مدينة اشقودرة فلجأ البنادقة إلى إبرام الصلح معه عام ٨٨٧هـ.

الفضل فى فتح ترانسلفانيا (الجزء الغربى من رومانيا):

وجهت الجيوش لفتح إقليم ترانسلفانيا الذى كان يتبع المجر فى ذلك الوقت، فانهزم الجيش العثماني وقتل الكثير من العثمانيين، وارتكب ملك المجر فيهم جرائم وحشية، وقتل جميع الأسرى ونصبت موائد الجيش على جثث المسلمين.

محاولة فتح إيطاليا:

لم يغب عن ذهن السلطان محمد فتح إيطاليا ورفع لواء الإسلام على رومية بعد أن فتح القسطنطينية يحركه فى ذلك يقينه بالله وبشارة الرسول ﷺ بفتح رومية حتى أنه أقسم بأن يربط حصانه فى كنيسة القديس بطرس (الفاتيكان).

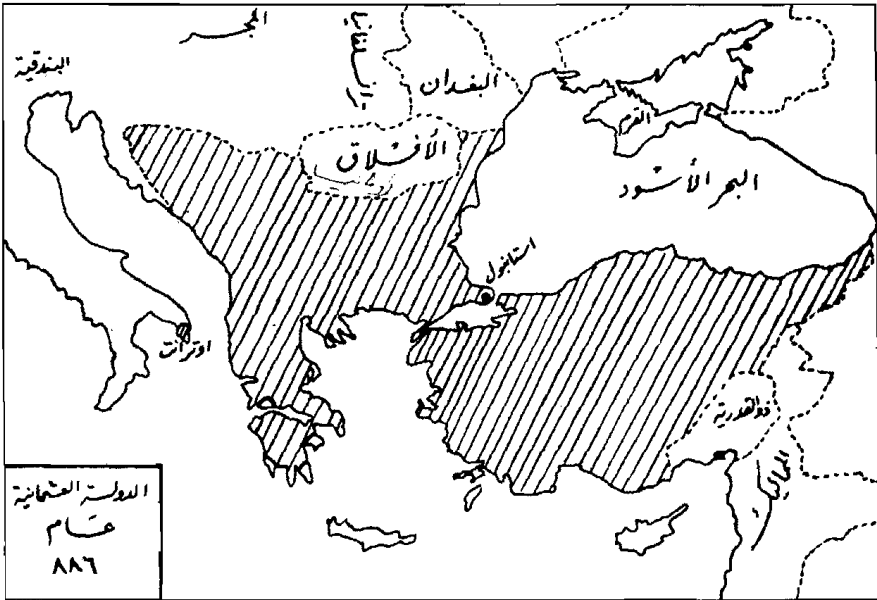
ورأى أن يمهد لذلك بأن يفتح جزيرة رودس التى يسيطر عليها فرسان القديس يوحنا، ولكن الأسطول العثماني فشل فى فتحها وأبرم صلحاً معهم عام ٨٨٥هـ ثم عاد فاتجه لفتح إيطاليا، فنزل الجيش العثماني بسواحل إيطاليا واستطاع فتح مدينة أوترانت عام ٨٨٥هـ وفى العام الذى تلاه اشتغل بإعداد حملة عظيمة لإتمام فتح إيطاليا، ولكن وافته المنية وعندما توفى انصرف العثمانيون عن هذه الجهة وأخلى خلفه بايزيد الذى اشتهر بميله إلى السلم مدينة أوترانت من الجيش العثماني.

الفتوحات والتوسع فى الأناضول:

فتح السلطان إمارة طرابزون آخر إمارة صليبية فى الأناضول، وبذلك طهر الأناضول تماماً من الصليبيين وضم إليه إمارة القرمات نهائياً.

هاجم أوزون جيش من حلفاء تيمورلنك شرقى الأناضول فأرسل السلطان إليهم جيشاً هزمهم عام ٨٧٤هـ.

وتوفى السلطان محمد فى يوم ٤ من ربيع الأول عام ٨٨٦هـ، الذى استحق لقب الفاتح لجهاده الكبير فى سبيل الله وفتحته الكثير من البلاد، وهو يعد جيشاً كبيراً لفتح إيطاليا فجزاه الله خيراً عن المسلمين جميعاً.



الدولة العثمانية بعد توسعات محمد الفاتح

السلطان بايزيد الثانى

(٨٨٦ - ٩١٨هـ)

اشتهر بالميل إلى السلم، ولم يكذب يجلس على العرش حتى خرج عليه أخوه جم، ولقى السلطان فى محاربتة الكثير من العنت إلى أن اضطر إلى الفرار منه إلى مصر.

وكما ذكرنا كان ميل إلى السلم لا يدخل الحروب إلا مدافعاً، وعظم فى عهده أمر الأسطول العثمانى حتى أصبح خطراً يهدد الملك الأوربى فما لبث أن اشتبك مع أسطول البنادقة فى موقعه هائلة هى فاتحة الانتصارات البحرية العثمانية، وفى عهده سقطت غرناطة آخر معاقل المسلمين فى الأندلس مما يدل على مدى تفرق المسلمين وظهرت فى عهده أيضاً دولة روسيا التى تمكن أميرها إيفان الثالث (إيفان الرهيب) من تخليص موسكو من أيدى التتر المسلمين ومحاربتهم وابتلاع بلادهم وإقامة الأفعال الوحشية، فيهم وبعث إلى السلطان بأول سفير روسى عام ٨٩٧هـ. وفى عصر السلطان بايزيد الثانى اعترفت البغدان بالسيادة العثمانية، وقامت بدفع الجزية سنوياً.

سيطرة سليم الأول على الحكم:

كان جنود الانكشارية لا يعجبهم انكماش بايزيد وضعفه، فالتفوا حول أصغر أبنائه سليم الذى وجدوا فيه العقلية العسكرية القوية، وكان يحكم فى ذلك الوقت إمارة طرابزون، وابنه سليمان فى كافا عاصمة القرم، فسار سليم إلى ابنه فى كافا وجمع جيشاً سار به إلى الولايات العثمانية فى أوروبا، وحاول السلطان بايزيد تهديد ابنه بالقتل، لكنه تراجع وترك له حكم بعض الولايات الأوروبية عام ٩١٦هـ فطمع سليم وسار إلى أدرنه وأعلن نفسه سلطاناً، فحاربه أبوه وانتصر عليه ففر إلى القرم ثم عفا السلطان عنه وأعادته إلى ولايات أوروبا، فلم يهدأ سليم إلا بعد أن جمع الانكشارية وسار بها إلى استنبول، وأرغم والده على التنازل عن الحكم ثم سرعان ما مات السلطان سليم الأول.

الدولة العثمانية من مجرد دولة إلى مقر للخلافة الإسلامية

الخليفة سليم الأول

(٩١٨ - ٩٢٦هـ)

الاتجاه إلى توحيد العالم الإسلامي:

بهذه العقلية العسكرية والتسلط الغير محدود الذى يتمتع به السلطان سليم الأول، رأى أن يجعل كل همه فى توحيد الأمصار الإسلامية الأخرى، حتى تكون يداً واحدة ضد التحالف الصليبي الذى لا ينتهى فى أوروبا ضد المسلمين، وخاصة بعد سقوط الأندلس، والتى لم يحاول إنقاذها أى مصر إسلامى قائم فى ذلك الوقت.

ومما زاد رغبته فى توحيد المسلمين ما تردد وقتها من أن البرتغاليين احتلوا بعض المواقع فى جنوب العالم الإسلامى، ليواصلوا طريقهم إلى المدينة المنورة وينبشوا قبر رسول الله ﷺ ويساوموا المسلمين على القدس الشريف، وفى نفس الوقت يتحرش الصفويون الشيعيون بالعثمانيين من الشرق، ويجبرون السكان السنيين الذين تحت أيديهم على اعتناق المذهب الشيعى، ويزحفون على العالم الإسلامى، بل ويعقدون حلفاً مع البرتغاليين أعداء الإسلام على المسلمين السنة بصفة عامة، وعلى العثمانيين بصفة خاصة.

الهجوم على الدولة الصفوية وموقعة جالديران:

ولم يضع السلطان سليم الأول الوقت، وأعد العدة لمنازلة الصفويين، وخشى فى طريقه أن يعترضه السكان الشيعة الذين هم داخل الدولة العثمانية على الحدود المتاخمة للصفويين، فأمر بقتلهم جميعاً ثم سار مباشرة فى اتجاه عاصمة الصفويين (تبريز) وأراد الجيش الصفوى أن يخدع العثمانيين بالفرار من أمامه حتى يصاب الجيش بالإرهاق فينقضوا عليه، وحدث الصدام بين

الجيشين فى جالديران شرقى الأناضول عام ٩٢٠هـ وانتصر العثمانيون، وبعدها بعشرة أيام دخل السلطان سليم الأول مدينة تبريز واستولى على خزانتها ثم اقترب فصل الشتاء ففترت عزائم الانكشارية، فانتظر السلطان حتى انتهى فصل الشتاء ثم سار مرة أخرى فى اتجاه الدولة الصفوية، واستولى على بعض القلاع فى أذربيجان، ثم عاد إلى استنبول وجمع ضباط الانكشارية الذين فترت عزيمتهم وامتنعوا عن مواصلة الزحف عندما حل فصل الشتاء، فقتلهم جميعاً حتى يكونوا عبرة لغيرهم.

الهجوم على المماليك:

ما إن انتهى السلطان سليم الأول من الصفويين حتى أعد العدة للهجوم على المماليك الذين ضعف أمرهم فى ذلك الوقت، ولم يحاولوا الوقوف فى وجه البرتغاليين، بالإضافة للخلاف الثائر بين المماليك والعثمانيين على إمارة ذى القادر التى تقع على الحدود الفاصلة بينهما.

موقعة مرج دابق ٩٢٢هـ:

استطاع السلطان سليم الأول جذب ولاية الشام فى صفه لقتال المماليك، ووعدهم بالإبقاء عليهم فى إماراتهم إذا ما تم له النصر، ثم سار بجيشه لملاقاة المماليك الذين بدورهم أعدوا أنفسهم لملاقاة العثمانيين، والتقى الجمعان فى موقعة مرج دابق عام ٩٢٢هـ واحتدم القتال العنيف بينهما، فتسلل ولاية الشام بجيوشهم وانضموا للعثمانيين، فضعف أمر المماليك وهزموا وقتل فى المعركة السلطان قنصوه الغورى وبهذه المعركة أصبحت الشام فى قبضة سليم الأول، أى ما يعادل نصف دولة المماليك وغدت الأناضول بأكملها تحت سلطان العثمانيين.

موقعة الريدانية ٩٢٣هـ:

تولى السلطان طومان باى مكان قنصوره الغورى فعرض عليه السلطان سليم الأول أن يعترف بسيادة العثمانيين ودفع خراج سنوى لهم، فأبى طومان باى فبرز إليه السلطان سليم فانهمز طومان باى على حدود الشام الجنوبية، فاتبه السلطان سليم حتى مدينة القاهرة، حيث التقى الجيش فى موقعة الريدانية وانتصر العثمانيون برغم الدفاع المستميت للمماليك، ووقع طومان باى فى يد العثمانيين نتيجة لخيانة أحد أتباعه فأعدموه على باب زويلة.

تسلم العثمانيين مقاليد الخلافة:

بانهاء دولة المماليك تنازل الخليفة العباسى الأخير محمد المتوكل - والذى كان كمن سبقه من الخلفاء فى دولة المماليك ليس له أى سيطرة و إنما كان صورة فقط - للسلطان سليم الأول عن الخلافة ودخلت الحجاز فى تبعية الدولة العثمانية، وأصبح السلطان سليم الأول أول خليفة عثمانى فنقل مقر الخلافة من القاهرة إلى استنبول وتوفى السلطان سليم الأول عام ٩٢٦هـ.

الخليفة سليمان الأول

(٩٢٦ - ٩٧٤هـ)

بلغت الدولة فى عهده أقصى اتساع لها حتى أصبحت أقوى دولة فى العالم فى ذلك الوقت، واشتهر بسليمان القانوني، لأنه وضع نظاماً داخلية فى كافة فروع الحكومة، فأدخل بعض تغييرات فى نظام العلماء والمدرسين الذى وضعه محمد الفاتح، وجعل أكبر الوظائف العليا وظيفة المفتي، وأدخل التنظيمات على جيش الانكشافية، وكانت كلها فى ضوء الشريعة الإسلامية، ولم تكن مستمدة من القوانين الوضعية كما قد يتبادر إلى الأذهان.

أعمال العثمانيين في الأمصار الإسلامية :

تمرد حكام الشام:

ما إن وصل خبر موت السلطان سليم الأول إلى جانبرد الغزالي إلا وأعلن تمرد، وعرض على حكام مصر أن يحدو حذوه فخدعه حاكم مصر بابداء الموافقة، وفي نفس الوقت كان يطلع الخليفة سليمان على كل ما يرمى إليه حاكم الشام، وبدأ حاكم الشام في تنفيذ تمرده بمحاصرة حلب، ولكن بمجرد وصول الجيوش العثمانية إلى حلب، ولى حاكم الشام الأدبار ثم تحصن بدمشق وواجه الجيوش العثمانية فهزم، وحاول أن يفر متنكراً فسلمه أحد أعوانه للعثمانيين فقتلوه.

في بلاد فارس (الدولة الصفوية):

في عام ٩٤١هـ دخل العثمانيون تبريز للمرة الثانية، ومنها اتجهوا إلى بغداد فضمت إلى أملاك الدولة العثمانية، وفي عام ٩٥٤هـ طلب أخو الشاه الصفوي مساعدة السلطان ضد أخيه، فدخل العثمانيون تبريز للمرة الثالثة.

في بلاد العرب:

احتدم الخطر الإسباني والبرتغالي الصليبي على المسلمين، فبعدهما استولوا على آخر معاقل المسلمين في بلاد الأندلس، وعاهدوا المسلمين على أن يكفلوا لهم الحرية الدينية وممارسة الشعائر لكنهم سرعان ما أخلفوا العهود ونقضوا المواثيق، فأخذت محاولات التنصير الضارية تنهمر على المسلمين في الأندلس، مستعملين في ذلك كل الوسائل من إبادة وتشريد وهتك للأعراض واستعباد، وغيرها من الوسائل التي يعجز القلم عن وصفها، فهام المسلمون في الأندلس على وجوههم، منهم من لحقته الإبادة ومنهم من ذاب في المجتمع النصراني ومنهم من استطاع أن يفر بدينه ليهاجر للأمصار الإسلامية.

ولم يكتف الأاسبان والبرتغاليون بالأندلس، فبعد أن استتب لهم الأمر فيها اتجه الأاسبان نحو الأمصار الإسلامية الأخرى ليعيدوا المأساة فيها، واحتلوا بعض المراكز في شمال إفريقيا مثل طرابلس والجزائر وبنزرت ووهران وغيرها. فأرادت الدولة العثمانية تحرير شمال إفريقيا من الأاسبان ثم الاتجاه للأندلس ولم شمل المسلمين.

البحارة خير الدين وأخوه عروج:

وفي عهد السلطان سليم الأول ظهر أحد البحارة الذين لهم صفحات لامعة في التاريخ الإسلامي، وهو البحار خير الدين الذي كان قرصاناً نصرانياً في جزر بحر إيجه ثم اعتنق الإسلام هو وأخوه عروج ونزرا نفسيهما لخدمة الإسلام، وكانا ينتقمان من القراصنة النصارى الذين كانوا يعترضون السفن المسلمة ويسترقون ركابها وينهبونها، فكانا بالمثل يعترضان سفن النصارى ويبيعان ركابها عبيداً، ثم في عهد السلطان سليم الأول أرسلوا إليه إحدى السفن التي أسروها فقبلها منهما فأعلننا طاعتها وخدمتهما للعثمانيين.

ضم الجزائر:

وانطلقا يطهران شواطئ إفريقيا من الصليبيين، فحرر عروج مدينة الجزائر ومدينة تلمسان وكان ذلك في عهد السلطان سليم الأول فعين خير الدين والياً على الجزائر وبالتالي ضمت الجزائر إلى الدولة العثمانية.

ضم طرابلس الغرب (ليبيا):

أرسل السكان المسلمون إلى الخليفة يستغيثونه بعد احتلال الأاسبان لطرابلس، فأرسل إليهم قوة بحرية صغيرة عام ٩٢٦هـ بقيادة مراد أغا ولكنه فشل في تحريرها، فأرسل الخليفة الأسطول العثماني بقيادة طورغول بك فحرر المدينة من الأاسبان وطردهم شر طردة، وواصل تحرير المدن الإسلامية من

وطأتهم فحرر بنزرت. ووهران وغزا ميورقة (إحدى جزر البليار جنوب شرقي أسبانيا) وكورسيكا وبذلك غدت طرابلس الغرب (ليبيا) ولاية عثمانية.
في تونس:

دعا الخليفة سليمان البحار خير الدين وأميره بالاستعداد لغزو تونس وتحريرها من ملكها الحفصي، الذي اشتهر بميله إلى شارلكان الملك النصراني شديد العداوة للإسلام، فأعد خير الدين العدة وبنى أسطولاً كبيراً لهذا الغرض، وسار من مضيق الدردنيل قاصداً تونس و في طريقه أغار على مالطة وجنوبي إيطاليا للتمويه، ولكي لا يعرف مقصده الأساسى ثم وصل تونس وبمتهى السهولة سيطر عليها وعزل السلطان حسن الحفصي، ووضع مكانه أخاه، فاشتاق شارلكان ملك أسبانيا وإيطاليا والنمسا وغيرها من بلاد أوروبا، وصمم على استعادة نفوذه في تونس وإعادة ملكها العميل المخلص له، فقاد شارلكان بنفسه الجيوش، وتمكن من دخول تونس وترك الحرية لجنوده في النهب والقتل وهتك الأعراض وهدم المساجد و السبى والاستعباد، وأعاد السلطان حسن الحفصي للحكم بعد أن أجبره على التنازل له عن مدن بنزرت وعنابة وغيرها، واضطر خير الدين إلى الانسحاب من تونس.

في الجزيرة العربية والهند:

كما ذكرنا من قبل الخطر الذي بدأ يظهر من قبَل البرتغاليين واحتلالهم لبعض المواقع في جنوب شبه الجزيرة العربية ومواصلة الزحف لنبيش قبر الرسول ﷺ، هذا بالإضافة إلى خطرهم على بلاد الهند التي كانت في ذلك الوقت تحت سلطان المغول المسلمين.

أمر الخليفة سليمان بتجهيز أسطول للسيطرة على الجزيرة العربية وتطهيرها من البرتغاليين، فتمكن العثمانيون من ضم اليمن وعدن ومسقط ومحاصرة جزيرة هرمز،

وبالتالى أغلقوا الأبواب فى وجه البرتغاليين وأهدافهم الدنيئة، وفى نفس الوقت استنجد المغول المسلمون بالسلطان سليمان من البرتغاليين الذين احتلوا بعض سواحل الهند، فأرسل إليهم أسطولاً تمكن من تحرير بعض القلاع من البرتغاليين، ولكن الأسطول العثمانى هزم فى معركة ديو البحرية فاضطر إلى الانسحاب وخاصة بعدما حاول الأعداء إثارة الفتن وإشاعة أن العثمانيين يريدون ضم الهند.

الجهاد فى أوروبا:

البحار خير الدين والانتقام لمسلمى الأندلس:

عندما سمع البحار خير الدين وأخوه عروج بما حدث للمسلمين قاما لنجدة إخوانهم فى الأندلس، وكانت سفنهم تتجه إلى شواطئ الأندلس لتحمل المسلمين الفارين بدينهم من محاولات الإبادة والتنصير الإسبانية إلى الأمصار الإسلامية، وفى نفس الوقت أراد أن ينتقم لمسلمى الأندلس من نصارى أوروبا بصفة عامة ونصارى إسبانيا بصفة خاصة، والذين اشتركوا جميعاً وباركوا بإبادة المسلمين فى الأندلس.

فأغار على الكثير من شواطئ إيطاليا وفرنسا وإسبانيا وزج فى سفنه بالكثير من أهالى هذه البلاد تمهيداً لبيعهم عبيداً فى الأمصار الإسلامية، ليعلمهم أن المسلمين بقدر سماحتهم وعفوهم، فهم قادرون على الانتقام لإخوانهم، وكان قد صب تركيزه على إسبانيا بعد أن عقدت معاهدة بين العثمانيين وفرنسا. وانتصر خير الدين بعد انسحابه من تونس على أسطول شارلكان فى عام ٩٤٤هـ وحاول فتح جزيرة كريت ولكنه فشل فى فتحها.

فتح جزيرة رودس:

استغل الخليفة انشغال أوروبا بالحروب كحروب شارلكان ملك النمسا مع ملك فرنسا فرانسوا وأيضاً الخلاف المذهبى بين الكاثوليك والبروتستانت واتجه

لفتح جزيرة رودس، وتمكن بالفعل من فتحها عام ٩٢٩هـ وفر فرسان القديس يوحنا من رودس إلى جزيرة مالطة، التي أهداها لهم شارلكان ملك النمسا.

تحويل القرم إلى ولاية عثمانية:

وقع الخلاف بين التتر المسلمين الذين يحكمون القرم، والتي تعترف بسيادة الدولة العثمانية، فتدخلت الدولة العثمانية وجعلتها ولاية عثمانية عام ٩٣٩هـ.

تحويل الأفلاق إلى ولاية عثمانية:

قرر السلطان سليمان أن يجعل ولاية الأفلاق ولاية عثمانية، فدخلها عام ٩٣١هـ ودخل عاصمتها بخارست، ولكن الأعيان فيها ثاروا بمساعدة أمير ترانسلفانيا وعينوا أميراً جديداً فوافق الخليفة في مقابل زيادة الجزية.

تحالف العثمانيين مع فرنسا:

اشتد خطر شارلكان ملك النمسا على فرنسا، وخاصة بعدما أحاط بها من جميع الجهات، فقد ضم إليه إسبانيا وأجزاء كبيرة من إيطاليا وهولندا وألمانيا، فاقترح ملك فرنسا على الخليفة سليمان القانوني أن يهاجم شرق مملكة شارلكان، في حين يهاجم ملك فرنسا من الغرب فاقنع الخليفة بالفكرة

فتح بلغراد:

أرسل الخليفة إلى ملك المجر يأمره بدفع الجزية، فقتل الملك رسول الخليفة فجهز الخليفة جيشاً قاده بنفسه وسار ففتح بلغراد عام ٩٢٧هـ بعد أن كانت أكبر مانع للعثمانيين لدخول بلاد المجر.

فتح بلاد المجر:

سار الخليفة بنفسه ومعه جيش قوامه ١٠٠,٠٠٠ جندي و٣٠٠ مدفع و٨٠٠ سفينة قى نهر الدانوب جنوب بلاد المجر، جاعلاً بلغراد قاعدته الحربية

ففتح عدة قلاع فى أثناء مسيرته واستطاع أن يفتح عاصمتها بودا فى عام ٩٣٢هـ بعد أن هزم ملك المجر وفرسانه والتقى بأعيان البلاد، اتفق معهم على تعيين جانزابولى ملك ترانسلفانيا ملكاً على المجر.
الحرب مع النمسا ومحاصرة ويانة (فيينا):

ادعى أخو الملك شارلكان فرديناند سلطته على المجر واستطاع أن يحتل عاصمتها بودا فاستنجد ملكها جان زابولى بالخليفة، فانقضت الجيوش العثمانية على بودا التى فر منها فرديناند فتبعته الجيوش المظفرة وحاصرت عاصمة النمسا ويانه (فيينا) وأحدثت ثغراً فى أسوارها إلا أن الذخيرة نفذت منهم وأقبل فصل الشتاء فرجع الخليفة إلى بلاده.

وقى عام ٩٣٨هـ حاول ملك النمسا احتلال بودا ولكنه لم يستطيع فسار إليه الخليفة فى العام الثانى، ولكنه رجع عندما علم باستعدادات شارلكان.
فرنسا تنقض الحلف مع العثمانيين:

ثار الرأى العام فى أوروبا على تحالف فرنسا النصرانية مع الدولة العثمانية المسلمة ضد شارلكان ومملكته النصرانية فما كان من فرانسوا ملك فرنسا إلا أن عقد هدنة مع ملك النمسا، ونقض التحالف مع العثمانيين فاستغلت النمسا الفرصة وأعدت الكرة فى الحروب مع العثمانيين ولكنها انهزمت عام ٩٤٣هـ.
تحريض أمير البغدان على العثمانيين:

قام أخوا الملك شارلكان بتحريض أمير البغدان على الدولة العثمانية فأعلن تمرده فتمكن منه العثمانيون وعينوا أخاه اصطفان أميراً للبغدان وعززوا الحماية العثمانية فيها.

مواصلة الحروب مع النمسا:

اقتنع زابولى ملك المجر بفكرة فرديناند فى اقتسام المجر، وإلغاء الحماية

العثمانية عليها، وأرسل فرديناند صورة من الاتفاق السرى بينهما للخليفة ليعلمه بعدم ولاء زابولى له، وقبل أن يعاقب الخليفة الملك زابولى كان الموت أسرع إلى زابولى عام ٩٤٦هـ فاستغل فرديناند الفرصة ليحتل المجر فاحتل مدينة بست (على الضفة الأخرى لنهر الدانوب والمواجهة لمدينة بودا واللذان اندمجتا معاً لتكونا العاصمة الحالية للمجر بوادبست) فانقض عليهم الجيش العثماني عام ٩٤٧هـ ففر النمساويون. وبهذا أصبحت المجر ولاية عثمانية، ورضيت أرملة زابولى بذلك حتى يكبر ابنها الذى مازال طفلاً، وأخيراً عقدت معاهدة بين العثمانيين والنمسا لمدة خمس سنوات تدفع بموجبها النمسا جزية سنوية مقابل ما بقى تحت يديها من المجر.

السيطرة على ترانسلفانيا:

واستمر الأوروبيون النصارى فى نقض العهود فتنازلت ايزابيلا أرملة زابولى عن ترانسلفانيا لفرديناند، وبذلك نقض العهد بين العثمانيين والنمسا فأسرت الدولة العثمانية بالسيطرة على ترانسلفانيا عام ٩٥٧هـ.

عقد الاتفاقيات مع فرنسا:

أرادت الدولة العثمانية استمالة أحد الأطراف الصليبية إليها حتى تفرق وحدتهم ضدها، فعقدت مع فرنسا اتفاقية فى عام ٩٤٢هـ ولكنها شملت الكثير من الامتيازات لفرنسا التى سببت مشاكل كثيرة للعثمانيين، حتى سقطت الخلافة، خاصة وأن الكثير ممن خلفوا الخليفة سليمان قد تبعوه فى منح الامتيازات التى جعلت للأجانب دولة داخل الدولة العثمانية وجعلت القنصل يحكم بقوانين بلاده فى الدولة العثمانية فى كل ما يتعلق بالرعايا الفرنسيين، ومن أمثالها: ألا تسمع الدعاوى المدنية للسكان المسلمين ضد تجار ورعايا فرنسا، ولا يحق لجابة الخراج إقامة دعاوى عليهم، وأن يكون مكان دعواهم عند

الصدر الأعظم لا عند أى محكمة كباقي الشعب، وإذا خرج فرنسى من الدولة العثمانية وعليه ديون فلا يسأله أحد عنها، وتكون فى طى النسيان، وغيرها من الامتيازات التى جعلت لهم نفوذاً كبيراً فى أنحاء الدولة، بمرور الزمن حتى أصبحوا يعيشون فى أرض يباح لهم فيها فعل كل ما يريدون، من استحلال للمكرات والفجور ولا يستطيع أحد أن يكلمهم، بل قيل أن سجونهم التى كانت تدار بواسطة بلادهم فى الدولة العثمانية كانت عبارة عن قصور بها ما لذ وطاب من الجوارى و الخمر وغيرها.

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أخذت كل دولة أجنبية تطالب بامتيازات لها فى الدولة العثمانية كلما قوى أمرها كما سنعلم فى الصفحات الآتية ليزداد الخناق على الدولة العثمانية من الداخل، بالإضافة إلى الخناق المفروض عليها من الخارج والمتمثل فى الحروب.

الأفعى روكسلان ويهود الدونمة:

أسر التتر المسلمون فى القرم فى إحدى غاراتهم على الروس فتاة بالغة الجمال تدعى روكسلان، فأهدوها إلى الخليفة الذى اتخذها زوجة له، وقيل إنها كانت يهودية روسية، فعكفت على التدخل فى شئون الحكم، فطلبت من الخليفة أن يسمح لليهود الذين طردوا من الأندلس مع المسلمين بالاستيطان فى أرجاء الدولة العثمانية، والذين يطلق عليهم يهود الدونمة، والذين لم يحفظوا الجميل للعثمانيين بعد أن رفضهم العالم وضاق بهم الأرض بما رحبت، فلم يجدوا إلا الدولة العثمانية تفتح لهم أحضانها، وتظلمهم بظلمها، وسيكون لهم دور رئيسى فيما بعد فى سقوط الخلافة العثمانية كما سنعلم فى الأحداث التالية.

وتوسطت أيضاً لدى الخليفة ليمنع التتر فى القرم من محاربة الروس، برغم أن الروس فى ذلك الوقت كانوا قد سيطروا على أكثر بلاد التتر، وارتكبوا فيها

أبشع الجرائم التي تدل على حربهم الصريحة للإسلام.

ولم تكتف روكسلان بذلك، بل اجتهدت لتولى ابنها من السلطان سليمان - والذي سمي بسليم - الخلافة بعد أبيه ورغم وجود أخيه الأكبر مصطفى القائد العظيم الذي حظى بحب الجيش والشعب له، فقامت بعمل دسيسة نفذها الصدر الأعظم رستم باشا (المعِين) بواسطتها وهو فى نفس الوقت (زوج ابنتها من السلطان)، فحرّض رستم باشا الخليفة ضد ابنه، وكتب إليه يحذره أن ابنه مصطفى يريد عزله وتنصيب نفسه على السلطنة فخرج إليه الخليفة، وكان مصطفى يحارب الدولة الصفوية فاستدعاه أبوه إلى خيمته، فما إن جاء ابنه حتى انقض عليه بعض الخدم فختقوه، ولم تكتف الأفعى بقتل مصطفى فأرسلت من يقتل ابنه الرضيع.

ثم توفى الخليفة سليمان عام ٩٧٤هـ وتولى بعده:

الخليفة سليم الثانى

(٩٧٤ - ٩٨٢هـ)

ومما يميز عصره أن أصبحت وظيفة الصدر الأعظم تشكل لمن يتقلدها الحاكم الفعلى وقائد الجيوش، وكان من أسباب اللجوء إلى هذه الوظيفة كبر رقعة الدولة واتساعها، وتدفق الأموال على خزائنها، مما جعل الحكام بعد ذلك يلجأون للترف والراحة تاركين للصدر الأعظم تحمل المسؤولية.

وسليم هو ابن روكسلان الروسية، والذي تولى السلطة بعد أن نجحت الدسائس التي وضعتها روكسلان فى قتل أبناء الخليفة سليمان، واشترك سليم الثانى فى بعضها.

وهذا الخليفة لم يكن قويًا كالخلفاء والسلاطين السابقين ولكن وجود الوزير محمد الصقلى قد حفظ للدولة مكانتها.

أعمال العثمانيين في الأمصار الإسلامية:

قمع الثورات في اليمن:

قامت ثورة في اليمن، وكان قائدها المطهر بن شرف الدين فأرسل إليه جيش بقيادة عثمان باشا يسانده سنان باشا والى مصر، وتمكن الجيش من إخماد الثورة عام ٩٧٦هـ.

تحرير تونس من الأسبان وجعلها ولاية عثمانية:

استطاعت إسبانيا احتلال تونس عام ٩٨٠هـ وإعادة عميلها مولاي حسن الحفصى، ولكن سرعان ما استطاع العثمانيون طرد الإسبان من تونس وجعلها ولاية عثمانية عام ٩٨١هـ وكان قائد التحرير فيها هو سنان باشا والى مصر.

الأعمال في أوروبا:

مع النمسا:

في عام ٩٧٦هـ أبرمت الدولة صلحاً مع النمسا ينص على اعتراف الدولة بحماية النمسا على بعض الأجزاء في المجر، وتدفع النمسا مقابل ذلك جزية سنوية، وتعترف في نفس الوقت بتبعية ترانسلفانيا والأفلاق والبغدان للعثمانيين.

مع فرنسا:

أكد الخليفة تأييده للمعاهدات والامتيازات المبرمة مع فرنسا وهذا ما ساعد على تدفق الإرساليات الكاثوليكية في أنحاء الدولة العثمانية وبالذات في بلاد الشام وبدأ العمل ضد الدولة العثمانية بضربها داخليا عن طريق زرع الانتماء إلى فرنسا والنصارى بصفة عامة.

مع لهستان أو بولونيا (بولندا الحالية)

فرضت الدولة تعيين أخى ملك فرنسا ملكاً على لهستان، متحدياً كلاً من

النمسا وروسيا، وبذلك أصبحت لهستان (بولندا) تحت حماية العثمانيين.

فتح قبرص:

استطاعت الدولة العثمانية انتزاع قبرص من أيدي البنادقة الذين كانوا يحتلونها وذلك فى عام ٩٧٨هـ.

موقعة ليبانت البحرية:

بعد ازدياد الخطر العثمانى فى البحر المتوسط على أوروبا، وخاصة بعد فتح جزيرة قبرص، وبعض المواقع على بحر الأدرياتيك، وغزو جزيرة كريت، تحالف نصارى أوروبا لمحاربة العثمانيين، فاتحدت أساطيل البندقية مع إسبانيا مع رهبان جزيرة مالطة تحت مباركة البابا، واصطدمت هذه الأساطيل بالأسطول العثمانى عام ٩٧٩ وانهزم الأسطول العثمانى وفقد فى هذه المعركة ١٣٠ سفينة و ٣٠٠ مدفعاً و ٣٠ ألف أسير، أخذتها الأساطيل النصرانية، وكان لهذا الانتصار رنينه الشديد فى أوروبا، فخطب البابا فى كنيسة القديس بطرس بروما (الفاتيكان) يشكر دون جوان قائد الأساطيل المظفرة، وما إن وصلت أخبار الهزيمة إلى استنبول إلا وثار السكان المسلمون، يريدون أن يفتكوا بالنصارى لولا أن منعهم الوزير محمد الصقلى، وأخذت الدولة تعد أسطولاً جديداً للأخذ بالثأر، فخافت البندقية فعرضت الصلح على العثمانيين مقابل اعترافها بسيادة العثمانيين على قبرص، ودفع غرامة حربية كبيرة وتم ذلك عام ٩٨٠هـ.

فى البغدان:

قضى العثمانيون على تمرد ببلاد البغدان عام ٩٨١هـ، وتوفى الخليفة سليم الثانى عام ٩٨٢هـ وتولى الحكم ابنه مراد الثالث.

ال خليفة مراد الثالث

(٩٨٢ - ١٠٠٣هـ)

الشؤون الداخلية:

بمجرد توليه الحكم أمر بقتل إخوته الخمسة حتى لا ينازعه أحد في الحكم. حاول السلطان منع شرب الخمر، والذي استفحل أيام أبيه، فأصدر قراراً بمنعه فثارت الانكشارية وأجبروه على إلغاء هذا القرار.

جدد الامتيازات لدول أوروبا (فرنسا و البندقية) وأعطى سفير فرنسا مكانة خاصة، حيث يتقدم باقى السفراء فى المحافل الرسمية، وأجبرت السفن الأوروبية التى تدخل الموانى العثمانية أن ترفع علم فرنسا، باستثناء البندقية، ثم استثنيت إنكلترا أيضاً فى عهده.

الأعمال فى الأمصار الإسلامية:

فى مراكش:

استنجد سلطان مراكش بالعثمانيين لإخماد ثورة اندلعت فى بلاده، واستعان قائدها بالبرتغاليين، فلبى العثمانيون النداء، واصطدموا مع البرتغاليين فى موقعة القصر الكبير عام ٩٨٥هـ، وتحقق النصر للعثمانيين فأعادوا السلطان إلى الحكم.

مع الدولة الصفوية:

استغل العثمانيون الاختلاف على تولية حاكم للدولة الصفوية بعد موت طهماسب عام ٩٨٤هـ فضموا إليهم من أملاكها بلاد الكرج (جورجيا) عام ٩٨٥هـ، ثم أذربيجان الشمالية (شروان عام ٩٨٦هـ)، ثم بلاد داغستان عام ٩٩١هـ، وفى هذه السنة سار القائد عثمان باشا إلى بلاد القرم ليؤدب خانها الذى لم يمد العثمانيين فى حربهم مع الصفويين، برغم أنهم طلبوا منه المدد،

وتمكن عثمان باشا من إغراء أخى خان القرم بتوليته بدلاً من أخيه فقتل أخاه، واستطاع عثمان باشا أن يدخل عاصمة القرم كافا، وتولى منصب الصدر الأعظم بعد موت محمد باشا الصقلى، هذا الرجل الذى حفظ للدولة مكانتها طوال توليه منصب الصدر الأعظم^(١).

وأجبر عثمان باشا الصفويين على الاعتراف بما ضمه من أملاكهم، فدخل عاصمتهم تبريز عام ٩٩٣هـ فأجبروا على التنازل عما تم ضمه بالإضافة إلى جنوب أذربيجان بما فيها العاصمة تبريز.

الأعمال فى أوروبا:

بولندا تحت الحماية الفعلية للعثمانيين:

فرضت الدولة تعيين أمير ترانسلفانيا ملكا على بولونيا بعد مغادرة ملكها السابق هنرى إلى فرنسا، وبذا اعترفت النمسا بحماية الدولة على بولونيا عام ٩٨٤هـ فى معاهدة الصلح التى تمت بينهما، والتى كانت مدتها ٨ سنوات، وبذا تحولت الحماية العثمانية على بولندا من حماية اسمية إلى حماية فعلية.

مشاكل الإنكشارية التى لا تنتهى:

نظرا لتوقف الحروب سواء مع النمسا أو مع الصفويين لم تجد الإنكشارية عملاً لها إلا السلب والنهب فى المدن العثمانية، فأراد الصدر

(١) من مواقف هذا الرجل: طلب نائب البندقية الصليبية فى استانبول - فى معركة ليبانت السابق ذكرها وكان الأسطول العثماني قد تحطم فى هذه المعركة - مقابلة الصدر الأعظم (محمد باشا الصقلى) ليسر غوره ويقف على اتجاهات السياسة العليا للدولة العثمانية تجاه البندقية، وقد بادره الصدر الأعظم قائلاً: إنك جئت بلا شك تتحسس شجاعتنا وترى أين هي، ولكن هناك فرق كبير بين خسارتنا وخسارتكم، إذ أن استيلاءنا على جزيرة قبرص كان بمثابة ذراع قمنا ببتره وكسره، وبإيقاعكم الهزيمة بأسطولنا لم تفعلوا شيئاً أكثر من حلق لحانا، وإن اللحية لتتمو بسرعة وبكثافة تفوقان السرعة والكثافة اللتين تنبت بهما فى الوجه لأول مرة.

الأعظم أن يشغلهم بالحروب مع النمسا في المجر، ونظراً لما وصل إليه الإنكشارية من فوضى توات عليهم الهزائم، وفقدوا بعض القلاع واستطاع سنان باشا أن يستردها عام ١٠٠٣هـ.

واستغل أمراء الأفلاق والبغدان وترانسلفانيا الموقف، وانضموا إلى النمسا في حروبها ضد العثمانيين، فدخل سنان باشا عاصمة الأفلاق بخارست، إلا أن أميرها استطاع أن يجعل الجيوش العثمانية تتقهقر إلى ما بعد نهر الدانوب وانتزع منهم عدة مدن. وتوفي الخليفة مراد الثالث في العام نفسه ١٠٠٣هـ وتولى ابنه محمد الثالث.

الخليفة محمد الثالث

(١٠٠٣ - ١٠١٢هـ)

وهو ابن الخليفة مراد الثالث من جارية إيطالية من البندقية، وكان لها تدخل كبير في شئون الدولة، وما إن تولى الحكم حتى أمر بقتل إخوته التسعة عشر.

موقعة كرزت:

منذ أواخر عصر سليمان القانوني ومن خلفوه، كانت قيادة الجيوش بيد الصدر الأعظم، فخرج محمد الثالث عن هذه القاعدة، وخاصة بعد ما توات الهزائم على الجيوش العثمانية، فقاد محمد الثالث الجيوش بنفسه فدبت الحمية الدينية في قلوب الجيش العثماني، وازدادت الروح القتالية وهزموا جيوش المجر والنمسا عام ١٠٠٥هـ في موقعة كرزت.

اندلاع الثورات:

ثورة فراري:

في أثناء موقعة كرزت فرت فرقة من الجيش، ولم تثبت في المعركة فنفيت

إلى الأناضول، وأطلق عليها اسم فرارى، كنوع من التجرييس والإهانة لها حتى تكون عبرة لغيرها.

فادعى أحد قادتها (قره يازجى) أنه رأى الرسول ﷺ فى المنام يبشره بالنصر على العثمانيين، فاستولى على مدينة عينتاب فحاصره العثمانيون، فوافق على التسليم فى مقابل أن يعين على ولاية أماسيا، فوافق العثمانيون، إلا أنه ما لبث أن عاد للتمرد بمجرد مغادرة العثمانيين، فعادوا إليه و فى هذه المرة يساعده أخوه ولى حسن والى بغداد فانهزم قره يازجى، ومات متأثراً بجراحه فى حين استطاع أخوه ولى حسن أن ينتصر على صقلى حسن باشا ويقتله عام ١٠١٠هـ ولكى تتجنب الدولة المزيد من الفتن أعطته ولاية البوسنة ليحارب الأوربيين حتى هلك هو وأتباعه.

ثورة الخيالة (السباه):

ونتيجة للثورة السابقة طالب الخيالة بتعويضهم عما لحق بهم من أضرار، فانقض عليهم جيش الإنكشارية فأخذهم.

وتوفى الخليفة محمد الثالث عام ١٠١٢هـ وتولى الخلافة ابنه أحمد الأول.

الخليفة أحمد الأول

(١٠١٢ - ١٠٢٦هـ)

تولى الحكم ولم يبلغ الرابعة عشرة من عمره، ولم يقم بقتل أخيه مصطفى ولكنه اكتفى بحبسه مع الجوارى والخدم.

حركات التمرد فى الدولة العثمانية: تعددت فى عهده الحركات ضد الدولة مستغلين صغر سنه، ومن أمثلة هذه الحركات حركة بولاد الكردى وحركة والى أنقرة قلندر أوغلى وحركة عز الدين المعنى وهو درزى تمكن من جمع الكثير من

النصارى والنصيرية والدروز، وأظهر للخليفة الطاعة فأعطاه الإشراف على مناطق كثيرة فى الشام مثل جبل لبنان وأجزاء من سوريا وغيرها، فاتفق مع الإيطاليين، فأمدوه بما يحتاج لبناء وتجهيز جيش قوامه ٤٠,٠٠٠ جندى ثم أعلن التمرد عام ١٠٢٢هـ فهزمته الجيوش العثمانية بعد أن استطاع الفرار إلى إيطاليا.

انتشار الدخان: انتشر شرب الدخان عن طريق الهولنديين، فتعاطاه الكثير من الجنود فأفتى المفتى بمنع الدخان، فهاج الجنود ومعهم الموظفون حتى أجبروا السلطان على إباحته.

التراجع أمام الصفويين: استطاع الشاه عباس ملك الصفويين أن يستغل الفتن الداخلية فى الدولة العثمانية، فاستعاد تبريز وشمال العراق وغيرها ومما زاد (الطين بلة) موت الصدر الأعظم مراد باشا، الذى أبلى بلاءً حسناً فى القضاء على الثورات والفتن، فاضطرت الدولة لعقد معاهدة صلح مع الصفويين عام ٩٢١هـ، تنازلت بموجبها عن كل ما ضمه العثمانيون من أملاكهم منذ عهد سليمان القانوني.

فى أوروبا:

جددت الامتيازات مع إنكلترا وفرنسا وحظيت الفلمنك (هولندا) بنصيب منها، وعقد صلح مع النمسا عام ١٠١٥هـ تدفع بمقتضاه النمسا ٢٠٠٠٠٠٠ دوكا دفعة واحدة وتتوقف عن الجزية السنوية التى كانت تدفعها.

عقدت معاهدة مع بولندا تحمى الدولة بها بولندا من تثار القرم فى حين تحمى بولندا الدولة من القازاق.

كثرت المعارك البحرية بين العثمانيين ونصارى أوروبا، وكان النصر فيها حليفاً للنصارى، مما دفع الدولة إلى سحب أسطولها من البحر الأسود لصد أساطيل النصارى فى البحر المتوسط، فاستغل القازاق هذه الفرصة وهاجموا ميناء سينوب العثماني على البحر الأسود، ووقع الخلاف بين الخليفة والصدر

الأعظم نصوح باشا فقتل على أثره الصدر الأعظم.
توفى السلطان أحمد الأول عام ١٠٢٦هـ وكان في الثامنة والعشرين من
عمره، وكان ابنه صغيراً فعهد إلى أخيه مصطفى بالخلافة.

الخليفة مصطفى الأول

(١٠٢٦ - ١٠٢٧هـ)

خرج من حبسه مع الجوارى والخدم لا يعرف شيئاً عن الحكم، ولم تزد فترة حكمه
عن ثلاثة أشهر ثم تم عزله وتولى ابن أخيه عثمان الثاني الخلافة عام ١٠٢٧هـ.

الخليفة عثمان الثاني

(١٠٢٧ - ١٠٣١هـ)

تولى الحكم وعمره لا يزيد عن ١٣ عاماً فقتل أخاه محمد كما هي العادة.
عفا عثمان الثاني عن فخر الدين المعنى، وسمح له بالعودة من إيطاليا فعاد
إلى جبل لبنان وبدأ يتحرك للتمرد مرة أخرى.

قامت الحرب بينه وبين بولونيا فطلبت بولونيا الصلح فتم عام ١٠٢٩هـ
وخاصة بعد تخاذل الانكشارية في القتال، فأراد أن يؤدبهم ويستبدل بهم جنوداً
جداً مدربين، فثاروا عليه وقتلوه، في أول سابقة من نوعها في الدولة العثمانية
ومما يبين مدى النفوذ الذي وصل إليه الانكشارية، وأعادوا عمه مصطفى إلى
الحكم عام ١٠٣١هـ، وما إن انتشر خبر قتل الخليفة حتى عمت الفوضى
والثورات أرجاء الدولة العثمانية، وقام الولاة يعلنون الاستقلال عن الدولة
فأشار الصدر الأعظم المعين بواسطة الإنكشارية بعزل الخليفة مصطفى الأول
وتعيين ابن أخيه مراد الرابع خليفة عام ١٠٣٢هـ.

الخليفة مراد الرابع

(١٠٣٢ - ١٠٤٩هـ)

وهو ابن الخليفة أحمد الأول وكان حين تولى الحكم لم يبلغ الرابعة عشرة بعد.

الشئون الداخلية:

ثورة أباظة باشا: تولى الخليفة مراد الرابع الحكم والدولة تملؤها الفتن والثورات ومن أشهرها ثورة أباظة باشا، والى أرضروم الذى دخل إلى أنقرة وسيواس، ونظراً لصغر سن الخليفة فقد سيطر الانكشارية فى بداية الأمر، فكانت المسئولية بأكملها ملقاة على عاتق الصدر الأعظم حافظ أحمد باشا، الذى استطاع أن يخمّد ثورة أباظة باشا بعد الانتصار عليه فى موقعة قيصرية عام ١٠٣٣هـ، ثم عاد أباظة باشا إلى الثورة بعد تعيين خسرو باشا صدراً أعظم فسار إليه خسرو باشا وأخضعه وعينه على ولاية البوسنة ١٠٣٧هـ.

ثورة الإنكشارية: ثارت الإنكشارية فى أثناء الحروب مع الدولة الصفوية، وكان الخليفة قد اشتد عوده فتصدى لهم وقتل مثيرى الفتنة منهم فأخذهم.

تجدد ثورة فخر الدين المعنى: ما إن استتب الأمر لفخر الدين المعنى حتى استغل الظروف التى تمر بها الدولة من فتن وثورات، وقام بثورة جديدة فخرج إليه والى دمشق واستطاع أن ينتصر عليه ويأسره هو وولديه، وأرسلهم إلى الخليفة الذى برغم تكرار خيانة فخر الدين وتعاونه الدائم مع أعداء الإسلام من الصليبيين، إلا أن الخليفة قد أحسن معاملته هو وذويه، مما شجع حفيده قرقماز على الثورة فنقد صبر الخليفة وقام بقتل فخر الدين المعنى وابنه الأكبر وأخضع ثورة قرقماز.

الحروب مع الصفويين: بدأت الحروب مرة أخرى مع الصفويين عندما قتل قائد الشرطة فى بغداد بكير أغا والى بغداد، فحاصره الصدر الأعظم حافظ باشا،

ولكنه اتصل بالشاه عباس، وعرض عليه تسليم المدينة، وفي نفس الوقت عرض على الصدر الأعظم تسليم المدينة وله ولايتها فوافق، ودخلت الجيوش العثمانية المدينة قبل وصول الشاه عباس، وما إن وصل الشاه عباس حتى ضرب الحصار على بغداد ٣ شهور، فعرض على ابن بكير أغا تسليم المدينة وإعطاءه ولايتها فوافق وخان العثمانيين، فدخلت جيوش الشاه بغداد وقتلت بكير أغا وابنه لأنهما خائنان لا يمكن الاعتماد عليهما.

حاول الصدر الأعظم حافظ باشا استرداد بغداد، ولكن الإنكشارية لم يجاربوا معه مما أدى إلى عزله، واستغل الصدر الأعظم خسرو باشا وفاة الشاه عباس ١٠٣٨ هـ وتولى ابنه الصغير الحكم فاسترد مدينة همدان ١٠٣٩ هـ وحاول استرداد بغداد مرتين ولكنه فشل فسار الخليفة بنفسه لقتال الصفويين وخاف أن يخرج عليه أخواه بايزيد وسليمان فأمر بقتلهما، ثم دخل مدينة تبريز عام ١٠٤٥ هـ بعد مقاومة عنيفة من الصفويين، واسترد بعض القلاع ثم عاد إلى استنبول فاستغل الصفويون الفرصة واستردوا بعض القلاع، فخرج الخليفة إليهم وتمكن من دخول بغداد عام ١٠٤٨ هـ وعقد صلحا بين الدولتين عام ١٠٤٩ هـ وتوفى الخليفة في نفس العام.

الخليفة إبراهيم الأول

(١٠٤٩ - ١٠٥٨ هـ)

تولى الخلافة بعد وفاة أخيه مراد الرابع.

العمل في أوروبا:

اندلعت الحروب من جديد بين القازاق والعثمانيين واستطاع القازاق احتلال مدينة آزارق (آزوف) على السواحل الشمالية للبحر الأسود ولكن العثمانيين استطاعوا استردادها عام ١٠٥٢ هـ.

فتح جزيرة كريت:

جهز العثمانيون أسطولاً لفتح جزيرة كريت التي كانت تتبع البندقية فى ذلك الوقت، وتمكن العثمانيون من فتحها عام ١٠٥٥هـ ودخلوها بمنتهى السهولة لعدم وصول الأسطول البندقى، فاغتاز البنادقة لذلك وأحرقوا بعض الموانى العثمانية، فأراد الخليفة الانتقام فى شخص نصارى الدولة، ولكن المفتى عارضه فامتل لرأى المفتى، ولما ازداد تمرد الانكشارية أراد الخليفة أن يؤدبهم، ولكنهم لما علموا بذلك داهموه وأسرعوا بعزله وعينوا ابنه الصغير محمد الرابع الذى لم يتجاوز السبع سنوات، وذلك فى عام ١٠٥٨هـ ثم قتلوا الخليفة إبراهيم الأول خوفا من عودته للحكم.

الخليفة محمد الرابع

(١٠٥٨ - ١٠٩٩هـ)

الشئون الداخلية:

شاعت الفوضى فى أنحاء الدولة نظرا لصغر سن الخليفة، وكما ذكرنا سابقا كان الصدر الأعظم هو الذى يتحمل المسئولية كاملة، فاضطر الصدر الأعظم حسين باشا لرفع الحصار عن مدينة كنديا فى جزيرة كريت، بسبب الفوضى التى أشعلها الانكشارية فى البلاد.

ثورة قاطرجى أوغلى:

وفى عام ١٠٥٩هـ قام قاطرجى أوغلى بثورة فى الأناضول يدعمه كورجى بنى واستطاع أن يهزمها والى الأناضول أحمد باشا، ثم سارا إلى استنبول ولكنهما اختلفا فاستطاعت الجيوش العثمانية أن تهزمهما، وقتل كورجى وطلب قاطرجى أوغلى العفو فعفا عنه وتولى القرممان.

الحروب فى أوروبا:

استطاع الأسطول البندقى أن ينتصر على الأسطول العثمانى ويحتل جزيرتى تيدنوس وليمنوس اللتين تتحكمان فى مضيق الدردنيل، ولم تستطع السفن المحملة بالغذاء الوصول إلى استنبول فارتفعت أسعار الغذاء.

تولى محمد كوبريلى الصدارة العظمى:

من أشهر من تولى منصب الصدارة العظمى هو وأبناؤه بل وأحفاده فى تاريخ الدولة العثمانية، وذلك لما أبلوه من بلاء حسن فى الجهاد فى أوروبا وضبط الشئون الداخلية.

و بمجرد توليه المنصب عام ١٠٦٧هـ عمل على ضبط الأمور الداخلية، فأدب الانكشارية وأعمل فيهم القتل، وقام بقتل بطريك الروم الذى كان له دور كبير فى الفوضى السائدة بالبلاد، فاستقرت الأوضاع الداخلية ليتفرغ للجهاد فى أوروبا.

وكانت بادرة أعماله تحرير الجزر والمرافى التى احتلتها البندقية من الدولة العثمانية بعد عناء شديد.

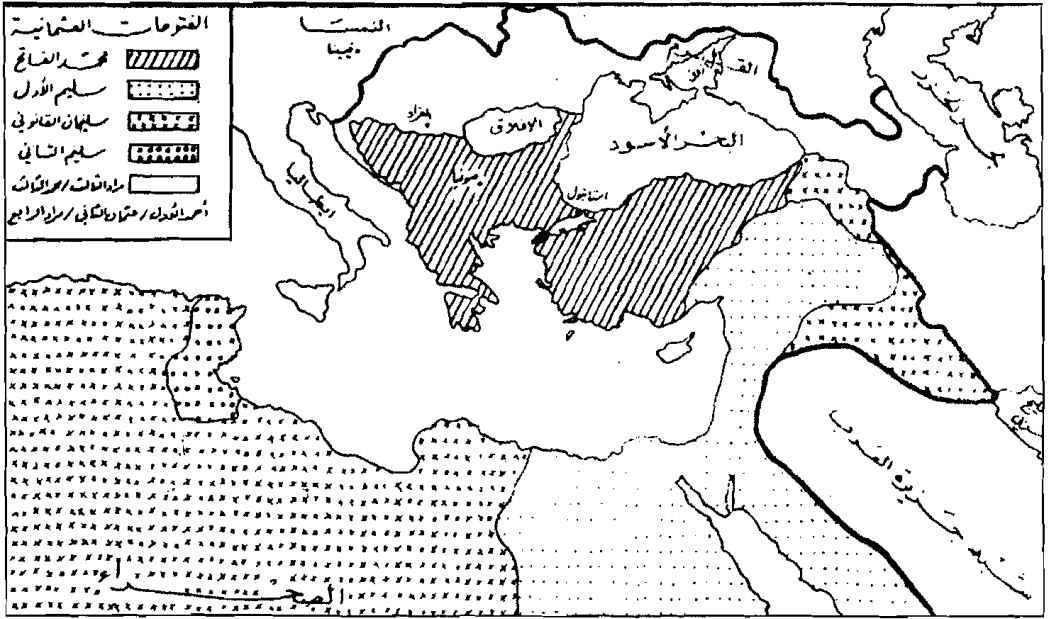
تمرد أمراء ترانسلفانيا والأفلاق والبغدان:

قامت الحرب بين السويد وبولندا، فعرضت السويد على العثمانيين أن يعاونوها فى مقابل السماح للدولة العثمانية ببسط سيطرتها على بولندا، فرفض محمد كوبريلى ولكن استطاعت السويد استمالة أمراء الأفلاق والبغدان وترانسلفانيا لحرب بولندا، فأمرت الدولة بعزلهم، فقام أمير ترانسلفانيا المعزول بمنازلة العثمانيين فأسرع إليه الصدر الأعظم فهزمه، ثم توجه إلى أمير الأفلاق الذى حاول العصيان فأخضعه.

تولى أحمد كوبريلى منصب الصدر الأعظم:
وبعد وفاة الصدر الأعظم محمد كوبريلى عام ١٠٧٢هـ بعدما أعاد للدولة
هيبتها واستقرارها. تولى ابنه أحمد كوبريلى المنصب فسار على نهج أبيه.

فتوحات عثمانية جديدة:

رفض أحمد كوبريلى الصلح الذى عرضته كل من النمسا والبندقية، وتمكن
الصدر الأعظم من التوغل فى أراضى النمسا، وفتح قلعة نوهزل الشهيرة، ثم
واصل فتوحاته ففتح مورافيا (المنطقة بين التشيك وسلوفاكيا الآن) وإقليم
سينزيا (الواقع الآن فى بولندا).



الدولة العثمانية فى أقصى اتساع لها

توتر العلاقة مع فرنسا:

توترت العلاقات بين العثمانيين وفرنسا نتيجة لمساعدة فرنسا للبنادقة فى كريت، ثم جاءت الحروب مع النمسا لتزيد من توتر العلاقات، فقد استنجدت النمسا بالبابا بعد الهزائم المتوالية لها أمام العثمانيين، فلبى البابا النداء واستنهض فرنسا التى أمدت النمسا بـ ٦٠٠٠ جندى، ودارت الكثير من المعارك، ولكنها كانت سجالاتاً بين الطرفين، حتى حدث الصلح بين العثمانيين والنمسا، والذى ينص على تقسيم المجر بينهما، وبرغم ذلك واصلت فرنسا قرصنتها البحرية على المرافئء العثمانية فى شمال أفريقيا، وعلى السفن المسلمة ثم حاولت فرنسا إعادة الامتيازات والتقرب إلى العثمانيين فرفض الصدر الأعظم أحمد كوبرلى، وزاد رفضه حينما حاولت فرنسا إرسال أسطول حربى لمنازلة العثمانيين، ثم أشار أحد وزراء فرنسا على ملكها أن يستعمل سياسة اللين مع العثمانيين، فتمكن من استعادة الامتيازات لفرنسا وتحسنت العلاقات بين فرنسا والعثمانيين وكان ذلك عام ١٠٨٤هـ.

الحروب مع بولندا:

أعلن القوزاق تبعيتهم للعثمانيين مما أثار أحقاد بولندا التى انقضت على أراضيهم (والتي تمثل الآن أغلب أراضى أوكرانيا)، فسار الخليفة بنفسه يقود الجيش الذى ألحق بالبولنديين هزيمة منكرة، فطلب البولنديون الصلح وتم ذلك فى معاهدة بوزاكس عام ١٠٨٣هـ، وكان من شروطه أن تضم الدولة العثمانية إقليم بودوليا فى غرب أوكرانيا، ويستحوذ القوزاق على باقى أوكرانيا، وتدفع بولونيا جزية قدرها ٢٢٠ ألف بندقى ذهباً.

رفض الشعب البولندى هذه المعاهدة، وسار قائده سويسكى الشهير بقتال العثمانيين واستطاع أن يحقق بعض الانتصارات، ثم عقد صلحاً آخر بين بولندا والعثمانيين يكون للعثمانيين فيه مثل ما كان فى المعاهدة السابقة، باستثناء بعض

المدن وكان ذلك عام ١٠٨٧هـ وشارك سويسكى فى المفاوضات بعدما أصبح ملكاً على بولندا.

وما إن توفى الصدر الأعظم أحمد كوبرلى حتى تسلم مكانه صهرة قره مصطفى عام ١٠٨٧هـ فلم يكن فى كفاءة سابقه، وعمل فى سبيل مصلحته الشخصية لا مصلحة الدولة، وكانت بادرة أعماله السيئة إثارة القوزاق الذين استنجدوا بروسيا فاصطدمت بالعثمانيين عام ١٠٨٨هـ، ولم تتوقف الحرب إلا فى عام ١٠٩٢هـ ووقعت معاهدة راد زين بينهما لتعيد الحال إلى ما كان عليه قبل الحرب، ولكن أصبح القوزاق يكرهون العثمانيين ويميلون إلى الروس.

تجدد الحروب مع النمسا:

تجددت الحروب مع النمسا عام ١٠٩٢هـ والتي بدأها قره مصطفى بداية العمالقة ثم أنهاها نهاية الأقرام، وتسبب فى كارثة كبرى للدولة العثمانية. فبدأ بالكثير من الانتصارات ووصل العثمانيون لويانه (فيينا) للمرة الثانية، وحاصروها بعد أن حاصرها العثمانيون أول مرة فى عهد الخليفة سليمان القانونى، ولم يتبه قره مصطفى لتأمين ما فتحه من بلاد النمسا، ووضع كل تركيزه لفتح ويانه ولكن أوروبا ما كانت لتتركه يصل إلى هدفه، فنادى البابا أوروبا لنجدة النمسا، فما إن أصبح العثمانيون قاب قوسين أو أدنى من فتح ويانه حتى انهالت الجيوش الأوروبية عليهم، يتقدمهم سويسكى الذى أمره البابا بنقض العهد مع العثمانيين -كعادتهم دائما- وتساعدته الإمارات الألمانية؛ ساكسونيا وبفاريا، وبرغم استبسال المسلمين فى الحروب إلا أنهم اضطروا للانسحاب، فلاحقهم سويسكى يقتل منهم ما تصل إليه يده.

التحالف الصليبي ضد العثمانيين:

لما علم الخليفة بالهزيمة التى تعرض لها العثمانيون، أمر بقتل قره مصطفى

وتولية إبراهيم باشا مكانه، فى الوقت الذى ابتهجت أوروبا للنصر المتحقق وقامت كل من البندقية والنمسا وبولندا وروسيا ورهبان مالطة يدعمهم جميعاً البابا بما أطلقوا عليه التحالف المقدس لإفناء العثمانيين من على وجه الأرض، فانطلقت النمسا على جبهة المجر فاحتلت مدينة بست ثم توغلت حتى ضمت الكثير من أراضي المجر واستطاعت احتلال مدينة بودا عام ١٠٩٧هـ التى فقدتها العثمانيون نهائياً ولم يستطيعوا دخولها مرة أخرى، كما احتلت النمسا إقليم ترانسلفانيا وأجزاء من كرواتيا، فى نفس الوقت كانت بولندا بقيادة سويسكى تغير على البغدان.

أما البنادقة ورهبان مالطة فتمكنت أساطيلهم من احتلال الكثير من مدن شبه جزيرة المورة، فعمت الفوضى أنحاء البلاد فقرر العلماء والوزير الثانى عزل الخليفة محمد الرابع وكان ذلك عام ١٠٩٩هـ وتولى مكانه أخوه سليمان الثانى.

الخليفة سليمان الثانى

(١٠٩٩ - ١١٠٢هـ)

الشئون الداخلية: عمت الفوضى بعد عزل الخليفة محمد الرابع وزاد نفوذ الانكشارية، فقتلوا الصدر الأعظم سياوس باشا. وسبوا أهل بيته كل هذا والخليفة لا يبدى أى مقاومة.

الشئون الخارجية: توالى الهزائم على الدولة العثمانية فاحتلت النمسا بلغراد وأجزاء من بلاد الصرب فى عامى ١٠٩٩هـ، ١١٠٠هـ وواصلت البندقية تقدمها، فاحتلت أجزاء كثيرة من كرواتيا ودلماسيا وأكثر أجزاء المورة.

تولى مصطفى كوبريلى الصدارة العظمى:

وجاء مصطفى باشا سليل عائلة كوبريلى الشهيرة بالبلاء الحسن فى

الصدارة العظمى، جاء فى الوقت المناسب ليعيد للدولة بعضًا من هيبتها التى فقدت، فبدأ بالإصلاح الداخلى فحفظ الأهالى من بطش الانكشارية، وأحسن للنصارى فى استنبول فكسب حب الناس، حتى أن النصارى الأرثوذكس فى المورة استطاعوا طرد البنادقة من أرضهم لمحاولتهم فرض المذهب الكاثوليكى عليهم وقبلوا حماية العثمانيين عليهم لعدم تعرضهم لعقيدتهم، وسار مصطفى كوبريلى على نهج أبيه محمد كوبريلى فاستطاع استرجاع بلغراد عام ١١٠١هـ، واستطاع القادة العثمانيون إخماد الثورة فى الصرب واستعادة إقليم ترانسلفانيا. وتوفى الخليفة عام ١١٠٢هـ وتولى أخوه أحمد الثانى الخلافة لأن سليمان لم ينجب.

الخليفة أحمد الثانى

(١١٠٢ - ١١٠٦هـ)

لم تطل مدة حكمه على أربع سنوات، فقدت خلالها الدولة مصطفى كوبريلى شهيداً فى القتال مع النمسا، ولم يكن خلفه عرجى باشا فى كفاءته فاحتلت البندقية جزيرة ساقز فى بحر ايجة. وتوفى الخليفة أحمد الثانى عام ١١٠٦هـ وتولى الخلافة بعده الخليفة مصطفى الثانى.

الخليفة مصطفى الثانى

(١١٠٦ - ١١١٥هـ)

استمرار الحروب مع أوروبا:

اتسم هذا الخليفة بالشجاعة والإقدام، فقاد الجيوش بنفسه لمنازلة البولنديين، واستطاع أن ينتصر عليهم بمساعدة فرسان القوزاق، وفى عام ١١٠٧هـ أجبر قيصر الروس بطرس الأكبر على فك الحصار عن مدينة

(آزوف) التي يسعى لضمها لتكون منفذا لروسيا على البحر الأسود، وتوجه الخليفة لملاقاتة النمسا على أرض المجر، واستطاع أن ينتصر عليهم حتى فاجأ القائد النمساوي (أوجين دي سافوا) العثمانيين وهم يعبرون نهر تيس، واستطاع أن يهزمهم وغرق الكثير منهم فى النهر وأخذ يلاحقهم حتى استطاع دخول بلاد البوسنة.

وفى الوقت نفسه استغل بطرس الأكبر الفرصة، واحتل مدينة آزوف (آزوق) عام ١١٠٨هـ ومع توالى الهزائم على العثمانيين تولى الصدارة العظمى حسين كوبريلى فاستطاع الانتصار على النمسا، وطردهم من البوسنة، واسترداد بعض الجزر فى بحر إيجه.

معاهدة كارلوفتس ١١١٠هـ:

اضطرت الدولة إلى إبرام معاهدة كارلوفتس بوساطة فرنسا، خاصة بعدما تحالفت عليها الكثير من دول أوروبا والتي بمقتضاها تنازلت:

- ١- عن مدينة آزوف لروسيا.
 - ٢- عما بقى لها من بلاد المجر للنمسا وعقدت هدنة مع النمسا لمدة ٢٥ عاما
 - ٣- عن أوكرانيا وبودوليا لبولندا.
 - ٤- عن ساحل دلماسيا وبعض جزر بحر إيجه للبندقية.
- وحزن الصدر الأعظم حسين كوبريلى لهذه المعاهدة فقدم استقالته عام ١١١٤هـ، وثار الانكشارية بعده على الخليفة حتى عزلوه عام ١١١٥هـ وتولى أخوه أحمد الثالث الخلافة.

الخليفة أحمد الثالث

(١١١٥ - ١١٤٣هـ)

نجح في خداع الانكشارية فنفذ مطالبهم ووافقهم على قتل المفتى فيض الله حتى إذا اطمأنوا له، قتل رءوس الفساد فيهم وعزل الصدر الأعظم المعين برغبتهم، والذي كان قائداً لثورتهم.

الحروب فى أوروبا:

الحرب مع روسيا ومحاصرة القيصر: طلبت السويد دعم العثمانيين فى حربها ضد الروس، ولكن الصدر الأعظم نعمان كوبريلى رفض ذلك، وما أن استلم بلطجى محمد باشا منصب الصدارة العظمى، حتى أعلن الحرب على روسيا وأتيحت له الفرصة لأن يفنى دولة روسيا من الوجود، بعدما تمكن من حصار القيصر وعشيقته كاترينا، التى أصبحت امبراطورة فيما بعد، والتى تمكنت من إغراء الصدر الأعظم بالمجوهرات والمال، ففك الحصار واكتفى بتوقيع معاهدة تتعهد فيها روسيا بالتخلى عن ميناء آزوف، وأن لا تتدخل فى شئون القوزاق، وبسبب خيانة الصدر الأعظم فقد تم عزله ونفيه لحدى جزر بحر إيجه، وتولى منصبه يوسف باشا الذى أبرم مع روسيا معاهدة جديدة تقضى بهدنه مدتها ٢٥ عاما بين الدولتين، عرفت بمعاهدة أدرنه، ولكن ما لبثت روسيا أن عادت لنقض العهود، فتدخلت إنكلترا وهولندا لتأثير الحروب على تجارتها وعقدت معاهدة أدرنه عام ١١٢٥هـ والتى تنص على سيطرة العثمانيين على كافة السواحل الشمالية للبحر الأسود، وفى نفس الوقت لا تدفع روسيا جزية لخانات القرم.

تطهير كريت من البنادقة: منذ فتحت كريت والأوضاع بها غير مستقرة، نظراً لوجود بعض المواقع ظلت البندقية تسيطر عليها فى الجزيرة حتى

تمكن العثمانيون من طردهم منها تمامًا عام ١١٢٩هـ.

معاهدة بساروفتس ١١٣٠هـ: استنجدت البندقية بالنمسا التي هددت العثمانيين بالحرب إن لم يعيدوا ما أخذوه من البندقية، فضرب العثمانيون بتهديدهم عرض الحائط، فنشبت الحرب بينهما، واستطاعت النمسا أن تنتصر على العثمانيين وتحتل بلغراد عام ١١٢٩هـ ثم عقد الصلح عام ١١٣٠هـ بمعاهدة بساروفتس التي بمقتضاها:

١- تفقد الدولة بلغراد ومعظم بلاد الصرب جزءاً من الأفلاق للنمسا.

٢- وأن تعود بلاد مورة للعثمانيين.

٣- تظل البندقية مسيطرة على سواحل دلماسيا.

الحرب مع الصفويين: استغل العثمانيون ضعف الصفويين، بعد ما تنازل الشاه حسين لأmir أفغانستان مير محمد عن الحكم، فضموا إليهم بلاد الكرج وأرمينيا، واستغلت روسيا الفرصة فاحتلت بلاد داغستان، وكاد العثمانيون أن يصطدموا بالروس لولا الوساطة الفرنسية.

وحاول الصفويون استرداد ما فقدوه، فهزموا وفقدوا تبريز وهمدان وغيرهما ثم جرى الصلح عام ١١٤٠هـ، ثم ما لبث أن تجددت الحرب بينهما بعدما تولى طهماسب حكم الصفويين، ولبيل الخليفة للصلح ثار الانكشارية وقتلوا الصدر الأعظم ثم عزلوا الخليفة وولوا ابن أخيه مكانه.

استطاعت الدولة العثمانية أن تنزل بالصفويين الهزيمة عام ١١٤٤هـ ثم تم الصلح بتنازل الصفويين عن همدان وتبريز وإقليم لورستان، ولكن والى خراسان نادر شاه رفض المعاهدة، واستطاع أن يسير إلى الشاه ويعزله ثم اتجه لقتال العثمانيين وألحق بهم الهزيمة حتى عقد صلحاً بين العثمانيين والصفويين

فى مدينة تفليس ببلاد الكرج عام ١١٤٩هـ، تنازل فيه العثمانيون عن كل ما أخذوه من الصفويين وأصبح نادر شاه ملكاً على فارس.

دخول الطباعة الدولة العثمانية: ومما يذكر فى عهد الخليفة أحمد الثالث إنشاء أول دار للطباعة فى استنبول لتكون السابقة الأولى من نوعها فى الدولة العثمانية.

الخليفة محمود الأول

(١١٤٣ - ١١٦٨هـ)

عندما تولى الحكم كان النفوذ الأعظم لقائد ثورة الانكشارية بطرونا خليل الذى عزل الخليفة ثم ما لبث أن اختلف معه الانكشارية وقتلوه.
معاهدة بلغراد:

احتلت روسيا بولندا بدعم من النمسا، وعندما رغبت فرنسا فى إنقاذ بولندا أرضتها النمسا بمعاهدة فيينا لكى تتفرغ النمسا لقتال العثمانيين، وبدأت روسيا بإشعال الحرب مع العثمانيين، واحتلت ميناء آزوف، فاتحدت الدولة العثمانية مع الفرس واستطاعت وقف هجومهم، وفى نفس الوقت أخذت تلاحق الجيوش العثمانية النمسا حتى تمكنت من هزيمتها وعقدت معاهدة بلغراد عام ١١٥٢هـ والتي نصت على:

١- عودة بلغراد وما تحتله النمسا من أراضى الصرب والأفلاق إلى الدولة العثمانية.

٢- وأن تلتزم روسيا بهدم قلاع مدينة آزوف وألا تكون لها سفينة فى البحر الأسود.

وتوفى الخليفة محمود الأول عام ١١٦٨هـ وتولى الخلافة أخوه عثمان الثالث.

الخليفة عثمان الثالث

(١١٦٨ - ١١٧١هـ)

ولد عام ١١١٠هـ وكان عمره حين تولى الخلافة يزيد على الثامنة والخمسين عاماً، قتل الصدر الأعظم على باشا لسوء تصرفه وعين محمد راغب باشا مكانه، فكان عوناً له، وأهلاً للإصلاح، وكان الخليفة يسير متكرراً في الليل، ويطلع على أحوال الرعية، ويعمل على الإصلاح. وقد توفي في عام ١١٧١هـ.

الخليفة مصطفى الثالث

(١١٧١ - ١١٨٧هـ)

وهو ابن الخليفة أحمد الثالث وتولى الخلافة عام ١١٧١هـ.

الحرب مع الروس:

أغار القوزاق التابعون لروسيا على حدود الدولة العثمانية، فأعلنت الدولة الحرب على روسيا، وقاد خان القرم كريم كراي الجيش وانتصر على الروس وعاد بعدد كبير من الأسرى الروس عام ١١٨٢هـ.

من الأشياء التي جرت في عهد هذا الخليفة ومن تبعه هو قتل الصدر الأعظم أو القائد إذا فشل أو انهزم في الحرب، حتى يكون عبرة لغيره، ففي الحرب مع الروس فشل الصدر الأعظم في فك حصارهم عن عدة مدن، فكان جزاؤه القتل، ثم جاء الصدر الأعظم الجديد وحاول اجتياز نهر الدينستر وكان النهر في ذلك الوقت فائضاً فغرق الكثير من الجند، وهزم العثمانيون وكان ذلك عام ١١٨٣هـ واستطاع الروس احتلال إقليم الأفلاق والبغدان.

وحاول الروس احتلال طرابزون ولكنهم لم يستطيعوا، ولكنهم استطاعوا في عام ١١٨٥هـ فصل القرم عن الدولة العثمانية، وتعيين جاهين كراي باسم

الإمبراطورة كاترين الأولى إمبراطورة روسيا، وتوسّطت النمسا لإنهاء الحرب ولكن الروس طلبوا شروطاً مجحفة، وهم يعلمون تماماً أن الدولة سترفضها وذلك طمعاً في استمرار الحرب ومواصلة تقدمهم في أملاك الدولة، فاندلعت الحرب من جديد ولكن خاب ظن الروس فقد صدت القوات العثمانية هجوم الروس، وتمكنت من إجلائهم عن كثير من المناطق التي احتلوها.

الفتن الداخلية: حاولت روسيا إثارة الفتن داخل الدولة العثمانية، حتى تضربها داخلياً مع استمرار منازلتها خارجياً.

ثورة نصارى المورة: أثار الروس نصارى المورة واتجه الأسطول الروسى إلى المورة لدعم الثورة، ولكنه منى بالهزيمة، ولكن بعض السفن التي أفلتت تمكنت من إحراق جزء كبير من الأسطول العثماني، ثم اتجهت لاحتلال جزيرة لمنوس فأجبرتها البحرية العثمانية على التقهقر عام ١١٨٥ هـ وأخذت الثورة في المورة.

ثورة على بك الكبير في مصر: استطاع الروس أن يقنعوا على بك الكبير والى مصر بمد نفوذه في الدولة العثمانية مستغلاً انشغالها بالحروب مع روسيا، واتجه الأسطول الروسى في البحر المتوسط يمد على بك الكبير بما يحتاج من ذخيرة، فدخل بلاد الشام ولم يقو أحد على إيقافه، وخاصة أن الأسطول الروسى يتحرك معه، ولكنه فوجئ بتمرد نائبه في مصر محمد أبى الذهب فعاد إلى مصر لقتاله، ولكنه هزم فاتجه إلى ضاهر العمر وهو أحد قطاع الطرق، وكان في نفس الوقت من جباة الأموال فوجد فيه سنداً له فواصل تقدمه في الشام، وكان الخليفة في بداية الأمر يعترف بما ضمه على بك وذلك لانشغاله بقتال الروس، ولكن لما استفحل أمره التقى به الجيش العثماني بالقرب من مدينة صيدا فانتصر على بك الكبير، وخاصة أن الأسطول الروسى كان يساعده بإلقاء قذائفه على السواحل الشامية.

وبعد ذلك استعد على بك الكبير لمهاجمة الأناضول، وفقاً لاتفاقه مع الروس، بأن يهاجم هو من الجنوب ويهاجم الروس من الشمال، فتقع الدولة العثمانية بين فكيهما، ولكنه رأى أن يقضى أولاً على محمد أبى الذهب فى مصر فسار إليه والروس يدعمونه بأربعمئة جندي، والتقى بمحمد أبى الذهب فى عام ١١٨٧هـ فهزم على بك الكبير هزيمة منكرة ومات متأثراً بجراحه، ووقع فى الأسر الجنود الروس الذين يدعمونه، وتخلصت الدولة من فتنة هذا الخائن التى كادت تقضى على الدولة وتفتح لروسيا أبوابها، وعين محمد أبو الذهب والياً لمصر نظراً لإخلاصه وتفانيه فى خدمة الدولة. وتوفى الخليفة مصطفى عام ١١٨٧هـ.

الخليفة عبد الحميد الأول

(١١٨٧ - ١٢٠٣هـ)

كان مجوساً فى قصره حتى توفى أخوه فخرج ليتسلم الخلافة.

اتفاقية قينارجة ١١٨٧هـ:

أغارت أساطيل روسيا على مدينة وارنا (فارنا) البلغارية وأنزلت قواتها التى استطاعت محاصرة معسكر العثمانيين فطلب الصدر الأعظم الصلح فعقدت اتفاقية قينارجة والتي نصت على:

١- إقرار العثمانيين باستقلال القرم وكذلك إقليم بسارابيا (يمثل الآن جمهورية ملدافيا وجزء من أوكرانيا ومقاطعة دوبروجة من جمهورية رومانيا) وكذلك منطقة قوبان الواقعة شمال غربى القوقاز وكانت روسيا تهدف لاستقلال هذه المناطق تمهيداً لاحتلالها.

٢- حرية ملاحه السفن الروسية فى البحر الأسود.

٣- وأن تدفع الدولة العثمانية لروسيا غرامة حربية مقدارها ١٥ ألف كيس تدفع على ثلاثة أقساط في مطلع كل عام نصراني.

٤- وأن يكون لروسيا حق حماية النصارى الأرثوذكس الذين يقيمون في الدولة العثمانية وتبنى كنيسة في استنبول.

وواصلت روسيا تحقيق أهدافها فأشعلت الفتن في القرم لتجد لها مبرراً للتدخل، وبالفعل احتلت القرم واشتاطت الدولة العثمانية من تصرف الروس، وكادت تعلن الحرب عليها لولا ما أبداه السفير الفرنسي من استعدادات روسيا ومن تضامن النمسا معها وانتظار الفرصة لتفتيت الدولة العثمانية.

وواصلت روسيا استفزازاتها للزج بالدولة العثمانية في حرب معها كى تقتطع منها المزيد من الأراضى، فأعلنت حمايتها على بلاد الكرج وأطلقت لجواسيسها العنان لإثارة الفتن، وخاصة في الأقاليم ذات الأغلبية الأرثوذكسية مثل؛ الأفلاق والبغدان والمورة والصرب، وأخذت روسيا تشحن شعبها للحرب مع العثمانيين، فعندما زارت الإمبراطورة كاترينا الثانية القرم استقبلت بأقواس النصر المكتوب عليها الطريق إلى بيزنطة؛ والمقصود بها القسطنطينية، فالروس أصحاب المذهب الأرثوذكسى لم ولن ينسوا أن العثمانيين أخذوا أقدس مكان لهم على الأرض، بل وحولوه إلى مسجد، فكانت أسمى أمانهم السيطرة على استنبول، وإرجاع ما كان في العهد القديم، وخاصة بعدما نقل مقر الكنيسة الأرثوذكسية إلى موسكو بصفة أن الروس حامى همى الأرثوذكس فى العالم وأقوى شعوبهم.

ولما علمت الدولة العثمانية بما يحدث، أرادت أن تبادر بالهجوم على الروس قبل أن ينقضوا عليها، فأبلغت السفير الروسى بعدة طلبات لروسيا كى تجد سبباً لجرها للحرب، وهذه الطلبات هى:

- رفع الحماية عن بلاد الكرج.
- تعيين قناصل عثمانيين فى السواحل التى تحتلها روسيا من البحر الأسود بدلاً من الذين يثيرون السكان.
- أحقية الدولة فى تفتيش السفن الروسية التى تعبر مضيق الدردنيل.
- تسليم حاكم الأفلاق اللاجئ سياسياً لروسيا.
- وكما هو متوقع رفضت روسيا الطلبات، فأعلنت الدولة العثمانية الحرب عليها، وجرت مناوشات بين الطرفين تمكنت روسيا عام ١٢٠٣هـ من احتلال مدينة أوزى، وفى نفس الوقت انتهزت النمسا الفرصة للإغارة على بلاد الصرب ولكنها فشلت فى احتلالها.
- التخلص من ضاهر العمر: استطاع محمد أبو الذهب بأمر من الخليفة أن يتبع ضاهر العمر فى الشام فحاصره فى عكا، ثم فر إلى جبال صفا، ثم قتله عام ١١٨٨هـ.
- وتوفى الخليفة عبد الحميد عام ١٢٠٣هـ.

الخليفة سليم الثالث

(١٢٠٣ - ١٢٢٢هـ)

وهو ابن الخليفة مصطفى الثالث، تسلم الخلافة فى وقت عصيب، فقد استطاعت روسيا أن تحتل إقليم الأفلاق والبغدان وبساريا، وساعدها على هذا للنجاح مساندة النمسا لها واحتلالها لبلاد الصرب ودخولها بلغراد.

ولكن جاءت عناية القدر، عندما ظهرت الثورة الفرنسية وانشغل الإمبراطور النمساوى بها، وخاف أن تمتد إلى بلاده، فعقد صلحاً مع العثمانيين

عام ١٢٠٥هـ أعاد إليها بلاد الصرب وبلغراد، ولكن روسيا لم تتوقف في حربها ضد الدولة العثمانية واستطاعت أن تحتل المزيد من الأراضي، وكانت إذا دخلت بلادًا للمسلمين ارتكبت الفظائع وتجردت معهم من الإنسانية.

معاهدة ياسي ١٢٠٦هـ:

توسّطت إنكلترا وهولندا وبروسيا بين العثمانيين والروس وعقدت معاهدة ياسي التي بمقتضاها:

- ١- تعود الأفلاق والبغدان للدولة العثمانية.
- ٢- تعترف الدولة العثمانية بسيادة روسيا على القرم وبساراييا ومدينة أوزي وجزء من بلاد الشركس.

الشئون الداخلية: بعد المعاهدات التي أبرمت مع روسيا والنمسا حاول الخليفة إصلاح الشئون الداخلية للدولة، وجاء بفكرة الجنود النظامية ليتخلص من الانكشارية الذين أصبحوا منبعًا للفتن والهزائم، وحاول تقليد أوروبا بعد ما رأى التقدم الذي وصلت إليه، فجعل إنشاء السفن على الطريقة الفرنسية، واستعان بالسويد في وضع المدافع، وترجم المراجع العلمية في الرياضيات والفن العسكري.

وأثار إنشاء الجنود النظامية جنود الانكشارية، وخاصة بعد فصل الخليفة الأسطول والمدفعية عن الانكشارية، فثار الانكشارية ومعهم الجنود غير النظاميين وأجبروا الخليفة إلغاء النظام العسكري الجديد، ولم يكتفوا بذلك بل عزلوا الخليفة عام ١٢٢٢هـ.

الحملة الفرنسية على مصر وتوتر العلاقات:

ومما يذكر في عهد الخليفة سليم الثالث الحملة الفرنسية على مصر عام ١٢١٣هـ التي استطاع فيها نابليون دخول مصر، فتحول أعداء الأمس إلى

أصدقاء، وعرضت روسيا مساعدة العثمانيين في الحرب مع فرنسا، وكذلك أبدت إنكلترا استعدادها لذلك، وفي ذلك الوقت كان نابليون يواصل توغله في الأراضي العثمانية، فدخل بلاد الشام ولكنه فشل في دخول عكا لاستيسال واليهما أحمد باشا الجزائر ومساعدة الأسطول الإنكليزي له، ثم استطاع الأسطول الإنكليزي تدمير الأسطول الفرنسي في الإسكندرية عام ١٢١٣هـ واندلعت الثورة في أنحاء مصر، وكان للجامع الأزهر كبير الأثر في ذلك، وكان من أهم نتائج الثورة قتل كليبر خليفة نابليون في مصر عام ١٢١٥هـ.

وأصبحت فرنسا في مستقع تفقد فيه الكثير من جنودها، حتى نزلت القوات العثمانية والإنكليزية في مصر، وواصلت تقدمها إلى القاهرة، فاضطرت فرنسا للانسحاب من مصر عام ١٢١٦هـ بعد إبرام اتفاقية العريش وعادت العلاقات لسابقها مع فرنسا وتجددت الامتيازات

ثم عادت روسيا للعداء مع الدولة العثمانية، وخاصة بعد أن عزلت الدولة أميرى الأفلاق والبغدان المؤيدين من قبل روسيا، تدعمها إنكلترا وهددا الدولة بدخول استنبول، إن لم تعط إقليمى الأفلاق والبغدان لروسيا، وتعطى لإنكلترا أسطوها وقلاع الدردنيل، وكادت الدولة أن تخضع لهذه الشروط لأنها لا تملك القوة التى تستطيع المقاومة، إلا أن العناية الإلهية قد تمثلت فى اختلاف المصالح بين الدول، فجاء السفير الفرنسى للخليفة وعرض عليه عون فرنسا، فوافق الخليفة وتوجه الأسطول الفرنسى إلى مدخل مضيق الدردنيل مطوقاً الأسطول الإنكليزي فى بحر مرمرة فاضطرت إنكلترا للانسحاب فوراً خوفاً من تدمير أسطوها وحاولت تعويض فرارها فى الحملة التى شنتها على مصر بقيادة فريزر عام ١٢٢٢هـ ولكن شعب رشيد الباسل قد لقنها درساً لن تنساه فانسحبت تجر أذيال الخيبة وراءها.

وكان محمد علي أحد الجنود الذين جاءوا ضمن الجيش العثماني لإخراج الفرنسيين من مصر، فما لبث أن جذب إليه المماليك والعلماء والأهالي، حتى نصب والياً على مصر عام ١٢٢٠هـ فما إن استتب له الأمر حتى تخلص من المماليك في مذبح القلعة عام ١٢٢٦هـ وأثار الفتن بين العلماء لينفرد بالحكم وحده.

وفي عهد الخليفة سليم الثالث تكونت جمهورية مستقلة في بلاد اليونان تحت ضغط دول أوروبا، وبرغم أن هذه الجمهورية تكونت تحت حماية الدولة العثمانية إلا أن الوضع الذي أصبحت عليه سيمهد لها الطريق إلى الاستقلال التام عن الدولة العثمانية كما سنرى في الصفحات المقبلة.

الخليفة مصطفى الرابع

(١٢٢٢ - ١٢٢٣هـ)

وهو ابن السلطان عبد الحميد الأول.

وفي ذلك الوقت لم ترد روسيا التخلي عن الأفلاق والبغدان، وفي نفس الوقت كانت روسيا في حرب مع فرنسا، وانتصرت فرنسا في الحرب ففرضت فرنسا رأيها على العثمانيين بأن يخلى الروس ولايتي الأفلاق والبغدان، على ألا تدخلها الجيوش العثمانية فوافق العثمانيون ولكن روسيا لم تترك الولاياتين.

في البداية انصاع الخليفة لأوامر الانكشارية بعدما عزلوا عمه وعين قائدهم قباچجي أوغلي حاكماً لقلاع البوسفور، ثم ما لبث أن اختلف الانكشارية، وقتل قباچجي أوغلي وطلب القائد الجديد للإنكشارية إعادة الخليفة سليم الثالث، ولكن سليم وافته المنية فقتل الخليفة مصطفى القائد الجديد، فاجتمع عليه الانكشارية وعزلوه وولوا أخاه محمود الثاني عام ١٢٢١هـ.

ال خليفة محمود الثاني

(١٢٢٢ - ١٢٥٥هـ)

امتلاً عهد محمود الثاني بأحداث هامة سواء على الصعيد الداخلى أو الخارجى.

الحركة الوهابية:

نتيجة للضعف الشديد الذى دب فى أوصال الدولة العثمانية ظهر فيها اتجاهان.

الاتجاه الأول.. والذى أرجع ما وصلت إليه الدولة العثمانية من ضعف إلى الابتعاد عن الإسلام، الذى ما كان للمسلمين أن تقوم لهم قائمة فى الأرض إلا بالتمسك به.

الاتجاه الثانى.. يقوم على ضرورة تقليد أوروبا تقليدًا أعمى، لكى نصل إلى ما وصلت إليه من تقدم وازدهار.

الاتجاه الأول: تمثل فى الحركة الوهابية التى قامت فى أنحاء الجزيرة العربية، واجتذبت إليها الكثير من أهلها.

والاتجاه الثانى: كان متمثلاً فى محمد على، الذى أخذ فى إرسال البعثات إلى أوروبا لتأتى بكل ما تجده فى أوروبا، حتى لو كان لا يتفق مع الدين، ولذلك نجد الأوروبيين قد أثنوا دائماً عند الكتابة عن محمد على، واعتبروا أن النهضة فى مصر قد بدأت منذ عهده.

ولما زاد أتباع الحركة الوهابية، أوحى الأوروبيون وغيرهم من أعداء الوهابيين إلى الدولة العثمانية بأنها حركة انفصالية خارجة عن سلطة الدولة، وكانت الجيوش العثمانية فى ذلك الوقت فى حروب مع أوروبا، فتركت مهمة

القضاء على الحركة لمحمد على، الذى استطاع أن يجهز جيشاً قوياً يحمى به نفوذه ويخوض به المعارك، فأسرع ببناء أسطول لنقل القوات إلى ميناء ينبع على البحر الأحمر، ونزلت القوات التابعة لمحمد على بإمرة ابنه طوسون، واستطاعت أن تسيطر على المدينة المنورة، ولكنه حوَّصر فى الطائف فجاءه أبوه بنفسه، فاحتل مكة المكرمة ثم واصل طوسون زحفه فى الجزيرة العربية، فأرسل إليه عبد الله بن سعود أمير الدولة السعودية الرابعة للحركة الوهابية، وطلب الصلح فتم، ولكن طوسون اضطر للعودة إلى مصر بعدما سمع بتمرد جند والده، وما إن هدأت الأوضاع فى مصر حتى بعث محمد على حملة جديدة بقيادة ابنه إبراهيم، واستطاع الوصول إلى الدرعية قاعدة السعوديين فاستسلمت وعقد الصلح فى عام ١٢٣٣هـ وبذلك قضى على الحركة الوهابية وسافر عبد الله بن سعود إلى استنبول، بعد أن أمَّنه الخليفة ولكن ما لبث أن قتل بمجرد وصوله.

الأوضاع فى أوروبا:

مع استمرار الحروب مع روسيا وإشعال فتن الاستقلال عن الدولة فى ولاية الصرب، ومع تقدم الروس فى الأراضى العثمانية، تجددت الخلافات بين فرنسا وروسيا، فمالت روسيا للصلح مع الدولة العثمانية، لكى تتفرغ لقتال الفرنسيين فعقدت معاهدة بخارست التى تنص على سيادة الدولة العثمانية على الأفلاق والبغدان والصرب، وسيادة روسيا على بساربيا، واستطاعت روسيا أن تتصر فى حروبها مع فرنسا مما اعتبره نابليون خيانة من العثمانيين.

ثورة الصرب: وفى بلاد الصرب اشتد غيظ السكان من معاهدة بخارست التى تبيحهم تحت الحكم العثماني، فاندلعت الثورة فأخضعهم العثمانيون وفر زعماءها إلى النمسا ما عدا تيودروفتش الذى أبدى طاعته للدولة وهو فى الحقيقة يعمل على زرع بذور الانفصال عنها فى السكان، حتى إذا قويت

شوكته أعلن التمرد عام ١٢٣٠هـ فاصطدمت معه الجيوش العثمانية، حتى أبدى الطاعة مرة أخرى للخليفة على ألا تتدخل الدولة فى شئون الصرب الداخلية وأن تكون السيطرة للعثمانيين فى الصرب على القلاع فقط فوافقت الدولة.

ثورة اليونان: كنتيجة طبيعية لعدم تدخل الدولة العثمانية فى عقيدة أو حضارة أو لغة الأمصار المفتوحة؛ افتقدت هذه الأمصار الارتباط مع الدولة العثمانية، وخاصة غير المسلمين، وكان من ضمن هذه الأمصار اليونان التى سافر العديد من أبنائها إلى أوروبا، ليعودوا مشحونين بالنزعات الانفصالية عن العثمانيين، وأسسوا جمعيات سرية فى النمسا وروسيا لدعم الانفصال عن العثمانيين، وما إن أعدوا العدة حتى أعلنوا التمرد على العثمانيين، فتوجه إليهم خورشيد باشا فهزم أمامهم وانتحر بعد الهزيمة.

فلم يجد الخليفة لإخماد الثورة فى اليونان غير محمد على الذى أتم فتح السودان، فأمر الأسطول المصرى أن يتحرك بإمرة ابنه إبراهيم متوجها إلى اليونان للقضاء على الثورة، حتى يضمها هى الأخرى إلى مناطق نفوذه، واستطاعت الجيوش المصرية أن تحقق انتصارات كاسحة فى اليونان، برغم الإمدادات التى كانت تنهال عليها من أوروبا بأسرها، وتمكن من دخول أثينا عام ٢٤١هـ فسارعت كل من روسيا وإنكلترا بالتدخل، وضغطت على العثمانيين لعقد معاهدة آق كرمات عام ١٢٤٢هـ وكان من أغرب ما تتسم به أنها لم تذكر شيئاً عن اليونان، بالرغم من أن التدخل كان بسبب الثورة فى اليونان، ومن أهم بنودها حرية الملاحة لكافة السفن فى البحر الأسود، وأحقية روسيا فى المرور فى مضائق البوسفور و الدردنيل بدون تفتيش، بالإضافة إلى أحقيتها فى انتخاب أمير الأفلاق والبغدان، ولا يحق للعثمانيين عزل أى منهما إلا

بموافقة روسيا، وأن تصير إمارة الصرب مستقلة ذاتياً، ويحتفظ العثمانيون فيها بثلاث قلاع فقط منهم بلغراد.

مؤتمر لندن: واصلت أوروبا استفزازها للعثمانيين لجرهم إلى الحرب، ففي عام ١٢٤٢هـ طلبت إنكلترا من العثمانيين أن تكون الدول النصرانية هي الوسيط بين العثمانيين والولايات العثمانية ذات الأغلبية النصرانية، فرفضت الدولة، فجعلت أوروبا هذا الرفض ذريعة للحرب، واتفقت روسيا وإنكلترا وفرنسا على حرب العثمانيين، إذا لم يعطوا اليونان الاستقلال التام، وأعطوا مهلة للخليفة شهر لسحب قواته من اليونان، فلم يمثل لهم الخليفة فتوجهت أساطيل روسيا وإنكلترا وفرنسا إلى اليونان، وأمرت إبراهيم باشا بالانسحاب من اليونان فضرب بكلامهم عرض الحائط، فدمر الحلف الأوروبى الأسطول العثمانى والمصرى فى اليونان، واستشهد ما يزيد على ٣٠ ألف مصرى فى مقاومة الحلف الصليبي، ثم اضطر إبراهيم باشا إلى الانسحاب بمن بقى معه من الجنود، وعقد التحالف الصليبي مؤتمر لندن الذى دعيت إليه الدولة العثمانية، فرفضت الحضور فأعلن التحالف استقلال اليونان عن الدولة العثمانية، فرفضت الدولة العثمانية الاعتراف بقرارات المؤتمر.

معاهدة أدرنه: أعلنت روسيا الحرب على العثمانيين، وتمكنت من احتلال البغدان والأفلاق، وعينت عليهم حاكماً من قبلها، واستطاعت دخول مدينة وارنا (فارنا) البلغارية بعد خيانة أحد القادة العثمانيين، وهو يوسف باشا، الذى سلم المدينة لهم واستطاعت روسيا أيضاً أن تدخل شرقى الأناضول، ثم كانت الفاجعة باحتلالها مدينة أدرنه، وغدت قاب قوسين أو أدنى من استنبول فأسرعت إنكلترا وفرنسا بوقف تقدم روسيا، وذلك ليس من أجل العثمانيين ولكن لأن وصول روسيا إلى استنبول يهدد مصالح فرنسا وإنكلترا فعقدت

معاهدة أدرنه والتي من نصوصها:

١- عودة الأفلاق والبغدان ومقاطعة دوبروجة وقارص وأرضروم إلى العثمانيين.

٢- عدم تفتيش سفن روسيا المارة في المضائق العثمانية.

٣- أن تتمتع روسيا بنفس الامتيازات التي تتمتع بها الدول الأخرى.

٤- أن يدفع العثمانيون غرامة حربية كبيرة لروسيا كتعويض لمصاريف الحرب.

٥- استقلال بلاد الصرب وتسليم ما تحتفظ به الدولة من قلاعها.

وتأمل أخى المسلم البند الرابع كى تلاحظ أن دول أوروبا لا تريد ترك الفرصة للعثمانيين أن يعيدوا بناء أنفسهم، ولا تنظيم جيوشهم وأن تزيد عليهم الخناق، حتى يكونوا فريسة سهلة فى القضاء عليها وأيضا من بنود المعاهدة.

احتلال الجزائر:

اختلقت فرنسا الذرائع التافهة لغزو الجزائر عام ١٢٤٥هـ، واستطاعت أن تحتلها برغم استبسال المقاومة بقيادة عبد القادر الجزائرى الذى اضطر للاستسلام عام ١٢٦٣هـ.

إلغاء الانكشارية:

أصبح الانكشارية كما ذكرنا لفترة من الزمن هم المسيطرون الفعليون على البلاد، يعزلون خليفة ويقتلون آخرًا، ويعينون ثالثًا، فعزم الخليفة محمود الثانى على القضاء عليهم، وخاصة بعدما سرَّ بالنظام العسكرى الحديث، والذى تمثل فى جيش محمد على، فاجتمع فى بيت المفتى ودعا إلى الاجتماع مع كبار الدولة وكبار الانكشارية وقرر إلغاء نظام الانكشارية، فوافق الجميع إلا الانكشارية، وحاولوا التمرد وتجمعوا فى أحد ميادين استنبول، فحصدتهم المدفعية العثمانية

حصداً فى عام ١٢٤٠هـ وأعلن النظام الجديد للجند، والذى قلد فيه الأوروبين ودرب الجيش مدربون أوروبيون، واتجه بالبلاد إلى تقليد أوروبا حتى أنه تزيأ بزيتهم واستبدل بالعمامة الطربوش.

زيادة أطماع محمد على:

بعد أن ضم محمد على الحجاز وجزيرة كريت إلى أملاكه لم يقتنع بكل هذا، بل بدأ زحفه على بلاد الشام عام ١٢٤٧ بقيادة ابنه إبراهيم باشا، واستطاع أن يزيح جميع العقبات فى طريقه، سواء من الولاة أم من الجيش العثماني، خاصة وأن الأسطول المصرى يسير بجانبه، ويمده بما يحتاج، وامتد زحفه إلى الأناضول، فهزم القائد العثماني رشيد باشا وأخذه أسيراً وأصبح قاب قوسين أو أدنى من استنبول.

معاهدة كوتاهية ١٢٤٨هـ:

وبرغم تشجيع أوروبا لمحمد على فى بداية الأمر، إلا أنها خشيت أن يستعيد المسلمون قوتهم وأن يصبح محمد على قوة تهددهم، فعرضت روسيا مسانبتها للعثمانيين وأرسلت ١٥ ألف جندى لاستنبول بحجة حمايتها، فخشيت إنكلترا وفرنسا من امتداد النفوذ الروسى وتوسطت للصلح مع محمد على.

وبالفعل عقدت معاهدة كوتاهية عام ١٢٤٨هـ والتى نصت على:

- ١- انسحاب محمد على من الأناضول إلى ما بعد جبال طوروس.
- ٢- تكون مصر لمحمد على مدة حياته.
- ٣- يعين إبراهيم بن محمد على والياً على أضنه وهو الإقليم المتاخم للأناضول.
- ٤- يعين محمد على والياً من قبله على ولايات الشام الأربع (عكا، وطرابلس، ودمشق، وحلب) وعلى جزيرة كريت.

لم يقتنع محمد على بمعاهدة كوتاهية، ولكنه أراد أن تكون مصر والشام وجزيرة العرب له ولأولاده من بعده، وراسل أوروبا فى ذلك، فتشاورت معه

الدولة العثمانية، فاتفق الطرفان على أن تكون مصر وجزيرة العرب له وراثية أما الشام فتكون له مدة حياته فقط، ولكن نشب الخلاف بين الجانبين فى احتلال جبال طوروس، المانع الطبيعى بين الشام والأناضول، فسار الجيش العثماني بقيادة حافظ باشا وقد استعان العثمانيون بالقائد الألماني المشهور فون مولتكه، فالتقى بإبراهيم باشا فى موقعة نزيب وكان النصر حليف إبراهيم باشا ففر الجيش العثماني تاركاً عتاده وراءه.

وتوفى الخليفة محمود الثانى عام ١٢٥٥هـ.

معاهدة خونكار اسكله سي:

أبرمت معاهدة بين الدولة العثمانية وروسيا تتعهد فيها روسيا بالدفاع عن الدولة العثمانية وبالتالي أصبح لروسيا نفوذ كبير فى الدولة.

الخليفة عبد المجيد الأول

(١٢٥٥ - ١٢٧٧هـ)

وهو ابن الخليفة محمود الثانى استلم الخلافة وكان عمره ١٨ سنة.

استمرار الحرب مع محمد على:

ازدادت حدة الخلافات مع محمد على، وخاصة بعدما رأى قائد البحرية العثمانية أن محمد على هو الوحيد القادر على أن يعيد للدولة العثمانية، هيبتها المفقودة، فسار بالأسطول العثماني وسلمه لمحمد على فى الإسكندرية.

فدب الذعر فى قلوب الدول الأوروبية لزيادة قوة محمد على، وبخاصة بعدما أصبحت الدولة العثمانية غير قادرة على الصمود أمامه، فقدمت كل من روسيا والنمسا وإنكلترا وفرنسا لائحة مشتركة إلى الخليفة بالألا يتخذ قراراً يتعلق بمحمد على إلا بمشورتهم، ووعده بالتوسط بينه وبين محمد على فوافق الخليفة.

ثم اجتمعت كل من إنكلترا وروسيا وبروسيا والنمسا عام ١٢٥٦هـ فعدوا اتفاقية صدق عليها العثمانيون وانسحبت منها فرنسا وشجعت محمد على رفضها ووعدته بأنها ستساعده في الوقوف ضد الدول الأخرى وكانت من النصوص المقترحة لهذه الاتفاقية:

- ١- أن ينسحب محمد على من الأجزاء التي دخلها في أملاك الدولة العثمانية.
- ٢- أن يحتفظ لنفسه فقط بمصر وجنوب الشام، وأن يكون لكل من إنكلترا والنمسا الحق في مساعدة السكان في الشام على عصيان محمد على في الأجزاء الخاضعة له، وأن يكون لكل من النمسا وإنكلترا وروسيا الحق في دخول استنبول إذا ما تعرضت لهجوم من محمد على، أما إذا لم تتعرض فلا يدخلها أحد.

وفي مصر جاء قناصل إنكلترا وروسيا وبروسيا والنمسا يعرضون عليه في بداية الأمر أن تكون له مصر وراثية وعكا وجنوب الشام مدى حياته، ثم جاءوا ومعهم مندوب العثمانيين يخبرونه بأن مصر فقط ستكون له وراثية، فرفض وطردهم من مصر ولم تساعد فرنسا محمد على كما وعدته فتركته يواجه مصيره أمام دول أوروبا بمفرده وكان دور الدول المتحالفة كالاتي:

اكتفت روسيا بوجودها في استنبول، أما إنكلترا فكان لها الدور الأكبر في نقل أساطيلها إلى الشام مع القليل من سفن النمسا، ونزلت القوات المتحالفة ببيروت، واستطاعت أن تحرز انتصاراً كبيراً على جيوش محمد على بقيادة ابنه إبراهيم باشا، فاضطر إبراهيم للانسحاب إلى مصر، وقضى على الكثير ممن معه أثناء العودة حيث انقضت عليهم القبائل العربية في الطريق.

ثم توسطت الدول الأوروبية بين محمد على والعثمانيين على أن تكون له مصر وراثية في مقابل أن يرد إلى العثمانيين أسطولهم، ويجعل جيشه محددًا بـ

١٨٠٠٠ جندي فقط، وألا يقوم ببناء أسطول وأن يدفع للعثمانيين ٨٠,٠٠٠ كيس سنوياً.

معاهدة المضائق ١٢٥٧هـ:

واستغلت إنكلترا وفرنسا الفرصة لنزع نفوذ روسيا من الدولة العثمانية، فاتفقوا جميعاً على إلغاء معاهدة خونكار اسكله سى، وأن تكون المضائق العثمانية مغلقة أمام الجميع.

حروب القرم مع روسيا:

كانت فرنسا فيما سبق تشرف على كنائس بيت المقدس، ثم أخذت روسيا مكان فرنسا أيام حرب نابليون، ثم أرادت فرنسا العودة لما كانت عليه فشكلت الدولة العثمانية لجنة من رجال الكنائس أقروا بأحقية فرنسا في الإشراف على الكنائس، فهددت روسيا بالحرب، واتصلت بإنجلترا تعرض عليها تقسيم الدولة العثمانية بينهما، وتكون لإنكلترا مصر فرفضت إنكلترا، ثم حاولت أن تغرى فرنسا بنفس الإغراء على أن تكون تونس لفرنسا، فرفضت، فهددت روسيا باحتلال الأفلاق والبغدان، إن لم تعد الدولة العثمانية معاهدة خونكار اسكله سى وتعطى لروسيا حق حماية النصارى في الدولة العثمانية، فلم يبد الخليفة أى اهتمام لتهديدات روسيا، وخاصة أن إنكلترا وفرنسا وعدتاه بالوقوف في وجه روسيا ضد أى عمل تقوم به.

تحركت الأساطيل الإنكليزية والفرنسية باتجاه مضيق الدردنيل لصد أى هجوم روسى مرتقب، وبالفعل احتلت روسيا إقليمى الأفلاق والبغدان وحاولت النمسا الصلح بين العثمانيين والروس بعقد مؤتمر ويانة (فيينا) ١٢٦٩هـ ولكن سعت إنكلترا وفرنسا لإفشال المؤتمر، وحثتا العثمانيين على رفض جميع اقتراحاته.

وتحالفت إنكلترا وفرنسا والنمسا ومملكة البيمونت بإيطاليا والسويد مع العثمانيين ضد روسيا، وتقدمت قوات الحلف على جميع الجبهات وضربت أساطيل إنكلترا وفرنسا ميناء سيباستيبول فى شبه جزيرة القرم، وضربت الكثير من قلاعها بالإضافة للإغارة على الكثير من موانئ روسيا على البحر الأسود، وتوغلت القوات المتحالفة فى أراضي روسيا حتى طلبت الصلح وعقدت معاهدة باريس ١٢٧٥هـ والتي تنص على:

- ١- تبقى الأفلاق والبغدان تحت حماية الدولة العثمانية.
- ٢- عودة الأراضي التي دخلتها القوات المتحالفة فى روسيا إلى الروس، ويطلق سراح جميع الأسرى.
- ٣- أن يكون للصرب استقلال ذاتي، وتكون فى نفس الوقت مرتبطة مع العثمانيين.
- ٤- ألا تقيم كل من روسيا أو العثمانيين أى قواعد بحرية حربية فى البحر الأسود، تكون حرية الملاحة فيه للجميع.
- ٥- تطلق حرية الملاحة فى نهر الدانوب.

الفتن الداخلية:

واستمرت دول أوروبا فى إشعال الثورات فى أنحاء الدولة العثمانية، فاتفقت الدول الأوروبية على اتحاد الأفلاق والبغدان تحت حكومة شبه مستقلة تسمى حكومة الإمارات المتحدة، وتكون تحت حماية جميع الدول وحذرت الدولة العثمانية من قمع الثورات فى الصرب أو الجبل الأسود وغالبًا ما كانت الدول الأوروبية تدعم تلك الثورات.

وقد حدث اعتداء على النصارى فى جدة، وأصيب قنصل فرنسا، وهدأ والي مكة الأوضاع، غير أن الإنكليز ضربوا جدة بالمدافع.

الفتن الطائفية في الشام: تمتلئ منطقة جبل لبنان بالطوائف المختلفة من دروز و موارنة وشيعة و نصيرية وغيرهم، وكان الدروز لهم السيطرة على جبل لبنان ويدعمهم الإنجليز، أما الموارنة فكانت فرنسا تدعمهم، وفي عام ١٢٥٧هـ دخل الدروز دير القمر واعتدوا على الموارنة، وارتكبوا أبشع المنكرات فيهم، وازدادت الاعتداءات بين الدروز والموارنة، والدولة تحاول تهدئة الوضع بالطرق السلمية، ولكنها فشلت ووجدت الدول الأوروبية الفرصة للتدخل في شئون الدولة من جهة، وتقوية النصارى في الدولة من جهة أخرى، وبرغم إرسال الدولة الجيش ليسيطر على الموقف إلا أن دول أوروبا أجبرت العثمانيين على السماح لهم بالتدخل، بحجة أن العثمانيين لا يستطيعون السيطرة على الموقف، وأرسلت فرنسا ٦٠٠٠ جندي إلى جبل لبنان عام ١٢٧٧هـ، ثم أبرم اتفاق ينص على تكوين حكومة مستقلة في جبل لبنان تحت سيادة العثمانيين، يتولى رئاستها نصراني لمدة ٣ سنوات لا يحق للدولة عزله إلا بعد موافقة الدول الأوروبية، وبذلك انسحبت فرنسا من جبل لبنان وتوفى الخليفة عبد المجيد عام ١٢٧٧هـ.

الخليفة عبد العزيز

(١٢٧٧ - ١٢٩٣هـ)

وهو أخو الخليفة عبد المجيد ومما يذكر في عهده فتح قناة السويس عام ١٢٨٥هـ وقيام ثورة في جزيرة كريت عام ١٢٨٣هـ وتم إخمادها وكان الخليفة كثير التجوال في البلاد الخارجية، فزار مصر وزار دول أوروبا، وحاول تقريب روسيا إليه حتى تخافه دول أوروبا، وجاء أحمد مدحت باشا رئيس مجلس الشورى العثماني بفكرة عزل الخليفة، وتمكن من عزله ذلك عام ١٢٩٣هـ ومات قتيلاً وأشيع أنه انتحر.

الخليفة مراد الخامس

(١٢٩٣ - ١٢٩٣هـ)

تولى بعد أخيه الخليفة عبد العزيز، ولم يستمر عهده أكثر من ٣ شهور وتم عزله بسبب اختلال عقله.

الخليفة عبد الحميد الثانى

(١٢٩٣ - ١٣٢٨هـ)

وهو ابن الخليفة عبد المجيد الذى توفى عام ١٢٩٣هـ، تسلم الخليفة عبد الحميد الثانى الحكم وقد وصلت الدولة إلى مرحلة من الضعف والركود، سواء على الصعيد الداخلى أو الخارجى، فحاول الخليفة أن ينهض بها بل وبكل بلاد المسلمين التى باتت فى حالة سبات عميق، فأراد أن يحرر المسلمين من نفوذ أوروبا، وأن يوحدهم، فنادى بالجامعة الإسلامية، وحاول القضاء على الفساد فى بلاده، وحاول أن يتجنب الصدام داخلياً و خارجياً ولكن لم تكن أوروبا لتتركه يوقظ المسلمين، بل سعت بكل الطرق الممكنة لإحباط محاولاته وحاولت إحاطته بالمشاكل الداخلية والخارجية حتى لا تترك له الفرصة لعمل شيء كما سنرى.

على الصعيد الداخلى:

انتشار مفاهيم القومية: انتشرت فى أنحاء الدولة العثمانية مفاهيم القومية بصورة صارخة لم يسبق لها مثيل، وكان روادها يتمثلون فى المفتونين بأوروبا من المسلمين والنصارى، وسعى النصارى بالذات لنشر هذه المفاهيم، لأنه الطريق الوحيد لمد نفوذهم ولأنهم إذا حاولوا أن يتخذوا طريقاً آخر، مثل التعصب الدينى مثلاً، لقضى عليهم، حيث إنهم يمثلون أقلية بالنسبة للمسلمين، وأخذت أوروبا تدعم القائمين بالحركات القومية سواء من خلال الإرساليات التنصيرية

أو من خلال فتح بلادها لتكون مقراً للجمعيات والهيئات التي تحمل أفكار القومية.

ازدياد نفوذ يهود الدونمة: ذكرنا من قبل كيف كان دخول يهود الدونمة (الدونمة بمعنى الردة) واستيطانهم فى أنحاء الدولة العثمانية، فى عهد الخليفة سليمان القانونى بدعم من زوجته روكسلان، وأخذ اليهود يخططون لزيادة نفوذهم فى الدولة والعمل على تدميرها، برغم الخدمات التى قدمتها إليهم الدولة، يحركهم فى ذلك كرههم وعداؤهم الأبدى والأزلى للمسلمين، كما قال الله عز وجل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

ومن نسل اليهود الدونمة برز فتى يدعى ساباتاي فى أزمير، وادعى فى عام ١٠٥٧هـ أنه المسيح فأراد رجال الدين اليهودى قتله فرحل فى أنحاء الدولة العثمانية حتى عاد مرة أخرى إلى أزمير، فقبض عليه ونقل إلى أدرنه فخاف أن يصاب بأذى فادعى الإسلام، وأوهم العثمانيين أنه سيعمل على نشر الإسلام بين اليهود، وفى الحقيقة كان يدعوهم لإظهار الإسلام ليدخلوا بين صفوف المسلمين، ويصلوا إلى المراكز العليا فى الدولة، فيملكون الزمام وينفذون فى المسلمين كافة خططهم العدوانية

وبالفعل رحب اليهود بهذه الفكرة وأخذوا يواصلون العمل بها وفى عهد عبد الحميد الثانى ظهر هرتزل صاحب فكرة إنشاء وطن لليهود، وأصر على أن تكون فلسطين هى وطن اليهود، وذلك فى مؤتمر بازل بسويسرا عام ١٣١٤هـ الذى اجتمع فيه يهود العالم، وحاول هرتزل أن يتقرب إلى الخليفة عبد الحميد الثانى ويقدم له الإغراءات ليمكن لليهود فى فلسطين، ولكن الخليفة كان يدرك أغراض هرتزل فلم يحقق له مراده، بل ومنع هجرة اليهود إلى فلسطين فاتجه

هرتزل إلى دول أوروبا لتساعده فى تحقيق هدفه، فوجد عندها السند الكبير وخاصة أنه سيكون وسيلة أخرى للقضاء على الدولة العثمانية.

وإليك أخى نص الرسالة التى رد بها السلطان عبد الحميد على هرتزل:

بلغوا الدكتور هرتزل ألا يبذل بعد اليوم شيئاً عن المحاولة فى هذا الأمر (التوطن بفلسطين)، فإنى لست مستعداً أن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب إلى الغير، فالبلاد ليست ملكى بل هى ملك شعبى روى ترابها بدمائه . فليحتفظ اليهود بملايينهم لست مستعداً لأن أتحمل فى التاريخ وصمة بيع بيت المقدس لليهود، وخيانة الأمانة التى كلفنى المسلمون بحمايتها.

إن ديون الدولة العثمانية ليست عاراً لأن غيرها من الدول الأخرى مدين مثل فرنسا.

إن بيت المقدس قد افتتحه المسلمون أول مرة بخلافة سيدنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه، ولست مستعداً أن أتحمل فى التاريخ وصمة بيعها لليهود وخيانة الأمانة .

وكان هرتزل قد عرض على السلطان خمسين مليوناً من الجنيهات الذهب لخزانة الدولة، وخمسة ملايين من الجنيهات الذهب لخزانة السلطان الخاصة، بالإضافة إلى مشاريع أخرى كثيرة لدعم الدولة العثمانية اقتصادياً.

أخطار الماسونية:

وهى من إحدى الاختراعات اليهودية، فهى منظمات عالمية تهدف أساساً إلى تفريق الأمة الواحدة إلى عدة أمم وشعوب، مما يخلق نزاعاً أبدياً بين شعوبها، فيحارب بعضها بعضاً، وبذا تتحقق الأهداف اليهودية فى إفناء شعوب

الأرض حتى يظل اليهود هم الباقين فيها ولذلك عملت الماسونية على دعم الحركات الانفصالية ومساندة كل رجل تجد عنده حب التسلط والزعامة والسيادة والاستقلال، وكثر أعضاؤها وأخذوا يساندون بعضهم البعض، وقد وجدت الماسونية في الدولة العثمانية مأربها فكانت الدولة العثمانية التربة الخصبة لتحقيق أهدافها فعملت على زيادة نفوذها في الدولة

تنظيم الاتحاد والترقى:

كما سبق وأن ذكرنا بدأ المفتونون بأوروبا والداعون لمفاهيم القومية في إنشاء المؤسسات والجمعيات التي تحمل أفكارهم، واستطاعت استقطاب الكثير من أبناء الدولة العثمانية، وانضم إليها الكثير من اليهود والنصارى وأعضاء الماسونية، لتكون هذه الجمعيات من وسائل تحقيق أهدافهم، وكان من أهم هذه الجمعيات جمعية تركيا الفتاة، التي تأسست في باريس وكان لها فروع أخرى في برلين، وفي أنحاء الدولة العثمانية في سالونيك واستنبول، واستطاعت أن تضع لها قدمًا في الجيش العثماني، وكان لها جناح عسكري عرف بتنظيم الاتحاد العثماني وكان لها جناح مدني هو الانتظام والترقى، واتفق الفريقان أن تكون جمعيتهم باسم (الاتحاد والترقى)، وكانت الماسونية الدعاية الأساسية لها ومن ورائها أعداء الإسلام كافة.

وامتد نفوذ الاتحاد والترقى في الدولة، فضم إليه الكثير من ضباط الفيلق الأول المسيطر على استنبول، وكذلك الفيقلين الثاني والثالث المرابطين في الولايات العثمانية في أوروبا.

ولما استفحل أمر الاتحاد والترقى وسيطروا على أكثر الجيش، فرضوا على الخليفة إعلان الدستور، ولم يستطع الخليفة مقاومتهم، فأعلن الدستور وسيطر الاتحاديون على معظم مقاعد المجالس النيابية، ووجدوا أن الخليفة سيكون عائقًا

فى تحقيق أهدافهم، فقاموا بإثارة الاضطرابات فى البلاد، فتحرك جزء من أتباعهم نحو المجلس النيابى يظهرين تمردهم على الدستور، ودعوتهم لتطبيق الشريعة الإسلامية، ويطالبون الخليفة بعزل أعضاء الاتحاد والترقى المسيطرون على المجلس النيابى من مناصبهم.

وما كانت هذه الاضطرابات إلا من عمل رجال الاتحاد والترقى، لتكون لهم ذريعة لكى يتقدم الجيش الموجود فى سالونيك بحجة حماية الدستور والمجلس النيابى، واستطاعوا بالفعل السيطرة على استنبول وعزلوا الخليفة عبد الحميد الثانى وولوا أخاه محمد الخامس مكانه وبذلك تحولت السلطة المطلقة من يد الخليفة إلى أيدى الاتحاديين، ليجروا البلاد إلى حافة الهاوية وبذلك كان الخليفة عبد الحميد الثانى آخر الخلفاء الذين كانت لهم سلطة فى البلاد، أما من سيأتى بعده فسيكون صورة فقط أما السيطرة الحقيقية فتكون بأيدى رجال الاتحاد والترقى.

ومما يذكر فى عهد الخليفة عبد الحميد الثانى أنه قام بفتح المدارس والجامعات، والمكتبات، والمستشفيات، ودور المعلمين، ومد أنابيب المياه، ومد الخط الحديدى الحجازى من دمشق إلى المدينة المنورة، وحاول إعداد جيش كفاء مدرب تدريباً حديثاً على أيدى قادة الألمان، والكثير من الإنجازات ولكن لم يتركه أعداء الإسلام ليكمل المسيرة.

انتشار الثورات فى الولايات الأوروبية:

عملت دول أوروبا على إشعال الثورات فى أنحاء الدولة العثمانية، وبخاصة فى الولايات الأوروبية وذلك تمهيداً لفصلها عن الدولة العثمانية حتى لا تجعل للمسلمين قدماً فى أوروبا.

ومن أمثلة هذه الثورات الثورة التى حدثت فى بلاد الهرسك، وأخذتها الدولة، وكانت دول أوروبا تستغل دائماً الثورات للتدخل فى شئون الدولة،

وتفرض عليها لائحة لمعاملة النصارى، وحدثت أيضاً ثورة فى بلاد البلغار.. بسبب أن الدولة أسكنت بعض العائلات الشركسية التى احتل الروس أرضهم فى بلغاريا، وكانت روسيا هى الراعى الرئيسى للثورة، تشاركها النمسا، وكانت روسيا والنمسا تحتضن الجمعيات الداعية للاستقلال فى بلغاريا والصرب والجبل الأسود، وغيرهم من الولايات الأوروبية.

ثورة الصرب والجبل الأسود:

شجعت روسيا والنمسا الصرب والجبل الأسود (مونتجيرو)، على حرب العثمانيين حيث تريد النمسا ضم البوسنة والهرسك، بينما تريد روسيا ضم الأفلاق والبغدان وبلغاريا، ووعدت روسيا النمسا والصرب والجبل الأسود بالوقوف بجانبهم إذا قامت حرب بينهم وبين العثمانيين، وبدأت ذرائع الحرب بطلب الصرب إخماد الثورة فى البوسنة، وطلبت الجبل الأسود (مونتجيرو)، زيادة رقعتها على حساب الهرسك، فلم يعط لطلبها أى اهتمام، فبدأت جيوشهما تتوغل فى الأراضى العثمانية، وهى فى الواقع جيوش روسيا التى تسللت إلى البلاد، فكانت الحرب مع روسيا وبرغم ذلك استطاعت الجيوش العثمانية وخاصة بعد وصول الكثير من الجنود المصريين الانتصار على الصرب وأصبحوا على مشارف بلغراد، غير أن تدخل أوروبا قد أوقف الحرب.

وعرض سفراء أوروبا على العثمانيين خطة تقوم على تقسيم بلغاريا إلى ولايتين يعين عليهما أمراء نصارى، وأن تتكون نصف الحامية العثمانية المرابطة هناك من النصارى، وأن تنفذ هذه المطالب فى البوسنة والهرسك أيضاً، وأن تعطى بعض الأراضى للصرب والجبل الأسود، فرفضت الدولة، فغادر سفراء أوروبا، الدولة العثمانية بما يشير إلى قطع العلاقات السياسية معها.

عملت الدولة على عقد صلح منفرد مع الصرب تسحب بمقتضاه قواتها

من الصرب، وتتعهد الصرب بعدم بناء قلاع جديدة، وأن يرفع علم الصرب والعثمانيين إشارة إلى الحماية العثمانية.

على الصعيد الخارجي:

الحرب مع روسيا: قدمت دول أوروبا لائحة للدولة العثمانية تقضى بتحسين الأحوال المعيشية للنصارى فى الدولة العثمانية، ومراقبة الدول الأوروبية لتنفيذ إجراءات التحسين.

فرفضت الدولة اللائحة؛ لأن هذا يعتبر تدخلاً صريحاً فى شئونها، فاستغلت روسيا الرفض واعتبرته سبباً كافياً للحرب، وفى هذه المرة أطلقت أوروبا العنان لروسيا لتصرف كيفما تشاء مع العثمانيين.. كانت روسيا قد عقدت اتفاقاً مع الأفلاق والبغدان لوضع كافة إمكاناتهما تحت تصرف روسيا، فدخلت روسيا الأفلاق والبغدان، ثم عبرت نهر الدانوب واستطاعت التوغل فى بلغاريا حتى احتلوا أدرنه وأصبحوا على مسافة ٥٠ كيلو متراً فقط من استنبول، فى الوقت الذى تقدمت فيه الجيوش الروسية من الشرق فى الأناضول، واستغل الصرب والجبل الأسود الفرصة فأعلنوا الحرب على الدولة، فاضطرت الدولة إلى طلب الصلح، ومما يذكر فى هذه الحرب أن نصارى بلغاريا استغلوا دخول الروس بلادهم فأخذوا يفتكون بالمسلمين فى بلغاريا، ويرتكبون فيهم أبشع الجرائم، ففر من فر منهم ولجأ الكثير منهم للجبال ليقوموا بحرب عصابات على مجرمى بلغاريا.

معاهدة سان استيفانوس: ومع توقف القتال عام ١٢٩٥هـ عقدت معاهدة سان استيفانوس التى فرضت على الدولة العثمانية وكان من نصوصها.

١- استقلال الصرب والجبل الأسود نهائياً عن العثمانيين.

٢- الاستقلال التام للأفلاق والبغدان وتكوين دولة رومانيا باتحادهما مع

ترانسلفانيا وبسارابيا.

٣- الاستقلال الإدارى لبلغاريا وإخلائها تمامًا من الجيوش العثمانية.

٤- دفع غرامة حربية لروسيا مقدارها (٣٩١, ٢١٧, ٢٤٥) ليرة ذهبية ويمكن لروسيا الحصول على الأراضي مقابلها.

٥- أن يخلى المسلمون ديارهم فى الأراضي التى فقدتها الدولة العثمانية ويمكن لهم أن يبيعوا أملاكهم.

٦- حرية الحركة لسفن روسيا فى المضائق العثمانية.

٧- إصلاح الأحوال المعيشية للنصارى فى الدولة العثمانية.

وطبعًا أرادت بقية دول أوروبا أخذ نصيبها من الكعكة العثمانية أو تركة الرجل المريض، كما كانوا يطلقون على الدولة العثمانية، فطلبت إنكلترا من العثمانيين أن تحتل جزيرة قبرص حتى تحميها من ازدياد الخطر الروسى فاضطرت الدولة لقبول احتلالها ثم عقد مؤتمر برلين لتقسيم الولايات الأوروبية على دول أوروبا.

معاهدة برلين وقعت عام ١٢٩٥هـ معاهدة برلين والتى عدلت معاهدة سان استيفانوس للآتي:

١- استقلال بلغاريا نهائيًا.

٢- إعطاء البوسنة والهرسك للنمسا.

٣- تعطى بسارابيا لروسيا وتحفظ رومانيا منها بمقاطعة دوبروجة.

٤- تتكون للدولة العثمانية فى أوروبا ولاية يطلق عليها الرومللى الشرقى

(وتشمل الآن أجزاء من بلغاريا ومقدونيا وألبانيا وإقليم كوسوفو التابع

الآن ليوغوسلافيا الجديدة وجزء من الهرسك، وجزء من اليونان) وتكون

القوات المرابطة فيها مشتركة من الروس والعثمانيين وحاكمها نصراني.

٥- تزيد حدود اليونان إلى الشمال -برغم أنها لم تكن طرفاً في الحرب.
احتلال تونس: تمكنت فرنسا عام ١٢٩٩هـ من احتلال تونس ولم تستطع
الدولة العثمانية أن تفعل شيئاً.

احتلال مصر: تدخلت انكلترا في شؤون مصر واستطاعت احتلالها عام
١٢٩٩هـ بعد موقعة التل الكبير.

احتلال السودان: كانت السودان تابعة لمصر منذ أن فتحها محمد علي، فما
إن احتل الإنكليز مصر حتى اتجهت أعينهم للسودان، واستغلوا قيام الحركة
المهدية التي ادعى قائدها أنه هو المهدي المنتظر، واستطاع أن يسيطر على كثير
من أجزاء السودان، فاستطاع الإنكليز إخماد حركته وبذلك تمكنوا من السيطرة
على السودان.

شرقى أفريقيا التابع لمصر: أما عن هذا الجزء فقد تقاسمه فرنسا وإيطاليا
مع الحبشة وتوفى الخليفة عبد الحميد الثاني بعد عزله عام ١٣٣٦هـ.

الخليفة محمد الخامس

(١٣٢٨ - ١٣٣٧هـ)

أصبح الاتحاديون هم الحكام الفعليين للبلاد، أما الخليفة فلم يكن بيده أى شيء.

تسلم محمد الخامس منصب الخليفة عام ١٣٢٨هـ بعد عزل أخيه.

احتلال إيطاليا لليبيا:

لم يتبق للعثمانيين فى أفريقيا غير ولاية طرابلس (ليبيا)، بعد أن احتل الإنكليز
مصر، واحتلت فرنسا المغرب العربى، فأرادت إيطاليا أن تأخذ نصيبها من تركة
الرجل المريض، فأصبحت ليبيا هدفها، وبدأت التخطيط لاحتلال ليبيا بشراء

الأراضي وإرسال البعثات النصرانية وغيرها، من وسائل التمكين، حتى إذا ما أتاحت لها الفرصة جاءت للعثمانيين بالذريعة التي تمكنها من احتلال ليبيا، وهى أن العثمانيين يقفون عقبة فى سبيل تحضر الشعب الليبى، واحتلت إيطاليا ليبيا عام ١٢٣٨هـ وبرغم المقاومة من العثمانيين بقيادة عزيز المصرى والفدائيين، وتحقيق بعض الانتصارات على إيطاليا إلا أن إيطاليا هددت باحتلال استنبول وضربت مرافى الدولة فاضطرت الدولة لتوقيع معاهدة سلام مع إيطاليا عام ١٣٢٩هـ. تنسحب بها من ليبيا تاركة المقاومة للمجاهدين ووزير المصرى.

الحروب البلقانية:

١- الحرب البلقانية الأولى ١٣٣٠هـ: اتحدت دول البلقان المستقلة والمتمثلة فى الجبل الأسود والصرب وبلغاريا واليونان، ليتوسعوا على حساب العثمانيين، ويحتلوا ولاية الرومللى الشرقى وقد تمكنوا من الانتصار على العثمانيين واستخدمت الطائرات لأول مرة فى هذه الحرب فى قصف مدينة أدرنة، وكان من نتائج الحرب استقلال ألبانيا عن العثمانيين وتقسيم الرومللى الشرقى بين أعضاء التحالف البلقانى.

عودة الاتحاد والترقى: وما إن انتهت الحرب البلقانية الأولى بهزيمة العثمانيين حتى قام أنور باشا أحد الضباط الاتحاديين الذين حاربوا فى طرابلس بانقلاب عسكري، ومعه العديد من الضباط الاتحاديين، واستطاع أن يجبر الوزارة على الاستقالة، ويكون وزارة جديدة كان رئيسها محمود شوكت الذى لم يكن من الاتحاديين، فقتل بعد توليه بسة أشهر وتولى مكانه أحد الضباط الاتحاديين.

٢- الحرب البلقانية الثانية ١٣٣٢هـ: وقعت بسبب اختلاف دول التحالف البلقانى فى تقسيم مقدونيا بينهم، حيث أصرت بلغاريا على حقها فى

كل مقدونيا، بينما أرادت دول البلقان الأخرى نصيباً من مقدونيا، فاندلعت الحرب بين بلغاريا من جهة، ودول البلقان الأخرى، اليونان ورومانيا والصرب، من جهة أخرى وانضمت الدولة العثمانية للتحالف ضد بلغاريا فانهمزت بلغاريا وقسمت مقدونيا بين الصرب واليونان وبلغاريا، فى حين حصلت الدولة العثمانية على جزء مما فقدته فى الحرب البلقانية الأولى متمثلاً فى تراقيا ومدينة أدرنه.

الحرب العالمية الأولى:

استطاع أنور باشا والذي كان يشغل منصب وزير الحربية أن يجبر البلاد إلى الحرب العالمية الأولى، بفرض الأمر الواقع على كل من عارضه، وكان القرض المالى الذى عرضته ألمانيا على العثمانيين والمقدر بـ (٥ ملايين ليرة ذهبية) من الأشياء التى شجعت المعارضين على الرضوخ للحرب.

وفى البداية أرادت الدولة أن تساوم الحلفاء فى دخول الحرب، فقدمت لهم مذكرة مقابل حيادها تمثلت فى إلغاء الامتيازات الأجنبية وخروج الإنكليز من مصر وضم جزر بحر ايجة للعثمانيين، ومنع روسيا من التدخل فى شؤون العثمانيين، فلم يرد الحلفاء على شروطها، فدخلت الدولة العثمانية الحرب، والتى كانت بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير وكان القتال على أربع (٤) جبهات هي:

١- جبهة شرقية: وحاول فيها أنور باشا بنفسه اجتياح روسيا من الشرق فى الشتاء القارص، ولكنه منى بالفشل الذريع واضطر للانسحاب.

٢- جبهة قناة السويس: سارت القوات العثمانية فى سيناء متجهة إلى قناة السويس، وقاموا بالهجوم قبل الموعد المحدد مع المصريين الذين اتفقوا معهم على حرب الإنكليز، وفشل هذا الهجوم الذى أتبعه هجومان آخران بقيادة الألمان ولكنهما فشلا أيضاً.

- ٣- جبهة عدن: وحاول فيها العثمانيون طرد الإنكليز من عدن ولكنهم فشلوا، وساعد الإدريسي حاكم اليمن الإنكليز فى عسير على العثمانيين.
- ٤- جبهة الدردنيل: حصّن العثمانيون مضيق الدردنيل حتى يعجز الأعداء عن الوصول إلى استنبول، وبدأ الإنكليز فى هجومهم على الدولة العثمانية، واستطاعوا دخول فلسطين وعندما وصل القائد الإنكليزى للنبي القدس قال عبارته المشهورة: الآن تنتهى الحروب الصليبية. واستطاع الفرنسيون احتلال سوريا.

الخليفة محمد السادس (وحيد الدين)

(١٣٢٨ - ١٣٣٧هـ)

استلم الخلافة فى أثناء الحرب العالمية الأولى، والهزائم تتوالى على العثمانيين، حتى استطاع الحلفاء أن يحتلوا استنبول لتسقط لأول مرة منذ فتحها السلطان الغازى محمد الفاتح.

واحتلت إيطاليا جزءاً من جنوب الأناضول، بينما احتلت اليونان القسم الغربى من الأناضول، بالاضافة إلى تراقيا فاستسلمت الدولة العثمانية، وهكذا فى الوقت القليل الذى تسلم فيه الاتحاديون الحكم فى البلاد أضعوها، وأعادوها إلى الخلف عدة قرون، مع إلباسها لباس الذل والمهانة والهزيمة النكراء.

وفى هذا الوقت الذى تولى فيه الخليفة محمد السادس قرب إليه مصطفى كمال، الذى كان يرافقه فى رحلته إلى برلين عندما كان ولياً للعهد وكان مصطفى كمال قد بدأ يعمل لنفسه فرفض الخليفة أن يكون صورة كمن سبقه، فتنازل عن الخلافة لعبد المجيد الثانى ابن الخليفة عبد العزيز.

مصطفى كمال أتاتورك:

ومما هو جدير بالذكر أن نعرف القارئ بمصطفى كمال الذى يطلق عليه أتاتورك (أى أبو الأتراك) فهذا الرجل ولد فى سالونيك أكبر تجمعات يهود الدونمة فى الدولة العثمانية، ولذلك رجح الكثير أنه كان من يهود الدونمة، نظراً لأفعاله الخسيصة ومحاربه الشديدة للإسلام، وكان أحد رجال الاتحاد والترقى، وكان أحد القادة فى الجيش العثمانى فى الشام، وكان دائم الفرار أمام جيوش الحلفاء حتى قيل إن فراره امتد من الشام إلى بلاد الأناضول فى الحرب العالمية الأولى، ووجد أعداء الإسلام فيه ضالتهم، فهذا الرجل هو الذى سيضرب المسلمين فى مقتل، لأنه يدعى أنه من المسلمين، فأراد الحلفاء أن يرفعوا شأنه فى البلاد حتى يتركوا له المهمة فيمابقى من أراضى الدولة العثمانية، ففوجئ الجميع به فى سيواس يعقد مؤتمراً للدفاع عن البلاد، ويعين رئيساً للمؤتمر، ثم انتقل إلى أنقرة وناهض الحكومة العثمانية، وساعده الحلفاء بإملاء الشروط القاسية على الحكومة، بل وأجبروها على قبولها وقد تضمنت من الشروط: إقامة دولة فى استنبول، وفصل بلاد العرب عن العثمانيين، استقلال أرمينيا، الاستقلال الذاتى لكردستان، ضم تراقيا وجزر بحر إيجه لليونان، وضع المضائق تحت إشراف دولى، وسيطرة الحلفاء على المالية، توجيه الجيش العثمانى وتحديد عدد أفراده من قبل الحلفاء.

وفى ذلك الوقت كان أتاتورك قد أعلن عن قيام مجلس جديد للعثمانيين، أى حكومة أخرى فى أنقرة، وأعلن رفضه لشروط الحلفاء، وأطلق الحلفاء العنان لأتاتورك ليظهر بمظهر البطل. فتركوا اليونان تواجه تركيا بمفردها، فحققت تركيا بعض الانتصارات أشهرها موقعة سقاريا، واضطرت اليونان إلى الانسحاب من الأناضول وتراقيا الشرقية عام ١٣٤٠هـ، وكذلك تركت فرنسا كيليكيا، وانسحبت إيطاليا من انطاكيا، أما الروس فقد انشغلوا أثناء الحرب

بالثورة الشيوعية، ثم اتفق أتاتورك معهم على أن يترك لهم مدينة باطوم على البحر الأسود في مقابل وقف القتال بينهما.

ال خليفة عبد المجيد الثانى

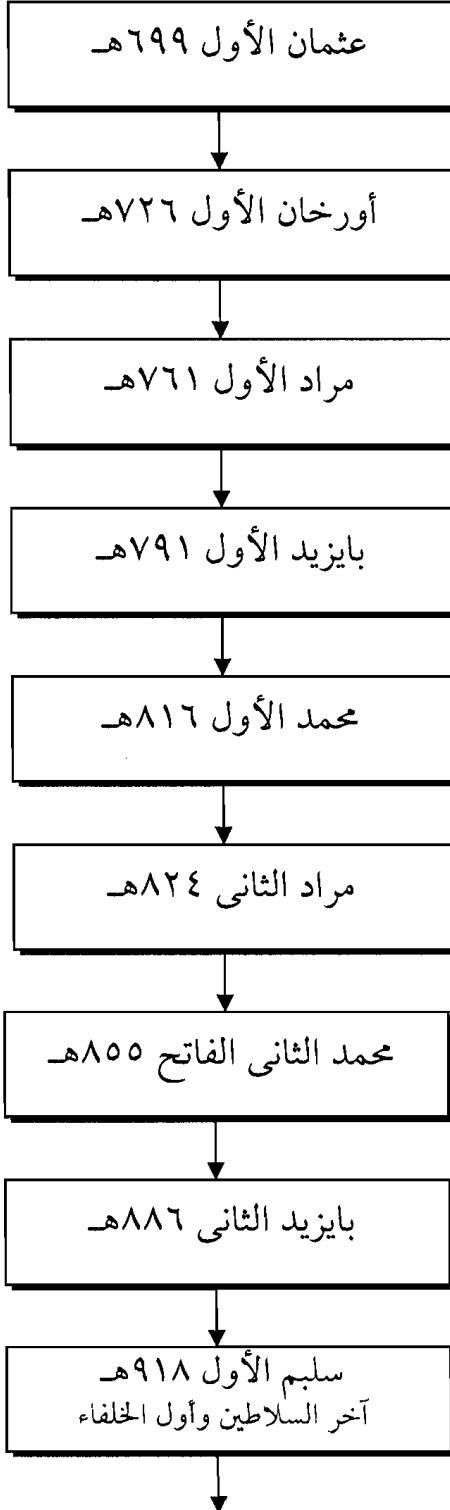
(١٣٤٠ - ١٣٤٢هـ)

مؤتمر لوزان:

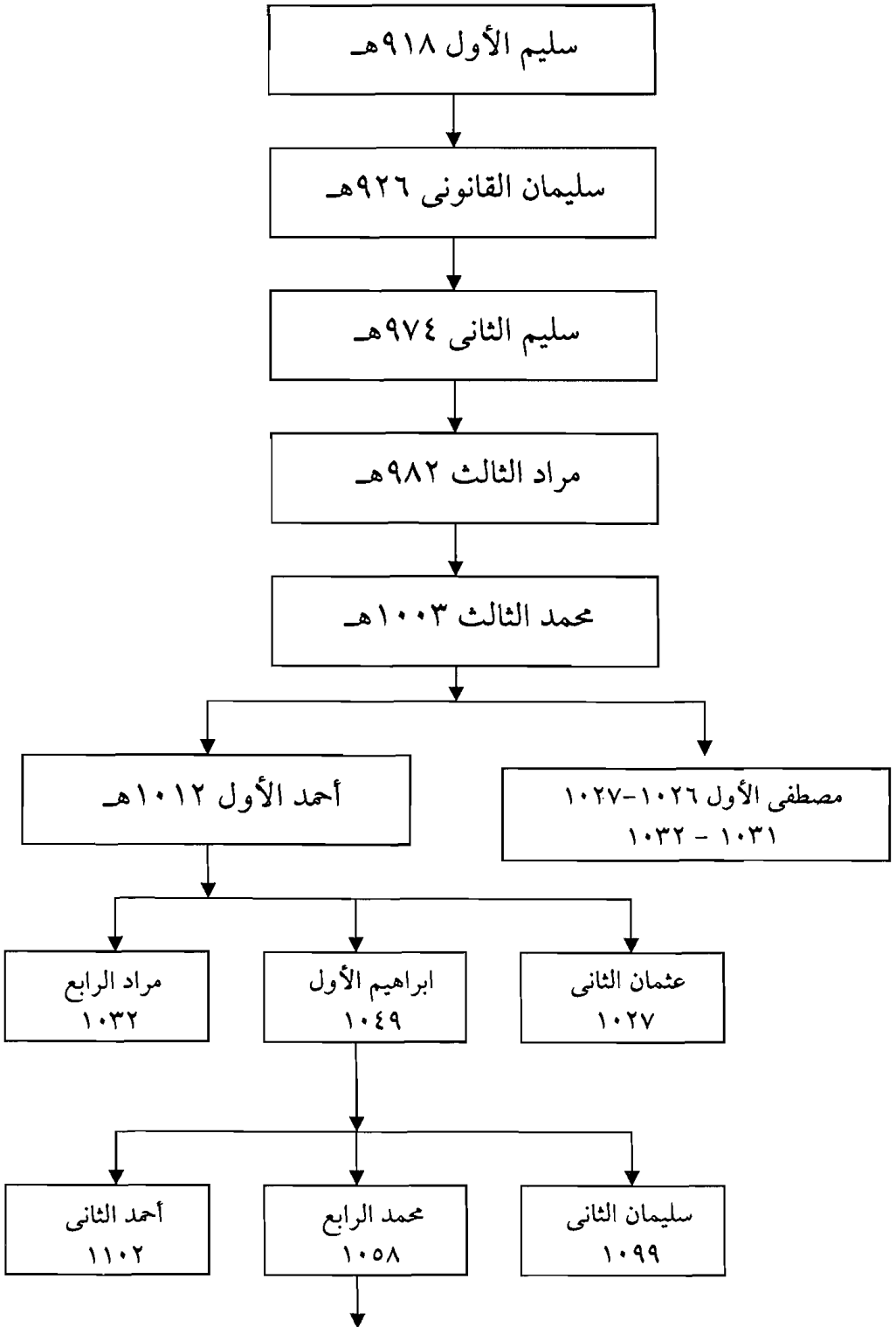
عقد مؤتمر لوزان سنة ١٣٤١هـ بعد ثلاثة أيام من تولى عبد المجيد الثانى الخلافة، وحضره ممثلون من حكومة أنقرة، وضع الإنكليز فيه شروطاً للاعتراف باستقلال تركيا عرفت بشروط كرزون الأربعة وهى:

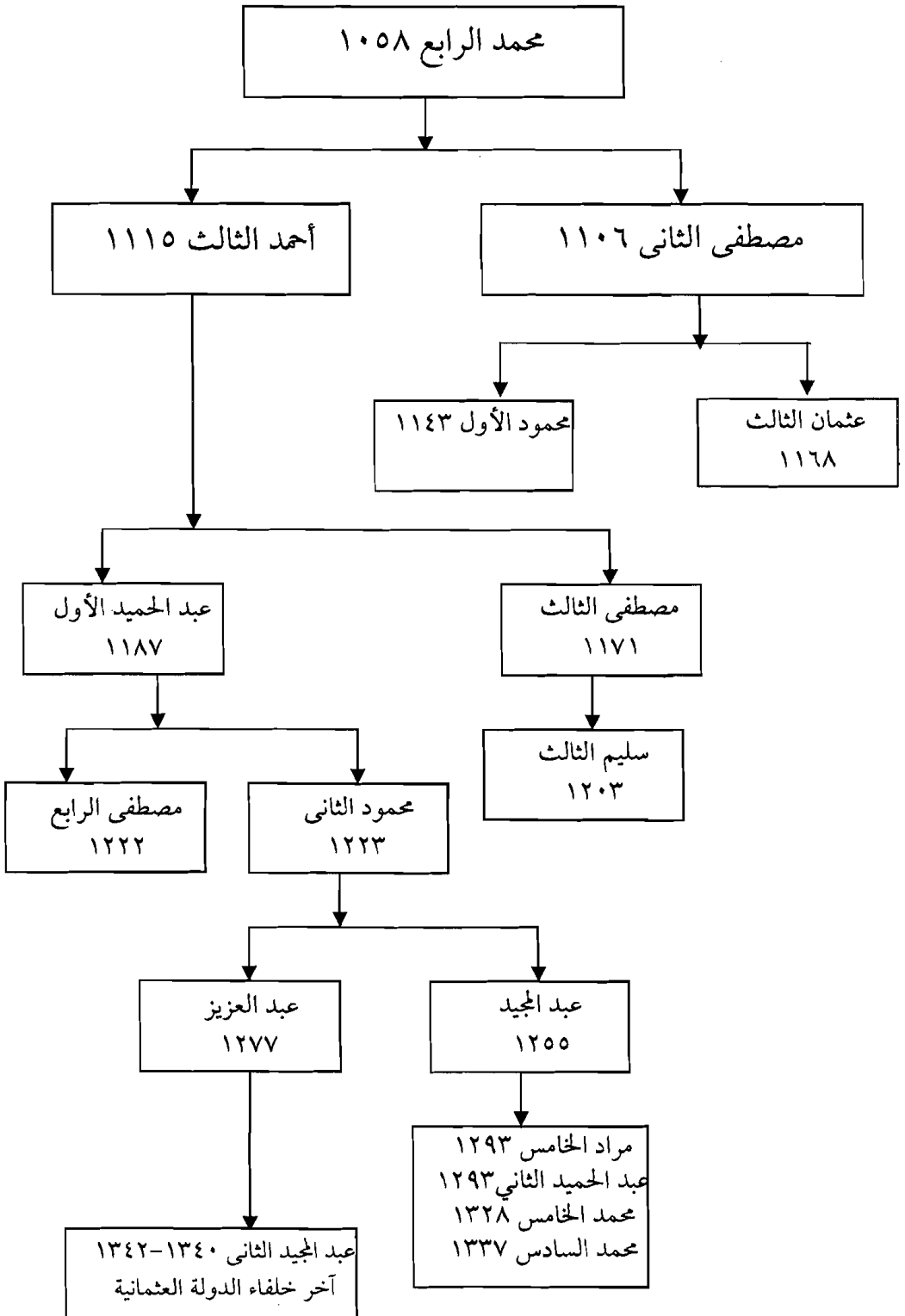
- ١- إلغاء الخلافة العثمانية.
 - ٢- قطع كل صلة بالإسلام.
 - ٣- إخراج أنصار الخلافة والإسلام من البلاد.
 - ٤- اتخاذ دستور مدنى بدلاً من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام.
- وحاول البعض الالتفاف حول الخليفة، ولكن أتاتورك قد قويت شوكتة واستطاع أن يزيح كل من وقف فى طريقه، وأعلن إلغاء الخلافة عام ١٣٤١هـ وأعلن قيام جمهورية تركيا، وألغى الوظائف الدينية وسلط جنده على السكان مجردون النساء من حجابهن وجعل من نصوص الدستور أن يكون له تمثال فى جميع أنحاء تركيا، وجعل الأذان باللغة التركية، وجعل كتابة اللغة التركية بحروف لاتينية بعدما كانت كتابتها بحروف عربية، وغيرها من الجرائم البشعة التى لا يتجرأ على فعلها الكفار. وهكذا وبكل الحسرة والألم انتهت آخر خلافة للمسلمين منذ عهد الرسول ﷺ وحتى وقتنا الحالى.

خلفاء الدولة العثمانية



سلاطين الدولة
العثمانية قبل تسلم
الخلافة من العباسيين





تركيا من إلغاء الخلافة حتى الآن

أتاتورك:

استبد مصطفى كمال أتاتورك بحكم تركيا وجعل حزبه (حزب الشعب الجمهوري) الحزب الحاكم، وقد سبق أن ذكرنا بعضا من جرائمه في حق الإسلام والمسلمين.

حركة الأكراد:

نادى أتاتورك بالقومية التركية التي جعلت الأكراد يثورون ويطالبون بتكوين دولة لهم، وكانت الدول الاستعمارية تستغل الأكراد كقنابل موقوتة ضد أى نظام يعارضهم، لذلك شتت بلاد الأكراد وقسمتها على كل من تركيا والعراق وإيران وسوريا وأرمينيا، ولم تقم لهم دولة لكى تضغط بورقة الأكراد على هذه الدول، وتجعلها تمشى فى ركابها وإلا ساعدت الانفصاليين الأكراد.

وعدد الأكراد فى العالم يزيد عن ٣٠ مليوناً غالبيتهم العظمى من المسلمين، ويتميزون بالقوة والشجاعة، وتعد تركيا أكبر تجمع لهم، سواء من حيث العدد أو المساحة، ولكن أتاتورك عمل على إخماد أى حركة يقومون بها بيد من حديد، وتبعه فى ذلك سدنة نظامه الذين يسيطرون على الحكم فى تركيا.

واستمراراً لمعاونة الخلفاء لمصطفى كمال أتاتورك ليرسخ أهدافهم وأفكارهم فى تركيا، ومن جهة أخرى لخلق النزاعات والفتن مع الدول المجاورة. لإظهار مصطفى كمال أتاتورك بمظهر البطل أمام الشعب التركى، تنازلت فرنسا -التي كانت تحتل سوريا- عن لواء الاسكندرونة لتركيا برغم معارضة الشاميين لذلك.

وأخذت المناهج الدراسية ووسائل الإعلام تمجد وتعظم فى أتاتورك، لينشأ جيل يعتبره المثل الأعلى، وتوفى هذا الطاغية عام ١٣٥٧هـ وتسلم بعده ذراعه

الأيمن عصمت اينونو رئيس الوزراء فى عهد أتاتورك.

وسار اينونو على نهج أتاتورك فى محاربة الإسلام، وواصل سياسة العصبية القومية والسير فى فلك الغرب وخاصة إنكلترا، واتبع سياسة أتاتورك، والتزمت تركيا الحياد فى الحرب العالمية الثانية، وذلك إرضاءً للحلفاء برغم أن الشعب كان يكرههم، فهم السبب فى إلغاء الخلافة وتقسيم بلاد المسلمين.

وأسس محمود جلال بايار -الذى كان رئيساً للوزراء وعزله اينونو- الحزب الديمقراطى المعارض لحزب الشعب الجمهورى الحاكم، الذى يرأسه رئيس الجمهورية.

اعترفت الحكومة بدولة اليهود فى فلسطين برغم رفض الشعب التركى لذلك. واشتدت المعارضة التركية للحكومة القائمة فى البلاد، وجرت الانتخابات النيابية وفاز الحزب الديمقراطى برئاسة محمود جلال الدين بايار بالأغلبية وتبعتها انتخابات الرئاسة ففاز محمود جلال الدين بايار بالمنصب.

وبرغم اختلاف المسميات من حزب ديمقراطى أو حزب الشعب الجمهورى إلا أن الجوهر لكليهما هو اتخاذ العلمانية مذهباً، وبتسلم الحزب الديمقراطى الحكم انتهى عصر الحزب الواحد الحاكم، وبدأ عصر الحكم النيابى أى يشترك أكثر من حزب فى المجلس النيابى وتتنافس على الحكم.

وفى عهد محمود جلال الدين بايار انضمت تركيا إلى حلف الأطلسى عام ١٣٧٤هـ.

وقد انضمت تركيا من قبل إلى حلف بغداد، لمنع أى توسع لروسيا فى الدول المحيطة بها وقد تغير اسم الحلف إلى الحلف المركزى عام ١٣٧٧هـ لانسحاب العراق منه.

وأخذت الأوضاع الاقتصادية تتدهور في البلاد، وقوى حزب الشعب المعارض، فاضطرت الحكومة إلى حله والقبض على أعضائه، فتكون بدلاً منه الحزب القومي الجمهوري، وحزب الحرية، وحزب الفلاحين الجمهوري، واتحدت معاً لتكون جبهة معارضة قوية، وبدأت الحكومة تحاول التعلق بأى قشة فى سبيل تثبيت أقدامها فى البلاد، فتراجعت عن عداء الإسلام، وسمحت بقراءة القرآن الكريم فى الإذاعة، بعد أن كانت قراءته ممنوعة، وأعدت الأذان باللغة العربية وفتحت بعض المدارس والكلليات الإسلامية.

وخشى الغرب من عودة العاطفة الإسلامية مرة أخرى لتركيا فأعانت الولايات المتحدة الجنرال جمال غورسيل على القيام بانقلاب عسكري عام ١٣٧٩هـ وتخلت عن الحكومة السابقة ونجح الانقلاب وأعدم رئيس الوزراء عدنان مندريس، واثنان من وزرائه، بينما خفف حكم الإعدام على رئيس الجمهورية إلى السجن المؤبد حيث كان هلاكه عام ١٣٩١هـ.

أجريت الانتخابات الحزبية، وفاز حزب الشعب الجمهوري الذى عاد للظهور، وكلف زعيمه عصمت اينونو بتشكيل الوزارة، ثم أجريت الانتخابات الحزبية ففاز حزب العدالة بها وعهد إلى سليمان ديميريل بتشكيل الوزارة الجديدة، واضطر جمال غورسيل رئيس الجمهورية إلى اعتزال السلطة نتيجة مرضه، وأجريت انتخابات رئاسية فاز بها جودت صوناي برئاسة تركيا.

بدأت البلاد تأخذ شكل الاعتدال فى سياستها بين الشرق والغرب، برغم انضمامها لحلف الأطلسى فأدانت العدوان الإسرائيلي على العرب عام ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م وألغوا الاتفاقيات التجارية مع إسرائيل، وكذلك أغلقوا المكتب السياحي الإسرائيلي فى تركيا عام ١٣٨٨هـ، وأصبح الجيش التركى هو المسيطر على السياسة فى البلاد وظهر فى عهده حزب الأمة الوطنى الذى يحمل

اتجاهات إسلامية لأول مرة برئاسة الدكتور نجم الدين أربكان .

ثم انتهت مدة جودت صوناي فى الحكم، فعين العسكريون فخري كورتوك رئيساً للجمهورية، برغم مخالفة ذلك للقانون التركى الذى ينص على كون رئيس الجمهورية من مجلس الشيوخ التركى وكان فخري كورتوك رئيساً للأركان، فاستقال من منصبه، وفى نفس الوقت استقال وزير الدفاع الوطنى محمد أزمان من منصبه، ومن عضوية مجلس الشيوخ، ليفسح المجال لرئيسى الجمهورية لتعيين فخري كورتوك.

وأجريت انتخابات الأحزاب، وشكلت الوزارة بائتلاف من حزبى الشعب والسلامة الوطنى، حيث يرأس الوزارة بولاند أجاويد رئيس حزب الشعب وشغل نجم الدين أربكان رئيس حزب السلامة الوطنى منصب نائب رئيس الوزراء وقام بعدها بعمل بطولى بإنزال القوات التركية فى جزيرة قبرص لحماية الأقلية الإسلامية هناك، فاشتد حقد حزب الشعب الجمهورى على حزب السلامة الوطنى وعلى رئيسه نجم الدين أربكان فقد أخذت شعبيته تزداد يوماً بعد يوم، وحدث الشقاق بينهما فاستقال نجم الدين أربكان من منصبه، وانحلت الوزارة الائتلافية ثم شكلت عدة وزارات أخرى باءت كلها بالفشل إلى أن حدث انقلاب عسكري فى تركيا عام ١٤٠٠هـ بقيادة كنعان ايفيرين .

كانت الولايات المتحدة وراء هذا الانقلاب لخدم الحركات الإسلامية التى بدأت تظهر فى تركيا، وتصل إلى الحكم، وفى نفس الوقت ظهر بعض الشيوعيين فى تركيا وجاء كنعان ايفيرين ليوسع من نفوذ العسكريين فى البلاد، فقد شغل منصب رئيس الجمهورية وفى نفس الوقت رئيس الأركان العامة ورئاسة المجلس العسكرى الوطنى، وظهر تورغوت أوزال الذى أسس حزب الوطن الأم، وخاض الانتخابات واستطاع أن يفوز بها عام ١٤٠٣هـ وشكل

تورغوت أوزال الوزارة الجديدة فى تركيا، وتحسنت العلاقات بين تركيا والدول الإسلامية فى عهده وتولى تورغوت أوزال الرئاسة فى تركيا بعد كنعان ايفيرين. وفى عهده بدأت مشروعات إقامة سد نهر الفرات فى تركيا، والتى عارضتها سوريا وتعاون هو والعراق فى سحق الحركات الانفصالية الكردية.

وعندما قامت العراق باحتلال الكويت أعلن تورغوت أوزال أن تركيا ستكون على الحياد، وعندما توفى تورغوت أوزال تولى منصب الرئاسة سليمان ديميريل.

عندما تولى رئاسة تركيا توالى المشكلة الدائمة بها فى تشكيل الوزارة، وعندما عهد إلى تانسو تشيلر رئيسة حزب الوطن الأم بتشكيل الوزارة، عملت على ضم تركيا لدول الاتحاد الأوروبى، والذى ترفضه اليونان وتماطل أوروبا فيه، وقامت بتوقيع معاهدة للتعاون العسكرى مع إسرائيل يرفضها العالم الإسلامى، وتورطت تانسو تشيلر فى قضايا فساد كثيرة هددت حزبها، وزادت المشكلة السياسية فى تركيا، والتى تتمثل فى تشكيل وزارة مستقرة، وظهر نجم الدين أربكان بحزب الرفاه الذى يعتبر امتداداً لحزب السلامة الوطنى، واستطاع أن يفوز بالانتخابات الحزبية فى تركيا، وظهرت المشكلة فى تكوين وزارة جديدة، وهى أن المقاعد التى احتلها حزب الرفاه غير كافية لتشكيل وزارة جديدة، ويجب عليه تكوين ائتلاف مع أحد الأحزاب الأخرى، وفشلت محاولات تشكيل حكومة ائتلافية، جديدة فكلف مسعود يلماظ رئيس حزب الطريق القويم بهذه المهمة ففشل، وكذلك تانسو تشيلر، ثم عاد أربكان فكلف بتكوين وزارة جديدة، فاقنع تانسو تشيلر بتكوين ائتلاف معه، وخاصة أنها كانت فرصة لها لتحسين صورتها بعد قضايا الفساد المتورطة فيها، وقد قدم حزب الرفاه تنازلات كبيرة لحزب الوطن الأم فى هذا الائتلاف، مثل تنازله للوطن الأم عن وزارات الدفاع والأمن والتعليم، وكان يهدف إلى أخذ

الوزارات التي تجعل الشعب يسر من حزب الرفاه؛ كوزارة الخدمات وغيرها، ولكنه نسي أن العسكريين هم المسيطرون على الحكم ولن يرضوا برئيس وزراء له اتجاهات إسلامية، وخاصة بعد جولته الإسلامية لتعزيز الروابط والعلاقات مع الدول الإسلامية، وفي نفس الوقت يراقب الغرب الوضع ويخطط لضربة قاصمة للإسلاميين في تركيا.

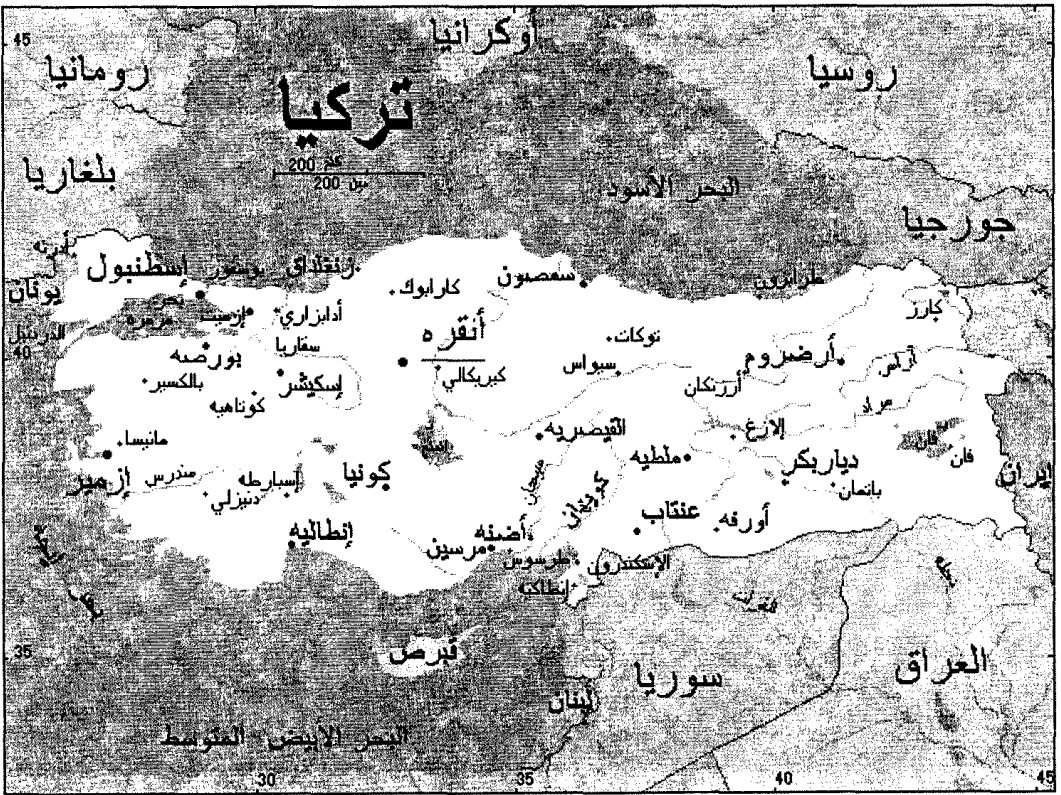
فأخذ العسكريون يقلبون الضباط ذوى الاتجاهات الإسلامية، ويضغطون على حكومة الائتلاف حتى اضطرت إلى الاستقالة وفي نفس الوقت كلف مسعود يلماز صاحب الاتجاهات العلمانية المعادية للإسلام بتشكيل الوزارة الجديدة، الذي عمل على سحق كل الاتجاهات الإسلامية ألغى الحجاب مرة أخرى في الجامعات وزاد من سنوات التعليم العلماني، ورفع قضية في المحكمة الدستورية على حزب الرفاه، يطالب فيها بحل حزب الرفاه بسبب اتجاهاته التي تشكل خطراً على العلمانية في تركيا، ومما يثير الدهشة أن المحكمة الدستورية حكمت بحل حزب الرفاه ومنع أربكان من رئاسة أى حزب فى تركيا لمدة خمس سنوات، وقد استعد أعضاء حزب الرفاه لهذا الاحتمال والآن هم فى طريقهم للانضمام إلى حزب الفضيلة البديل لحزب الرفاه.

وقام يلماز بتعزيز التعاون مع إسرائيل وعمل مسعود يلماز والعسكريون فى تركيا على سحق الحركات الإسلامية فى تركيا، تمهيداً للانتخابات فى عام ١٩٩٨ (١٤١٨هـ)، ويزيد من الهجمات العسكرية على الأكراد، ويتوغل وراءهم فى العراق، ولا يستفيد من هذه الحرب إلا العسكريون الضباط الكبار الذين يحصلون على بدلات كبيرة، بينما يذوق ويلاتها الأكراد والجنود الأتراك الذين يساقون إلى القتال. ولا ننسى استفادة الغرب وأمريكا وإسرائيل من إيرادات بيع الأسلحة للطرفين المتقاتلين، ونشوة أعداء الإسلام من تقاتل المسلمين.

حزب العدالة والتنمية:

وقد تشكل هذا الحزب في أواخر عام ٢٠٠٢ م، من بعض قيادات حزب الفضيلة، وسرعان ما اجريت الانتخابات وكانت المفاجأة بفوز ساحق لهذا الحزب الوليد، في الانتخابات البرلمانية التركية، التي خرجت منها كل الأحزاب التقليدية خالية الوفاض، باستثناء حزبي العدالة والشعب.

وقد تشكلت الحكومة برئاسة عبدالله جول، ثم انتقلت إلى رئيس الحزب، رجب طيب أردوغان، فيما تولى عبدالله جول وزارة الخارجية.



خريطة تركيا

الفصل الثاني بلاد العرب

وتفتتت الأمة العربية إلى ٢١ دولة وزرعت الألغام الحدودية بينها
يستخدمها الأعداء عند اللزوم.

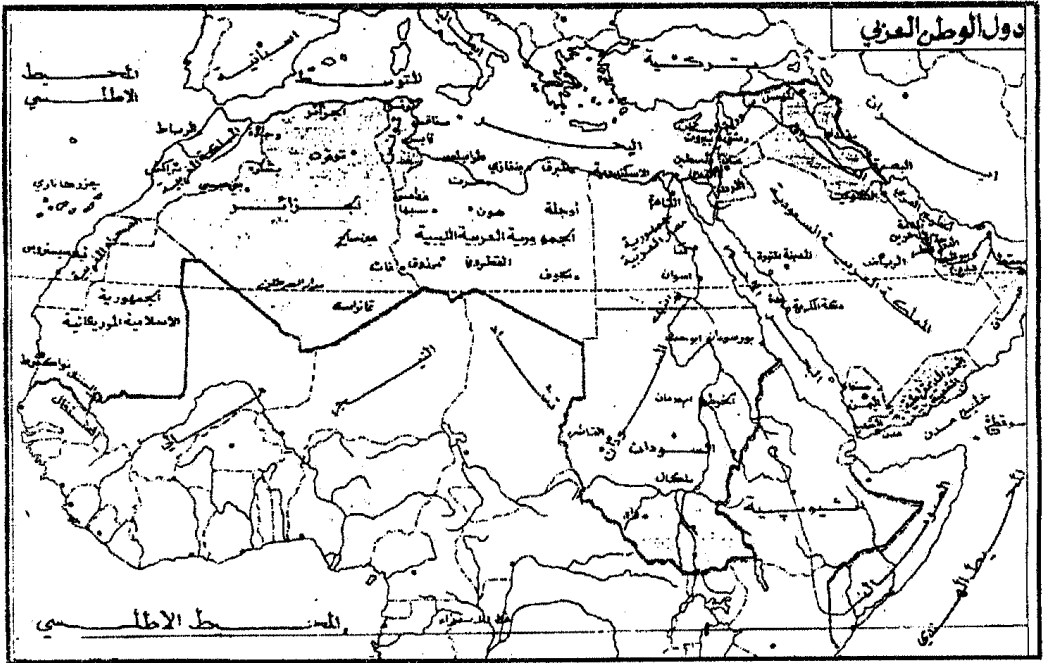
ما إن انطوت صفحة الخلافة العثمانية إلا وكانت بلاد العرب قد وقعت
تحت وطأة الاستعمار سواء من الإنكليز أو الفرنسيين أو الطليان، وقد قاوم
المسلمون الاستعمار مقاومة جعلتهم يجزمون أمتعتهم ويتقنون تمامًا من
استحالة استمرار احتلالهم العسكري في بلاد العرب، والعزم على تغيير شكل
الاحتلال والنفوذ، بالإضافة إلى الخوف الشديد من وحدتهم لوجود كافة
العوامل المؤدية للوحدة، من عقيدة وجنس ولغة، وذلك ليقينها بأن توحدهم
سيؤدي إلى بروز قوة عظمى للمسلمين، يمكن أن تستعيد للمسلمين هيبتهم
المفقودة، وخاصة أن العرب هم أول من حمل لواء الإسلام ونشروه في الكثير
من البلاد، ولغتهم هي لغة القرآن.

فكل هذه العوامل وغيرها جعلت أعداء الإسلام يعملون جاهدين على
تمزيق الأمة العربية وتفتيتها، فلم يتركوا بلادهم إلا وقد قسموها إلى كيانات
صغيرة، وأخرى كبيرة، وقد لجأت إلى تركيز الثروات في الكيانات الصغيرة،
مثل أغلب دول الخليج، لتشمل الثروات فئة صغيرة من الشعب العربي، بينما
الدول الأخرى الأكبر مساحة أقل ثروة، وبالتالي يزداد الحقد والتفاوت بين
الشعوب، مما يزيد من تفريقها وتشتيتها، ويخلق بينها الصراعات والحروب.

ولم تكتف بذلك بل زرعت إسرائيل في فلسطين لتكون ورمًا خبيثًا في بلاد
العرب، تستخدمه في إراقة الدماء العربية، وجعلها منطقة مشتعلة لا تعرف

الاستقرار، وأخذت تتحكم من عواصمها في الدول العربية والويل كل الويل لمن يعصى أمرها أو يسير في غير فلكتها.

ونتاول في هذا الجزء المنطقة العربية منذ إلغاء الخلافة العثمانية حتى وقتنا المعاصر.



خريطة الوطن العربي

المبحث الأول: الجزيرة العربية

السعودية

الدولة السعودية الأولى (١١٣٧-١٢٣٣هـ):

يعود أصل السعوديين إلى سعود بن محمد بن مقرن، وقد استقر مقرن جد سعود في منطقة حنيفة بنجد في الجزيرة العربية، وقد جاءوا من بلدة داريا على الخليج العربي؛ ولذلك أطلقوا على المنطقة التي استوطنوها من وادي حنيفة (داريا) التي عرفت بعد ذلك بالدرعية، وبدأ سعود بتوسيع ملكه لما حول الدرعية، ثم جاء ابنه محمد بن سعود الذي يعتبر مؤسس الدولة السعودية الأولى، وقد ظهر في عهده الشيخ محمد عبد الوهاب الذي دعا الأمة الإسلامية إلى العودة إلى الإسلام، وتطبيق الشريعة الإسلامية، واتباع نهج السلف الصالح للقضاء على البدع التي استفحلت في بلاد المسلمين، فرحب محمد بن سعود بالمبادئ الإسلامية التي يدعو إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعمل على نشرها في أنحاء الجزيرة، وبذلك تكوّن للدولة السعودية الجانبان السياسى والدينى، وتحول فكرها القبلى إلى فكر دينى.

واستطاعت أن تضم جهات كثيرة في الجزيرة العربية، وواصل الشيخ عبد العزيز بن محمد بن سعود ما سار عليه أبوه، فاتسعت رقعة الدولة في عهده حتى بلغت الدولة السعودية أقصى اتساع لها في عهد سعود بن عبد العزيز، والذي لقب بسعود الكبير، فقد شملت الدولة عمان واليمن والحجاز وكافة الجزيرة العربية، ووصلت لحدود الشام، وفي نهاية عهده بدأ محمد على بإيعاز من العثمانيين يرسل حملاته للسيطرة على جزيرة العرب، وتمكن من ذلك في عهد عبد الله الأول حيث دخلت جيوشه الدرعية في عام ١٢٣٣هـ وقضى بذلك على الدولة السعودية الأولى.

الدولة السعودية الثانية (١٢٣٤ - ١٢٨٩هـ):

بدأ الوجود المصرى يقل فى الجزيرة العربية، واكتفوا بوجودهم فى الحجاز، بينما انسحبوا من نجد، مكتفين بالسيادة الاسمية عليها وذلك عام ١٨٢١هـ ثم أرغمت الجيوش المصرية على الانسحاب من الحجاز عام ١٨٤٠هـ وتولى حكم الحجاز أسرة الأشراف التابعين للعثمانيين، بينما تولى حكم نجد الأمراء السعوديون، وزادت الفتن والصراعات بين الأمراء السعوديين فاستغل آل ابن الرشيد ذلك واستولوا على أملاكهم، بينما لجأ من بقى من الأسرة السعودية إلى آل الصباح فى الكويت، وانتهت بذلك الدولة السعودية الثانية.

الدولة السعودية الثالثة (١٣١٩هـ):

عبد العزيز الثانى:

تطلع عبد العزيز أحد الأمراء السعوديين إلى استعادة ملك السعوديين فى الجزيرة العربية، وكانت فى ذلك الوقت سيادتها بين العثمانيين والإنكليز، فالإنكليز يسيطرون على الكويت والبحرين وسواحل الخليج العربى، بينما تتبع اليمن والحجاز ونجد للعثمانيين، وتعاون الإنكليز مع السعوديين، وفضل السعوديون ذلك لعدة أسباب منها: أن آل ابن الرشيد الذين استولوا على أكثر أملاك السعوديين فى نجد يتبعون العثمانيين، وفى نفس الوقت فآل الصباح الذين لجأ إليهم السعوديون وقدموا لهم العون يتبعون الإنكليز، وبدأ عبد العزيز الثانى بالهجوم على الرياض، واستطاع انتزاعها من آل ابن الرشيد، ثم أخذ ينظم صفوفه واستطاع مد نفوذه إلى الأحساء عام ١٣٣٢هـ، ثم اتجه إلى آل ابن الرشيد فى حائل والذين يعاونهم العثمانيون، وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى وانسحب العثمانيون من بلاد العرب ضعف أمر آل ابن الرشيد وتمكن عبد العزيز الثانى من ضم حائل عام ١٣٤٠هـ، واستطاع أن يضم إمارات

عسير والتي كان يحكمها الإدريسيون وآل غائض.

طلب أمير الأدارسة عام ١٣٤٩هـ من الملك عبد العزيز الانضمام إلى مملكته فوافق وضمّت الجيوش السعودية إمارات آل غائض، وكان الصراع على أشده بين السعوديين والأشراف -حكام الحجاز- وخاصة بعدما أعلن ملكهم الشريف حسين نفسه خليفة للمسلمين بعد القضاء على الخلافة العثمانية، وكان في البداية تربطه علاقات طيبة مع الإنكليز، مما جعله يضع ابنه عبد الله على شرق الأردن، وجعل ابنه فيصل ملكاً على العراق، ثم ما لبث أن نشب الخلاف بينه وبين الإنكليز، وأرسل إلى الملك عبد العزيز آل سعود يأمره بمبايعته خليفة للمسلمين، ونشبت بينهما الحرب وانتهت بانتصار السعوديين وضمهم للحجاز، وأعلن في عام ١٣٥١هـ عن قيام المملكة العربية السعودية.

واجه الملك عبد العزيز في فترة حكمه مشكلة الإخوان، وهم جماعة من المقاتلين معه والتي بدأت تسلك آراء متشددة، وتكفر الكثير من المسلمين سواء في الحضر أو البادية، وتقاتلهم، وترفض جميع المظاهر الحديثة، حتى التي لم يجرمها الله عز وجل، فقاومهم الملك عبد العزيز وكسر شوكتهم، وبدأ يعد جيشاً نظامياً لحماية حدود الدولة السعودية، وتوفى عام ١٣٧٣هـ وتولى بعده ابنه الملك سعود بن عبد العزيز.

سعود بن عبد العزيز:

وبرز في عهده أخوه فيصل بن عبد العزيز، الذي كلف عدة مرات بتشكيل الوزارة وظهر تفوقه في إدارة البلاد عن أخيه الملك سعود، حتى قرر العلماء وأمراء أسرة آل سعود خلع الملك سعود بن عبد العزيز، وتولية أخيه الملك فيصل بن عبد العزيز. وفي عهده تأسست جامعة الدول العربية وتعتبر المملكة العربية السعودية من مؤسسيها.

الملك فيصل بن عبد العزيز:

كانت له شعبية كبيرة فى المملكة السعودية بل وفى سائر البلدان الإسلامية، واتجه إلى التصنيع، حتى لا يكون البترول هو المصدر الوحيد للإيرادات السعودية، وعمل على تنمية الجانب الثقافى والتعليم فى المملكة، فأنشأ الكثير من المدارس والجامعات، وكان له دور كبير فى حرب العاشر من رمضان، حينما دعا الدول الإسلامية إلى وقف إرسال البترول إلى الغرب، فاستجابت باستثناء إيران وغيرها من الدول التى تسير فى فلك السياسة الغربية، وكان لذلك تأثير كبير على سياسة الدول الغربية تجاه العرب وتجاه الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية، واغتيل الملك فيصل عام ١٣٩٥هـ على يد ابن أخيه فيصل بن مساعد بن عبد العزيز، وتآلم الكثير من المسلمين لموته، وأعدم قاتله فى نفس العام.

الملك خالد بن عبد العزيز:

تولى الحكم بعد وفاة أخيه الملك فيصل عام ١٣٩٥هـ ولم يستمر كثيراً فقد توفى اثر مرضه عام ١٤٠٢هـ.

الملك فهد بن عبد العزيز:

تولى الحكم بعد وفاة أخيه الملك خالد بن عبد العزيز عام ١٤٠٢هـ وولى عهده هو الأمير عبد الله بن عبد العزيز، وتنازل عن لقب صاحب الجلالة، وتسمى بخادم الحرمين الشريفين وأخذ يتوسع فى مشروعات التعمير والتنمية فى أنحاء المملكة العربية السعودية وكذلك وسع مساحة الحرمين الشريفين.

سلطنة عمان:

تعود الأسرة الحاكمة الآن فى عمان إلى قبيلة البوسعيد الذين يحكمون البلاد منذ عام ١١٥٤هـ وحتى الآن، والمسلمون يحملون كل التقدير والاحترام

للعثمانيين الذين أبلوا على مرتاريخهم بلاءً حسنًا فى الإسلام، وأذلوا البرتغاليين شديداً الحقد والعداوة للإسلام والمسلمين أشد إذلال، بالإضافة إلى فتوحاتهم فى شرق أفريقيا ونشرهم الإسلام فى جهاتها.

وبعد الفتح الإسلامى لعمان مرت عليها أربعة عهود، فمنذ عام ١٣٥هـ حتى عام ٩١٤هـ كان حكم الأئمة الإباضية، ثم جاء الاحتلال البرتغالى لعمان عام ٩١٣هـ واستمر حتى عام ١٠٣٤هـ حيث طردهم اليعاربة من أنحاء عمان، فقد بدأ الجهاد الكاسح ضدهم بقيادة الإمام ناصر بن مرشد، ثم جاء ابن عمه سلطان بن سيف، فأخرجهم تماماً من عمان، ولم يكتف بذلك بل تتبعهم فى مستعمراتهم فى شرق أفريقيا والهند، وتمكن اليعاربة من طرد البرتغاليين من جزيرتى زنجبار وبمبا والصومال، وأغار على مواقعهم فى الهند ديودامان وعاد بغنائم كثيرة، ثم جاء ابنه سيف بن سلطان فانتزع من البرتغاليين مدينة ممبسة التى تمثل عاصمة مستعمراتهم فى شرق إفريقيا، ومن مآثر اليعاربة إنشاء جيش ضخم قوامه ٩٠٠٠٠ مجاهد، وأسطول كبير، وتعمير البلاد، وبناء القلاع والحصون وأقاموا فى جبرين مدرسة لطلاب العلم.

وبدأ الضعف يدب إليهم فى آخر أيام حكمهم، حتى استولى الفرس على عمان ثم جاء البوسعيديون عام ١١٥٤هـ وخلصوا البلاد من الفرس وجاء فى عهدهم الإنكليز والذين لبثوا فى البلاد حتى عام ١٣٩٠هـ حتى استقلت عنهم عمان.

البوسعيديون.. أحمد بوسعيد:

هاجرت قبيلة آل بوسعيد من اليمن إلى عمان واستقرت بها واختار سيف ابن سلطان أحد أبنائها وهو أحمد بوسعيد ليكون مستشاراً له، وولاه على مدينة صحار، ومد الفرس نفوذهم إلى عمان، فاستنهض أحمد بو سعيد همم العثمانيين، واستطاعوا بالحيلة تارة وبالحرث تارة أخرى أن يطردوهم من عمان،

وبدأ حكم بوسعيد بعمان، ولكن عمت الانقسامات فى البلاد، والتى كان من نتائجها انفصال عدة إمارات فى البلاد، والتى كونت فيما بعد دولة الإمارات العربية المتحدة، وأصبحت الأوضاع فى عمان غير مستقرة حتى جاء الإنكليز وسيطروا على البلاد.

وكان للعمانيين نفوذ كبير فى شرق إفريقيا فى عهد البوسعيدين، فعندما انكشمت الرقعة التى يسيطرون عليها فى آسيا اتجهوا بكل قوتهم إلى إفريقيا وستعرض لهم بشيء من التفصيل فى الفصل الخاص بإفريقيا بمشيئة الله.

وكان انقسام السلطنة العمانية إلى شطرين، أحدهما الذى يمثل عمان الآن والآخر فى شرق إفريقيا بعد وفاة السيد سعيد بن سلطان عام ١٢٧٢هـ، فوقع النزاع بين ابنه توينى الذى استقل بعمان، وابنه الآخر ماجد الذى حكم شرق إفريقيا، وهذا ما أتاح الفرصة للاستعمار الإنكليزى أن يمد نفوذه إلى عمان وأملاكها فى أفريقيا، وأخذ المستعمر الإنكليزى يعقد المعاهدات التى بمقتضاها يسيط نفوذه على البلاد، بل والأدهى من ذلك أنه فى عام ١٣٣١هـ بدأت الإمامة تعود إلى عمان، بعد أن خفت ضوءها فى عهد البوسعيدين، فانقسمت البلاد إلى جزء تسيطر عليه الإمامة، وجزء يحكم باسم البوسعيدين الذين سيطر الإنكليز على أملاكهم فى عمان، وبدأ الإنكليز يستحثون البوسعيدين على مد نفوذهم فى المناطق التى تحكمها الإمامة وأمد الإنكليز البوسعيدين بالجيوش التى تمكنت من السيطرة على مناطق الإمامة، وبذلك بسط الإنكليز نفوذهم على عمان بالكامل، ثم استقلت البلاد عن الإنكليز عام ١٣٩٠هـ.

وتسلم السلطان قابوس بن سعيد السلطة فى البلاد وبدأ يشق الطريق نحو النهوض بالبلاد فى جميع المجالات، وانضمت عمان لجامعة الدول العربية فى عام ١٣٩١هـ، وقد ظهرت فى أواخر عهد السلطان سعيد والد السلطان

قابوس حركة متمردي ظفار الشيوعية، التي كان يدعمها الشيوعيون في العالم، وكان متمرديو ظفار يتخذون من اليمن الجنوبية قاعدة لهم للهجوم المتواصل على الأراضي العمانية، وقتل الأبرياء وإثارة الاضطرابات في ظفار، وقد دعاهم السلطان قابوس في البداية للرجوع إلى صوابهم، ولكنهم أبوا ذلك حيث كان الشيوعيون في العالم يعدونهم لبسط النفوذ الشيوعي على الخليج العربي، حيث كان الشيوعيون قد غيروا اسم الحركة من جبهة تحرير ظفار إلى جبهة تحرير الخليج العربي، ولكن الجيش العماني تمكن من الإجهاز عليهم والقضاء عليهم.

اليمن :

ضم العثمانيون أجزاء واسعة من اليمن إليهم، ولكنهم لم يستقروا في الأجزاء الجنوبية منها، بينما ظلت الأجزاء الشمالية منها تابعة لهم حتى سقطت الخلافة العثمانية.

الأجزاء الشمالية من اليمن

الإمام يحيى: كان الزيديون (إحدى فرق الشيعة) هم المسيطرون على الحكم في اليمن عندما جاءها العثمانيون.

وفي عام ١٣٢٢هـ برز الإمام يحيى، الذي ينحدر من أسرة آل حميد الدين من بيت القاسم الزيدية، وأخذ يحارب العثمانيين وحقق الكثير من الانتصارات عليهم، واضطر العثمانيون إلى عقد صلح عام ١٣٢٩هـ عترفوا فيه باستقلال اليمن، واحتفظ العثمانيون بحامية صغيرة في صنعاء كشكل من أشكال الارتباط الإسلامي لليمن بالخلافة، وبعد ذلك قامت الحرب العالمية الأولى فانسحبت الحامية الصغيرة للعثمانيين من اليمن.

نشبت الصراعات بين اليمن والسعوديين على منطقتي عسير ونجران، اللتين

تدعى كل من المملكتين أحقيتها فيها، ونشبت بينهما الحروب التى انتهت بانتصار السعوديين، ووصلوا إلى مدينة الحديدة اليمنية، ثم عقد اتفاق الطائف الذى اعترفت فيه اليمن بتبعية نجران وعسير للسعودية، وانسحبت السعودية من المناطق التى دخلتها فى اليمن، وظل الإمام يحيى فى الحكم حتى عام ١٣٦٧هـ، حيث اغتيل بمؤامرة دبرها عبد الله بن أحمد، عضو ديوان الإمام الذى كان يطمع فى الحكم، واتجه لقتل ولى العهد الإمام أحمد، ولكن الإمام أحمد استطاع أن ينجو منه ووقع القتال بين الإمام أحمد وعبد الله الوزير انتهى بانتصار الإمام أحمد.

الإمام أحمد:

اتجه إلى تشجيع الحركات العربية، فشكل مع مصر والسعودية الحلف الثلاثى عام ١٣٧٦هـ، واتحد مع الجمهورية العربية المتحدة المكونة من مصر وسوريا عام ١٣٧٨هـ الذى ما لبث أن انحل عام ١٣٨١هـ، بسبب انفصال سوريا وحدثت فى عهده ثورة ١٣٧٤هـ لإرغامه على التنازل عن الحكم، واضطر لأن يتنازل لأخيه عبد الله المؤيد من الجيش، ثم ما لبث أن استجمع أعوانه وابنه بدر قواتهم، وأعادوه للحكم وأعدم قادة الثورة.

وتعرض الإمام أحمد لمحاولة اغتيال عام ١٣٨٠هـ وأخذ فى العلاج من الإصابات التى لحقت به، حتى توفى متأثراً بها عام ١٣٨٢هـ وتولى ابنه بدر الذى لم تتجاوز مدة حكمه أسبوعاً، حيث قامت ثورة عام ١٣٨٢هـ والتى عرفت بثورة ٢٦ سبتمبر لإلغاء الإمامة وإعلان الجمهورية، وخاف الثوار من فشل الثورة، فاستنجدوا بجمال عبد الناصر الذى أمدهم بما يحتاجون من عتاد ورجال، ووقع الجيش المصرى فى مستنقع اليمن، حيث جمع الإمام بدر حوله القبائل المؤيدة له، وأعاتته السعودية التى كانت علاقتها متوترة مع مصر فى ذلك الوقت، وخاصة من تصريحات جمال عبد الناصر التى كانت ترمى لإسقاط

الأنظمة الملكية، وإحلال النظام الجمهورى مكانها، فكان عون السعودية للإمام بدر حماية لنظام الملكية بها وقتل الكثير من الجنود المصريين لتفوق اليمنيين عليهم فى الخبرة بجغرافية اليمن، وكاد الإمام بدر أن يستعيد ملكه، لولا اعتراف الولايات المتحدة بالجمهورية اليمنية، وتوقف المساعدات السعودية له وفى نفس الوقت اضطر جمال عبد الناصر لسحب جيوشه من اليمن. بسبب الاجتياح الإسرائيلى للأراضى العربية، والهزيمة المنكرة فى عام ١٣٨٧هـ والتى كانت حرب اليمن من أهم أسبابها، وثبت الثوريون أقدامهم فى اليمن، وكان عبد الله السلال أول رئيس لجمهورية اليمن الشمالية، ولكن أطيح به من منصبه فى عام ١٣٨٧هـ وتسلم القاضى عبد الرحمن المنصب ثم قامت ثورة فى اليمن عام ١٣٩٤هـ أو بعبارة أصح انقلاب عسكرى أدى إلى عزل رئيس الجمهورية، وتولى إبراهيم الحامدى رئاسة الدولة، وظل فى الحكم ٤ سنوات حتى اغتيل عام ١٣٩٨هـ بمؤامرة دبرها رئيس اليمن الجنوبى سالم ربيع، الذى أرسل مبعوثاً خاصاً على طائرة خاصة من عدن إلى رئيس اليمن الشمالى ليسلمه رسالة كان يضعها فى حقيبة وما إن فتح المبعوث الحقيبة إلا وانفجرت الحقيبة ولقى كل من الرئيس إبراهيم الحامدى والمبعوث مصرعهما، وألقى اليمن الشمالى مسؤولية الحادث على اليمن الجنوبى وقطع معه العلاقات الدبلوماسية وتولى بعد ذلك العقيد على عبد الله صالح الحكم فى البلاد وكان من أبرز أعماله إنشاء سد مأرب عام ١٤٠٦هـ.

الأجزاء الجنوبية من اليمن:

وتتمثل فى ثلاثة من مناطق هى؛ عدن، والمقاطعات الشرقية، والمقاطعات الغربية، وقد وقعت تحت النفوذ البريطانى، وقد ضم العثمانيون عدن عندما ضموا اليمن الشمالى، ولكنهم لم يثبتوا أقدامهم فيه فاحتله الإنكليز عن طريق

شركة الهند الشرقية، التي تذرعت بأثفه الأسباب لاحتلال عدن، ثم أخذ الإنكليز يزيدون من إثارة الفتن بين القبائل فى الجنوب اليمنى، واستطاعوا أن يمدوا نفوذهم إلى المقاطعات الشرقية والغربية من جنوب اليمن.

وقد وحدث إنكلترا عددًا من المقاطعات الشرقية والغربية للجنوب اليمنى لتكوين مستعمرة متحدة كانت تدار فى البداية من عدن، ثم أتبعها للحاكم الإنكليزى فى الهند، ثم أعلنت مستعمرة تاج عام ١٢٥٦هـ نظرًا لاتجاه الهند للاستقلال عن إنكلترا ثم أعلنت قيام حكومة الاتحاد عام ١٣٧٨هـ فى جنوب اليمن التابعة لإنكلترا ولكن اليمنيين لم يقبلوا هذا الوضع، وشجعهم على ذلك قيام ثورة فى اليمن الشمالى عام ١٣٨٢هـ ومساعدة جمال عبد الناصر لهم فأعطت الإنكليز الاستقلال لليمن الجنوبى عام ١٣٨٧هـ وكان رئيسها هو عبد القوى مكاوى ثم جاء بعده سالم ربيع الذى تورط فى اغتيال رئيس اليمن الشمالى، ثم حدث انقلاب فى عام ١٣٩٨هـ أطاح بسالم ربيع وتولى قائد الثورة عبد الفتاح إسماعيل الحكم، وكان الاتحاد السوفيتى يسانده فى ذلك، والطائرات الروسية تعزز موقفه ثم حدث انقلاب عسكري آخر فى اليمن أطاح بعبد الفتاح إسماعيل، وتولى على ناصر الحكم وتوالت الانقلابات العسكرية وفى عام ١٤٠٦هـ تولى أبو بكر السقاف الحكم.

الوحدة اليمنية:

منذ أن استقل اليمن الجنوبى وهو يحاول الاندماج مع الشمالى الذى أبدت نفس الرغبة، وقد جرت محاولات جادة لدمجها عام ١٣٩٢هـ ولكن القيادات فى البلدين لم تتفق ثم جاء عام ١٤١٠هـ فاتحدت الدولتان واتخذت صنعاء عاصمة للدولة الجديدة، وشغل على عبد الله صالح منصب رئيس الدولة وأبو بكر السقاف منصب رئيس الوزراء، ثم حدث تراجع من قبل أبى بكر السقاف

الذى أراد الانفصال مرة أخرى، ووقعت حرب أهلية فى اليمن بين دعاة الانفصال يقودهم أبو بكر السقاف، والرئيس على عبد الله صالح الذى يرفض الانفصال، وانتصر جيش على عبد الله صالح ودخل عدن وما زالت اليمن حتى الآن موحدة.

مشكلة جزر حنيش:

بعد استقلال اريتريا عن أثيوبيا دعم اليهود والغرب إريتريا لتهديد الاستقرار فى المنطقة العربية وإفريقيا، فهى من جهة تساعد الانفصاليين فى السودان، ومن جهة أخرى تريد أن تزيد نفوذها فى البحر الأحمر، والذى يعنى زيادة نفوذ الدول التى تعتبر إريتريا عميلة لهم، فبتخطيط يهودى وبأسلحة يهودية وأمريكية بل باشتراك الجنود اليهود احتلت إريتريا جزيرة حنيش الكبرى وتقدمت فى عدة جزر أخرى فى مضيق باب المندب، وكانت هذه الجزر تابعة للجمهورية اليمنية وسكت العالم على الأحداث التى تحدث فى باب المندب وكأنه يعزز التعديلات الإريترية على اليمن، وفرضت أمريكا واليهود على اليمن توقيع اتفاق للتحكيم الدولى على عدة جزر فى المضيق مع إريتريا، لكن محكمة العدل الدولية حكمت بأحقية اليمن فى هذه الجزر.

البحرين

كانت كلمة البحرين تطلق على المنطقة الممتدة من قطر إلى البصرة وتشمل الجزر التى تحمل هذا الاسم الآن، ثم أخذت الدولة فى التقلص حتى لم يبق تحت سيطرتها الآن إلا جزر البحرين التى كونت دولة البحرين.

احتل البرتغاليون البحرين فى القرن العاشر الهجرى وازداد نفوذهم فى الخليج العربى حتى أوقف العثمانيون تقدمهم فى شبه الجزيرة العربية، ولم يستطع البرتغاليون تثبيت أقدامهم فى هذه الجهات نظراً للمقاومة الإسلامية

الشديدة لهم، سواء من العرب أو العثمانيين أو الفرس، ولم يتوقف الأمر على ذلك بل دخل الإنكليز والهولنديون الصراع ضد البرتغاليين، وكان العمانيون لهم دور كبير فى القضاء على البرتغاليين فى الجزيرة العربية، فبعد أن طهروا البلاد منهم طردوهم من بقية الأجزاء التى يسيطرون عليها، وأخرجوهم من البحرين عام ١٠١١هـ. وتعاون الإنكليز مع الفرس لجعل السلطة للفرس على البحرين بعد خروج البرتغاليين، وأخذ الفرس يعينون على البحرين عاملاً لهم من العرب ثم بدأ الضعف يدب فى الفرس، واستطاع آل خليفة أن ينتصروا على عامل الفرس فى البحرين فى موقعة الزبارة عام ١١٩٧هـ على شاطئ قطر، ودخل آل خليفة جزر البحرين، وفى عام ١٢١٥هـ ضم العمانيون البحرين إليهم، فاستنجد حاكمها الشيخ سليمان بن أحمد بن محمد بن خليفة بالسعوديين فأعانوه بقوة بقيادة ابن عفيصان، واستطاع أن يطرد العمانيين منها، ولكنه احتل الجزيرة لنفسه فجمع آل خليفة جموعهم واستطاعوا أن يطردوا ابن عفيصان من البحرين، ففر إلى قطر، وعادت السلطة فى البحرين لآل خليفة وفى عهد الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان امتد نفوذ الإنكليز إلى البحرين، وتحكموا فى عزل وتعيين حاكمها فعزلوا الشيخ محمد وعينوا عيسى بن على من آل خليفة أيضاً، وظل النفوذ الإنكليزى فى البحرين حتى استقلت البحرين عام ١٣٩١هـ وذلك فى عهد الشيخ عيسى بن سلمان بن حمد آل خليفة وانضمت البحرين لجامعة الدول العربية.

حاولت إيران ضم البحرين التى تعتبرها إيران جزءاً من أراضيها لكثرة الشيعة بها، ولكن الإنكليز رفضوا ذلك حتى لا يفقدوا صلتهم بالعرب، وحتى الآن تحاول إيران ضم البحرين إليها بنشر لغتها فى البحرين وإقامة المدارس الفارسية، وفتح الباب على مصراعيه لتعليم أبناء البحرين فى إيران، وتقديم

التسهيلات إليهم، وتسعى الدول العربية لزيادة الرابطة بين البحرين والعرب وكان من أمثلة ذلك جسر الملك فهد، الذى يربط بين البحرين والسعودية، وكذلك إنشاء جامعة الخليج العربى، التى تضم السعودية وقطر والبحرين والإمارات والكويت وعمان، وتتخذ من البحرين مقراً لها، وصارت البحرين مملكة في الوقت الحالى.

قطر:

كانت قطر جزءاً من دولة البحرين كما ذكرنا من قبل، ثم خضعت للعثمانيين فى القرن الثامن الهجرى، ثم احتلها البرتغاليون عام ٩٢٢هـ، ولم يلبثوا فيها كثيراً إذ أرسل الخليفة العثمانى سليمان القانونى أسطولاً بقيادة سليمان باشا، طرد البرتغاليين من قطر وأجزاء أخرى فى الخليج ضمت للدولة العثمانية، ثم ضعف أمر العثمانيين فى البلاد وخرجوا منها عام ١٠٨٠هـ، ثم خضعت للسعوديين فى عهد عبد العزيز بن محمد، ثم ضعف نفوذ السعوديين فيها بسقوط الدرعية، فمد آل خليفة سلطانهم إليها، وكانت عاصمتهم الزبارة فى قطر، فنقلوها إلى جزيرة المنامة بالبحرين وجعلوا آل ثانى هم نوابهم فى قطر، ثم نشب الخلاف بين آل ثانى وآل خليفة، واندلعت الحروب بينهما، فانتهزت إنكلترا الفرصة وتدخلت وبسطت نفوذها، وعقدت بين آل ثانى وآل خليفة معاهدة بمقتضاها استقلت قطر عن البحرين.

حكم آل ثانى:

واستمر حكم آل ثانى لشبه جزيرة قطر حتى الآن، وقد أجبر الإنكليز العثمانيين على توقيع اتفاقية يتنازل بمقتضاها العثمانيون عن جميع حقوقهم فى قطر، ليحل النفوذ الإنكليزى مكانهم فى عام ١٣٣١هـ واضطر الشيخ عبد الله ابن قاسم من آل ثانى أن يعقد معاهدة مع إنكلترا يعطى لها نفوذاً فى قطر وفى

عهده اكتشف البترول فى قطر.

توالى حكم آل ثانى على قطر، وأعطيت الاستقلال عن إنكلترا، وأعلنت قيام دولة قطر عام ١٣٩١هـ وفشلت المحاولات لدمج قطر والبحرين والكويت مع دولة الإمارات العربية المتحدة وذلك فى عهد الشيخ أحمد بن على وتسم الحياة السياسية فى قطر بالخلافات الدائمة بين أمير الدولة وولى العهد، فقد تنازل الشيخ على لابنه أحمد عن الحكم، ونص التنازل على أن يكون الشيخ خليفة بن حمد (ابن عم أحمد) ولياً للعهد، وكان الشيخ خليفة بن حمد هو الحاكم الفعلى لقطر، حتى أنه هو الذى أعلن الاستقلال عن إنكلترا عام ١٣٩١هـ، واستطاع أن ينفرد بالحكم فى نهاية عام ١٣٩١هـ بحركة انقلابية وظل الشيخ خليفة يحكم البلاد حتى قام ابنه وولى عهده حمد بانقلاب مماثل مستغلا وجود أبيه بالخارج وتولى الحكم مكانه.

دولة الإمارات العربية المتحدة :

سبق أن ذكرنا من قبل فى الحديث عن عمان أن دولة الإمارات كانت جزءاً من عمان، ثم بدأت تستقل بذاتها عندما دب الضعف والانقسام بالعمانيين، وظلت على هذه الحال حتى شكلت دولة الإمارات المتحدة.

فقد كانت هذه الإمارات تتبع اليعاربة حتى جاء البوسعيديون لحكم عمان، فظهر القواسم الذين قد غزوا بقوة بحرية كبيرة وأعلن زعيمهم رحمة بن مطر الاستقلال بالمنطقة التى بها دولة الإمارات الآن، ووافق أحمد بوسعيد على ذلك واتخذ رحمة مدينة رأس الخيمة عاصمة له، ثم وصلت فلول المستعمرين الإنكليز وخاضت مع القواسم حروباً ضارية حتى تمكنت من بسط نفوذها على المنطقة، وعقدت مع حكام المنطقة معاهدة عام ١٣٣٥هـ أجبرتهم فيها على الاعتراف بالسيادة البريطانية على المنطقة.

أخذ الإنكليز يزيدون من انقسام هذه المنطقة، فقسموها إلى ٧ إمارات وهي أبو ظبي، الشارقة، دبي، رأس الخيمة، الفجيرة، أم القوين، وعجمان.

وظل الاحتلال الإنكليزي لهذه الإمارات حتى أعلن الإنكليز عن انسحابهم من منطقة الخليج عام ١٣٩٠هـ، فاتحدت الإمارات السبع وأعلنت قيام دولة الإمارات العربية المتحدة ورفضت الكويت وقطر والبحرين الانضمام إليها، وكان للشيخ زايد بن سلطان جهوداً كبيرة في قيام هذا الاتحاد، واختير لرئاسة هذا الاتحاد، واستطاعت الإمارات أن تسير بخطى سريعة في شتى مجالات التنمية والبناء والتعمير، وتتمتع بعلاقات طيبة مع كافة دول العالم، ولها مساهمات فعالة في تمويل الكثير من المشاريع في العديد من الدول الإسلامية.

الكويت:

كانت البقعة التي تمثل الكويت الآن ليس لها أى أهمية فى الماضى، بل لم يكن يقطنها أحد، حتى جاء إليها آل الصباح وأعلنوا تبعيتهم للعثمانيين واستوطنوا تلك المنطقة النائية، وكان معهم كل من آل خليفة والجاهلية ثم انفصل عنهم آل خليفة واستوطنوا منطقة قطر ثم وقع الخلاف بين الجاهلية وآل الصباح فتمكن آل الصباح من طرد الجاهلية من الكويت.

برزت أهمية الكويت عندما احتل الفرس البصرة من العثمانيين عام ١١٦٨هـ وظلوا يحتلون لها لمدة أربع سنوات، فى الوقت الذى كان الإنكليز يعتمدون على الطريق الذى يمر بالبحر المتوسط، ثم البصرة، ثم الخليج العربى، للوصول إلى الهند فغيرت إنكلترا الطريق من البصرة إلى الكويت لتصل إلى الخليج العربى، وبدأ حكام آل الصباح يظهرون ميلهم للإنكليز، بسبب ضعف العثمانيين وظهور قوة الإنكليز، ولكن الإنكليز لم ينازعوا العثمانيين فى هذه البقعة، حيث لم تكن لها الأهمية الكافية فى ذلك الوقت، وكانت بريطانيا لديها

أطماع أخرى ذات أهمية كبرى فى الدولة العثمانية، ثم جاء عهد الشيخ مبارك الصباح وظل الميل للإنكليز الذين وجدوا الوقت مناسباً لسيط نفوذهم على الكويت، فى الوقت الذى توترت فيه العلاقات بين العثمانيين والكويت، وكان العثمانيون قد أتبعوا الكويت إلى ولاية البصرة، ثم قامت الحرب العالمية الأولى وأخذت الكويت جانب الإنكليز فى الحرب، وبسط الإنكليز نفوذهم على الكويت وظل النفوذ الإنكليزى على الكويت حتى عام ١٣٨١هـ عندما منح الإنكليز الكويت الاستقلال التام، وكان ذلك فى عهد الشيخ عبد الله بن سالم وقد أعلن عبد الكريم قاسم رئيس العراق حينئذ أنه عازم على ضم الكويت لأنها كانت تابعة لولاية البصرة فى العهد العثمانى، ولكن الرئيس جمال عبد الناصر أرسل تهديداً للعراق بأنه سيمنع أى محاولة لضم الكويت، فعدل عبد الكريم عما كان يعزم عليه وعم الثراء فى الكويت نظراً لانتشار آبار البترول بها، واحتلالها للمركز الثانى بين الدول العربية فى إنتاجه، وفى نفس الوقت مساحتها صغيرة وسكانها قليلون، واستمرت البلاد تنعم بما يفيض من الغنى والثروات، حتى جاءها الغزو العراقى عام ١٤١١هـ الذى سنتناوله فى الجزء الخاص بالعراق وحرر الكويت فى عام ١٤١٢هـ ويحكم الكويت حالياً الشيخ

جابر الصباح

المبحث الثاني العراق

وقعت العراق تحت الانتداب الإنكليزي بعد هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى، والتي تنازل فيها العثمانيون عن بلاد العرب، وكان الحلفاء قد وعدوا العرب بإعطائهم الاستقلال بعد الحرب ولكنهم -كعادتهم- أخلوا بالعهود وعينوا على العراق الملك فيصل بن حسين شريف الحجاز، والذي أخذ جانبهم في الحرب العالمية الأولى.

ورفض الشعب العراقي الاحتلال الإنكليزي، وأخذت المقاومة تشتعل في أنحاء العراق وقامت الثورات التي كان من أهمها ثورة عام ١٣٣٨ هـ، ولكن أخمدها الإنكليز وقد أعلن الإنكليز إنهاء الانتداب الإنكليزي على العراق عام ١٣٥١ هـ ولكن هذا الاستقلال كان صوريًا، فالنفوذ الإنكليزي ظل في العراق.

وتوفى الملك فيصل بن حسين عام ١٣٥٢ هـ وجلس ابنه غازي على العرش، والذي قتل في حادث غامض عام ١٣٥٩ هـ فخلفه ابنه فيصل الثاني البالغ من العمر ٤ سنوات، فعين خاله عبد الإله وصيًا عليه، وحدثت ثورة أخرى عام ١٣٦١ هـ في العراق بقيادة رئيس الأركان بكر صدقي، ولكن ما لبث أن قتل، وقامت انتفاضتان للشعب عام ١٣٥٨ هـ، ١٣٦٢ هـ وتسلم الملك فيصل الثاني مهامه عام ١٣٦٣ هـ بعد أن وصل إلى سن الرشد، وانضمت العراق إلى حلف بغداد عام ١٣٦٥ هـ، الذي يعتبر تكريسًا للنفوذ الإنكليزي.

ثم أعلن عام ١٣٥٧ هـ عن قيام الاتحاد العربي بين الأردن والعراق برئاسة فيصل الثاني، ردًا على قيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر و سوريا، ولكن الاتحاد العربي لم يمكث كثيرًا ففي عام ١٣٧٨ هـ قامت ثورة في البلاد، ألغت

الملكية، وأعلنت قيام الجمهورية في العراق برئاسة عبد الكريم قاسم والتي أنهت النفوذ الإنكليزي في العراق، ثم ما لبث عبد الكريم قاسم أن استبد بالبلاد، وتوترت علاقات العراق مع الوطن العربي، ونشبت الصراعات بين ضباط الثورة، والتي أدت إلى مذابح رهيبية في البلاد ومجازر وحشية، ونكل بالأكراد أشد تنكيل.

قامت على إثر ذلك ثورة ١٣٨٢هـ التي أطاحت بعبد الكريم قاسم وعينت مكانه عبد السلام عارف، وأعدم عبد الكريم قاسم، وتحسنت العلاقات مع الدول العربية وبدأ يصحح أخطاء الثورة السابقة، ولكن توفي عبد السلام عارف في حادث سقوط طائرته عام ١٣٨٥هـ، وتولى أخوه عبد الرحمن عارف رئاسة الجمهورية والذي تدهور في عهده اقتصاد البلاد، وأهمل الجانب العسكري فقامت على أثر ذلك ثورة ١٣٨٨هـ التي أطاحت به.

وتولى رئاسة الجمهورية أحمد حسن البكر وعين صدام حسين نائباً له والذي كان الحاكم الفعلي للبلاد، ثم انفرد صدام حسين بالسلطة عام ١٣٩٩هـ وعقد مؤتمر القمة العربي في بغداد عام ١٣٩٩هـ، بسبب توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، وأعلنت الدول العربية قطع علاقاتها الدبلوماسية مع مصر باستثناء عمان والسودان والصومال وكذلك توقفت المساعدات العربية لمصر.

الحرب العراقية الإيرانية (١٤٠٠-١٤٠٨هـ):

زج صدام حسين بالعراق في حرب طائشة مع إيران، سبق أن تكلمنا عنها في الجزء الخاص بإيران، شجعه أعداء الإسلام عليها، ووجدوا فيه آذانا صاغية وطموحات لا حصر لها، ولكنها بعيدة المنال، ولم يحصد من هذه الحرب إلا مليون قتيل عراقي، وتدمير البلاد وإثقال عاتق البلاد بالديون، بل تنازل عن كل

مطالبه فى النهاية تمهيداً لاجتياح الكويت، وحاول صدام حسين فى البداية عدم إثارة الأكراد بإعطائهم حكماً ذاتياً موسعاً وحصولهم على نسبة من عائدات البترول، وبمجرد انتهاء الحرب نكل بهم أشد تنكيل، وارتكب فيهم مذبحه مروعة عام ١٤٠٨هـ بالغازات السامة.

مجلس التعاون العربى:

اتفقت مصر والعراق واليمن والأردن على تكوين مجلس التعاون العربى بينهما عام ١٤٠٩هـ وظهرت آراء كثيرة فى مغزى مجلس التعاون العربى، ومن أهمها رأى يرجح أن العراق كان يستعد لحرب الخليج واحتلال الكويت، فشجع كل من الأردن واليمن على التعاون معه، بحيث يمهّد احتلال الكويت إلى تقدم الأردن فى السعودية واحتلالها للحجاز والجوف، وتقدم اليمن فى عسير فى السعودية، حيث كانت هذه الأجزاء تابعة لهم من قبل وضممتها السعودية إليها فى عهد الملك عبد العزيز آل سعود، ووجدوا أن لمصر ثقلها ومكانتها فى المنطقة، فأحبوا أن يورطوها معهم، ولكن كان موقف مصر رفض العدوان العراقى على الكويت وأدى ذلك إلى حل مجلس التعاون العربى فى فترة حرب الخليج.

حرب الخليج (١٤١١هـ):

بعد القضاء على أكبر الأنظمة الشيوعية فى العالم، وانتهاء الحرب الباردة بين الشرق والغرب، وصل أعداء الإسلام فى أوروبا وأمريكا لمرحلة التفرغ الكلى للقضاء على المسلمين، وقد أثبتت تجاربهم السابقة فى هذا الصدد أن غزوهم المباشر لبلاد المسلمين واحتلالها هو بمثابة دخول المستنقع؛ ولذلك لن تكون إبادة المسلمين إلا بأيدى المسلمين، فعمدت منذ عهد قريب إلى تغيير سياستها الاستعمارية من الاحتلال العسكرى إلى الاحتلال الاقتصادى، ومن الحرب المباشرة مع المسلمين إلى تقابل المسلمين مع بعضهم البعض.

لقد أغروا صدام بالكويت وبثرواتها البترولية الكبيرة، التي بامتلاكها يتحقق الرخاء للعراق الخارج من حرب دامت ٨ سنوات دمرته تماماً وفي نفس الوقت لن يجد مقاومة تذكر، حيث لا وجه للمقارنة بين إمكانات العراق والكويت الحربية، وعلاوة على ذلك لن يخطر على بال الكويت أن العراق سيغزو بلاده، وقد مدت الكويت يد العون للعراق في حربها الضارية مع إيران، فاختلفت العراق أسباباً واهية لا تعقل واجتاحت الكويت عام ١٤١١هـ واحتلتها، واعتقد صدام حسين أن حلف الأطلسي سيبارك عمله كما وعده ويسكت عليه كما سكت من قبل على مذابحه للأكراد عام ١٤٠٨هـ، ولكن الغرب أعلن رفضه للاحتلال العراقي للكويت، فظن صدام أن ذلك من باب التمويه والخداع وحبك اللعبة الدولية.

واستيقظ صدام حسين من الحلم الجميل الذي يعيشه بضم الكويت والتمتع بثرواتها على كابوس مفزع، وتيقن من أنه خدع وما وعد إلا غروراً، وبدلاً من أن ينقذ ما يمكن إنقاذه، ويصحح الخطأ الكبير الذي وقع فيه أصر صدام على موقفه، واستمر في مواصلة المعركة إلى آخرها حتى انهزم تماماً وأضاع كل شيء وأخرجت القوات المتحالفة العراق من الكويت عام ١٤١٢هـ وكان من آثار هذه الحرب تحقيق أهداف أعداء الإسلام وهي:

- ١- ضرب الاقتصاد الإسلامي المتمثل في دول الخليج.
- ٢- تحطيم الترسانة العسكرية للعراق والتي تشكل خطراً على إسرائيل.
- ٣- إعادة الشقاق والضغائن إلى الدول العربية المسلمة بعد المصالحة التي تمت بينهم في مؤتمر الرباط عام ١٤٠٨هـ.
- ٤- تثبيت نفوذ حلف الأطلسي في دول الخليج بحجة حماية دوله من أطماع الدول المجاورة.

- ٥- لفت أنظار العالم عن قضية فلسطين وتحويلها إلى قضية أخرى.
- ٦- إذلال الشعب العراقي وفرض الحصار الاقتصادي والغذائي عليه في سبيل القضاء عليه بعد ما كان يشكل قوة إسلامية كبرى.
- وظل الحصار مفروضاً على العراق لأكثر من عشر سنوات، والضحية هو الشعب العراقي، وتماطل أمريكا في رفع الحصار عن العراق لتذلل شعبه وتهلكه؛ استمراراً في خطتها الرامية لتفتيت هذا البلد المسلم وتشجيع الأكراد في الشمال على الحركات الانفصالية وكذلك الشيعة في الجنوب، وتكون بذلك قد قطعت شوطاً لا بأس به في المنطقة العربية وكل ذلك يحدث والمسلمون يقفون موقف المتفرج لا يفعلون شيئاً وكأنهم ينتظرون أن تأتي الكرة عليهم.
- وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، واحتلال الولايات المتحدة الأمريكية لأفغانستان اتجهت إلى العراق، وادعت أن العراق يأوي الإرهاب ويدعمه وأن لديه أسلحة دمار شامل، وأرسلت الأمم المتحدة بفرق التفتيش التي نقبت تحت كل حجر عراقي ولم تجد شيئاً من هذه الأسلحة المزعومة، لكن أمريكا أصرت على وجود هذه الأسلحة وكونت حلفاً ضم بريطانيا وإسبانيا، وبالإضافة إلى حكاية أسلحة الدمار الشامل فإنها تذرعت بحجة القضاء على النظام العراقي الديكتاتوري وإحلال الديمقراطية والعدل.
- اجتاحت أمريكا وحلفاؤها العراق في ٢٠/٣/٢٠٠٣م واستخدمت جميع الأسلحة المباحة والمحرمة دولياً في حربها على العراق، ودخلت بغداد في ٩/٤/٢٠٠٣م واندلعت المقاومة في كل مكان، وألقت الولايات المتحدة الأمريكية القبض على صدام حسين في ١٤/١٢/٢٠٠٣.

عملت قوات التحالف على تدمير البنية التحتية في العراق والقضاء على كل أشكال الحضارة والتراث الإنساني والإسلامي في بغداد، كما عمدت إلى تدمير المساجد واحتلال المنشآت النفطية، كما فجرت الفتنة الطائفية بين السنة والشيعة، وحاولت العراق إلى سجن كبير تمارس فيه أبشع أنواع التعذيب والاعتصاب والقتل، وهتكت أعراض النساء داخل المساجد، لتقدم لنا واحدة من أبشع صفحات الحروب الصليبية ضد الإسلام.

المبحث الثالث

بلاد الشام (سوريا)

قبل أن تقع بلاد الشام تحت الاستعمار الأوربي وتنتزع من العثمانيين، كان كل من الإنكليز والفرنسيين قد حققوا نفوذًا لهم في بلاد الشام، وبالتحديد في منطقة لبنان الحالية، فقد استغل المستعمرون وجود الكثير من الطوائف في هذه المنطقة، واستغلوا أيضًا النزاع الذي لا ينقطع بينها، فعمد الفرنسيون إلى مساعدة المواردنة وتقريبهم، بينما عمد الإنكليز إلى الدروز ومدوا إليهم يد العون والتقريب، فكانت هذه المنطقة مشتعلة بالخلافات والفتن التي أثقلت عاتق الدولة العثمانية، وكان العثمانيون يقسمون منطقة الشام إلى أربعة مناطق إدارية (ولايات) وهي: دمشق وحلب وطرابلس وصيدا.

الاحتلال الأجنبي لبلاد الشام وتقسيمها:

قبل الحرب العالمية الأولى كانت بلاد الشام والعراق وجزيرة العرب ترتبط بالعثمانيين سواء سياسيًا أو اسميًا، ويمكن أن نقول إن العثمانيين لم يتحقق لهم الاستقرار في هذه المنطقة في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى مباشرة، فعمل الاستعمار على قطع الروابط بين العثمانيين وما بقى تحت أيديهم من بلاد العرب، بواسطة وسائل كثيرة من أهمها النعرات القومية، سواء في تركيا أو بلاد العرب، وأخذت تملأ الوعود والأمانى للعرب في استقلالهم عن العثمانيين، ووعدت الشريف حسين (شريف الحجاز من أسرة الأشراف التي كانت تحكم الحجاز ويعود نسبها إلى أهل البيت) بتنصيبه ملكًا على الأجزاء العربية التابعة للعثمانيين إذا ما ساعدها، وأخذ جانبها في الوقت المناسب.

وجاء الوقت المناسب والذي يتمثل في الحرب العالمية الأولى، وأعلن

الشريف حسين فكرة استقلال العرب تساعده فى ذلك جمعية العربية الفتاة (القومية)، وبرزت فكرة تولية الشريف حسين ملكاً للعرب، وساعد المستعمرون الشريف حسين فى دعايته ليس من أجله ولكن باعتباره الوسيلة التى ستمكن لهم فى بلاد العرب، وعندما يستتب لهم الأمر سيكون أول ضحاياهم بعد أن أدى مهمته -من وجهة نظرهم- وبالفعل انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة العثمانيين، ووقوع بلاد العرب فى أيدي المستعمرين، وفى البداية عملوا على إظهار الشريف حسين على بلاد العرب، لكى يثبتوا أقدامهم فيها، فعينوا ابنه فيصل على بلاد الشام، ثم راجعوا أنفسهم فوجدوا أن تحقيق أهدافهم لا يستدعى هذا الكم الكبير من البريق للشريف وأسرته، بل ويمكن أن يودى ذلك إلى تحول الخطة فى غير صالحهم، لأنه بذلك تكون بلاد الشام موحدة، فطوروا الخطة إلى تعيين الملك فيصل على بلاد العراق، وخلق ولاية شرق الأردن فى الشام وتولية الأمير عبد الله بن الشريف عليها، وبذلك يكونون قد أخفتوا من بريق الشريف حسين وعائلته وفى نفس الوقت يمتد نفوذهم فى البلاد بشكل أكبر.

وما إن استتب لهم الأمر حتى أظهروا وجههم الحقيقى، وبدءوا فى مرحلة جنى الثمار فعملوا على إضعاف الشريف حسين، فأعانوا السعوديين عليه حتى فقد الشريف حسين، الحجاز -قاعدته الأساسية التى يستمد منها المكانة السياسية والدينية لدى العرب- وبالتالي تخلصت من القوة التى تخشى مقاسمتها السلطة، برغم أنها كانت بالأمس وسيلتها للنفوذ فى بلاد العرب وبالتالي لم يبق للأشراف من وجود فى بلاد العرب إلا فى العراق وولاية شرق الأردن، وكلاهما خاضعان للسيطرة الأجنبية، فقضت بذلك على أى خطر من الأشراف، وبدأ الأستعمار يطبق سياسة فرق تسد فى البلاد، حتى يصعب على

العرب المقاومة ولا تقوم لهم قائمة، وفي هذا الجزء سنعرض سياسته في الشام. كانت بداية التجزئة في بلاد الشام متمثلة في انقسامها إلى منطقتي نفوذ، إحداهما لفرنسا وتمثل الجزء الشمالي، والأخرى لإنجلترا وتمثل الجزء الجنوبي، ومارست فرنسا سياسة التفتيت في الجزء الخاضع لها، فأعلنت عن عزمها إنشاء دولة لبنان الكبير والتي كانت نواتها الموارنة الذين يرتبطون بفرنسا دينياً وثقافياً منذ عهد العثمانيين، فأضافت إلى إقطاعياتهم إقطاعيات أخرى من سوريا، كونت دولة لبنان، ولم تكتف فرنسا بذلك بل قسمت ما تبقى من سوريا إلى دويلات وهي دمشق وحلب وجبل العلويين وجبل الدروز على حدود الأردن، وذلك بعد أن أعطت لواء الاسكندورنة لأتاتورك.

بينما قسم الإنكليز الجزء الخاضع لهم والذي كان يطلق عليه فلسطين إلى جزئين، أحدهما احتفظ بنفس الاسم وعملوا على توطين اليهود به؛ تنفيذاً لوعد بلفور، والآخر هو إمارة شرق الأردن التي نصبوا عليها الأمير عبد الله بن الشريف حسين، وبالنسبة للجزء الذي احتلته فرنسا في الشام فقد اشتدت المقاومة، وعمت الثورات ضد الاستعمار الفرنسي، ومن أهمها ثورة إبراهيم هتانو عام ١٣٣٨هـ في سوريا، والثورة الكبرى في الجبل في الفترة من (١٣٣٤ - ١٣٤٦هـ) بقيادة سلطان الأطرش.

وكانت للحرب العالمية الثانية دور كبير في إضعاف الاحتلال في كثير من المستعمرات، وكان للمسلمين الدور الكبير في مقاومة الاحتلال في كافة البلاد التي دخلها الاحتلال الأجنبي، وكان بها أغلبية أو أقلية مسلمة، لأن عقيدتهم ترفض سيادة غير المسلمين عليهم، وتأثر بهم الكثير من أصحاب الديانات الأخرى وناهضوا الاستعمار ومن أمثلة ذلك ما حدث في سوريا، فقد جاءت الحرب العالمية الثانية وركعت باريس للألمان وضعف الفرنسيون، وبرغم إنقاذ

الحلفاء لفرنسا وهزيمة الألمان بعد ذلك، إلا أن فرنسا لم تعد كما كانت قبل الحرب واضطرت للانسحاب التام من سوريا ولبنان عام ١٣٦٦هـ.

سوريا:

كما سبق وأن ذكرنا أن الأجزاء المتبقية من سوريا بعد اقتطاع الإسكندرونة ولبنان منها قد فتتها الفرنسيون إلى عدة دويلات، ولكن حكومات هذه الدويلات رفضت التفتيت، وأعلنت عن رغبتها في العودة كدولة واحدة، وكان استقلال سوريا عن الفرنسيين عام ١٣٦٦هـ، وتعتبر الوريثة الكبرى للشام، والدول الأخرى تعتبر في الشام جزءاً من كيانها المفقود، وكان أول رئيس لسوريا في ظل استقلالها هو شكري القوتلي ثم تعرضت سوريا لثلاثة انقلابات في الفترة (١٣٦٨ - ١٣٦٩هـ) أولها انقلاب حسنى الزعيم ثم سامى النادى ثم أديب الشيشكلي ثم حدث انقلاب عسكري عام ١٣٧٣هـ بقيادة فيصل الأتاسى ليعيد الحياة الدستورية والانتخابات للبلاد، وعين فى البداية هاشم الأتاسى رئيساً للجمهورية، ثم أجريت فى سوريا الانتخابات عام ١٣٧٥هـ وعاد بها شكري القوتلي رئيساً للجمهورية ثم حدثت الوحدة العربية بين مصر وسوريا عام ١٣٥٧هـ والتي كونت الجمهورية العربية المتحدة برئاسة جمال عبد الناصر ولكنها لم تستمر أكثر من ٤ سنوات، ففي عام ١٣٨١هـ قام انقلاب فى سوريا أدى إلى تولي ناظم القدسي رئاسة الجمهورية وتوالت الانقلابات فى سوريا ففي آخر عام ١٣٨١هـ حدث انقلاب ولكنه أبقي على رئيس الجمهورية فى منصبه، وعدل فى الوزارة ونفى زعماء الانقلاب السابق إلى خارج سوريا، ثم عاد زعماء الانفصال إلى البلاد، وحاولوا القيام بانقلاب جديد عام ١٣٨٢هـ ولكنهم لم ينجحوا، ثم جاء انقلاب آخر عام ١٣٨٢هـ، وتكون مجلس ثورة يرأسه لؤى أتاسى، وحاول إعادة الوحدة مع مصر وإدخال العراق فى الوحدة،

ولكن سرعان ما تولى زعماء حزب الشعب وأعضاؤه دعاة الانفصال السلطة فى البلاد فى عام ١٣٨٣هـ، وتولى منهم أمين حافظ السلطة ثم جاء انقلاب عام ١٣٨٦هـ بجناح آخر من حزب البعث وعين نور الدين أناسى رئيساً للجمهورية ثم استطاع الرئيس حافظ الأسد أن ينفرد بالسلطة فى أواخر عام ١٣٩٠هـ، وحتى عام ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م وخلفه فى الحكم ابنه بشار الأسد.

لبنان:

عندما استقل لبنان عن فرنسا عام ١٣٦٦هـ تولى بشارة الخورى رئاسة الجمهورية، وظل فى هذا المنصب حتى عام ١٣٧١هـ، ومما هو جدير بالذكر أن لبنان دولة فيفسائية متباينة الأديانو فنسبة الشيعة بها ٢٨% ونسبة الموارنة ٢٤% أما نسبة السنة فهي ١٩% ونسبة الأرثوذكس ٩% ونسبة الدرروز ٦% ونسبة الكاثوليك ٦% ونسبة الأرمن ٥%.

وقد قام الفرنسيون بصنع هذه الدولة ليكون للنصارى نفوذ وشخصية بها، وبالتحديد الموارنة، وقد وضع الفرنسيون أسسها السياسية على النحو التالى، فرئيس الجمهورية مارونى، أما رئيس الوزراء فسنى، ورئيس مجلس النواب شيعى، أما القائد الأعلى للجيش ورئيس المخابرات فمارونى، ورئيس الأركان درزى، ومقاعد الجيش والبرلمان تتوزع بين الطوائف المختلفة من مسلمين ومسيحيين، وعندما قامت جمهورية لبنان أصبحت تمثل قبلة موقوتة محتملة الانفجار فى أى وقت، ونظامها الرئاسى يقوم على انتخاب رئيس جديد كل ٦ سنوات، وفى عام ١٣٧١هـ انتخب كميل شمعون لرئاسة لبنان، والذى حاول فى نهاية مدته أن يغير الدستور بحيث يعطية الحق فى ترشيح نفسه لفترة رئاسة ثانية، ولكن وقفت له المعارضة بالمرصاد، وكادت الحرب الأهلية أن تندلع وخاصة بعد استنجد كميل شمعون بالولايات المتحدة التى قامت بإنزال قواتها

فى لبنان، ولكن الله سلم وانسحبت الولايات المتحدة وانتخب رئيس جديد للبنان عام ١٣٧٨هـ هو فؤاد شهاب ثم تلاه عام ١٣٨٤هـ الرئيس شارل حلو وجاءت نكسة ٦٧ فى عهده، وزاد اللاجئون الفلسطينيون الذين طردهم اليهود من الأراضى التى خضعت لسيطرتهم، فعقد اتفاق القاهرة عام ١٣٨٩هـ الذى أبرمه رئيس الوزراء اللبناني رشيد كرامى مع الرئيس جمال عبد الناصر، والذى ينص على إقامة مخيمات للاجئين الفلسطينيين بلبنان، ثم تولى سليمان فرنجية رئاسة لبنان عام ١٣٩٠هـ وفى عهده بدأ النشاط الفلسطينى بلبنان، والقيام بالعمليات الفدائية على الحدود مع اليهود وبدأت القوة الفلسطينية تظهر فى لبنان، حتى قيل إن الفلسطينيين كونوا لهم دولة فى لبنان، وعجزت السلطة اللبنانية عن السيطرة على الموقف بالبلاد، وبدأت إسرائيل تشن غاراتها على لبنان، وتقوم المخابرات الإسرائيلية بالاغتيالات لزعماء منظمة التحرير الفلسطينية، واشتعل الموقف فى لبنان.

الحرب الأهلية فى لبنان ١٣٩٥هـ:

وقامت الحرب الأهلية عام ١٣٧٥هـ بين الفصائل اللبنانية المختلفة، فقد شعر المسيحيون بنفوذ الفلسطينيين الكبير فى لبنان، والذى لا يوقفه أحد وفى نفس الوقت يؤيدهم مسلمو لبنان، وكذلك أقلق اليهود والولايات المتحدة الوجود الفلسطينى بلبنان، والذى شكل خطراً عليها، فكان لليهود والغرب الدور الكبير فى إشعال الحرب فى لبنان، وعقدت القمة العربية عام ١٣٩٦هـ لبحث مشكلة الحرب الأهلية فى لبنان بدمشق، والتى تقرر فيها دخول الجيوش السورية إلى لبنان، لضبط الأوضاع والسيطرة على الموقف فيه وانتخب فى عام ١٣٩٦هـ الياس سركيس رئيساً للبنان وفوجئ الجميع بالغزو الإسرائيلى للبنان، عام ١٣٩٧هـ والذى احتل جنوب لبنان مستغلاً الأوضاع المتردية فى

البلاد، وازداد الموقف اشتعالاً واحتدم الصراع بين كافة الطوائف، وكان دخول سورية فى بداية الأمر لمواجهة التمرد الفلسطينى فى لبنان ومن يؤيده من فصائل مسلمة، وعندما تمكنت من هذا أعلن الفلسطينيون والمسلمون تأييدهم لسوريا فغيرت سوريا وجهتها إلى الميليشيات المسيحية وحاولت الميليشيات المسيحية الاستنجد بأوروبا والولايات المتحدة، ولكنهم لم يفعلوا لها شيئاً لإجبارها على اللجوء لإسرائيل، وبالفعل اتصلت الميليشيات المسيحية باليهود، الذين وجدوها فرصة كبيرة لتفاقم الموقف فى لبنان، وأخذ اليهود يدربون الميليشيات المسيحية ويمدونهم بالأسلحة الأمريكية المتقدمة لقتال الجيش السورى والفلسطينيين ومسلمى لبنان.

وتدهور الموقف بلبنان ولم يستطع الموارنة والمسيحيون فى لبنان تحقيق كل أهدافهم المنشودة، فطلبوا من إسرائيل التدخل المباشر فى لبنان، فبارك اليهود طلبهم الذى يحقق لهم احتلال المزيد من الأرض والقضاء على المسلمين، واكتسحت إسرائيل لبنان عام ١٤٠٢هـ واستخدمت إسرائيل القنابل العنقودية والأسلحة المحرمة دولياً، والتى وهبتها لها الولايات المتحدة.

ووصل اليهود إلى بيروت التى قسمت إلى قسمين أحدهما للمسيحيين (الجزء الشرقى) والآخر للمسلمين (الجزء الغربى)، وفتح المسيحيون أبوابهم لليهود ودخل اليهود بيروت الشرقية وتحصن المسلمون ببيروت الغربية واستماتوا فى وقف التقدم الإسرائيلى، وجرت معارك طاحنة بين الفلسطينيين ومسلمى لبنان، الذين يدعمهم السوريون ولم تستطع إسرائيل التقدم أكثر من ذلك.

وبدأ رد الفعل العالمى بعد أن دمر اليهود لبنان وقتلوا الآلاف فى غزوهم الغاشم وهدد اليهود الفلسطينيين بالخروج من لبنان أو التدمير الشامل لهم لكنهم رفضوا ذلك إلا فى حالة وجود قوة تحمى خروجهم، فجاءت الولايات

المتحدة لذلك، ولكنها لم تستطع وضع قدميها في لبنان فسرعان ما غادرته وانتخب في ذلك الوقت بشير الجميل رئيساً للبنان - وكان أحد قادة حزب الكتائب المسيحي الذي دعى إسرائيل لاجتياح لبنان - فقاومه اللبنانيون واغتيل في نفس العام الذي اكتسحت فيه إسرائيل لبنان وتولى المنصب أخوه أمين الجميل الأكثر هدوءاً.

استغل اليهود الاغتيال الذي حدث وتعاونوا مع حزب الكتائب المسيحية في مذبحه صبرا وشاتيلا للفلسطينيين في بيروت الغربية، حيث أمدت حزب الكتائب بالأسلحة وقامت بحراسة قواته حتى دخلت مخيم صبرا وشاتيلا، وذبحت الآلاف من الفلسطينيين وتابعت إسرائيل مذابحها للمسلمين فارتكبت مذبحه عين الحلوة عام ١٣٩٤هـ.

ونتيجة للأحداث السابقة طلب أمين الجميل من الولايات المتحدة التدخل لحفظ الأمن في لبنان، وكونت القوات المتعددة الجنسيات من الولايات المتحدة، وفرنسا، وبريطانيا، ودخلت لبنان، ولكن الولايات المتحدة لم تلبث أن غادرت لبنان لكثرة العمليات الفدائية ضدها، والتي دمر إحداها مقر القيادة الأمريكية في لبنان، وفقدت الولايات المتحدة المئات من أبنائها، ووجد اليهود أنهم قد وضعوا أنفسهم في مستنقع لبنان فأخذوا ينسحبون جزئياً من لبنان، واحتفظوا بجزء احتلوه في الجنوب اللبناني والبقاع والذي أطلقوا عليه الحزام الأمني، والذي كونه إسرائيل عام ١٤٠٥هـ، وظل الموقف مشتعلاً بلبنان، وظهر النفوذ الإيراني بها عن طريق حزب الله الشيعي، وتمثل النفوذ الإسرائيلي في جيش لبنان الموالي لإسرائيل، والذي يشترك مع اليهود في تعزيز الوجود الإسرائيلي في لبنان.

أحس الشعب اللبناني أن ما يحدث في لبنان تستفيد به إسرائيل وحدها، وإنه لا بد من التوحد بين اللبنانيين لمواجهة العدو الحقيقي والمتمثل في إسرائيل، التي

تحتل جيوشها ٨٪ من مساحة لبنان، وبالفعل انتهت الحرب الأهلية في لبنان عام ١٤١٠هـ باتفاق الطائف، وقد حاول اليهود إحياء الحرب الأهلية من جديد بتدبير مؤامرة اغتيال أول رئيس للبنان في ظل نهاية الحرب، وذلك عن طريق سيارة ملغومة انفجرت أثناء مرور موكبه فأردته قتيلاً، وقتلت معه العشرات من الأبرياء ولكن الشعب اللبناني أصر على إنهاء الحرب الأهلية وتسلم الياس الهراوي رئاسة البلاد وفي تطور لاحق للأحداث تولى رئاسة البلاد إميل لحود وأسندت رئاسة الوزارة إلى رفيق الحريري الذي انتقل بعد ذلك إلى المعارضة الذي اغتيل بتفجير سيارته في ١٤ فبراير ٢٠٠٥، ١٤٢٦هـ لتدخل لبنان في دوامة عنف جديد.

لبنان بعد الحرب الأهلية:

سعى لبنان إلى تضييد جراحه بعد الحرب التي دامت ١٥ عاماً استنفدت فيها البلاد مواردها وعملت الحكومة اللبنانية على نزع السلاح من جميع الفصائل في لبنان، وبالفعل أبدت جميع الفصائل موافقتها وسلمت أسلحتها للجيش اللبناني باستثناء حزب الله الشيعي، وبرغم هذا التصرف الذي يجعل هناك بذوراً للشقاق من جديد في لبنان، إلا أنه لا ينكر أحد الدور الفعال الذي يقوم به حزب الله في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان، بالاستعانة بالمقاومة اللبنانية، وساهم في الكثير من العمليات الفدائية في الجنوب اللبناني ضد القوات الإسرائيلية والقوات الموالية لها، وفي قصف شمال إسرائيل بصواريخ الكاتيوشا، وتحاول إسرائيل تدمير المقاومة لها بشن الغارات المستمرة على قواعد حزب الله والقوات اللبنانية، بل ويحاول أعضاء الحكومة الإسرائيلية إثبات وجودهم بالتدمير المستمر للبنان، وكان من أبرز الأمثلة على ذلك مذبحه قانا عام ١٤١٦هـ والتي قام بها الجيش الإسرائيلي للدعاية لحكومة بيريز قبل دخولها الانتخابات الإسرائيلية، لكنها اضطرت إلى الانسحاب من

الجنوب اللبناني بسبب شدة المقاومة اللبنانية.

المملكة الأردنية الهاشمية:

علمنا فيما سبق كيف نشأت المملكة الأردنية الهاشمية وأنها كانت عبارة عن إمارة شرق الأردن التي نُصِّب عليها الملك عبد الله بن الشريف حسين، ثم أعطيت الاستقلال عن بريطانيا عام ١٣٦٦هـ، وقد دخلت مع العرب في حرب فلسطين عام ١٣٦٨هـ، وضم الملك عبد الله الضفة الغربية لنهر الأردن بعد الحرب ودعا إلى مشروع سوريا الكبرى، والذي يتضمن اتحاد سوريا والأردن ولبنان وفلسطين تحت سلطانه، ولكن المشروع رفض وقد اغتيل الملك عبد الله في القدس عام ١٣٧١هـ، وتولى بعده ابنه طلال الذي عزل من منصبه عام ١٣٧٣هـ لاتهامه بالجنون وتولى بعده ابنه الملك حسين.

وقد حدثت في عهده الوحدة مع العراق عندما كانت العراق تابعة لأسرة الأشراف، ثم ما لبث أن أعلن قيام الجمهورية في العراق فتم الانفصال، وقد عاصر نكسة ٦٧ التي فقدت فيها الأردن الضفة الغربية لنهر الأردن وشريطاً ضيقاً من الحدود المتاخمة لفلسطين، وكان الأردن أول من أعاد العلاقات مع الدبلوماسية مع مصر بعد المقاطعة العربية عام ١٣٩٩هـ، وكانت الدول العربية قد قررت في عام ١٣٩٤هـ أن أى أرض يتم تحريرها من فلسطين ستكون للفلسطينيين، فوافق على ذلك وكان له مواقف غريبة في حرب الخليج عام ١٤١١هـ حيث وقف مع العراق في البداية ثم ما لبث أن غير رأيه بعد الحرب وعقد معاهدة للسلام عام ١٤١٥هـ، مع إسرائيل في وادي يعرب بالأردن الذي أطلق عليه فيما بعد وادي السلام، وعاد للأردن الشريط الضيق الذي احتلته إسرائيل في حرب عام ٦٧، ولكن المعاهدة بها بعض النقاط المثيرة للدهشة، فعلى سبيل المثال هناك مستوطتان في الأردن اتفق مع إسرائيل على

أن تُوَجَّرها لمدة ٢٥ عامًا مما يتعارض مع مبدأ الأرض مقابل السلام!.
ومن الجدير بالذكر أن الأردن يتسم بقلة موارده ويعتمد على المساعدات من الغرب، وقد اتفقت مصر وسوريا والمملكة السعودية على أن يدفعوا للأردن ١٢ مليوناً من الجنيهات عام ١٣٨٧هـ وذلك لمساعدته في إكمال الميزانية وأن يصبح في غنى عن مساعدات الغرب، ولكن الاتفاق لم يدخل نطاق التنفيذ بسبب المؤامرات الغربية، وقد توفي الملك حسين عام ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م وخلفه ابنه الملك عبد الله الثاني.

فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي:

المخطط الصهيوني لاحتلال فلسطين:

كما سبق وأن ذكرنا في عهد الدولة العثمانية عن طرد الإسبان للمسلمين واليهود من الأندلس، وضافت باليهود الأرض بما رحبت ولم يجدوا مأوى لهم ولا أرضاً إلا في الدولة العثمانية، التي احتضنتهم من باب الإنسانية والعطف والشفقة، فما كان جزاؤها منهم إلا الجحود ونكران الجميل والعمل على تدمير الدولة، وبرز هرتزل الصحفى اليهودى الألمانى الشهير، ونادى بفكرة إنشاء وطن لليهود وتكون فلسطين مقره، وذلك لارتباطهم تاريخياً ودينياً بها، والتي يطلقون عليها أرض الميعاد، وحاول هرتزل مساومة الخليفة عبد الحميد الثانى على فلسطين، فرفض الخليفة رفضاً باتاً ومنع هجرة اليهود إلى فلسطين، فعمل اليهود على القضاء على الدولة العثمانية، والتعاون مع الحلفاء فى ذلك، وبدءوا يعملون على نشر مفاهيم القومية والماسونية فى الدولة، ويدخلون فى جمعية الاتحاد والترقى، ولا ننسى يهود الدونمة الذى أعلن الكثير منهم إسلامه، وهم فى قرارة أنفسهم يهود يعملون على هدم الإسلام من داخله، ونجحوا فى إثارة الفتن والحركات الانفصالية فى البلاد، وساعدهم الحلفاء فى وصول جمعية

الاتحاد والترقى للحكم، والتي كان الكثير من أعضائها يهوداً وجاءت الحرب العالمية الأولى لتقضى على الدولة العثمانية.

وعد بلفور ١٣٣٦هـ:

وعد وزير الخارجية البريطاني بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ووقعت فلسطين تحت الانتداب الإنكليزي بعد الحرب العالمية الأولى، وبدأت فلول المهاجرين اليهود تأتي إليها من كل مكان في العالم، وبالذات اليونان التي تركز فيها يهود الدوغة، ومما هو جدير بالذكر أن هدف الإنكليز من إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين هو تفتيت العرب من جهة، وفصل شقهم الأفريقي عن شقهم الآسيوي لوأد الاستقرار في بلاد العرب، وإضعاف وحدتهم، ومن جهة أخرى تتدفق عليهم الأموال اليهودية لشراء فلسطين، وتتخلص هذه الدول من قدر كبير من الجاليات اليهودية التي تمتلك عصب الحياة الاقتصادية في بلادها.

ورفض العرب تنفيذ الخطة الرامية لتمكين اليهود من فلسطين وقامت في فلسطين ثورة عارمة في الفترة من (١٣٥٥ - ١٣٥٨ هـ) وعرض الإنكليز تقسيم فلسطين لأول مرة بين العرب واليهود، فيما عرف بتقسيم ١٩٣٧ ورفضه العرب رفضاً باتاً وأخذت هجرة اليهود إلى فلسطين تزداد، وبلغت أوجها أثناء الحرب العالمية الثانية، مع الاضطهاد الألماني لليهود، وساعدت الوكالة اليهودية في فلسطين على تهجير الكثير من اليهود بالاتفاق مع الحكومة النازية الألمانية، وبدأ النفوذ البريطاني يضعف، وبدأ الظهور الأمريكي، فاتجه اليهود إلى أمريكا (الولايات المتحدة) التي لليهود نشاط واسع فيها سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي، وبدأت الولايات المتحدة مساعدتها الكبرى لليهود، وعقدت مؤتمر بلتيمور عام ١٣٦٢ هـ الذي أيد الأهداف الصهيونية في فلسطين وتعهد بمساعدتها.

تقسيم ٤٧ لفلسطين:

عرضت قضية فلسطين على الأمم المتحدة، ووضعت اقتراحات التقسيم وضغطت أمريكا على الدول الأعضاء لقبول قرار التقسيم، والذي أعطى لليهود أخصب أراضي فلسطين، وأعطى للفلسطينيين أفقر أراضيها، وجعل القدس والأماكن المقدسة منطقة دولية، وأعلنت انكلترا إنهاء انتدابها على فلسطين لتترك لليهود الفرصة لإعلان قيام دولتهم، وذلك بعد أن أجلت العرب من الكثير من المناطق التي أعطيت لليهود.

حرب فلسطين ٤٨:

عمل اليهود على إرهاب العرب وإجبارهم على ترك فلسطين، وقاموا بحرب عصابات واسعة على الفلسطينيين، وارتكبوا الكثير من المذابح منها مذبح دير ياسين عام ١٣٦٧هـ.

ولم يجد العرب خياراً آخر غير الحرب ليخلصوا فلسطين من الاحتلال الإسرائيلي، فقامت حرب عام ٤٨ (١٣٦٨هـ) والتي دخل فيها من الدول العربية كل من مصر وسوريا والأردن والعراق، وكانت الانتصارات حليفة الجيوش العربية في البداية، ثم أعلن عن قيام هدنة مدتها شهر بضغط من الولايات المتحدة والغرب، ووافق عليها العرب وكانت الهدنة تنص على عدم حصول أى من الطرفين -العرب و اليهود- على أسلحة طوال فترة الهدنة، فالتزم العرب، ونقض اليهود العهد وأخذت الأسلحة من الولايات المتحدة والغرب تتدفق عليهم، ثم استمرت الحرب وظهرت قضية الأسلحة الفاسدة في الجيوش المصرية، والتي قامت بريطانيا والولايات المتحدة والغرب بتدبيرها، فانقلبت الآية ومينت الجيوش العربية بالهزيمة، وزادت الرقعة التي استولى عليها اليهود عما كانت عليه في تقسيم ٤٧.

وخضعت الضفة الغربية للإشراف الأردني، بينما خضع قطاع غزة للإشراف المصري.

حرب ٥٦ (العدوان الثلاثي):

تكونت العداوة المشتركة لمصر من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل فمصر أعلنت تأميم القناة، مما يجرم بريطانيا من السيطرة على أهم ممر مائي في العالم، وكانت مصر تساعد ثورة الجزائر -أقام الجزائريون حكومة مؤقتة لهم في القاهرة المناهضة للاستعمار الفرنسي مما أقلق فرنسا- وفي نفس الوقت نادى مصر باتحاد العرب وإخراج اليهود من فلسطين، وبالفعل احتلت قوات العدوان الثلاثي سيناء عام ١٣٧٦هـ وأخذت تقصف مدن القناة، وظهرت المقاومة الشعبية ولجأت مصر إلى الاتحاد السوفيتي فضغط هو والولايات المتحدة على الدول المعتدية بالانسحاب من مصر، وبالفعل انسحبت القوى الغاشمة من مصر.

نكسة ٦٧ (١٣٨٧هـ):

استغلت إسرائيل انشغال الجيش المصري -أقوى الجيوش العربية- بحرب اليمن وشتت عدوانها الغاشم على مصر وسوريا والأردن، واحتلت سيناء وقطاع غزة من مصر، وهضبة الجولان من سوريا، والضفة الغربية من الأردن، وبعد تحقق النصر لإسرائيل أعلنت الأمم المتحدة القرار رقم ٢٤٢ الذي ينص على الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي التي احتلتها إسرائيل عام ١٣٨٧هـ، ولكن إسرائيل لم تعط أهمية للقرار، لأنها تعلم أن الولايات المتحدة والغرب سيعززون موقفها، وبرزت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، وفتحت لبنان أبوابها لإيوائهم وأخذت إسرائيل تبنى المستوطنات في الأراضي التي احتلتها لتثبيت أقدامها فيها.

حرب عام (١٣٩٣هـ) أكتوبر ١٩٧٣:

أخذ العرب يعدون أنفسهم لجولة جديدة مع إسرائيل يمررون بها الأراضي

التي اغتصبت منهم، ووقف العالم الإسلامي مع العرب واتخذوا قرارا بمنع تصدير البترول للغرب المؤيد لإسرائيل، واستمرت حرب الاستنزاف ٦ سنوات حتى قام الهجوم العربي لتحرير الأراضي المغتصبة في العاشر من رمضان عام ١٣٩٣هـ، حققت الجيوش العربية انتصارات كبيرة على اليهود وعبرت قناة السويس، وحطمت أسطورة خط بارليف، وسارعت الولايات المتحدة بإنقاذ إسرائيل، وأعلن وقف إطلاق النار، وتعهدت أمريكا بضمان انسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها في عام ١٣٨٧هـ، ولكن سرعان ما أخلت بتعهداتها وأخذت إسرائيل تتلاعب بالألفاظ وتقول إن قرار وقف إطلاق النار قد نص على الانسحاب من أراضي احتلتها إسرائيل في عام ١٣٨٧هـ أي بعض الأراضي وليس كلها، وغضب العرب من الخداع الإسرائيلي ولجأت مصر إلى مبادرة السلام عام ١٣٩٧هـ، وسافر الرئيس أنور السادات إلى فلسطين المحتلة وألقى خطاباً في الكنيست الإسرائيلي، وعقد مؤتمر كامب ديفيد عام ١٣٩٨هـ في الولايات المتحدة عام ١٣٩٨هـ، وأبرمت على أثره اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل عام ١٣٩٩هـ التي تنص على انسحاب إسرائيل من سيناء، فغضب العرب أشد الغضب واعتبروا أن مصر راعت مصالحها فقط، وأهملت حق الشعب الفلسطيني في تحرير أرضه وتقرير مصيره، فعقد مؤتمر القمة العربية في بغداد عام ١٣٩٩هـ وأعلن المقاطعة العربية لمصر، ووافقت الدول العربية على ذلك باستثناء عمان و السودان والصومال، وبعد حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ أغلقت الجبهات المصرية والأردنية والسورية مع إسرائيل وفتحت عليها جبهة جديدة متمثلة في العمليات الفدائية التي يقوم بها المتسللون من اللاجئين الفلسطينيين في لبنان إلى فلسطين المحتلة التي بلغت أوجها عام ١٣٩٥هـ، فعمدت إسرائيل والغرب على بث الفتن واندلعت بالفعل الحرب الأهلية في لبنان عام ١٣٩٥هـ، وبدأت إسرائيل تقتحم الأراضي اللبنانية

وتشعل الصراع بלבnan كما سبق وأن ذكرنا فى الجزء الخاص بلبnan.

ضرب المفاعل النووى العراقى عام ١٤٠١هـ:

أغارت الطائرات الإسرائيلية على المفاعل النووى العراقى عام ١٤٠١هـ وكان تعليلى إسرائيل لذلك أن المفاعل النووى يشكل خطراً على أمن إسرائيل، وكان العراق وقتها مشغولاً بحربه مع إيران فلم يكن له رد فعل.

وبالنسبة للأراضى المحتلة فقد استمرت المقاومة الفلسطينية للاحتلال اليهودى، وكثرت العمليات الفدائية وأعلن فى عام ١٤٠٧هـ قيام الانتفاضة الفلسطينية على الاحتلال الإسرائيلى بقيادة حركة المقاومة الإسلامية حماس وأعلن قيام الدولة الفلسطينية على الأراضى التى تحتلها إسرائيل من فلسطين، وبدأت المفاوضات بين العرب وإسرائيل، وعقد مؤتمر مدريد لذلك ثم عقد اتفاق غزه أريحا بين الفلسطينيين واليهود، والذى ينص على إقامة الحكم الذاتى للفلسطينيين فى هاتين المنطقتين، وإعادة انتشار القوات الإسرائيلية فى الضفة وغزة، وكان ذلك عام ١٣٩٣هـ وفى عهد إسحاق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلى، وكان حزب العمل الإسرائيلى هو الحاكم، ثم اغتيل إسحاق رابين من متعصب يهودى يرفض إعطاء أى شبر من فلسطين المحتلة للفلسطينيين عام ١٤١٥هـ، وجاء شيمون بيريز وتسلم رئاسة الوزراء لحين إجراء انتخابات فأظهر ميله للسلام ونفذ بقية بنود اتفاق غزه أريحا المتعلقة بإعادة انتشار الجيش الإسرائيلى فى الضفة وغزه، وجرت المفاوضات بين سوريا وإسرائيل لحل مشكلة الجولان، ثم حدثت مذبحه قانا فى لبنان على يد الغارات الإسرائيلية، وأجريت الانتخابات الإسرائيلية ففاز حزب الليكود، بالحكم وتسلم بنيامين نيتانياهو رئاسة الوزراء، وتدهور السلام بعد أن أبدى نيتانياهو آراءه المتعارضة تماماً مع اتفاق السلام، وأخذ يكثر من المستوطنات ويخالف اتفاق أوسلو

الخاص بوقف بناء المستوطنات، وأبدى معارضة شديدة للانسحاب من الجولان ولإقامة دولة فلسطين.

وفي ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠م قام إريل شارون - زعيم المعارضة آنذاك - بزيارة للمسجد الأقصى وسط حراسة الشرطة الإسرائيلية مما أشغل الغضب في نفوس أبناء فلسطين واندلعت الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى) والتي راح ضحيتها الآلاف من أبناء الشعب الفلسطيني.

كما شرع شارون بعد تولية رئاسة الوزراء في بناء الجدار العازل لفصل أراضي السلطة الفلسطينية واقتطاع أجزاء منها وإدخالها ضمن حدود إسرائيل، واتبع سياسة اغتيال رموز المقاومة الفلسطينية كما حدث مع الشيخ أحمد ياسين الذي اغتيل في مارس ٢٠٠٤، وبعد حوالي شهر اغتيل الدكتور/ عبد العزيز الرنتيسي أحد أشهر قادة حماس رحمهما الله، ورحم جميع الشهداء.

المبحث الرابع جمهورية مصر العربية

بدأ انفصال مصر عن العثمانيين منذ تولى محمد على وأسرته حكم مصر، ولم تعد تربطها بالدولة العثمانية إلا التبعية الاسمية، حتى جاء الاحتلال البريطاني لمصر ففقدت به مصر أى ارتباط مع العثمانيين.

محمد على؛

سبق أن تكلمنا عن محمد على فى الدولة العثمانية، وعرفنا كيف كانت توسعته، وكيف انتهى به الحال إلى حكمه لمصر وراثياً وانفتح محمد على على أوروبا، كما سبق وأن ذكرنا، وزحف على السودان، وقاد حملة السودان ابنه إسماعيل بك، فسار بمحاذاة النيل الأزرق، وفتح بربر وشندى وسنار، ثم تفشى المرض بين الجنود المصريين وأصيب إسماعيل أيضاً بالمرض، فأرسل إلى أبيه يطلب منه النجدة، فأرسل محمد على حملة أخرى للسودان بقيادة ابنه إبراهيم بك سارت بمحاذاة النيل الأبيض، بينما أحرق الملك نمر (ملك شندى) إسماعيل وحاشيته غدرًا فأرسل محمد على صهره محمد بك الدفتر دار لينتقم من الملك، الذى فر إلى الحبشة وبنى محمد بك مدينة الخرطوم، عند الموقع الذى يلتقى فيه النيل الأبيض بالنيل الأزرق وعندما توفى محمد على تولى حفيده عباس بن طوسون بن محمد على الحكم إذ توفى إبراهيم فى حياة أبيه.

عباس؛

كان له رأى غريب وهو أن العلم إذا توفر للشعب فسيهدد ذلك عرشه، فعمد إلى طمس كل معالم التقدم، فأغلق المدارس والمصانع، وحاول مع تركيا تغيير نظام الولاية فى مصر، لكى يجعل الحكم فى أبنائه وذريته بدلاً من أن يتولى حكم مصر أكبر أفراد أسرة محمد على، ولكنه فشل وقتل بسب ذلك فى قصره،

وكان قد بدأ فى عمل خط سكك حديدية بين القاهرة والإسكندرية.

سعيد:

وهو ابن محمد على، من أهم إيجابيات سعيد هو تخفيف الاستبداد فى حكم مصر، فأعطى الحق فى تملك الأرض فأقبل الكثير من المصريين على شرائها، وقبل المصريين فى الوظائف الكبرى، وسأوى فى التجنيد بين أبناء المشايخ والعمد والفلاحين، بعد أن كان التجنيد مقصوراً على أبناء الفلاحين فقط، وأتم الخط الحديدى بين القاهرة والإسكندرية، أما عن سلبياته فمعاونة الجيش المصرى لفرنسا فى حربها بالمكسيك، لصدقاته بنابليون، ومنح الامتيازات للأجانب بشكل كبير، وأنه دفع ١٧ مليون جنيه من تكاليف شق قناة السويس، والى بلغ إجمالها ١٨ مليوناً وسخر الشعب فى حفرها وبرغم كل ذلك اتفق على أن يحصل فقط على ١٥٪ من الأرباح، فى حين حصل الأوربيون على الباقي، بل وأعطاهم امتيازاً لمدة ٩٩ عاماً.

إسماعيل:

لحق بعهد إسماعيل بن إبراهيم بالذات تشويه كبير، نظراً لاستهانتته بأمر الدين، وتقليد الغرب، وكثرة الديون والبذخ، وكانت له إنجازات فى توسيع رقعة البلاد، وفى المجالات الثقافية والسياسية، فقد وصل إسماعيل فى فتوحاته الإفريقية إلى أن ضم وادى النيل من منابعه فى بحيرة فكتوريا إلى مصبه فى البحر المتوسط، وضم أجزاء كثيرة من الحبشة، وأرسل حملة إلى الصومال، وضم شمالها، ومن الناحية الثقافية فقد أنشأ الكثير من المدارس والمدارس العليا فى مصر والسودان، ومن الناحية الحضارية اهتم بالبناء والتشييد وتعمير المدن وإنشاء المستشفيات ومن الناحية السياسية، فقد جعل الحكم فى أكبر أفراد أسرته، بدلاً من أكبر فرد فى أسرة محمد على وهذا ما طلبه سعيد، ولكن إسماعيل هو الذى استطاع تحقيقه، وفى عهده استطاع أن يتخلص من التحديد فى عدد الجيش، وأصبح من حق مصر أن يزيد عدد جيشها، و ألغى فى عهده

السخرة التي كانت في عهد سعيد، والتي كانت تأخذ المصريين وتجبرهم على العمل في حفر القناة بدون أجر فاتفق مع شركة قناة السويس على أن يدفع لها ٣ ملايين و١٩٠ ألفاً في مقابل إعفاء المصريين من السخرة، وساهم في تحرير الرقيق مع غيره من دول العالم، وحصل على لقب خديوى (نائب السلطان) له ولمن تبعه وقد كلفه هذا أموالاً طائلة.

ومن السليبات التي حدثت في عهده البذخ والاستدانة، فقد كلف حفل افتتاح قناة السويس الملايين من الجنيهات، والتي استقبل فيها ملوك أوروبا، وأنشأ دار التمثيل (الأوبرا) ليظهر بمظهر المتحضر، وأنشأ القصور والحدائق لاستقبالهم، واستدان في سبيل ذلك بالربا الفاحش وباع أسهم مصر في قناة السويس لإنجلترا، فأصبح لها نفوذ قوى في مصر، وبدأت الدول الأوروبية تطالب بالديون، ولما رأت عجز الخديوى، عينت إنجلترا وفرنسا لجنة ثنائية لمراقبة الخزينة المصرية واستيفاء الديون، وهي اللجنة التي تدخلت في كافة شؤون مصر حتى في تعيين الوزراء وعزلهم.

وعندما رأت دول أوروبا توسع إسماعيل في أفريقيا خافت أن ينافسها في توسعاتها الإفريقية، وجعلت الخليفة العثماني بصدر قراراً بعزل إسماعيل، ولم يرفض إسماعيل هذا القرار خوفاً أن يناله مصير محمد على.

توفيق والاحتلال الإنكليزي لمصر:

وكان ضعيفاً شديد الارتباط بأوروبا، معتبراً أن لها الدور الأكبر في توليته وقامت في عهده الثورة العرابية عام ١٢٩٨ هـ مرتين لإنصاف الضباط المصريين المضطهدين، وانصاع الخديوى للثورة العرابية، وخاف على مركزه الذي بدأ يضعف، فاستغل الإنكليز الفرصة وعرضوا عليه دخول مصر وحماية مركزه فوافق، وبالفعل قاموا بدخول مصر وقاومهم عرابي ولكنه انهزم في النهاية في

موقعة التل الكبير، ووقعت مصر تحت الاحتلال الإنكليزي، والذي كان يؤيده الخديوى توفيق، الذى اعتقد أنهم سيحسون عرشه ونفى عربى وزملاؤه إلى جزيرة سيلان (سرى لانكا).

من الأحداث الهامة فى عهد توفيق الثورة المهديّة فى السودان، وكان التخطيط الإنكليزى يقضى بإخلاء مصر للسودان ثم تجميع القوات الإنكليزية لاحتلالها، وبالفعل ضغط الإنكليز على المصريين للانسحاب من السودان، وأرجعت ذلك إلى الثورة المهديّة التى حققت الكثير من الانتصارات على الحامية المصرية هناك، وأخلى الجنود المصريون السودان، فجاءت الفرصة لإنكلترا التى زعمت أنها ستعيد سيطرة مصر على السودان، واستطاع الإنكليز أن ينتصروا على المهديين وأن يحتلوا السودان وضموها إلى مصر، أو بمعنى أصح ضموها للحماية الإنكليزية بما سمي بالحكم الثنائى المصرى الإنكليزى ومات توفيق عام ١٣١٠هـ وتولى ابنه عباس حلمى مكانه.

عباس حلمى؛

وبدأت فى عهده الحركات التى تدعو لإجلاء الاحتلال الإنكليزى عن مصر، ولكن وللأسف الشديد كانت تسير بمبادئ قومية وكانت هناك حركة مصطفى كامل الذى أسس الحزب الوطنى، واتجاهه أقرب إلى الإسلام، وعمل على تقوية العلاقات بين مصر والدولة العثمانية.

وكان الخديوى فى البداية يشجع هذه الحركات عندما كان المندوب السامى البريطانى هو كرومر، وحدثت فى عهده مأساة دنشواى عام ١٣٢٤هـ وظهر فى رئاسة وزراء البلاد خونة مثل بطرس غالى الذى حكم فى دنشواى بإعدام ٤ مصريين، وجلد ثمانية، والأشغال الشاقة لاثنى عشر، واستمر فى خيانتته فمد امتياز قناة السويس للشركة الأجنبية المسيطرة عليها، واغتيل عام ١٣٢٨هـ وعندما مات مصطفى كامل عام ١٣٢٦هـ أخذ محمد فريد مكانه الذى نادى بالاستقلال فسجن

واضطهد، واضطر إلى مغادرة مصر، وتوفى مشرداً في أوروبا عام ١٣٣٨هـ.
 وفي ذلك الوقت أتى إلى مصر مندوب سام بريطاني جديد هو ألدن غورست،
 الذى اتبع سياسة كسب الخديوى وتعاون مع الإنكليز ضد الشعب، ثم جاء مندوب سام
 آخر وهو كتشنر، الذى غير سياسته لجذب الشعب المصرى، وترك الخديوى وجاءت
 الحرب العالمية الأولى فأعلن الخديوى انحيازه للعثمانيين، فخلعه الإنكليز وألغوا التبعية
 الاسمية للعثمانيين وأعلنوا صراحة الاحتلال (الحماية البريطانية) على مصر.

حسين كامل :

كان مجرد صورة للحكم، ولكن السلطة الفعلية كانت بيد الإنكليز، الذين
 أطلقوا عليه لقب سلطان نكايه بالخليفة العثماني ولم يعترض ولم يبرز له رأى
 ولم تظهر له شخصية إلا السير فى فلك الاحتلال، وظل فى هذا المنصب حتى
 توفى عام ١٣٣٦هـ.

أحمد فؤاد :

تولى الحكم بعد وفاة أخيه، وفى عهده قامت (ثورة ١٩١٩) عام
 ١٣٢٨هـ التى نددت بالاحتلال الإنكليزى لمصر، وبمنع سعد زغلول ورفاقه
 من السفر لمؤتمر الصلح فى باريس بعد الحرب العالمية الأولى ليطالبوا
 باستقلال مصر، بل ونفتهم إلى مالطة، واضطرت إنكلترا للإفراج عن سعد
 زغلول ورفاقه، وسافروا إلى باريس ظانين أن الدول الاستعمارية الأخرى
 ستعطيهم حقهم، ولكنهم خذلوا فازدادت الثورات بمصر، وعقد الإنكليز
 المفاوضات مع سعد زغلول ورفاقه، واضطرت إنكلترا أن تعطى مصر عام
 ١٣٤٠هـ استقلالاً صورياً ينص على بقاء قوات عسكرية إنكليزية بمصر،
 وحق إنكلترا فى الدفاع عن مصر ضد أى تدخل أجنبى، وحماية الأجانب
 فى مصر.

وكان موقف الملك فؤاد محايداً فى الصراع بين الإنكليز والمصريين، ثم بدأ يتعاون مع الإنكليز خوفاً على منصبه، وعقدت إنكلترا مع مصر معاهدة ١٩٣٦ (١٣٥٥هـ) التى غيرت بعض البنود فى تصريح ٢٨ فبراير مثل حماية مصر للأجانب بدلاً من الإنكليز، والاحتفاظ بقوات عسكرية إنكليزية فى منطقة القناة، والعمل على إلغاء نظام الامتيازات الأجنبية فى مصر، والحكم الثنائى للسودان ويبدو أن إنكلترا كانت تشعر بقرب الحرب العالمية الثانية، فنصت المعاهدة على أن تقدم مصر لبريطانيا المساعدات داخل مصر فى حالة قيام حرب دولية.

الملك فاروق؛

وهو ابن الملك فؤاد وتسلم الحكم فى بداية الحرب العالمية الثانية وسار فى فلك الإنكليز، وتورط فى صفقة الأسلحة الفاسدة فى حرب فلسطين عام ١٣٦٧هـ، ودعمه البوليس السياسى فى القضاء على أى معارضة له أو للإنكليز، وعم الفساد والإقطاع فى البلاد، وانتشرت فضائح الملك وغرامياته فاشتعل الشعب.

ظهر الإمام حسن البنا الذى عمل على إصلاح المجتمع بنشر المبادئ الإسلامية التى افتقدها، وأسس جماعة الإخوان المسلمين كبرى الحركات الإسلامية فى العصر الحديث، وتعاون الإخوان مع الضباط الأحرار للتخلص من فساد الملك.

ثورة ٥٢ (١٣٧٢هـ)؛

محمد نجيب:

قام الضباط الأحرار بثورة يوليو ٥٢ مستغلين وجود الملك فى الإسكندرية، وأطاحوا بالملك وعينوا ابنه الرضيع ملكاً على مصر، وكسبوا تأييد الشعب عن طريق الإخوان، ثم ألغيت الملكية وأعلنت الجمهورية وعين محمد نجيب رئيس مجلس قيادة الثورة أول رئيس للجمهورية، وعندما استتب الأمر للضباط الأحرار ظهر جمال عبد الناصر الذى بيده القيادة العسكرية فأطاح بمحمد نجيب، وبدأ ينادى بالوحدة العربية ويندد بالاستعمار فى الدول العربية وغيرها من

الدول النامية، واستبد جمال عبد الناصر بالحكم، وفرض حكم الحزب الواحد الاشتراكي، ولم يترك الفرصة لأي شخصية أو فكر في الظهور، وتكونت في عهده الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا، ولم تدم كثيراً فسرعان ما انسحبت سوريا، منها وزج بالجيش المصرى فى مستنقع اليمن ثم جاءت نكسة ٦٧ لتلحق العار بالعرب وبالجيش المصرى وتوفى فى عام ١٣٩٠هـ.

محمد أنور السادات:

أعلن عن استعداده للسلام مع إسرائيل إذا ما انسحبت من الأراضى التى تحتلها فى إسرائيل، فشلت جميع المحاولات السلمية لانسحاب إسرائيل من الأراضى العربية، وأدرك العرب أنه لا وسيلة إلا الحرب لاسترداد ما فقده، ولإزالة العار الذى لحق بهم فقامت حرب رمضان عام ١٣٩٣هـ وانتصر العرب، وتعهدت الولايات المتحدة وإسرائيل بالانسحاب من الأراضى المحتلة فى حرب الأيام الستة السوداء، ولكنهما أخلا بوعودهما ليضعوا العرب أمام الأمر الواقع، فلجأ السادات إلى المغالاة فى السلام وسافر إلى فلسطين المحتلة، وفى تصرفه هذا جرح شديد لشعور العرب والمسلمين فى الوقت الذى يمارس فيه اليهود كافة الأساليب الوحشية مع الفلسطينيين والعرب سواء فى الأراضى المحتلة أو لبنان، ورحبت الولايات المتحدة وإسرائيل بما يحدث، واتجهت إلى السير فى المفاوضات مع مصر لبت الفرقة والعداوة بين مصر والمسلمين، ولكسب أكبر قوة عسكرية فى الوطن العربى، وعقدت معاهدة السلام عام ١٣٩٩هـ التى أعادت لمصر ما احتله اليهود منها وقاطع العرب مصر، وظهرت المعارضة الإسلامية على أشدها، واتجه السادات إلى سياسة القمع الشديد لها فاغتيل فى الاحتفال بذكرى انتصار أكتوبر وذلك عام ١٤٠١هـ وتولى المنصب الرئيس محمد حسنى مبارك.

المبحث الخامس بلاد المغرب العربي

ليبيا:

احتلت إيطاليا ليبيا فى الفترة من ١٣٣٠ : ١٣٣١هـ وانتزعتها من العثمانيين، وكان التمهد لاحتلال ليبيا يتمثل فى النفوذ الإيطالى بها، حتى أجبرت العثمانيين على التنازل عن ليبيا، واشتدت المقاومة الشعبية للاحتلال الإيطالى، وكان من أبرز قادتها عزيز المصرى، وكان المصريون على اتصال بإخوانهم فى ليبيا، وأخذوا يهربون لهم السلاح وتطوع الكثير منهم فى المقاومة، وأخذ الليبيون (السوسيون) يقاومون الاحتلال الإيطالى لليبيا، وتعاونوا مع العثمانيين فى الحرب العالمية الأولى، ولكنهم هزموا من الإنكليز، فلم يهدوا وعملوا على توحيد جهودهم وخاصة بعد تولى موسولنى حكم إيطاليا وقد عمل موسولنى على فتح باب الهجرة إلى ليبيا، لتغيير التركيبة السكانية لها واعتبرها جزءاً من إيطاليا وأخذ الليبيون ينسقون التعاون بينهم فى ولايتى برقه وطرابلس، ونصبوا محمد إدريس السنوسى ملكاً على البلاد.

المجاهد الكبير الشيخ عمر المختار:

وهو من شيوخ الزوايا السنوسية، تولى قيادة المجاهدين الليبيين ضد الاحتلال الإيطالى، وأنزل بالايطالين خسائر فادحة، واختل توازن الإيطالين فى ليبيا فأرسلت إيطاليا قوة كبيرة بقيادة جرازيانى للسيطرة على الأوضاع فى ليبيا، فعاشت فساداً فى البلاد، وذبحت الآلاف من السكان، واستطاعت أن تقبض على الشيخ عمر المختار وأعدمته عام ١٣٥٠هـ.

الحرب العالمية الثانية ومجئ الاحتلال الانكليزى والفرنسى:

اندلعت الحرب العالمية واتخذت دول المحور من ليبيا قاعدة للهجوم على

الانكليز في مصر، واستطاعت أن تتوغل في مصر حتى جاءت معركة العلمين الشهيرة التي انهزمت فيها قوات المحور، وأخذ الحلفاء يتبعونها حتى سيطروا على ليبيا، وقسمت ليبيا بين الإنكليز والفرنسيين، فضمت انكلترا كل من برقة وطرابلس بينما ضم إقليم فزان لفرنسا.

استقلال ليبيا:

استمرت حركات الجهاد في البلاد ضد الدول الاستعمارية، وزادت جهود الدول الإسلامية، وكذلك جامعة الدول العربية لمنح ليبيا الاستقلال، واضطرت الدول الاستعمارية إلى منح ليبيا الاستقلال عام ١٣٧١هـ، وأعادوا توحيدها واختار الشعب الليبي محمد إدريس السنوسي ملكاً للبلاد وانضمت لجامعة الدول العربية ومن سلبيات الحكم الملكي في ليبيا عقد معاهدة مع كل من إنكلترا والولايات المتحدة تسمح لهما بوجود عسكري في ليبيا، كما تسمح للولايات المتحدة بإقامة قواعد ومطارات عسكرية على أراضي ليبيا، ومدة هذه المعاهدة ٢٠ عاماً ثم عدلت ليبيا عن هذه المعاهدات بإيعاز من جامعة الدول العربية وخاصة بعد العدوان الثلاثي على مصر والذي استخدمت فيه بريطانيا قواعدها في ليبيا لشن الغارات على مصر، فألغت الحكومة الليبية هذه المعاهدة وتدفق البترول في ليبيا مما جعلها تتعش اقتصاديا وأصبحت ليبيا في غير حاجة للمساعدات الخارجية.

ثورة الفاتح وإلغاء الملكية:

قام الجيش الليبي بقيادة العقيد معمر القذافي بالثورة على النظام الحاكم في عام ١٣٨٩هـ وألغيت الملكية وأعلنت الجمهورية برئاسة العقيد معمر القذافي الذي يحكم ليبيا حتى الآن، واتجهت سياسة ليبيا في عهد القذافي إلى معاداة الولايات المتحدة، وأخرج الأمريكان من آخر قاعدة لهم في ليبيا وأنهت وجود

الجالية الإيطالية فى ليبيا، وأيدت ليبيا الوحدة العربية وكونت اتحاد الجمهوريات العربية بين مصر وليبيا وسوريا عام ١٣٩١هـ، وجرت محاولات أخرى للاتحاد مع كل من تونس عام ١٣٩٤هـ وسوريا عام ١٤٠٠هـ والمغرب عام ١٤٠٤هـ وتوترت فى عهده العلاقات مع مصر فى عهد السادات أدت إلى اشتباك مسلح عام ١٣٩٧هـ ثم تحسنت فى عهد مبارك، وكان اتجاه ليبيا مع المعسكر الشرقى حيث عقد مع الاتحاد السوفيتى عام ١٣٩٥هـ اتفاقية تسمح ببناء قواعد سوفيتية برية وبحرية وجوية فى ليبيا، فى مقابل حصول ليبيا على أسلحة سوفيتية تعادل ١٢ مليار دولار وتقديم الخبرة العسكرية لليبيا.

العدوان الأمريكى على ليبيا:

أدى توتر العلاقات بين ليبيا والولايات المتحدة إلى الصدام العسكرى، فقد شنت الولايات المتحدة غارات على ليبيا فى عام ١٤٠٦هـ.

استمرت ليبيا فى عدائها للغرب وتورطت ليبيا فى تفجير الطائرة الأمريكية فى لوكيربى باسكتلندا، وطالبت أمريكا ليبيا بتسليم المتهمين فى تفجيرها، ولكن ليبيا رفضت، فأعلنت الأمم المتحدة فرض الحصار الجوى على ليبيا ومنع الطائرات الليبية من الهبوط فى مطارات أخرى، كذلك منع أى طائرات أخرى من الهبوط فى المطارات الليبية، وقد سبب ذلك آثاراً جسيمة، وصنفت ليبيا من الدول الإرهابية أو التى تدعم الإرهاب فى العالم، مع سوريا وإيران والسودان وأفغانستان، واضطرت ليبيا لتسليم المتهمين فى حادث لوكيربى، ودفعت تعويضات هائلة ومبالغ فيها لأسر الضحايا، وتم رفع الحصار، وسمحت ليبيا للمفتشين الدوليين بدخول أراضيها للبحث عن الأسلحة النووية عام ١٤٢٥هـ.

تونس:

احتلت فرنسا تونس عام ١٢٩٨هـ بعد أن اتفقت كل من إنكلترا وفرنسا

وألمانيا على أن تكون تونس لفرنسا، وقبرص لإنكلترا، والالزاس واللورين لألمانيا، وذلك فى مؤتمر برلين عام ١٢٩٥هـ، وباحتلال فرنسا لتونس أزالى التبعية الاسمية للعثمانيين، وأجبرت الباب العالى على الاعتراف بالاحتلال.

حاولت فرنسا فرنسة تونس كما سبق أن حاولت فى الجزائر، وفى كل منطقتها، ولكن تونس استطاعت الاحتفاظ بهويتها الإسلامية، وبدأت تظهر الحركات الوطنية والقومية فى تونس للتخلص من الاستعمار الفرنسى، واستمرت حتى الحرب العالمية الثانية، ومن أبرزها الحركة الوطنية بزعامة الحبيب بورقيبة، وبعد جهود داخلية وخارجية متمثلة فى كفاح الشعب التونسى وجامعة الدول العربية أعطت فرنسا تونس الاستقلال عام ١٣٧٦هـ، وأصبح بورقيبة أول رئيس لتونس، واحتفظت فرنسا ببنزرت حتى انسحبت منها عام ١٣٨٣، وظل بورقيبة يحكم حتى عام ١٤٠٧هـ حيث تمت تنحيته لظروفه الصحية، وتولى الرئيس زين العابدين بن على الحكم، ومما هو جدير بالذكر أن جامعة الدول العربية نقلت من القاهرة إلى تونس عندما حدثت المقاطعة العربية لمصر، ثم عادت لمصر عام ١٤٠٩هـ عندما حدثت المصالحة العربية لمصر.

الجزائر:

اتخذت فرنسا ذريعة واهية لتحقيق مطامعها فى احتلال الجزائر لتكون بداية لتوسعها فى افريقيا تعويضاً عما فقدته فى الهند والقارة الأمريكية، واستطاعت فرنسا أن تحتل الجزائر عام ١٢٤٦هـ وألغت السيادة العثمانية عليها.

ومنذ دخول القوات الفرنسية للجزائر وهى تعمل على فرنستها، فاشتدت المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسى، ودفعت الجزائر آلاف الشهداء فى سبيل الدفاع عن دينها وهويتها، حتى أطلق عليها بلد المليون شهيد، ومن أشهر زعماء الكفاح فى الجزائر الأمير عبد القادر الجزائرى، الذى اتخذ مدينة مسكرة

جنوب وهران قاعدة للهجوم على المحتلين، وأنزل بهم خسائر فادحة اضطرتهم لعقد اتفاقية معه تنص على اعتراف فرنسا به حاكماً لوسط وغرب الجزائر، ثم واصل الفرنسيون القتال واستطاعوا احتلال المزيد من أرض الجزائر، واضطر الأمير عبد القادر للفرار إلى مراكش ولكن ضغط الفرنسيين على مراكش منعت حاكمها من مساندة عبد القادر الجزائري، الذي اضطر في النهاية للاستسلام للفرنسيين الذين نفوه إلى دمشق، ومكث بها حتى مات.

وأخذ الظلم الفرنسي يشتد على الجزائر، واتجه المحتلون إلى مصادرة الأراضي من أصحابها المسلمين، ومنحها للفرنسيين وشجعت الهجرة إلى الجزائر، وعملت على إلغاء اللغة العربية وإبدالها باللغة الفرنسية وتعانى الجزائر حتى الآن من ضعف اللغة العربية عند مواطنيها، وانتشار اللغة الفرنسية بينهم، واستغل المحتل ثروات الجزائر المعدنية.

ومع اشتداد الظلم اشتدت المقاومة، وحمل لواءها الأمير خالد بن عبد القادر الجزائري أثناء الحرب العالمية الأولى، وحاول بالوسائل السلمية مثل حق تقرير المصير، الذي أعلنه الرئيس الأمريكي ولسن، ولكن الفرنسيين أخذوا جهوده، ثم تزعم علماء الجزائر الدعوة إلى المحافظة على هوية الجزائر الإسلامية، ومحاربة الفرنسة وكان ذلك عام ١٣٤٥هـ، وظهرت جماعة نجمة شمال أفريقيا عام ١٣٤٧هـ، بزعامة مصالى الحاج والتي كافحت الاستعمار الفرنسي.

وبعد الحرب العالمية الثانية ازدادت ضراوة الثورات في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي، وخاصة وأن الجزائريين ساعدوا فرنسا في حربها مع الألمان، بعدما ركعت باريس ودخلها الألمان، وبدلاً من أن يمنح الفرنسيون الجزائر الاستقلال، عمل دييجول على عدم التخلي عن الجزائر واعتبارها جزءاً لا يتجزأ من فرنسا، وفي عام ١٣٧٤هـ أعلنت الثورة الجزائرية الكبرى والتي

اتخذت من القاهرة مقراً لحكومتها المؤقتة، وساهمت الدول العربية فى مد الجيش والشعب الجزائرى بما يحتاج من أموال، واستمرت الثورة ثمانية أعوام استشهد فيها الكثير من أبناء الجزائر، حتى اضطرت فرنسا التى يئست من استمرار وجودها فى الجزائر إلى منح الجزائر الاستقلال عام ١٣٨٢هـ، باتفاقية ليفيان وتولى ابن بيلا رئاسة الجمهورية الجزائرية وكانت ميوله اشتراكية.

مشكلة تندوف:

نشأ خلاف بين المغرب والجزائر على منطقة تندوف التى ضمتها فرنسا للجزائر، وتطالب بها المغرب ونشبت بين الطرفين حرب عام ١٣٨٣هـ بسببها ولكنها لم تستمر كثيراً.

الانقلاب العسكرى عام ١٣٨٥هـ:

قام العقيد هوارى بومدين بانقلاب عسكرى على النظام الحاكم فى البلاد، وتمكن من السيطرة عليها، وخلع بن بيلا وتولى هوارى بومدين منصب الرئاسة فى الجزائر، وفى عهده عادت القواعد البحرية التى احتفظت بها فرنسا إلى الجزائر وذلك فى عام ١٣٨٨هـ، وتوفى هوارى بومدين عام ١٣٩٨هـ وجرت الانتخابات فى الجزائر والتى فاز بها الرئيس الشاذلى بن جديد، والذى تم فى عهده الصلح بين الجزائر والمغرب، ولكن فى عهده جرت الانتخابات الحزبية فى عام ١٤١٢هـ وفازت بها جبهة الإنقاذ الإسلامية، وزادت الضغوط الداخلية والخارجية على الجزائر، فحكومتها العسكارية لا تقبل تولى زمام البلاد غيرها وبالذات إذا كان من الإسلاميين، وفى نفس الوقت يخشى أعداء الإسلام فى الخارج ظهور دولة إسلامية جديدة بعد الثورة الإسلامية فى إيران، فألغت الحكومة الانتخابات بغير وجه حق، فاعتزل الشاذلى بن جديد الحكم، وعمت الثورات فى الجزائر، ورفض عبد المالك بن جيلس تولى المنصب حتى جاء

بوضياف فقبل المنصب، وانفجر الوضع في الجزائر وكثرت التفجيرات، وقتل الآلاف من الشعب الجزائري، واغتيل الرئيس بوضياف في عنابة، ثم تولى الحكم على كافي الذي لم يدم إلا قليلاً ولم يستطع وقف الصراع الدائر في الجزائر، ثم جاء الرئيس زروال الذي تولى المنصب، وأجرى انتخابات أجمع الكثير من النقاد على تزويرها، وظل الوضع متفجراً بالجزائر والحكومة غير قادرة على السيطرة على البلاد والقتلى بالألوف ثم تولى عبد العزيز بوتفليقة حكم البلاد الذي أعلن المصالحة الوطنية وبدأ الاستقرار يعود للبلاد.

المملكة المغربية:

من أكثر المناطق الإسلامية التي ظهر فيها الاستقلال عن الخلافة منذ العباسيين وحتى جاءها الاحتلال الفرنسي، وكان لهم دور كبير في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ومساعدة المسلمين في الأندلس، ففي الوقت الذي دب الضعف والتفتت في أوصال الخلافة العباسية، ظهر الأدارسة في المغرب واستطاعوا أن يكونوا لهم دولة فيها في الفترة من (١٧٢: ٣٧٥هـ) ثم ضعفت دولة الأدارسة وتفككت وأصبحت القبائل المختلفة في المغرب مستقلة، واستغل الفاطميون الظروف التي تمر بها البلاد فمدوا سلطانهم إلى الأجزاء الشمالية منها.

ثم حكم المغرب المرابطون في الفترة من ٤٤٨ حتى ٥٤١هـ، ثم الموحدون الذين ظهروا منذ عام ٥٢٤هـ وامتد سلطانهم ليشمل المغرب، وظلت دولتهم حتى عام ٦٦٨هـ، وظهر بنو مرين في الفترة الأخيرة من دولة الموحدين في عام ٥٩١هـ، وبدءوا يسيطرون نفوذهم في المغرب حتى سيطروا عليها حتى عام ٩٥٧هـ واحتل البرتغاليون أجزاء كثيرة من المغرب، وسقطت غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس وظهر في عهدهم أيضاً بنو وطاس الذين أخذوا

يحاربون المحتلين بشراسة ليخرجوهم من المناطق التي أخضعوها وارتكبوا فيها الفظائع بالمسلمين، ثم ظهر الأشراف الحسينيون والتف الشعب حولهم وجاهدوا البرتغاليين، وقد حكموا المغرب من عام ٩١٥هـ حتى عام ١٠٦٩هـ، وقد وصلت الدولة العثمانية في عهدهم للجزائر وأصبحت على حدودهم وكان العثمانيون يتعاونون مع المغرب في حروبهم ضد الإسبان والبرتغاليين وكثيراً ما كان الحكام في المغرب يستعينون بالعثمانيين لحماية مركزهم في البلاد، وإخماد أى تمرد وصد أى اعتداء من الإسبان أو البرتغال، ولكن أعداء الإسلام قد بثوا الخوف في صدور حكام المغرب من ضم العثمانيين لبلادهم وهذا ما جعل المغرب لا تعترف بالسيادة العثمانية عليها كما أن العثمانيين لم يحاولوا ضم المغرب؛ حرصاً على عدم تفرق المسلمين في مواجعتهم لخطر الإسبان والبرتغاليين، وبدأ الضعف يدب في الأشراف الحسينيين وبدأت القبائل تستقل عن حكمهم، وظهرت أسرة الشبانات التي وقعت في حرب مع الأشراف الحسينيين واستطاعت القضاء عليهم، ولكنها لم تستمر كثيراً فسرعان ما ظهر الأشراف الفلالليون وقضوا على الشبانات، ودان لهم حكم المغرب وما زالوا يحكمون البلاد حتى الآن.

سياسة العزلة في المغرب:

فرض مولاي سليمان أحد حكام الأشراف الفلالليون سياسة العزلة على المغرب، فعقد صلحا مع الإسبان اعترف فيه باحتلالهم لبعض المدن الساحلية في المغرب، ومنع الهجمات المغربية على السفن وسواحل أوروبا، ومنع التجار المغاربة من التجارة في بلاد الفرنجة وغيرها من الوسائل التي عزلت المغرب عن البلاد المجاورة، وظلت هذه العزلة حتى جاء الاحتلال الفرنسي للجزائر، فتأثر المغاربة بإخوانهم المسلمين في الجزائر وأخذوا يمدون إليهم يد العون.

وتأخر تحقيق الأهداف الفرنسية في احتلال المغرب بسبب مؤتمر مدريد عام ١٢٩٧هـ الذي نص على عدم التدخل في المغرب إلا باتفاق الجميع.

الاحتلال الأجنبي:

قسمت الدول الأوروبية نفوذها في البلاد الإسلامية، فكانت مصر من نصيب إنكلترا، وليبيا من نصيب إيطاليا، وقسمت المغرب بين أسبانيا وفرنسا، فكان لأسبانيا الجهات الشمالية، وكان لفرنسا الجهات الوسطى والجنوبية، ووضعت مدينة طنجة تحت الإدارة الدولية وكان ذلك عام ١٣٣١هـ وتفجرت المقاومة، والثورة ضد الاحتلال الأجنبي، ومن أشهر قادتها محمد عبد الكريم الخطابي، الذي قاد ثورة في إقليم الريف ضد الحكم الأسباني وحقق انتصارات كبيرة على الأسبان، ولكن تحالف الإسبان عليه أدى إلى هزيمته واستسلامه في نهاية الأمر، ومارست فرنسا محاولاتها لفرنسة المغرب كما سبق أن حاولت في الجزائر وتونس، وحاول الفرنسيون إبراز القومية البربرية لتفتيت وحدة المسلمين في البلاد، وجاءت الحرب العالمية الثانية وتعاون السلطان محمد الخامس مع الحلفاء الذين وعدوه بمنح المغرب استقلالها بعد الحرب، ولكنهم أخلوا بوعودهم بعد الحرب فزادت انتفاضة الشعب المغربي، وتكونت لجنة تحرير المغرب في القاهرة، وعرض السلطان محمد الخامس القضية المغربية على الأمم المتحدة فنفاه الفرنسيون إلى خارج البلاد عام ١٣٧٣هـ وزادت المقاومة للاحتلال الفرنسي الذي لم يستطع تحملها وأعاد السلطان لعرشه.

استقلال المغرب من قيود الاحتلال:

مراحل استقلال المغرب:

منح الفرنسيون المغرب استقلالها عام ١٣٧٦هـ مع الاحتفاظ ببعض القواعد العسكرية فيها، ثم جلت القوات الفرنسية عن آخر قاعدة لها في

المغرب عام ١٣٨١هـ، وكانت الولايات المتحدة قد أقامت هي الأخرى قواعد عسكرية في المغرب في فترة الاحتلال الفرنسي، ثم اتفق الملك الحسن الثاني -في زيارته للولايات المتحدة- مع كيندى على إخلائها، وبرزت مشكلة موريتانيا بعد استقلال المغرب، فموريتانيا كانت تتبع المغرب منذ فترة طويلة، ومنها ظهر المرابطون وظلت مع المغرب دولة وحدة حتى أتاها الاستعمار الفرنسي الذى فصل بين المغرب وموريتانيا وأعلن في موريتانيا جمهورية مستقلة عام ١٣٨٠هـ.

المناطق الخاضعة للاحتلال الأسباني:

احتفظت أسبانيا ببعض المواقع في المغرب بعد استقلالها، ثم أعادت للمغرب أكثرها، ولكنها للآن لا تزال تحتفظ بمدينتين هما سبتة ومليلية وتطالب بهما المغرب، ومن المشاكل التى خلفها الاستعمار الأسباني مشكلة الصحراء التى أعلن سكانها أنهم يريدون الانفصال، وتكوين دولة خاصة بهم وتشكلت جبهة البوليساريو التى كانت الجزائر تساعد في بداية الأمر بسبب خلافها مع المغرب على منطقة تندوف الواقعة بالجزائر، ولكن تم الصلح بين المغرب والجزائر في عام ١٤٠٨هـ.

وأعلنت الأمم المتحدة اقتراحًا بإجراء استفتاء لتحديد مصير الصحراء المغربية وبرغم وجود قوات عسكرية مغربية في الصحراء إلا أن المسألة لم تحسم حتى الآن.

الفصل الثالث

البلقان



خريطة البلقان

بلغاريا:

يرجع البلغار إلى أصول تركية، حيث هاجروا من مدينة بلغار (قازان حاليا) في حوض نهر الفولغا عند قدوم التتار إلى هذه المناطق، واستقروا في البلقان وسيطروا على أجزاء فيه أطلقوا عليها اسم مدينتهم السابقة بلغار وللأسف الشديد تحولوا إلى النصرانية بعد أن كانوا مسلمين، وذلك لأن المجتمع الذي

يحيط بهم من النصارى الأرثوذكس وكان ذلك عام ٣٥١هـ.

دخل الفتح الإسلامى لبلغاريا على يد العثمانيين فقد فتح السلطان مراد الأول أجزائها الجنوبية عام ٧٧٤هـ، ثم أم ابنه بايزيد الأول فتح الجزء الشمالى عام ٧٩٦هـ ثم فقدتها العثمانيون بعد غزو تيمورلنك ثم استردها العثمانيون فى عهد السلطان محمد الفاتح، وظلت تحت الحكم العثمانى حتى مؤتمر برلين عام ١٢٩٥هـ حيث أجبر الأوروبيون العثمانيين على إعطائها الاستقلال الذاتى، وقد كان بها عدد كبير من المسلمين، نكل أهل البلاد النصارى بأكثرهم أثناء الغزو الروسى الذى تسبب فى استقلال بلغاريا الذاتى، وارتكبوا بحقهم جرائم بشعة ففر جزء من المسلمين إلى الأراضى العثمانية وتحصن آخرون بالجبال، وأخذوا يشنون حرب عصابات انتقاما مما فعله البلغاريون بالمسلمين.

ثم استقل البلغاريون تماما عن العثمانيين عام ١٣٢٦هـ وشكلوا مملكة البلغار، ثم جاءت الحرب البلقانية الأولى عام ١٣٣٠هـ التى اتحدت فيها دول البلقان لانتزاع ولاية الروملى الشرقى التابعة للدولة العثمانية فى البلقان، وانتصروا على العثمانيين وأخذت بلغاريا منطقة تراقيا (الجزء الأوروبى من تركيا)، ثم اختلف الحلف البلقانى على تقسيم مقدونيا حيث أرادت بلغاريا ضمها بالكامل فحدثت الحرب البلقانية الثانية عام ١٣٣٢هـ وفى هذه المرة تحالفت دول البلقان مع العثمانيين على بلغاريا، وهزمت بلغاريا واسترد العثمانيون تراقيا وقسمت مقدونيا بين كل من اليونان والصرب والبلغار، حيث حصل الصرب على ٢٧٪ منها بينما حصلت بلغاريا على ١٠٪ منها وحصلت اليونان على بقية مقدونيا.

ثم جاءت الحرب العالمية الأولى فانضمت بلغاريا إلى دول المحور فى الحرب وتسببت هزيمة دول المحور فى إصابتها بالنكبات.

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية واحتلها الألمان فى البداية ثم انهزمت ألمانيا فى الحرب، وأخذت تتراجع فدخلت الجيوش الروسية بلغاريا، وأجبرتها بعد الحرب على الانضمام إلى حلف وارسو، والذى يعد بمثابة تكريس للاحتلال الروسى للدول التى دخلتها روسيا فى الحرب العالمية الثانية، حيث لا تملك دولة منهم الانسحاب من الحلف، وروسيا هى الدولة القائدة للحلف ولا منازع لها، وبدخول بلغاريا فى حلف وارسو مكن الروس للشيوخيين فى البلاد، وأعطوهم زمامها وكما علمنا فى كل الأنظمة الشيوعية التى ظهرت فى العالم كانت تعتبر الإسلام ألد أعدائها، وتحاربه بجرأة وبقسوة لا مثيل لها فى أى نظام آخر فى العالم.

ومن صور محاربة الإسلام والمسلمين فى بلغاريا هدم أكثر مساجدها وتحويل الكثير مما تبقى إلى مسارح ودور للهو واصطبلات للخيل حتى المسجد الوحيد الذى تبقى فى صوفيا حولوه إلى متحف، بالإضافة إلى وضع خطة مرحلية لتنصير المسلمين ويجبرتهم على تغيير أسمائهم الإسلامية إلى أسماء نصرانية، ويمنعون النساء من الاحتشام ويجبرونهن على السفور، ويمنعون المساميين من دفن موتاهم على طريقتهم ويمنعونهم من دفن موتاهم فى مقابر خاصة ويمنعونهم من الخروج لعيد الأضحى، وغيرها من السبل التى تهدف إلى محو المظهر الإسلامى، وحتى الآن لا يريدون الاعتراف بهم كأقلية برغم أنهم يشكلون أكثر من ٢١٪ من سكان بلغاريا، ويمنعونهم من أداء فريضة الحج ومن الاتصال بإخوانهم المسلمين فى أنحاء العالم، وبرغم كل هذه الضغوط إلا أن المسلمين يحاولون المقاومة بكل طاقتهم، ويزج الكثير منهم فى السجون ويزوقون الويلات فى سبيل دينهم.

رومانيا:

شكلت الأفلاق والبغدان وترانسلفانيا ودوبروجة (جزء من بسارابيا) دولة رومانيا الحالية، وكان اتحاد هذه الإمارات بدعم من أوروبا ليقفوا صفاً واحداً في وجه الدولة العثمانية، واستقلت رومانيا تماماً عن العثمانيين، وفقاً لشروط مؤتمر برلين عام ١٢٩٦هـ وقد ضمتها روسيا لحلف وارسو بعد الحرب العالمية الثانية، وأعطت زمامها للشيوخين، وبعد أن كانت مملكة أصبحت جمهورية شيوعية تابعة لحلف وارسو، وهاجر أكثر المسلمين إلى تركيا وأجزاء أخرى من العالم ويتركز المسلمون في رومانيا في منطقة دوبروجة وجزيرة إدة قلعة، والمجيدية وباباداغ، ويعتق أكثر السكان الديانة النصرانية على المذهب الأرثوذكسي، وبرغم انتهاء حلف وارسو وسقوط الشيوعية في رومانيا إلا أن أوضاع المسلمين هناك بقيت على ما كانت عليه أثناء الحكم الشيوعي، وهناك اتجاه لضمها لحلف الأطلنطي في عام ١٤١٩هـ.

مولدافيا:

وهي في الأصل إقليم بسارابيا الذي انتزعه الروس من العثمانيين ثم ضم لرومانيا، ثم انتزعه الروس مرة أخرى، وتركوا فيه لرومانيا إقليم دوبروجة، وقد كان به الكثير من المسلمين، فعمد الروس إلى تمزيقه لتفريق شمل المسلمين ولجعل الدولة المتولدة عنه ضعيفة، فأقطع جزء منه لأوكرانيا وجزء احتفظت به رومانيا كما ذكرنا، والجزء المتبقى كون جمهورية مولدافيا السوفيتية الاتحادية، وظلت تابعة للاتحاد السوفيتي حتى انحل في عام ١٤١١هـ، فاستقلت مولدافيا ومعلوماتنا عن المسلمين فيها قليلة، حيث عثم الشيوعيون على أنبائهم أثناء الاتحاد السوفيتي وبعد الاستقلال فلا يعرف عنهم إلا القليل.

المجر:

وصل الإسلام إلى المجر عن طريق هجرة بعض قبائل الباشكير المغولية

المسلمة إليها من حوض نهر الفولجا، وبرغم أن المجتمع المحيط بهم من النصارى إلا أنهم تمسكوا بإسلامهم، ثم عمدت أوروبا للحروب الصليبية التي كان ملك المجر (لاديسلاوس) من أشد مؤيديها، فأجبروا سكان البلاد على النصرانية أو الهجرة من البلاد، وقد جاءها من الأندلس والمغرب دعاة لنشر الإسلام، وعندما جاءها الفتح العثماني عام ٩٣٣هـ في عهد الخليفة سليمان القانوني وصل عدد المسلمين فيها إلى أكثر من ربع مليون مسلم، ووصل عدد المساجد في بودابست إلى أكثر من ٨٣ مسجداً، ووجدت المدارس الإسلامية، ولكن العثمانيين اضطروا للانسحاب من المجر عام ١١١١هـ فنكل بالمسلمين وأبيدوا وهجر أكثرهم وهدمت كل المساجد وما بقي منها تحول إلى كنائس، وقد فرض عليها الروس الانضمام لحلف وارسو بعد الحرب العالمية الثانية، ثم انحل حلف وارسو عام ١٤٠٩هـ، ويعيش الآن في المجر عدة آلاف من المسلمين، والمجر في طريقها للانضمام إلى حلف الأطلنطي عام ١٤١٩هـ.

سلوفاكيا:

كانت خاضعة لمملكة بوهيميا (التشيك) ثم فتحها العثمانيون بقيادة أحمد كوبرللي، وسكن فيها عدة عائلات عثمانية، واعتنق بعض أهل البلاد الإسلام، ثم اضطروا المسلمون للانسحاب منها عام ١١١١هـ عندما قام سويسكي ملك بولندا بالهجوم المضاد على العثمانيين، فخضعت للنمسا التي صبت على المسلمين فيها جام حقدتها الصليبي، فهاجروا وأبيد أكثرهم، وكانت النمسا قد أخضعت بوهيميا (تشيكيا) ثم ظهرت تشيكوسلوفاكيا بعد الحرب العالمية الأولى، ثم احتلها الألمان في الحرب العالمية الثانية، ثم دخلتها الجيوش الروسية وضمّت إلى حلف وارسو، وسيطر عليها الشيوعيون حتى سقطت الشيوعية عام ١٤٠٩هـ وانفصلت تشيكيا عن سلوفاكيا سلمياً وأصبحت كل منهما تشكل دولة مستقلة وعاصمة سلوفاكيا هي مدينة برتسلاف.

النمسا:

كانت فى حروب دائمة مع العثمانيين، انتزع العثمانيون الكثير من أملاكها فى أوروبا، بل دخلوا النمسا وحاصروا مدينة ويانة (فيينا) مرتين إحداهما فى عهد الخليفة سليمان القانونى والأخرى فى عهد الخليفة محمد الرابع، ولكنهم لم يستطيعوا فتحها، وعندما ضعف أمر العثمانيين وأخذت النمسا تقطع منهم الجزء تلو الآخر، هاجر عدد من المسلمين فى الأجزاء التى خضعت للنمسا إلى النمسا نفسها، وأكثرهم من البوشناق (البوسنة) وكان أول اتحاد بينها وبين العثمانيين فى الحرب العالمية الأولى التى انتهت بهزيمتهما وفقد الكثير من أملاكهما، ثم جاءت الحرب العالمية الثانية وضمتهأ ألمانيا، فلما انهزمت ألمانيا دخلها الروس، ولكنهم انسحبوا منها ولم تنضم إلى أى من المعسكرين الشرقى أو الغربى، وتضاءلت مساحتها جداً عما كانت عليه سابقاً ويوجد فيها أقلية مسلمة تزيد على الـ ٥٠٠٠٠ مسلم.

اليونان:

وصل الفتح الإسلامى إلى جزر كريت ورودس وغيرهما منذ عهد المسلمين الأوائل، ولكن لم يستتب الأمر للمسلمين فيها، واستردها الروم وأبادوا المسلمين عن آخرهم، ثم جاء الفتح العثماني ففتح بلاد اليونان بأكملها وجزر بحر إيجه وكريت ورودس، وكان المسلمون فى اليونان يمثلون نصف سكانها، ثم أخذت أوروبا تعين اليونان على العثمانيين، وتمدهم بالأسلحة والعتاد والجنود حتى استقلوا عن العثمانيين، وشكلت مملكة اليونان، وكان الجزء المستقل لا يمثل أكثر من شبه جزيرة المورة، ثم أخذت أوروبا توسع أملاك اليونان على حساب الدولة العثمانية، وتجر العثمانيين على التنازل لليونان عن المزيد من الأراضى.

وأخذ اليونانيون يضطهدون المسلمين وأجبروا الكثير منهم على الهجرة إلى

الأراضي العثمانية، ثم حدثت الحرب البلقانية الأولى والتي ضمت فيها اليونان الكثير من الأجزاء العثمانية من ولاية الروميللى الشرقى، وعندما فقدت الدولة العثمانية ولاية الروميللى الشرقى أخذت كل من اليونان والصرزب يقطعون الأجزاء تلو الأخرى من ألبانيا، ثم حدثت الحرب البلقانية الثانية لتقسيم مقدونيا، فكان من نصيب اليونان الجزء الأكبر منها، ثم حدثت الحرب العالمية الأولى واحتل الحلفاء الكثير من الأجزاء العثمانية وامتد نفوذهم إلى الأناضول ومكنوا لليونانيين فى الأجزاء العثمانية، ونشبت الحرب بين تركيا واليونان التى أقطعها الحلفاء الكثير من الأراضي التركية، فانتصر الأتراك وكانت موقعة سقاريا من أشهر انتصاراتهم على اليونان.

واستردوا أكثر الأجزاء التى ضمت لليونان، وكان منها استنبول وأزمير وتراقيا الشرقية ولكن اليونانيين احتفظوا بجزر بحر إيجه، حتى المتاخمة للسواحل التركية، ووقعت اتفاقيات بين الأتراك واليونانيين تقضى بتبادل السكان المسلمين بالنصارى الأرثوذكس، وهاجر الكثير من المسلمين الذين كانوا يشكلون قبل ذلك ربع سكان اليونان وأبىد الكثير منهم فى أنحاء اليونان وقضى تمامًا على مسلمى جزيرة كريت ورووس برغم أن غالبيتهم من اليونانيين، ووصل عدد المسلمين الآن فى اليونان إلى حوالى ربع مليون بعد أن كان أكثر من ٢,٥ مليون فى وقت من الأوقات.

والنزاع مستمر بين تركيا واليونان فى قبرص وجزر بحر إيجه حتى الآن، وتتبادل الدولتان الاتهامات والتهديدات والعلاقات بينهما فى توتر دائم، ومما هو جدير بالذكر أن الملكية ألغيت فى اليونان وأعلنت الجمهورية فى عام ١٣٩٣هـ وتعيش فى اليونان أقليات تركية وألبانية وبلغارية معظمها من المسلمين.

ألبانيا:

تم فتحها في عهد السلطان العثماني مراد الثاني وبرغم حركة تمرد إسكندر بك التي استمرت حتى عهد السلطان محمد الفاتح، إلا أن العثمانيين استتب لهم الأمر في المنطقة، ثم كونت مع مقدونيا وأجزاء أخرى من البلقان ولاية الروميللى الشرقى والتي ظلت تحت السيادة العثمانية حتى قامت الحرب البلقانية الأولى وانهزمت الدولة العثمانية فاستقلت ألبانيا عن العثمانيين.

وبدأت تظهر الأطماع الصربية واليونانية فى ألبانيا، فاقتطعوا الكثير من أرضها، ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فاحتلت إيطاليا الجزء الذى يمثل الآن ألبانيا، ثم انهزمت دول المحور التى كانت إيطاليا إحدى دوله، وقسمت أوروبا بين المعسكر الشرقى والغربى، فكانت ألبانيا من نصيب الروس الذين ضموها إلى حلف وارسو وأقاموا فيها الحكم الشيوعى.

وقد دخل معظم الأرنأؤوط (الألبان) فى الإسلام أثناء الحكم العثماني؛ ولذلك عكفت أوروبا على تقسيمها، وزادت أطماع الدول المجاورة فيها حتى أصبحت مساحتها تعادل ثلث المساحة التى كانت عليها ألبانيا فى أثناء الحكم العثماني؛ ولذا العلم الألبانى يمثل نسرًا ذا رأسين، رأس تنظر جهة اليمين والأخرى جهة اليسار إشارة للأراضى الألبانية التى يحتلها كل من الصرب واليونان.

وبرغم أن معظم أهلها من المسلمين إلا أن الحكم الشيوعى لها قد ضيق الخناق على النشاط الإسلامى، وعزل ألبانيا عن العالم الإسلامى وعكفت أوروبا على جعل ألبانيا أفقر دولة فى أوروبا.

وعندما انحل حلف وارسو عام ١٤٠٩هـ انفتحت ألبانيا على المسلمين، وانضمت إلى منظمة المؤتمر الإسلامى الذى يضم الدول الإسلامية المستقلة، وتسلم الديمقراطيون البلاد، وبدأت المحاولات الأوروبية لزعة استقرار ألبانيا وذلك فى

محاولاتها المستمرة للقضاء على المسلمين فى أنحاء العالم وبالذات أوروبا الصليبية، فبعد أن ارتكبت أبشع وأقذر الجرائم فى البوسنة، وقسمتها وثبتت أقدام جيوشها فيها، اتجهت إلى ألبانيا بشركات توظيف الأموال الأوروبية التى خدع الشعب الألبانى الفقير بها، وظن أن الفقر الذى طال أمده سينتهى بإيداع أموالهم وممتلكاتهم فى هذه الشركات، التى أوهمتهم باستثمار أموالهم وتدفق الأرباح عليهم كالسيل، وما لبث أن ضاربت شركات توظيف الأموال الأوروبية بأموال المودعين الألبانيين فى البورصة، وأضاعت أموالهم بتخطيط أوروبى صليبي.

فهب الشعب الألبانى الذى وضع أبنائه كل ما يملكون فى هذه الشركات وحملوا الحكومة الألبانية المسئولة، وامتدت الأيدي الأوروبية بالأسلحة للشوار الألبانيين لتحدث الفتنة والتقسيم فى ألبانيا، وعمت الفوضى بالبلاد وأفلت زمام الدولة من حكومتها، واتخذت أوروبا كل هذه الظروف كذريعة لإرسال قواتها إلى ألبانيا فى شكل قوات شرطة، بحجة أن الألبانيين فقدوا السيطرة على بلادهم ولتنظيم الانتخابات فى ألبانيا لتشكيل حكومة جديدة.

وهكذا استطاع الأوروبيون النصارى أن يضعوا أرجلهم فى ألبانيا ويتدخلوا فى شؤونها الداخلية كخطوة مرحلية للقضاء على ألبانيا وعلى كل المسلمين فى أوروبا ثم يأتى التفرغ تماماً للقضاء على المسلمين فى العالم، وفاز الشيوعيون بالانتخابات، وفضلت أوروبا عودة النظام الشيوعى لها كنظام اشتهر بمحاربهته للإسلام فى ألبانيا وفى كل دول العالم التى تمكن للشيوعيين فيها.

يوغوسلافيا

تعنى كلمة يوغوسلافيا السلاف الجنوبيين، وتشمل هذه المنطقة عدة شعوب

منها الصرب والكروات والبوشناق (هاجرت قبائل البوشناق والكومان من موطنها الأصلي في حوض نهر الفولغا، واستقر بالبلقان) والمقدونيين والألبان والسلوفينيين والمونتغيرو (سكان الجبل الأسود).

منذ أن استقل الصرب عن العثمانيين ذاتياً وهم يعملون على الاستقلال التام عن العثمانيين، وكذلك التوسع على حساب الأراضي العثمانية، وعندما تم لهم الاستقلال التام عن العثمانيين هم والجبل الأسود، أخذوا يعملون على ضم المزيد من أراضي الدولة العثمانية، وبالفعل اندلعت الحرب البلقانية الأولى واستطاع الصرب والجبل الأسود وحلفاؤهم في بلغاريا ورومانيا واليونان أن يخرجوا العثمانيين من ولاية الروميللى الشرقى، ومن أجزاء البلقان، باستثناء استنبول، ثم جرت الحرب البلقانية الثانية لتقسيم مقدونيا بين دول التحالف فكان نصيب الصرب ٢٧٪ منها.

وفى ذلك الوقت كانت البوسنة والهرسك وكرواتيا وسلوفينيا وسواحل دلماسيا تابعة للنمسا، وكان الصرب يواصلون توغلهم فى الأراضي الألبانية، وضموا إقليم كوسوفو وسنجق وغيرها ذات الأغلبية الألبانية.

واندلعت الحرب العالمية الأولى بسبب مقتل ولى عهد امبراطور النمسا فى سراييفو التابعة للنمسا، والتي حملت الصرب مسؤولية قتله وتكونت دول المحور من النمسا وألمانيا والدولة العثمانية، بينما كانت دول الحلفاء هى روسيا وإنكلترا وفرنسا وإيطاليا، ودخل الصرب الحرب وانحازوا للحلفاء فلما انتصر الحلفاء كافوا الصرب بأن ضموا إلى مملكتهم كل من البوسنة والهرسك وكرواتيا وسلوفينيا.

أصبحت النمسا دولة داخلية لا منفذ لها على البحر، وكان الاحتلال النمساوى للبوسنة قد أدى إلى خفض نسبة المسلمين فيها، نتيجة للهجرة أو القتل ثم جاء الصرب ليواصلوا رحلة الاضطهاد والإبادة للمسلمين، واندلعت

الحرب العالمية الثانية، وكان الصرب فى صف الحلفاء كسابق عهدهم، ووقعت الصرب فى يد ألمانيا التى ركزت فى وجودها على معاداة الصرب والمسلمين، وتقريب الكروات والسلوفينيين حيث الصرب نصارى أرثوذكس بينما الكروات نصارى كاثوليك فعقيدتهم مثل أكثر الألمان.

فلما انهزمت ألمانيا فى الحرب طردت الجيوش الروسية الألمان من مملكة الصرب، وانسحبت روسيا منها وهى تظن أن العون التاريخى الذى قدمته للصرب سواء فى أيام الدولة العثمانية أو فى الحرب العالمية سيجعل الصرب ينضمون إلى حلف وارسو، ولكن الصرب خيبوا ظنهم ولم ينضموا إلى حلف وارسو الذى يعتبر شكلاً خادعاً لإخفاء الاحتلال الروسى لدول الحلف. أعلنت يوغوسلافيا وقد اختارت هذا الاسم لتوحى للشعوب الأخرى المكونة ليوغوسلافيا أنها لا ترفع الصرب عليهم، ولكن الحقيقة الواقعة كانت غير ذلك، فالحياة الدبلوماسية والقوات المسلحة يشكل الصرب ٨٠% منها ولا يسمح لأى مسلم بالانضمام للقوات المسلحة.

وما إن استتب الأمر للشيوخين بقيادة تيتو الكرواتى حتى أظهر الصرب الكراهية للمسلمين، فذبحوا عشرات الألوف منهم فى مدينة توزلا البوسنية و ٣٠٠٠ فى سراييفو، بالإضافة إلى المذبحة البشعة التى ذبح الصرب فيها ٦٠٠٠٠ مسلم وألقوا بهم فى نهر الفولجا فى البوسنة الذى أصبح لونه أحمر من كثرة القتلى وغيرها من المذابح الأخرى، وقتل مفتى كرواتيا وحكم على عدة زعماء مسلمين ألبانيين بالإعدام فى الجزء التابع لهم فى مقدونيا، وأعدم المزيد من زعماء المسلمين فى أنحاء يوغوسلافيا، وهدم الكثير من المساجد حتى بلغراد نفسها التى كان بها ما يقرب من ٢٧٠ مسجداً هدم أكثرها، وحُوّل الباقي إلى ملاهى ليلية واصطبلات للخيول ولم يبق إلا مسجد واحد فى بلغراد وأغلقت الكتاتيب والمدارس الدينية وغيرها، وعقدت يوغوسلافيا اتفاقيات مع تركيا لرحيل مئات الألوف من المسلمين من يوغوسلافيا إلى تركيا وقسمت

يوغوسلافيا إلى ٥ جمهوريات اتحادية هي:

- ١- صربيا: وتضم إقليمين ذوى حكم ذاتى، وهما فويفودينا وعاصمته مدينة نوفيساد وكوسوفو وعاصمته مدينة برشتينا.
- ٢- كرواتيا (ولفظ كرواتى يعنى كاثوليكي): وعاصمته مدينة زغرب.
- ٣- البوسنة والهرسك: وعاصمته مدينة سرايفو.
- ٤- مقدونيا: وعاصمته مدينة سكوبيا.
- ٥- سلوفينيا: وعاصمته مدينة لوبليانا.
- ٦- الجبل الأسود (مونتغيرو): وعاصمته مدينة تيتو غراد.

وقد اقتطع من أراضى البوسنة وضم إلى كل من كرواتيا والجبل الأسود وصربيا، وفى نفس الوقت تدفق على البوسنة والهرسك مواطنون صرب وآخرون كروات لتغيير التركيبة السكانية فى البوسنة والهرسك، وفى حرب فلسطين كان هناك فرقة من المجاهدين البوشناق مع العرب.

أخذت الحركات الإسلامية فى البوسنة والهرسك تظهر، وكان الصرب يقابلون ذلك بالتعسف الشديد، وقد قبضت الحكومة الشيوعية على بقية أعضاء حركة الشبان المسلمين فى البوسنة وأودعتهم السجن عام ١٤٠١هـ بتهمة قلب نظام الحكم، وكان منهم على عزت بيجوفيتش حيث سبق للصرب أن حبسوا أعضاء الشبان المسلمين من قبل.

وجاء سلوبودان ميلوسوفيتش ليتسلم رئاسة الحزب الشيوعى الحاكم فى يوغوسلافيا، وألغى الحكم الذاتى لإقليم كوسوفو وكان مجيئه فى نهاية عصر الشيوعية العالمية فقد انحل حلف وارسو وسقطت الكثير من الأنظمة الشيوعية فى العالم وخصوصاً أوروبا فأعلنت كل من كرواتيا وسلوفينيا استقلالهما عن يوغوسلافيا عام ١٤١١هـ.

فخشى الصرب من تفكك صربيا الكبرى (يوغوسلافيا) فانقضت جيوشهم على كرواتيا وانفصلت سلوفينيا سلمياً، أما كرواتيا فاندلعت الحرب فيها وكانت أوروبا والفايكان من ورائها يحركهم البابا -لأنهم كاثوليك- بينما الصرب أرثوذكس فأعلن مجلس الأمن قراره الذى يقضى بوقف القتال فى كرواتيا، وأرسلت الأمم المتحدة ١٤٠٠٠ جندي على طول الجبهات الصربية الكرواتية، واحتفظ الصرب بوجودهم فى إقليم كراينا وسلافونيا ونقل بقية الجيش اليوغوسلافى إلى البوسنة، وتمركز فى ٦٥% منها ليمنع أى محاولة لانفصالها عن يوغوسلافيا، ولجأ المسلمون للوسائل السلمية فى الانفصال فأعلن الرئيس على عزت بيجوفيتش عن إجراء استفتاء فى البوسنة لتحديد مصيرها إما بالاستمرار مع يوغوسلافيا أو بالانفصال عنها.

فى نفس الوقت كانت قوات الجيش اليوغوسلافى المتمركزة فى البوسنة توزع الأسلحة على السكان الصرب لقتال المسلمين العزل من السلاح، وما إن أعلنت نتائج الاستفتاء بانفصال البوسنة عن يوغوسلافيا حتى كان الصرب قد دبروا حيلة للحرب مع المسلمين بأن جعلوا صرب البوسنة يعلنون عن تكوينهم لدولة فى البوسنة مساحتها ٦٥% من البوسنة والتى يسيطر عليها الجيش اليوغوسلافى فى حين أن الصرب فى البوسنة لا تزيد نسبتهم عن ٣٠% ومعظمهم -إن لم يكن كلهم- من الذين جاءوا إلى البوسنة لتغيير التركيبة السكانية فيها، وبذا تظهر للعالم أنه إذا اندلعت حرب فى البوسنة فستكون بين الانفصاليين الصرب والحكومة البوسنية، ولكن فى الحقيقة هى حرب بين الحكومة البوسنية وكل صرب يوغوسلافيا.

وكما هو متوقع رفضت الحكومة البوسنية القرار الصربى فاندلعت الحرب فى عام ١٤١٢هـ بين المسلمين الممثلين لحكومة البوسنة العزل من السلاح وبين الصرب المدججين بأحدث الأسلحة وارتكب الصرب أبشع الجرائم التى تعجز

الألسنة عن وصفها والأقلام عن كتابتها، والغريب أن القساوسة الصرب كانوا ييحبون ارتكابها، ووقف العالم موقف المتفرج لا يفعل شيئاً وتباين موقف الأمم المتحدة في البوسنة وكرواتيا فقد أرسلت إلى كرواتيا جنودها ليقفوا تقدم الصرب بينما لم تفعل شيئاً في البوسنة، غير أنها أرسلت حفنة من جنودها لتكريس الاحتلال الصربي للبوسنة، وكانت الأمم المتحدة قد تقدمت بخطة مبعوثها فانس أوين لتقسيم البوسنة، وجعلها عدة كيانات بين الصرب والكروات والمسلمين بحيث يمنح للمسلمين ٤٤% من مساحة البوسنة و ٢٠% للكروات و ٣٧% للصرب وقد وافق المسلمون والكروات عليها إلا أن الصرب رفضوها بصفتهم يسيطرون على أكثر من ٧٠% من البوسنة، ولم يكتف أعداء الإسلام بذلك بل عكفوا على تصفية النزاع بين الصرب والكروات وتجميع كلمتهم في سبيل ابتلاع البوسنة.

اتفق الصرب والكروات على وقف القتال بينهما وإعطاء الجزء الذي يقطنه الصرب في كرواتيا حكماً ذاتياً موسعاً، وتحالف الصرب والكروات ضد المسلمين، وغدر الكروات بالمسلمين الذين ظنوا أن قوات كرواتيا التي أرسلت للبوسنة هي للدفاع عن البوسنة، ووقف تقدم الصرب، فتحولت هذه القوات إلى قوات محتله تؤازر الصرب في القضاء على المسلمين، وأخذ الجنود الصرب المحاصرين لسرايفو يمتطرون المسلمين بقذائف الهاون المدمرة حتى قال أحد قادة الصرب: إنهم يدمرون المسلمين ليحموا أوروبا من المد الإسلامي فيها.

لم يكتف أعداء الإسلام بكل ذلك بل اتخذوا قراراً بحظر الأسلحة عن يوغوسلافيا السابقة، وهو في حقيقة الأمر حظر على المسلمين فقط فالصرب الكروات يتدفق عليها السلاح من أوروبا واليهود فالصرب يدعمهم الروس ومعظم الدول الأرثوذكسية المجاورة، وكذلك اليهود، بينما يدعم كرواتيا

الفاتيكان ومن ورائها أوروبا، وبرغم كل ذلك وبرغم سيطرة الصرب على ٧٢٪ من أراضي البوسنة وسيطرة الكروات على ٢٠٪ حتى لم يبق للمسلمين في البوسنة إلا أقل من ١٠٪ برغم أنهم يشكلون أكثر من ٥٠٪ من سكان البوسنة إلا أن إرادة الله فوق كل شيء وكما يقول سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

وتسلح المسلمون بسلاح الإيمان وتوكلوا على الله خير توكل واستطاعوا أن يحققوا بعض الانتصارات وكان مصدر أسلحتهم الرئيسي عن طريق غنائم الانتصارات على الأطراف الأخرى، وزاد تقدمهم على الجبهة الكرواتية، حتى استطاعوا أن يطوقوا إحدى المناطق وبها ٦٠٠٠٠ جندي كرواتى، فاضطرت كرواتيا للتفاوض مع البوسنيين وخاصة أنها فكرت فيما سيحدث بين الصرب والكروات من تصفية للحساب بعد الحرب في البوسنة، فعمدت إلى الاتجاه مرة أخرى للتحالف مع المسلمين، وكونت الأجزاء التي يسيطر عليها الكروات فى جنوب غربى البوسنة اتحاداً فيدرالياً مع الأجزاء التي يسيطر عليها المسلمون.

كانت الولايات المتحدة قد أعدت جيوش كرواتيا جيداً لاستعادة الأجزاء التي يسيطر عليها الصرب فى كرواتيا، لأنها تعتبر الصرب امتداداً لروسيا وللشيوعية فى أوروبا، وبالفعل استطاعت كرواتيا أن تحرر سلافونيا الغربية وكرايينا من أيدي الصرب فى وقت صغير جداً، وكان ذلك من الأشياء التي ساهمت فى تقدم المسلمين فى جبهات القتال ضد الصرب، ولم يتبق للصرب فى كرواتيا إلا إقليم سلافونيا الشرقية الذى يقترب من ٥٪ من مساحة كرواتيا.

وبدأ الضمير العالمى يستيقظ وأعلن المسلمون فى المؤتمر الإسلامى فى ماليزيا بأنهم غير ملزمين بقرار حظر الأسلحة عن البوسنة، وهددت الأمم المتحدة بالضربات الجوية للصرب إذا ما قذفوا المدنيين فى سراييفو.

لم يستجب الصرب لتهديدات الأمم المتحدة وواصل رادوفان كاراداسيتش زعيم صرب البوسنة وراتكوميلاسيتش قائد قواتها ارتكاب البشائع تجاه المسلمين، منها قتل أكثر من ١٥٠٠٠ مسلم عندما احتلوا مدينة سيربريتشا وجيبا المسلمتين.

قامت قوات الأمم المتحدة ببعض الضربات الجوية للصرب، ثم كفت عنها عندما استخدم الصرب جنود الأمم المتحدة كدروع بشرية، ثم أفرج الصرب عنهم فضربت طائرات الأمم المتحدة مواقع الصرب فى البوسنة.

استغل المسلمون الفرصة وكذلك كروات البوسنة، فتقدموا فى الأراضى التى يحتلها الصرب وحرروا الكثير منها حتى سيطر المسلمون على أكثر من ٣١% من البوسنة، وسيطر الكروات على ٢٠% منها وبقي للصرب ما يقارب ٤٩% من مساحة البوسنة.

فخافت دول أوروبا من تقدم المسلمين، وأجبرت الأطراف الثلاثة على وقف إطلاق النار وتوقيع اتفاق دايتون للسلام عام ١٤١٦هـ والذى يقضى بإقامة دولة فيدرالية فى البوسنة تضم كيانين أحدهما صربى يسيطر على ٤٩% من مساحة البوسنة والآخر بين المسلمين والكروات ويظهر بوضوح ظلم الاتفاقية للمسلمين، وضعف الاتفاق وهشاشته حيث يجعل فى البوسنة ثلاثة جيوش ومجلس رئاسى يتكون من ٣ رؤساء، ويتيح الفرصة بسهولة لكل من الصرب والكروات للانفصال عن البوسنة فى أى وقت، وقد أجبرت الولايات المتحدة المسلمين على قبوله، ليكون لها ولحلف الأطنطى نفوذ فى البوسنة بحجة وجود قوات تحفظ تنفيذ اتفاقية دايتون.

اضطر المسلمون لقبول الاتفاق ليلتقطوا أنفسهم ليتدفق عليهم السلاح من الولايات المتحدة كما وعدتهم، وكذلك ليعود اللاجئون فى أنحاء أوروبا للبوسنة فيستجمع المسلمون قوتهم ويستعدوا حينئذ لتحرير بقية أراضى

البوسنة، وقد أجريت انتخابات فى البوسنة لرئاسة مجلس رئاسة البوسنة، وقد فاز الرئيس على عزت بيجوفيتش، وفى نفس الوقت تماطل الولايات المتحدة فى إرسال دفعات السلاح التى وعدت بإرسالها للمسلمين.

استقلت مقدونيا سلمياً عن يوغوسلافيا فى أثناء الحرب فى البوسنة، وذلك بإجراء استفتاء أظهرت نتائجه الرغبة فى الانفصال عن يوغوسلافيا بينما شكلت كل من صربيا والجبل الأسود جمهورية يوغوسلافيا الجديدة.

تظهر فى يوغوسلافيا مشكلة إقليم كوسوفو ذى الأغلبية الألبانية المسلمة، والذى يريد الانفصال عن يوغوسلافيا، ولكن الصرب يشددون من قبضتهم عليه، ويعاملون الثائرين هناك بكل قسوة، وكذلك يتقاسم الصرب والجبل الأسود إقليم سنجق ذى الأغلبية المسلمة.

ومما يذكر فى حرب البوسنة تناقض السياسة الأمريكية الغربية فى نظرتها لمشكلة الكويت وحسمها عسكرياً، وسياسة المتفرج المتبعة فى قضية البوسنة والإجابة معروفة، فالصليبية العالمية تصل فى النهاية لهدف واحد وهو القضاء على المسلمين، وقد ذبح من المسلمين فى حرب البوسنة ما يزيد عن ٢٠٠,٠٠٠ مسلم، وشرّد أضعافهم، وطرد الكثير من المسلمين من أرضهم، فيما يطلق عليه سياسة التطهير العرقى وأحل محلهم صرب، وارتكبت فى المسلمين كما سبق وأن ذكرنا جرائم تقشعر لها الأبدان من قتل وتمثيل بالضحايا، وجعل الكثير منهم أصحاب عاهات وتشويه وهتك للأعراض لم يسبق له مثيل بغرض التثكيل والإذلال، فلم يكتفوا باغتصاب الفتيات والأطفال والعجائز بل كانوا لا يتركون الفتاه إلا وهى على وشك الوضع لتضع طفلاً سفاحاً، وعمدوا إلى قطع أئداء النساء وبقر بطون الحوامل، ومهما تكلمنا عن المزيد من الجرائم فلا يمكننا وصف بشاعتها ولا يسعنا إلا أن نقول: (حسبنا الله ونعم الوكيل، وإنا لله وإنا إليه راجعون).

بولندا

وصل التتار إلى بولندا وتوقفوا عندها فى زحفهم على أوروبا وعندما أسلموا كان البولنديون يستعينون بهم ضد الألمان، فاستقر عدد من الجنود التتار المسلمين فى بولندا، ومارسوا حياتهم بصورة مستقرة، وبنوا المساجد والمدارس الإسلامية وفى أثناء العهد العثمانى وقعت بولندا تحت الحماية العثمانية لفترة قليلة من الزمن، وسيطر العثمانيون على الأجزاء الجنوبية منها، ثم ما لبث أن تقاسمها الروس والنمساويون والبيلاروس (الروس البيض)، ووقع الاضطهاد للمسلمين واختفت بولندا عدة مرات، ثم ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى يوجد بها ما يزيد عن ١٠٠,٠٠٠ مسلم ثم احتلها الألمان فى الحرب العالمية الثانية، ثم انهزموا فدخلتها الجيوش الروسية وضممتها إلى حلف وارسو، الذى يسمى باسم عاصمتها واقتطعت روسيا أجزاء من شرق بولندا وعوضتها بأجزاء من شرق ألمانيا، وقل عدد المسلمين فى بولندا حتى وصل إلى ما يزيد بقليل عن ٢٥٠٠٠ مسلم، ولا ندرى أين اختفى الباقون، إذ يحتمل أن يكون إختفائهم بسبب الإبادة أو التهجير أو وجود الكثير منهم فى الأجزاء التى ضممتها روسيا إليها.

قبرص

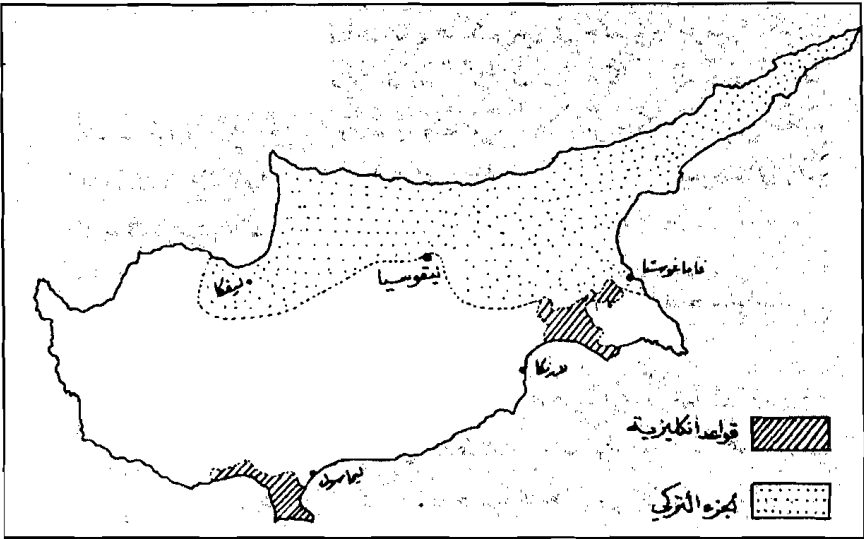
فتح المسلمون قبرص فى عهد الخليفة عثمان بن عفان، وانتشر فيها الإسلام ثم استردها الروم فى عهد عبد الملك بن مروان، ولم تستقر أقدام المسلمين فيها بعد ذلك حتى جاءها العثمانيون، وفتحوها فى عهد الخليفة سليم الثانى وظلت تحت الحكم الإسلامى ثلاثة قرون (٩٧٩ - ١٢٩٦هـ) أصبح المسلمون فيها ثلاثة أضعاف النصارى، ثم أجبرت إنكلترا العثمانيين على عقد معاهدة معهم تترك بمقتضاها قبرص لإنكلترا عام ١٢٩٦هـ، حتى

تحمى إنكلترا الأراضى العثمانية من أى هجوم خارجي، وما إن استتب الأمر للإنكليز حتى عملوا على تغيير التركيبة السكانية للجزيرة، بتشجيع هجرة اليونانيين إليها وضغطت على المسلمين لتركوا الجزيرة، فهاجر الكثير من المسلمين، وتأسست فى اليونان عدة حركات إحداها تدعوا للاتحاد مع اليونان، وأخرى تدعو إلى تكوين دولة مستقلة، وزاد الضغط على المسلمين وخاف المسلمون من الانضمام لليونان، وخاصة وأن إخوانهم فى جزيرة كريت قد أيدوا عندما ضمت كريت إلى اليونان.

ثم منحت إنكلترا قبرص الاستقلال عام ١٣٨٠هـ وكان ينص الاستقلال على أن يكون رئيس قبرص من الجالية اليونانية، ونائبه من الجالية التركية وكان فى ذلك الوقت وفقاً للإحصائيات تبلغ نسبة المسلمين فى الجزيرة ١٩% بينما تبلغ نسبة اليونانيين فى الجزيرة ٧٨% و٣% يهود.

وقعت الصدامات بين الأتراك واليونانيين عام ١٣٨٣هـ وهاجم اليونانيون المناطق الإسلامية، ونكلوا بأهلها وتكرر ذلك عام ١٣٨٧هـ.

وقع انقلاب عسكري فى قبرص عام ١٣٩٤هـ على المطران مكاريوس حاكم الجزيرة، وخافت تركيا من ضم جزيرة قبرص إلى اليونان فأمرت القوات المسلحة التركية بنزول قبرص وتمكنت القوات التركية من السيطرة على ٣٨% من مساحة قبرص لتحمى المسلمين من الحقد الصليبي اليوناني، ورحب الأهالى المسلمون بالجيش التركي وأدى ذلك إلى اشتعال الموقف وتوتر العلاقات بين تركيا واليونان والوضع مازال على ما هو عليه.



جزيرة قبرص

بلاد القوقاز

يطلق لفظ بلاد القوقاز (القفقاس، القفجاق) على المنطقة الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود

العرب

وقد دخل الإسلام هذه المنطقة بالفتح، فقد فتح سراقه بن عمرو أذربيجان عام ٢٢هـ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وأتم عبد الرحمن بن ربيعة دخول باب الأبواب (دريند) في داغستان، وعمر الإسلام بلاد أذربيجان وداغستان، ثم واصل سراقه بن عمرو فتوحاته في القوقاز، ففي عهد الخليفة عثمان بن عفان فتح أرمينيا وبلاد الكرج (جورجيا)، ثم ارتد الأرمن فجاءهم جيش بإمرة حبيب بن مسلمة فأخضعهم ولم يستقر الوضع للمسلمين في هذه البلاد، حيث كانوا في حروب مستمرة مع الخزر، وكما سبق وأن ذكرنا انتشر الإسلام في الجهات الشرقية والجنوبية منها، وبقيت الأجزاء الوسطى، والتي تتضمن بلاد الأرمن والكرج سكانها نصارى، وكان الروم يحثونهم باستمرار على خلع الطاعة عن المسلمين ومنازلتهم، وكانوا يمدونهم بما يحتاجون من السلاح والمقاتلين واستمر الوضع بهذا الشكل في العهد الأموي والعهد العباسي الذي سيطر السلاجقة في نهايته على أكثر جهات القوقاز عام ٤٦٥هـ.

المغول:

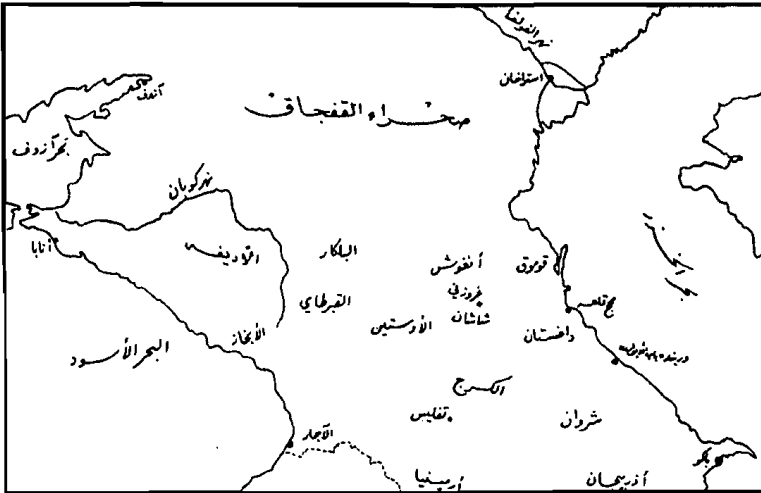
ثم جاء المغول فسيطروا على كل أجزاء القوقاز التي كانت من نصيب أسرة جوجى بن جنكيز خان، ولكن برغم دخول أسرتهم في الإسلام إلا أنهم كانوا حديثي العهد به؛ ولذلك لم يعملوا على نشر الإسلام في جهات القوقاز، بالإضافة إلى انشغالهم بالحرب مع الدولة الإيلخانية على حدود القوقاز والتي

ضمت الكثير من جهات القوقاز.

العثمانيون والفرس:

بدأ العثمانيون يمدون نفوذهم إلى بلاد القوقاز والقرم وخاصة بعدما استفحل الخطر الروسى والذى أخذ يبتلع بلاد التتر المسلمين فأوقفتهم الدولة العثمانية وكانت فى صراع مع الفرس على القوقاز، فقد كان الصفويون يضمون أكثر جهات القوقاز، فأخذ العثمانيون يأخذون الجزء تلو الآخر من الصفويين، وخاصة وأن الصفويين شيعه يجبرون السكان فى بعض الأحيان على اعتناق المذهب الشيعى، وقد تمكنوا من فرضه على أذربيجان، فأوقف العثمانيون المد الشيعى فى البلاد.

كانت هناك بعض القبائل التى لم تدخل بعد فى الإسلام مثل الشركس وغيرهم فبدأ الإسلام ينتشر انتشاراً كبيراً فى جهات القوقاز فى عهد العثمانيين، فاعتنقه القبرطاي والأديغة والأبخاز وجزء من الأوستين والشيشان والأنغوش، بينما احتفظ أكثر الأرمن بنصرانيتهم، وأصبح المسلمون فى القوقاز أكثرهم من السنة، وقد عمل العثمانيون على تقريبهم فازداد القوقازيون ميلاً للعثمانيين وفضلوهم على الروس النصرارى والفرس الشيعة.

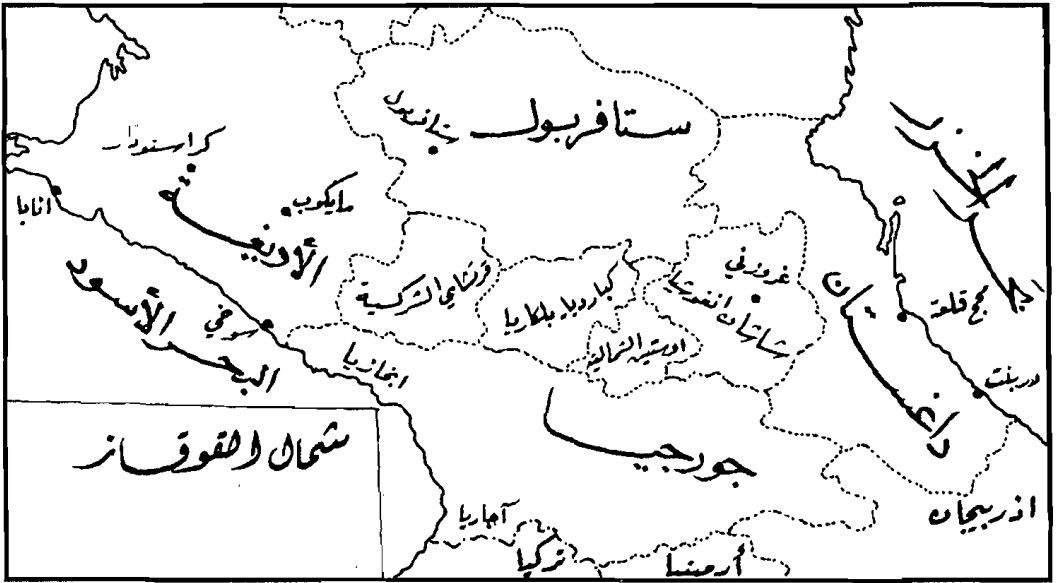


قبائل القوقاز

وبرغم ذلك كان الفرس كثيراً ما يقوى أمرهم فيضمون أجزاء واسعة من القوقاز، باعتبارها من أملاكهم وأن العثمانيين قد اقتطعوها منهم، وفي نفس الوقت بدأ الروس يركزون توجهاتهم نحو القوقاز حيث أنهم إذا ضموها صارت مانعاً حصيناً لهم أمام العثمانيين والفرس، ومن جهة أخرى يصلون للكرج والأرمن أبناء عقيدتهم والذين يعتبرون أنفسهم من رعايا الروس، ووصل الروس إلى صحراء القوقاز وأصبحوا على أطراف بلاد القوقاز، وكان الفرس قد استعادوا أكثر أجزاء القوقاز من العثمانيين، ثم بدأ الضعف يدب في الفرس حيث ضعف أمر الصفويين وبدأ مير محمد الأفغانى فى السيطرة على الدولة الصفوية، فاستغل الروس الفرصة واحتلوا داغستان فانتفض العثمانيون وأسرعوا بضم أرمينيا والكرج، وهددوا بطرس الأكبر قيصر الروس بأن أى تقدم فى القوقاز سيعتبره العثمانيون إعلاناً للحرب عليهم، ثم اضطر طهماسب الثانى آخر من حكم من الصفويين أن يتنازل للروس عن داغستان وشروان التى استنجد أهلها بالعثمانيين، فتنازل طهماسب عن أرمينيا وشروان للعثمانيين وأجزاء أخرى من بلاد فارس ثم أخذ الصراع يحتدم بين العثمانيين والروس والفرس فى السيطرة على القوقاز.

الاستعمار الروسي:

وبدأ الضعف يدب فى أوصال العثمانيين والفرس، فقد اضطر العثمانيون فى عام ١١٥٢هـ فى معاهدة بلغراد أن يمنحوا بلاد القبرطاي استقلالها، وكانت روسيا قد اشترطت ذلك لتسهيل مهمتها فى السيطرة على القبرطاي والقوقاز بأكملها، وأخذ الروس فى التقدم فى بلاد القوقاز، وكان كل انتصار يحرزونه على العثمانيين أو الفرس يضمون فيه جزءاً جديداً من بلاد القوقاز.



الجمهوريات والمقاطعات الإسلامية بالقوقاز

مقاومة أهالي القوقاز:

بعد تقدم الروس في البلاد وتراجع العثمانيين والفرس لم يجد المسلمون في القوقاز سبيلاً للمقاومة إلا بالاعتماد على أنفسهم بعد الله - عز وجل -، وكونوا في عام ١٢٤١هـ حكومة في داغستان كان أكثر أعضائها من العلماء وتولى الشيخ شامل قيادة المقاومة للاستعمار الروسي في أنحاء القوقاز، وأرسل الشيخ محمد أمين إلى بلاد الشراكسة، وأخذ العلماء المسلمون يستحثون أهل البلاد لمقاومة المستعمر الصليبي، وأخذ المسلمون ينزلون النكبات بالروس، وخاصة وأن أهل هذه البلاد أولو بأس شديد نظراً للطبيعة الجبلية القاسية للبلاد، وأخذوا يلقنون الروس دروساً في الحرب والقتال خاصة وأن روسيا كانت منشغلة بحروب القرم في ذلك الوقت، وما إن انتهت من القرم حتى حشدت ما يربو على ٣٠٠,٠٠٠ جندي لتوطيد قبضتها على القوقاز، واستطاع الروس أن يأسروا الشيخ شامل عام ١٢٨١هـ وسيطروا على البلاد وأخذوا ينكلون بهم

ويرتكبون معهم أبشع الجرائم، خاصة وقد امتثلوا حقداً ونقمة على أهل البلاد الذين ألحقوا بهم هزائم منكرة من قبل، بالإضافة إلى الحقد الصليبي الدائم على المسلمين، وأخذت الكثير من الأسر الشركسية والشيشانية والداغستانية وغيرها تهاجر إلى الأمصار الإسلامية لشدة وطأة المستعمرين الروس عليهم، واستقبل العثمانيون بعضهم ووضعوهم على جبهات القتال الأوروبية حيث أبدوا شجاعة فائقة وبأساً شديداً في الحرب مع أعداء الإسلام.

وعندما عقد مؤتمر برلين عام ١٢٩٥هـ أجبرت أوروبا العثمانيين على نقل الجنود والأهالي ذوى الأصول القوقازية من الجبهات والحدود، نظراً لما سببه من متاعب للصليبيين ولقاومتهم الشديدة لهم فأسكنت الدولة العثمانية الكثير منهم فى جهات الشام والعراق ومن بقى فى القوقاز تحت الاستعمار الروسى ذاق الولايات من الروس.

وأخل الروس بوعودهم للمسلمين بعد سيطرة الشيوعية على روسيا عام ١٣٣٦هـ وأخذوا يقسمون بلادهم إلى كيانات صغيرة، حتى يفرقوا شمل الشعوب القوقازية، وعندما قامت الحرب العالمية الثانية فضلت أكثر الشعوب القوقازية الاستعمار الألمانى على الاحتلال الروسى الغاشم، وتعاون بعضها مع الألمان وما إن انهزمت ألمانيا فى الحرب واستتب الأمر للروس حتى اتهمت روسيا أكثر شعوب القوقاز بالخيانة، ونفت الكثير منهم إلى سيبيريا وقازاقستان مثل شعوب الشيشان وغيرها، وكذلك فعلت مع التتر؛ فقد صب الطاغية ستالين جام غضبه وحقده على المسلمين، وقتل الكثير من المسلمين فى عهده وهلك الكثير فى مجاهل سيبيريا حتى بلغ عدد الموتى المسلمين فى عهده ما يزيد عن ١١ مليون مسلم من كافة أنحاء الاتحاد السوفيتي، ورجع بعض هذه الشعوب إلى مواطنهم الأصلية وهاجر البعض إلى تركيا، والأمصار الإسلامية وتدفق

المستوطنون الروس على هذه الجهات لتغيير التركيبة السكانية فيها كما جعلوا معظمها يتبع جمهورية روسيا الاتحادية وجمهورية أوكرانيا الاتحادية، وفيما يلي أهم جمهوريات ومقاطعات القوقاز ذات الحكم الذاتي فى روسيا الاتحادية..

داغستان:

وتعنى بلاد الجبل، وهى جمهورية ذات حكم ذاتى تابعة لروسيا الاتحادية حتى الآن وعاصمتها محج قلعة وبها مدينة دربنت (باب الأبواب).

أوستينيا الشمالية:

وهى جمهورية ذات استقلال ذاتى، وعاصمتها مدينة أودجو نيكيرزى وقد قسم الروس أوستينيا إلى شمالية تتبع روسيا الاتحادية، وجنوبية تتبع جمهورية جورجيا الاتحادية، وذلك لأن الإسلام انتشر فى أوستينيا الشمالية فخاف الروس من أن ينتشر فى باقى بلاد الأوستين، ففصلت أوستينيا الجنوبية وألحقتها بجورجيا ذات الأغلبية النصرانية.

قبارديا بلكاريا:

وهى جمهورية ذات استقلال ذاتى تتبع روسيا الاتحادية، وتتكون من عنصرين هما القبرطاي ذوى الأصول الشركسية والبلكار ذوى الأصول التركية، وكان ستالين قد اتهم البلكار بالخيانة فى الحرب العالمية الثانية والتواطؤ مع الألمان، ونفاهم إلى سيبيريا ثم ثبتت براءتهم وعاد الكثير إلى وطنهم.

قراتشاي الشركسية:

وهى مقاطعة ذات استقلال ذاتى تتبع جمهورية روسيا الاتحادية، وتتألف من عنصرين هما القراتشاي وهم من أصول تركية، والشركس، وكان القراتشاي من الذين اتهمهم ستالين بالخيانة والتحالف مع الألمان، ونفوا إلى مجاهل سيبيريا ثم عادوا إلى وطنهم بعدما تبينت براءتهم.

الأديغة:

وهي مقاطعة ذات استقلال ذاتى تابعة لروسيا الاتحادية وسكانها ذوو أصول شركسية.

الشيشان - انغوشيا:

كانت جمهورية ذات استقلال ذاتى فى روسيا الاتحادية، وتتكون من عنصرين هما الشيشان والأنغوش وقد دخلا فى الإسلام فى العهد العثماني، وكان الشيشان من أبسل المقاومين للاستعمار الروسى، وكان لهم دور كبير فى القتال مع الشيخ شامل، وقد استغرقت روسيا عشرات السنين فى احتلال بلادهم، كان الشيشانيون من المتهمين بالخيانة ومساعدة الألمان فى الحرب العالمية الثانية، ونفوا إلى سيبيريا ثم عادوا بعد موت ستالين، وكما رأينا تولد وترسخ فى كل شعوب القوقاز والتتر الكره الشديد للروس حتى الآن مما عانوه منهم على مر تاريخهم، وكان الشيشان من أشد هذه الشعوب كراهية وبغضاً للروس فاستغلوا فرصة انحلال الاتحاد السوفيتى عام ١٤١١هـ وأعلن الشيشان انفصالهم عن روسيا بينما ظل الأنغوش تابعين للروس خوفاً من بطشهم، وكذلك باقى الجمهوريات والمقاطعات ذات الاستقلال الذاتى التابعة لروسيا الاتحادية من قوقاز وتتار.

ولم يعترف الروس باستقلال الشيشان واعتمدوا فى البداية على مساعدة المعارضة فى الشيشان، وأمدوها بالسلاح حتى تنتشر الفتنة فى البلاد وتجند روسيا الطريق ممهداً لها للسيطرة على البلاد، ولكن خاب ظنها فقد حطم الشيشانيون بقيادة جوهر دودايف المعارضة، فامتلاً رئيس روسيا بوريس يلتسين بالحقد الشديد والغیظ، وخاصة وأن استقلال الشيشان عن روسيا سيشجع بقية شعوب القوقاز والتتار على الاستقلال عن روسيا، فداهمت الجيوش الروسية الشيشان عام ١٤١٤هـ وحاولت دخول غروزنى العاصمة فمئيت القوات الروسية بهزيمة منكرة وتناثرت أشلاء جثث الجنود الروس فى شوارع غروزنى.

بعد الهجوم الفاشل علت أصوات المعارضة ليلتسين واستبداده فى روسيا والهجوم الفاشل على الشيشان الذى دفع الجيش الروسى ثمنه باهظاً، ولكن يلتسين أصر على موقفه وعناده وعاود الهجوم على غروزنى وفى هذه المرة اتبع الجيش الروسى سياسة المدينة المحترقة بتدمير كل المباني والمنشآت فى غروزنى، حتى لا يترك مكاناً تحتمى به المقاومة، واحترقت معامل النفط فى غروزنى واستطاع الروس السيطرة عليها بعد أن تحولت إلى حطام ومات الكثير من سكانها الذين لم يبال الروس بموتهم، فهم من جهة يقتلون المسلمين ومن جهة أخرى يتقدمون فى بلادهم.

وأخذت المقاومة الشيشانية تشتد وهدد الرئيس الشيشانى جوهر دودايف بنقل الحرب إلى داخل روسيا والقيام بالعمليات الاستشهادية فيها وقال: أن الشعب الشيشانى لو خير بين الموت والبقاء تحت الاحتلال الروسى لفضل الموت على أن يستعبده الروس.

ولكن الروس لم يعطوا لتحذيراته أى اهتمام وبرز قائد العمليات الفدائية شامل باسايف، الذى قتل الروس فى غزوهم للشيشان كل عائلته، وتمكن من السيطرة على إحدى المستشفيات فى داغستان للضغط على الروس فى إيقاف الغزو الغاشم على الشيشان، ولكن الروس لم يبالوا بالمرضى فى المستشفى وحاولوا اقتحامها لكنهم فشلوا فشلاً ذريعاً فى اقتحامها، وواصل المجاهدون الشيشان عملياتهم ضد الروس حتى أنهكوهم مما دعا أحد القادة العسكريين الروس للتصريح بأن الحرب فى أفغانستان تعتبر نزهة مقارنة بما يلاقه الروس فى الشيشان.

وفى إحدى الهجمات الجوية على المقاومة الشيشانية استشهد القائد جوهر دودايف وحزن الشعب الشيشانى لذلك أشد الحزن، بل والكثير من المسلمين المتابعين لأخبار إخوانهم من جميع أنحاء العالم، وظن الروس أنهم بذلك قد تمكن لهم

الأمر، وأن الشعب الشيشاني سيرفع الراية البيضاء بعد موت قائدهم، ولكنهم أخطئوا في ذلك أيضاً فما زاد خبر استشهاد دودايف المجاهدين إلا عزيمة وإصراراً على التخلص من الاحتلال الروسي، وأخذوا يطورون هجماتهم على الروس وأخذت جثث الجنود الروس تتدفق على روسيا، وأخذ وزير الدفاع الشيشاني أصلان مسخادوف يطر القوات الروسية بهجمات المجاهدين والتي يقود أكثرها القائد المحنك شامل باسايف، وألحق بالروس خسائر فادحة، ثم واصلت المقاومة الشيشانية هجماتها على القوات الروسية المرابطة في غروزني حتى استطاعت دخول المدينة والسيطرة عليها عام ١٤١٦هـ وقتل في الهجوم أكثر من ألف جندي روسي، وتيقنت روسيا تماماً بأن وجودها في الشيشان قد ألحق بها الفضائح والخزي من جميع أنحاء العالم وفي روسيا نفسها.

فاتفقت مع المجاهدين الشيشانيين أن تنسحب من الشيشان على أن ترجى عملية استقلال الشيشان إلى استفتاء يجرى عام ١٤٢٢هـ وقامت الحكومة في الشيشان من أبنائه وأجريت الانتخابات الرئاسية وفاز بها أصلان مسخادوف فحاولت روسيا إيجاد سبل جديدة لإلغاء فكرة الاستقلال الشيشانية فعادت واحتلت الشيشان ولكن الشعب الشيشاني واجه الغزاة بالحسم والإصرار على موقفه بالاستقلال التام عن روسيا، واغتالت روسيا أصلان مسخادوف، في ٨ مارس ٢٠٠٥، واختار المجاهدون سعيدو لايف خلفاً له، الذي تعهد بمواصلة الجهاد.

ما وراء القوقاز

يطلق ما وراء القوقاز على جمهوريات أذربيجان وجورجيا وأرمينيا وهي جمهوريات اتحادية كانت تكون مع اثنتي عشرة جمهورية أخرى ما كان يسمى

الاتحاد السوفيتى ثم بانحلال الاتحاد السوفيتى عام ١٤١١هـ استقلت هذه الجمهوريات الثلاث.

١- جورجيا: وكان يطلق عليها بلاد الكرج، وعاصمتها مدينة تفليس وتتضمن هذه الجمهورية جمهورية أبخازيا ذات الاستقلال الذاتى وعاصمتها مدينة ساخومى، ويدين معظم أهلها بالإسلام، وجمهورية آجاريا وعاصمتها مدينة باطومى وأغلبها من المسلمين، ومقاطعة أوستينيا الجنوبية وأغلبها من النصارى، وقد فصلتها روسيا عن أوستينيا الشمالية خوفاً من انتشار الإسلام فيها بعدما انتشر فى أوستينيا الشمالية.

ويشكل المسلمون فى جمهورية جورجيا حوالى ٢٠% من السكان، وقد كانوا أكثر من ذلك قبل أن تصل أقدام الروس للمنطقة فهاجر عدد كبير منهم إلى الأمصار الإسلامية وخاصة من الأبخاز و الآجار بالإضافة إلى من أيدوا ومن نفوا إلى الاتحاد السوفيتى السابق ومجاهل سييريا.

وعندما استقلت جورجيا عام ١٤١١هـ تولى رئاستها إدوار شيفرنادزه وزير خارجية الاتحاد السوفيتى سابقاً، وبرزت أمامه عدة مشكلات فى المناطق ذات الحكم الذاتى، وظهرت النزعات الانفصالية فيها ولكن صب كل اهتمامه على المسلمين فى أبخازيا، فعندما جاءه وفد من أبخازيا لتحديد العلاقة بين جورجيا وأبخازيا بعد انحلال الاتحاد السوفيتى بادر شيفرنادزه بإرسال الجيش الجورجى إلى أبخازيا واحتل عاصمتها ساخومى، وألغى الحكم الذاتى فيها فعم الغضب فى أرجاء أبخازيا وانطلق المجاهدون الأبخاز يقاومون الوجود الجورجى النصرانى فى البلاد وأخذ المسلمون يلحقون بهم الهزائم المتوالية حتى تمكنوا من طردهم من أبخازيا عام ١٤١٣هـ وكانت روسيا ترى كل هذا وتقف موقف المتفرج حيث تريد روسيا أن تركع جورجيا وتطلب منها العون وتزيد من نفوذها فيها وقد عقدت مفاوضات بين الأبخاز والجورجيين وحتى الآن لم يتوصلوا إلى شيء.

٢- أذربيجان:

وعاصمتها باكو وهي غنية بآبار البترول، وغالبية السكان من الشيعة حيث تبلغ نسبتهم ٧٠% من المسلمين بينما السنة ٣٠% وتتبع لأذربيجان جمهورية ناختشيفيان ذات الحكم الذاتي والتي تقع بين أرمينيا وتركيا، وكذلك مقاطعة ناغورنو قره باخ واستقلت أذربيجان عام ١٤١١هـ.

٣- أرمينيا:

وعاصمتها بريغان وأغلبية سكانها من النصارى ونسبة المسلمين فيها ١٢% واستقلت عام ١٤١١هـ.

الصراع الأذربيجاني الأرميني:

نشأ الصراع بين الأذربيجانيين والأرمن بسبب إقليم ناغورنو قره باخ التابع لأذربيجان والذي تقطنه أغلبية أرمينية وتطالب أرمينيا بضمه إلى أراضيها وقد وقعت مصادمات بين الطرفين في أواخر العهد السوفيتي، وقد ظهر تحيز الروس للأرمن، وعندما استقلت الجمهوريتان اندلع القتال بينهما، وامتد ليشمل طول الحدود بينهما، وأعان الروس الأرمن، وخاصة وأن أذربيجان قد رفضت الانضمام إلى الكومنولث الروسى لانحيازه الدائم للأرمن واستطاع الأرمن أن يحرزوا انتصارات كبيرة على الأذربيجانيين وخاصة وأن روسيا تمدهم بأحدث الأسلحة والوسائل الحربية ووقعت معهم اتفاقية للدفاع المشترك، واحتل الأرمن إقليم ناختشيفيان وسيطروا على أكثر من ١٠% من مساحة أذربيجان التي وقع الخلاف بين قادتها، واضطرت للانضمام لدول الكومنولث الروسى كى تتقى شر الروس، وعمد الأرمن إلى سياسة التطهير العرقى وطردها المسلمين من الأراضي التي احتلوها في أذربيجان، والعالم يراقب ذلك ويسكت على ما تفعله أرمينيا في أذربيجان، وطالبت الأمم المتحدة أرمينيا بسحب قواتها

من أذربيجان ولكنها لم تصغ إليها، وتوسطت روسيا لإنهاء النزاع الأذربيجانى الأرمينى وذلك لتزيد من نفوذها فى البلدين وتستفيد من موارد أذربيجان فى النفط وبرغم وقف إطلاق النار بين البلدين إلا أن الوضع ما زال متجمداً بين البلدين ولم تنسحب أرمينيا من الأراضى التى احتلتها فى أذربيجان وكل الدلائل تشير إلى حرب مرتقبة بين البلدين.

* * *

الباب السابع

جنوب شرق آسيا

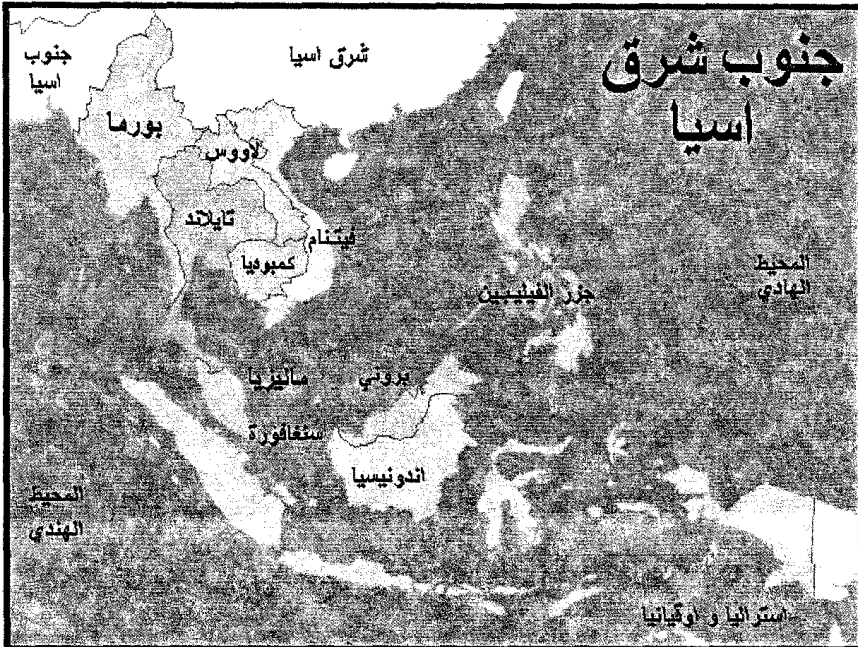
(إن الدين لله وإن الإله الذي أعبدته هو إله جميع البشر
على اختلاف ألوانهم)

لابو لابو

أحد ملوك جزر الفلبين

جنوب شرقى آسيا

وصل الإسلام إلى جهات جنوب شرقى آسيا عن طريق الدعوة والتجارة ولم يدخل الفاتحون هذه البلاد، ولكن انتشر الإسلام عن طريق الدعوة فيها حتى عم كل جزرها، وجاء البرتغال والإسبان ومن بعدهم الهولنديون والإنكليز والأمريكان ممثلين بالحقد الصليبي على المسلمين بعد القضاء عليهم فى الأندلس ففوجئوا بالإسلام يسود هذه المنطقة، فأخذوا يصبون على المسلمين جام حقدهم وكرههم وارتكبوا أبشع الجرائم والمجازر فى المسلمين، وبقيت بعض الديانات الوثنية إلى جانب الإسلام كما حدث فى الهند والصين؛ وذلك لحداثة عهد الحكام هناك بالإسلام، ولكن برغم ذلك عندما ظهر الحقد الصليبي على الإسلام تأججت قلوب مسلمى هذه المناطق وأخذوا يقاتلون العدو الغاشم الذى نذر نفسه لإبادة المسلمين، وضربوا أروع الأمثلة فى الفداء والجهاد فى سبيل الله كما سنعلم بإذن الله فى هذا الباب والذى يتضمن مناطق إندونيسيا وماليزيا والهند الصينية والفلبين.



جزر الهند الشرقية

ماليزيا

كان للتجارة الدور الرئيسى فى وصول الإسلام إلى ماليزيا فى القرن السابع الهجرى، وكانت مالاقا من أكثر المناطق التى لعبت دوراً فى نشر الإسلام فى جزر الهند الشرقية (إندونيسيا، ماليزيا، الفلبين، وغيرها) فقد اعتنق ملكها الإسلام فى القرن السابع الهجرى، وأصبحت أول دولة إسلامية فى هذه المنطقة تعمل على نشر الإسلام، بل وغدت المركز الرئيسى لنشر الإسلام فى جزر الهند الشرقية وخضعت فى فترة من الفترات لمملكة تايلاند وكانت تدفع لها إتاوة فى مقابل استقلالها الذاتى، ثم ما لبث أن جاءها أمير صينى مسلم يدعى تشنغ فى عام ٨٠٨هـ وأبدى استعدادة لحمايتها ضد أى تدخل تايلاندى، فأعلن حاكمها استقلاله عن تايلاند وأعد جيوشه لفتح ونشر الإسلام فى المناطق المجاورة له وتوارد على حكم مالاقا سبعة حكام من أشهرهم (منصور باشا) وقد تلقب بلقب باشا تكريماً للأتراك، ولم يلقب بسُلطان احتراماً للعثمانيين، واعتبارهم ممثلى الخلافة واستطاع أن يفتح شبه جزيرة الملايو بأكملها حتى حدود بورما، وامتد ملكه إلى أجزاء كبيرة من سومطرة واعتنق فى عهده معظم الشعب الملاوى الإسلام ووصل إلى دولة بروني.

الاستعمار:

البرتغاليون:

حاول البرتغاليون احتلال مالاقا عام ٩١٥هـ، ولكنهم فشلوا فأعادوا الكرة وقبل الهجوم قال لهم قائدهم البوكرك (الأمر الأول هو الخدمة الكبرى التى سنقدمها للرب عندما نطرد المسلمين من هذه البلاد، ونحمد نار هذه الطائفة المحمدية كى لا تعود للظهور بعد ذلك أبداً، وأنا شديد الحماسة لمثل هذه

النتيجة، فإذا استطعنا الوصول إليها فسيترك المسلمون الهند كلها لنا، إن غالبية المسلمين وربما كلهم يعيشون على تجارة هذه البلاد، ولقد اغتنوا، وأصبحوا أصحاب ثروات ضخمة، ومالاقا هي مركزهم الرئيسي، فمنها ينقلون كل عام التوابل والأدوية إلى بلادهم دون أن نستطيع منعهم، فإذا تمكنا من حرمانهم من هذه السوق القديمة لا يبقى لهم ميناء واحد أو محطة واحدة مناسبة في كل هذه المنطقة ليستمروا في تجارتهم، وأؤكد لكم أنه إذا استطعنا تخليص مالاقا من أيديهم فستنهار القاهرة، وبعدها تنهار مكة نهائيًا، وعلى البندقية (فينيسيا) بعد ذلك أن ترسل تجارها إلى البرتغال، إذا أرادت شراء التوابل).

واستطاع البرتغاليون احتلال مالاقا عام ٩١٧هـ فعمت الفرحة في أوروبا ودعا البابا إلى إقامة قداس شكر في أوروبا، وأخذ البرتغاليون ينقلون بالمسلمين ويقتلون الآلاف، وكذلك أخذت الثورات تعم الملايو على البرتغاليين بل ازداد انتشار الإسلام كرد فعل للمعاملة السيئة للسكان، وأخذ السكان يقاومون الاستعمار الصليبي الغاشم وانتقل المركز الرئيسي للدعوة من مالاقا إلى آتشية في جزيرة سومطرة.

الهولنديون:

عندما احتل الإسبان البرتغال عام ٩٨٩هـ أخذت هولندا تستولى على الكثير من مستعمرات البرتغال، وكان فيها الملايو وجاوة وسومطرة وغيرهم واستطاعت أن تطرد البرتغاليين من مالاقا عام ١٠٥٢هـ وكانت قد أنشأت شركة الهند الشرقية الهولندية عام ١٠١١هـ بنفس أسلوب إنكلترا في الهند واتبعت نفس أسلوب البرتغال في قهر وإبادة المسلمين.

الإنكليز:

بدأ الضعف يدب في امبراطورية هولندا وخاصة في حروبها مع فرنسا

فاستغلت إنكلترا الفرصة وأخذت تمد نفوذها إلى جزر الهند الشرقية ووصلت إلى المنطقة عام ١٠٢٣هـ وضمت مالاقا عام ١٢٠٧هـ، ولكنها أعادتها إلى هولندا عام ١٢٣٣هـ ثم ما لبث أن عقدت معاهدة مع هولندا عام ١٢٣٩هـ اعترفت فيها هولندا بسيادة إنكلترا على مالاقا وشبه جزيرة الملايو، وأخذت تمد نفوذها أكثر فأجبرت سلاطين الإمارات في الملايو وصباح وبروناي وسارواك وغيرها على وجود مندوب بريطاني يدير البلاد دون أن يتدخل في الأمور الدينية أو العادات...

وأصبحت هذه المناطق تحت الحماية البريطانية واتباع الإنكليز أسلوباً يهدف إلى تغيير التركيبة السكانية في البلاد، فدعت الهنود والصينيين للهجرة إلى الملايو والإمارات الأخرى، بشرط أن يكونوا من غير المسلمين وطورت اقتصاديات البلاد ليزيد تدفق المهاجرين البوذيين الهنالك والصينيين على البلاد، وكان لذلك أثره الكبير في خفض نسبة المسلمين الكاسحة حتى وصلت إلى ٥٢% فقط وأخذت تزيد من الإرساليات التنصيرية في البلاد وتقرب غير المسلمين وتعطيهم المناصب العالية في البلاد.

اليابان:

ثم جاءت اليابان في الحرب العالمية الثانية، واحتلت جنوب شرقي آسيا وفيها الأجزاء المكونة لماليزيا، ثم عاد الاحتلال البريطاني للبلاد بعد هزيمة اليابان وانسحابها، ثم أخذت بريطانيا تعرض عدة اقتراحات لشكل اتحاد الملايو حتى أعطت الاستقلال عام ١٣٧٧هـ وأصبحت مملكة يحكمها الملك اليانودي بارتوان في ظل دول الكومنولث البريطاني، واحتفظت إنكلترا ببعض الأجزاء لها في جزيرة بورناي واستطاعت ولايات سارواك وسنغافورة وشمالي بورناي

أن تستقل عن بريطانيا، وتنضم إلى اتحاد ماليزيا فى الفترة من (١٣٨٢ - ١٣٨٣هـ) ثم انسحبت سنغافورة من الاتحاد الماليزى واستقلت عام ١٣٨٥هـ - حيث أدت السياسة البريطانية فيها إلى انخفاض نسبة المسلمين إلى ١٦٪ واحتفظت بريطانيا ببروناي التى استقلت عنها عام ١٤٠٤هـ ونشأت سلطنة مستقلة تمامًا و سلطانها المسلم هو أغنى أغنياء العالم وكان سوكارنو رئيس إندونيسيا يعارض دمج شمالى جزيرة بورنای فى ماليزيا لاعتبارها جزءاً من إندونيسيا، وكذلك كان للفليين أطماع فى شمالى بورنای ولكن سرعان ما تغيرت آراء رؤساء الأنظمة فى كل من الفليين وإندونيسيا، واعترفوا بالاتحاد الماليزى وتكون اتحاد دول جنوب شرقى آسيا عام ١٣٨٧هـ ويتكون من إندونيسيا وماليزيا وسنغافورة والفليين وتايلاند.

وكان تانكو عبد الرحمن أول رئيس وزراء لاتحاد ماليزيا ثم حدثت اضطرابات فى البلاد فى عام ١٣٨٩هـ واستقال فيها من منصبه ثم جاء بعده تون عبد الرزاق ثم تولى مكانه حسين بن عون جعفر ثم تولى سرى محادير محمد عام ١٤٠١هـ.

سياسة ماليزيا تجاه مشكلة فطاني؛

كان المجاهدون الفطانيون قد بدءوا نشاطهم العسكرى عام ١٣٨٩هـ وكان إخوانهم فى ماليزيا يعينونهم، وكان الفطانيون فى بعض الأحيان يلجأون إلى ولاية كيلانتون فى ماليزيا حيث أكثر أهلها يؤيدون الحزب الإسلامى بينما كان رئيس الوزراء الماليزى تانكو عبد الرحمن يرفض إعانة الفطانيين؛ لأن أمه تايلاندية، ثم جاء من بعده تون عبد الرزاق الذى فاجأ المسلمين بتصريحه أنه سيقمع أى حركة يقوم بها المجاهدون فى تايلاند، وبدأت الحكومة الماليزية والتايلاندية فى التعاون بينهما، حيث سببت المعارضة الشيوعية المشاكل لماليزيا وسبب المجاهدون فى فطانى المتاعب لتايلاند، فأخذت تايلاند توقف مساعداتها للشيوعيين وكذلك ماليزيا بالنسبة للمجاهدين؛ ولذلك قل أثر المعارضة

والمجاهدين على حد سواء وطرده الحزب الإسلامى من الجبهة الوطنية الماليزية عام ١٣٩٧هـ بسبب تأييده للمجاهدين فى فطانى وتفاهمت الحكومة الماليزية مع الشيوعيين بينما عمل التايلانديون على قمع المجاهدين فى تايلاند.

ويوجد صراع فى ماليزيا بين الملايويين الذين يشكلون ٥٦% من السكان والمواطنين من أصل صينى، والذين يشكلون ٣٢% من مجموع السكان، وكذلك الهنود الذين يشكلون ١٠%.

إندونيسيا

وصل الإسلام إلى إندونيسيا عن طريق الدعوة والتجارة، وأخذ ينتشر انتشاراً كبيراً فى جميع أنحاءها وظهرت الكثير من الإمارات الإسلامية فيها وكلمة إندونيسيا تعنى جزر الهند، حيث أطلق المستعمرون عليها وعلى ما جاورها من جزر أخرى جزر الهند الشرقية.

الاستعمار الصليبي:

عندما احتل البرتغاليون مالاقا عام ٩١٧هـ اتخذوها قاعدة لاحتلال الجزر الإندونيسية، وتمكنوا من بسط نفوذهم على أجزاء كثيرة منها، وكان للأسبان نفوذ فيها حيث وصلوا إلى جزيرة بورناى وجزر المولوك.

وكرد فعل طبيعى اندلعت الثورات فى الأجزاء التى احتلها الصليبيون وقامت بينهم وبين المسلمين حروب طاحنة.

الاستعمار الهولندي:

عندما ضعف أمر البرتغاليين والأسبان وبدأت تظهر قوة الإنكليز والهولنديين، انتهز الهولنديون الفرصة للسيطرة على أكبر قدر ممكن من المستعمرات الإسبانية والبرتغالية حيث كان الأسبان يحتلون هولندا، فانطلقت

هولندا لأخذ نصيبها من التركة الأسبانية، ومن بين ما اختارته من التركة جزر الهند الشرقية، وأوهمت السكان المسلمين أنها جاءت لطرد البرتغاليين الذين أكثروا من الظلم والبطش بالسكان، وأخذ الهولنديون يزيحون البرتغاليين عن مواقعهم في جزر الهند الشرقية، ويعقدون الأحلاف مع المسلمين الذي خدعوا في الهولنديين، واتبعت هولندا أساليب أخرى لبسط نفوذها على الجزر بإنشاء شركة تجارية في الجزر أطلقت عليها شركة الهند الشرقية الهولندية عام ١٠١١هـ، ثم بدأت في الحروب المباشرة مع الممالك الإسلامية في الجزر، وأخذت تتوغل في البلاد وتسيطر على المملكة تلو الأخرى، وساعدها في ذلك تفرق المسلمين وكثرة ممالكهم مما زاد في ضعفهم.

ثم ضعف أمر هولندا بسبب حربها مع الفرنسيين الذين استطاعوا أن يحتلوا بلادهم عام ١٢١٠هـ فأسرعت إنكلترا واحتلت مخازن الشركة الهولندية في الجزر الإندونيسية، وعندما ضعفت فرنسا واستطاعت هولندا أن تستقل عنها، نشبت بينها وبين الإنكليز الحروب، ثم اتفقتا على أن تعود هولندا أكثر أملاكها في جزر الهند الشرقية في مقابل أن تتنازل للإنكليز عن سيلان (سريلانكا) والكامب في جنوب أفريقيا وجزر الهند الغربية في قارة أمريكا.

وبدأت السلطات الهولندية تحل محل الشركة الهولندية السابقة وتجددت الحروب مرة أخرى مع الممالك الإسلامية في إندونيسيا وعملت على خداع السلاطين المسلمين بإبقائهم في مراكزهم وفي نفس الوقت تكون لها السيطرة الفعلية على البلاد.

وبعد الحرب العالمية الأولى أخذت هولندا في تشديد قبضتها على البلاد، وزادت من الضغط على المسلمين، فأخذ المسلمون يجمعون صفوفهم ويؤسسون الهيئات والجمعيات والحركات الإسلامية والأحزاب المناهضة للاستعمار الهولندي.

أصبحت الحركات الإسلامية خطراً كبيراً يهدد الاستعمار الهولندي فأخذت السلطات الهولندية فى اتباع أساليب جديدة لمناهضة المسلمين، وتحويل جهودهم إلى مجالات أخرى فشجعت التيار الشيوعى بما يحملة من أفكار إحادية ودعمت أصحابه حتى يتحول النزاع بينها وبين المسلمين إلى نزاع بينهم وبين الشيوعيين، وكذلك أخذت تشجع الفساد والفنون وما يطلق عليه أعداء الإسلام التحرر لشغل المسلمين بقضايا أخرى غير التخلص من الاستعمار، كما اتبعت أسلوب الإنكليز فى دعم الفرق الضالة فدعمت القاديانيين التى تعمل فرقتهم لصالح المستعمر.

الاحتلال الياباني:

ولم تلبث أن اندلعت الحرب العالمية الثانية واحتلت اليابان إندونيسيا عام ١٣٦١هـ فقاومهم المسلمون ووعد الحلفاء المسلمين بمنحهم الاستقلال إذا ما ساعدوهم فى الانتصار على اليابان، وبرغم تحقق ما يأمله الحلفاء وهزيمة اليابان فى الحرب العالمية الثانية واستقلالها، إلا أن الاستعمار وقف للمسلمين بالمرصاد فى منحهم الاستقلال، فبرغم إعلان الاندونيسيين قيام حكومة لهم عام ١٣٦٤هـ برئاسة أحمد سوكارنو إلا أن الحلفاء أصدروا أوامره للجيش اليابانية بحفظ مواقعها حتى تتسلم مكانها قوات الحلفاء.

الاستقلال عن هولندا:

وأخذ الجنود الهولنديون يدخلون إندونيسيا فى حماية قوات الحلفاء البريطانية فعقد المسلمون فى أنحاء إندونيسيا مؤتمراً فى جاكرتا عام ١٣٦٤هـ واتفقوا على التوحيد تحت ظل الإسلام فى مواجهة الصليبية، وكونوا مجلس شورى لمسلمى إندونيسيا الذى يعرف باسم ماشومى، وأخذوا يقاومون الهولنديين وقوات الحلفاء، ثم عقدت اجتماعات مع ممثلى الهولنديين، كانت هولندا تعترف فى كل مرة بسلطة الحكومة القائمة على عدة مناطق فى

إندونيسيا، ولكنها ما تلبث أن تنقض عهدها وتسفك دماء المسلمين، فاشتدت المقاومة الإسلامية للهولنديين حتى اضطروا فى النهاية إلى الاعتراف باستقلال إندونيسيا عام ١٣٦٩هـ.

غينيا الجديدة:

كان الألمان يسيطرون على الجزء الشرقى من جزيرة ايريان، والذى عرف بابوا ولما هزمت ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية ضم لأستراليا، ثم استقل وكون دولة غينيا الجديدة، وكان الهولنديون يسيطرون على الجزء الغربى من جزيرة ايريان ويعرف بايريان الغربية، فلما استقلت إندونيسيا عن هولندا عام ١٣٦٩هـ لم يتفقا بشأن هذا الجزء، فاحتفظت هولندا بسيطرتها عليه حتى استقل عن هولندا وضمته إندونيسيا عام ١٣٨٢هـ، وقد حدث تمرد فيه عام ١٣٩٧هـ يطالب بالاستقلال عن إندونيسيا والانضمام إلى الجزء الشرقى، ولكن التمرد فشل ورسمت الحدود بين إندونيسيا وغينيا الجديدة.

تيمور الشرقية:

احتفظت البرتغال فى إندونيسيا بالجزء الشرقى من جزيرة تيمور ومنطقة أوكسى اينو فى الجزء الشمالى الغربى من تيمور، ثم استقل هذا الجزء عام ١٣٩٥هـ، فضمته إندونيسيا إليها، ولكن البرتغال دعمت المعارضة فى الجزيرة الرامية لاستقلال تيمور الشرقية، وخاصة أن أكثر أهلها من النصارى الكاثوليك واستمرت مقاومة الإندونيسيين حتى عام ١٣٩٧هـ، ورفضت الكثير من دول العالم ضم إندونيسيا لتيمور الشرقية، وكذلك الأمم المتحدة واستطاعت تيمور الشرقية أن تحصل على استقلالها مؤخرا بدعم من أوربا وأمريكا وأستراليا.

الأوضاع الداخلية:

عندما استقلت البلاد تسلم أحمد سوكارنو رئاسة البلاد واستبد بها وضيق

الحناق على الحركات الإسلامية، وكان ميالاً للشيوعية وقد ظهرت فى البلاد ثورتان للشيوعية الأولى قبل استقلال إندونيسيا، وكانت عام ١٣٦٧هـ وارتكبت جرائم تقشعر لها الأبدان لإرهاب الناس وإجبارهم على التسليم بها ولكن الله بدد آمالهم وقمعها المسلمون، لما تتصف به الشيوعية من إلحاد وكفر وأعدم قادتها ليكونوا عبرة لمن يعتبر، ثم قامت الثورة الشيوعية الثانية عام ١٣٨٥هـ والتي كان يدعمها الرئيس نفسه، ولكن وزير الدفاع استطاع أن ينجو ويقود القوات المسلحة لردع الثورة وقضى عليها.

واضطر سوكارنو أن يتنحى عن الحكم، ويتسلم بعده سوهارتو رئاسة إندونيسيا وللأسف الشديد فتح الأبواب على مصراعيها للإرساليات النصرانية وأعطهاها صلاحيات لم يعطها للدعاة المسلمين أضف إلى ذلك الإمكانيات المادية التى تتمتع بها الإرساليات النصرانية ودعم اتحاد الكنائس العالمى له والدول الغربية، فى حين أن الدعاة المسلمين إمكانياتهم المادية قليلة، ويرجع موقف سوكارنو وسوهارتو من الإسلام إلى أنهما من جماعة ابنجان الضالة التى تحاول الجمع بين الإسلام والهندوسية، ونجحت الإرساليات التنصيرية فى تحقيق بعض النجاحات بالذات فى الأجزاء التى يقطنها وثنون.

الفلبين:

وصل التجار والدعاة المسلمون إلى الفلبين فى القرن الثالث الهجرى، وفتح الله قلوب سكان هذه الجزر للإسلام، ودخلوا فى دين الله أفواجاً وكان انتشار الإسلام فى الجزر الجنوبية على نطاق أوسع من الجزر الشمالية، ومن أشهر الدعاة المسلمين فى الفلبين شريف كابو بخسوان الذى نشر الإسلام فى جزيرة مينداناو وأرخبيل صولو، وكذلك كريم المخدوم وهو من أصل عربى، فقد نشر الإسلام فى ملاقا (الملايو) ثم أبحر إلى أرخبيل صولو جنوبى الفلبين ونشر

فيها الإسلام، وجاء من بعده أبو بكر وهو عربى أيضاً قطع شوطاً كبيراً فى الدعوة للإسلام فى أرخبيل صولو، وتزوج من ابنة سلطان صولو وورث العرش من بعده ونظم الحياة فيها على أسس إسلامية.

كانت جزر الفليبين فى ذلك الوقت مفككة وتنقسم إلى عدة إمارات وممالك، ووصل المسلمون إلى أعلى المناصب فيها، وسادوا معظم ممالكها برغم أن بعضها كان أكثر أهلها وثنيين، ولكنهم كانوا ينظرون للمسلمين نظرة احترام وتقدير وجدارة بمناصب الحكم، لما يتميز به المسلمون من شخصية مهذبة منظمة نشيطة مثقفة، وغيرها من الصفات التى ترفعهم لأعلى المناصب، ومن أشهر الممالك فى الفليبين مملكة صولو ومانىلا وغيرهما والجدير بالذكر أن مانىلا العاصمة الحالية للفليبين تعنى أمان الله مما يدل على الأثر الإسلامى العربى فى الفليبين.

الغزو الإسبانى لجزر الفليبين:

وصل الإسبان إلى جزر الفليبين عام ٩٢٧هـ بقيادة ماجلان وبأسلوبهم المعتاد فى مستعمراتهم نزلوا البلاد وأعلنوا فرض الديانة المسيحية على أهل البلاد، وكان ذلك فى الجزر الشمالية حيث لم يتمكن من ذلك فى الجزر الجنوبية، واتفق ماجلان مع حاكم جزيرة سيبو على أن يتنصر فى مقابل دعمه للسيطرة على كافة جزر الفليبين باسم أسبانيا، ثم اتجه إلى إحدى الجزر التى يحكمها المسلمون، ولكن المسلمين ردوا لهم الصاع صاعين، وأجلوهم عن الجزر برغم التفوق الأسبانى فى الأسلحة فأراد ماجلان أن يتبع سبيلاً آخر لإخضاع هذه الجزر، فذهب إلى ملكها المسلم لابلولاو وقال له: (إنى باسم المسيح أطلب منك التسليم ونحن العرق الأبيض أصحاب الحضارة أولى منكم بحكم هذه البلاد) فرد عليه لابلولاو (إن الدين لله وإن الإله الذى أعبدته هو إله جميع البشر على اختلاف ألوانهم) ثم قتل ماجلان بيده، ودمر فرقته، ورفض تسليم جثته

للإسبان، فانسحب الإسبان من الفليبين عائدين إلى أسبانيا، بعد أن فقدوا معظم سفنهم ورجالهم فيها.

ثم توالى الحملات الصليبية الأسبانية على جزر الفليبين، فبعثت أسبانيا ٤ حملات كان على رأس أحدها روى لوبيز، وهو الذى أطلق عليها الفليبين نسبة إلى ملك أسبانيا فيليب الثاني، ولكن هذه الحملات الأربع قد رست على جزيرة مينداناو والتي يقطنها المسلمون فشردوا الأسبان الذين أظهروا حقدهم الصليبي الشديد على المسلمين، ثم كان الغزو الأسباني الجاد للفليبين عام ٩٧٣هـ وأعلنوا سياستهم الرامية لتنصير أهل البلاد، واستطاعوا أن يضموا الجزر الشمالية من الفليبين، بينما فشلوا فى احتلال الجزر الجنوبية مثل جزيرة مينداناو وأرخبيل صولو، التى يسيطر عليها المسلمون، وكان الأسبان يطلقون على المسلمين منذ أن عرفوهم فى الأندلس لفظ المورو أى السمر، نسبة إلى أن العرب والبربر يمثلون معرفتهم الأولى بالمسلمين.

وشدد الأسبان من قبضتهم على الأجزاء التى احتلوها، وأخذوا يجبرون السكان على التنصير ويبيدون المسلمين، وفى نفس الوقت أساءوا معاملة السكان وتعالوا عليهم، فكرههم السكان واندلعت الثورات فى البلاد ومن أهمها الثورات فى عام ١٢٩٠، ١٣١٤هـ، ثم اشترت الولايات المتحدة الفليبين من أسبانيا بعد أن أعطتها ٥ ملايين دولار وكان الأمريكان قد وعدوا الشعب بمساعدته ضد الأسبان ليتخلصوا من استعمارهم، ولكنهم أزاحوا الأسبان ليسطوا نفوذهم على البلاد وتمت معاهدة باريس التى اعترفت فيها أسبانيا بتبعية الفليبين للولايات المتحدة.

رفض الفليبينون هذه المعاهدة وقاموا بثورة أخدمتها الولايات المتحدة عام ١٣١٩هـ وواصلت الولايات المتحدة سياسة الاضطهاد مع المسلمين بعد أن تمكن لها فى الفليبين، وأهملت مناطقهم إهمالاً كبيراً أدى إلى انتشار الفقر والجهل والجوع بها.

حصلت الفليين على استقلال ذاتى عام ١٣٥٣هـ ثم احتلتها اليابان عام ١٣٥٨هـ أثناء الحرب العالمية الثانية، وناضل المسلمون مع الفليين ضد الاستعمار اليابانى، واستطاعوا طرد اليابانيين وحصلت الفليين على استقلالها التام عن الولايات المتحدة عام ١٣٦٥هـ، واستمر للولايات المتحدة بعض القواعد العسكرية بها، وهى التى أعانت النظام الحاكم على المسلمين بالإضافة لمد نفوذ الولايات المتحدة فى البلاد.

بدأ المسلمون ينهضون بأنفسهم وينشئون المدارس والهيئات لتعليم أبنائهم الإسلام ونشر الوعى الإسلامى فى الفليين، ومواجهة الجهل الذى أغرقهم فيه المستعمرون.

وجاء عهد رئيس الفليين ماركوس الذى عمل على إيادة المسلمين والإجهاز عليهم بإيعاز من اليهود والدول النصرانية، وعلى رأسها الولايات المتحدة، فنظم ماركوس عصابات لإرهاب المسلمين ونهب ممتلكاتهم وإخراجهم من أرضهم وكان من أهم هذه العصابات عصابة الأخطبوط وعصابة الفئران اللتين توغلتا فى أراضى المسلمين، وأقاموا الجرائم الوحشية فى المسلمين من قتل وتخريب وخطف وطردهم وذلك لكى يترك المسلمون أرضهم، ثم تأتى المرحلة الثانية من الخطة بإسكان نصارى الفليين فى أراضيهم، وتسجيلها بأسماء النصارى، وقد بدأت هذه العصابات نشاطها عام ١٣٩٠هـ وأعاتتها السلطات الفليينية واشتكى المسلمون للحكومة الفليينية فأصمت آذانها عن سماعهم، فلم يجدوا وسيلة لحمايتهم إلا بالجهاد فشكلوا جبهة تحرير مورو عام ١٣٩٢هـ — ليدافع بها المسلمون عن أنفسهم فى حرب الإبادة التى يشنها الفليينيون النصارى عليهم، واندلعت الحرب بين قوات الجيش الفليينى ومجاهدى الجبهة فى عام ١٣٩٢هـ، وبرغم تفوق الجيش الفليينى فى العدد والعدة التى أمدهم

بها اليهود والولايات المتحدة، إلا أن المجاهدين الذين لا يملكون إلا الإيمان والأسلحة البسيطة، استطاعوا أن يصمدوا في وجه أعداء الإسلام وألحقوا بهم هزائم منكرة واضطرت الحكومة الفلييبينية للجوء إلى التفاوض مع المسلمين.

مؤتمر طرابلس عام ١٣٩٧هـ:

عقد مؤتمر طرابلس لحل مشكلة المسلمين في الفليبين، واتفق فيه على إعطاء الحكم الذاتى للمسلمين فى معظم الولايات الجنوبية.

وبعد إبرام المعاهدة اتضح أن ماركوس لم يدخل المفاوضات إلا ليستعد لهجوم كاسح جديد على المسلمين ضارباً بالمعاهدات والاتفاقات الدولية عرض الحائط، وأعلنت الحكومة الفلييبينية عن تخليها عن أى عهود قطعها على نفسها تجاه المسلمين، فاندلع القتال من جديد بين قوات الحكومة المعتدية ومجاهدى جبهة تحرير مورو، وارتكب جنود ماركوس أبشع المذابح والجرائم ضد المسلمين، إلا أن المسلمين قد ثبتوا وواجهوا أعداء الإسلام ببسالة كبيرة وكبدوهم خسائر فادحة فى القوات والعتاد.

وضعف مركز ماركوس فى البلاد، وبرزت المعارضة لنظامه الاستبدادى وقتل رئيس المعارضة بنينو أكينو، فاتهم ماركوس بقتله واضطر لترك الحكم ومغادرة البلاد وانتخبت كورازون أكينو زوجة زعيم المعارضة المقتول رئيسة للبلاد، فأعلنت أنها ستعطى المسلمين حقوقهم، ولكنها لم تفعل شيئاً واستمر القتال، ثم تسلم رئاسة الفليبين الرئيس فيدل راموس وقد عملت الحكومة الفلييبينية على توطين سكان شمال الفليبين النصارى فى الأماكن التى احتلتها فى الجنوب لتغير التركيبة السكانية للجزر، حيث وصلت نسبة النصارى فى جزيرة مينداناو إلى ٥٠% نتيجة لهجرة النصارى إليها وطرد المسلمين وإبادتهم فى الأجزاء التى تحتلها الحكومة الفلييبينية.

وعملت الحكومة على شق صفوف المسلمين، فقد عقدت مع الجبهة الوطنية لتحرير مورو عام ١٤١٧هـ اتفاقاً يتضمن إجراء استفتاء بعد ثلاث سنوات في الجزر الجنوبية لتحديد ما إذا كان السكان يريدون الحكم الذاتي أم يريدون البقاء في ظل الحكومة الفلبينية، ورفضت جبهة تحرير مورو الاتفاق لخبرتها ببراءة النصارى في نقض العهود والغدر، وما زالت رحي الحرب دائرة بين المسلمين والحكومة الفلبينية حتى الآن.

الهند الصينية:

تمثل الهند الصينية الآن دول ميانمار، وتايلاند، وكمبوديا، وفيتنام، ولاوس وقد دخل الإسلام هذه البلاد بالدعوة، ولكنه لم ينتشر انتشاراً كبيراً فيها، وإن كان قد انتشر في عدة إمارات مثل أراكان.

وصل الإسلام إلى بورما (ميانمار) عن طريق التجارة والدعوة، وكانت تسمى حينئذ برمانيا، وكانت هناك مملكة قائمة في غربها تسمى أراكان شملها الإسلام نتيجة مجاورتها للبنغال المسلمة، وامتد إلى بقية برمانيا ولكن كانت المقاومة البوذية للإسلام على أشدها لأن انتشار الإسلام هناك سيقضى على مصالح كهنة البوذية واستعان الكهنة بالملوك وأصحاب المال ضد المسلمين، وبرغم ذلك انتشر الإسلام ولكن على نطاق ضيق بسبب المقاومة الشديدة له من قبل البوذيين.

وكان المسلمون التتار قد غزوا برمانيا عام ٦٨٦هـ عن طريق الصين، وخلعوا ملكها الظالم وأعطوا الناس مطلق الحرية في اعتناق الديانات، فدخل البعض في الإسلام وعندما فرسوجا أخو أورانكزيب من أخيه في الهند إلى برمانيا هو وأتباعه فاختلف بالسكان ونشر الإسلام، ولما سيطر الشيوعيون على

بورما أخذوا يضطهدون المسلمين فيها، ويشكل المسلمون في بورما ما يقارب ٧% من إجمالي السكان يعيشون حياة الاضطهاد والفقر، سواء من النظام الشيوعي القائم في البلاد أو من البوذيين شديدي الحقد على الإسلام.

تشامبا:

كانت إمارة تشامبا في وسط بلاد أنام (فيتنام) وبدأ الإسلام يصل إليها عن طريق التجارة والدعاة في القرن الرابع الهجري، ثم ما لبث أن زوج ملك تشامبا ابنته بأحد التجار العرب، وانتشر الإسلام وعم كل الإمارة، وضمت ما حولها من أراض بلغت أقصى اتساعها عام ٨٧٥هـ، ثم دخلت تشامبا في حرب مع إمارة فيتنام الشمالية، واستمرت حتى عام ١٢٣٨هـ توالى فيها الإبادة على مسلمي تشامبا حتى احتلت فيتنام كل أراضي تشامبا.

وأخذ السكان المسلمون الذين نجوا من الإبادة يفرون إلى البلاد المحيطة بهم، فهاجر جزء كبير إلى كمبوديا، وجزء آخر إلى لاوس، والهند الصينية، والملايو، ولقى المسلمون الذين بقوا في فيتنام أشد أنواع البلاء من إبادة واضطهاد، وحتى عندما احتل الفرنسيون فيتنام، وكمبوديا، ولاوس، لم تقف حملات الإبادة ضد المسلمين بل أطلقوا العنان لأعداء الإسلام البوذيين في إبادة المسلمين، بل وشاركوهم فيها عندما سيطر الشيوعيون على البلاد سواء في فيتنام أو كمبوديا، ونكلوا بالمسلمين وأخذوا معظم مساجدهم ومدارسهم، ولم يترك للمسلمين في فيتنام غير مسجدين أحدهما في عاصمة فيتنام الشمالية هانوي، والآخر في عاصمة فيتنام الجنوبية سايغون، ولا يسمحون لهم بتأدية صلاة الجمعة إلا بتصريح من الحكومة، ويلزمون المسلمين بتسجيل الحاضرين لصلاة الجمعة وكتابة عناوينهم.

هذا بالإضافة لما يعانيه المسلمون في كمبوديا من مذابح وجرائم تقشعر لها الأبدان وهتك للأعراض، وإذلال للكرامة، وحتى الذين يحاولون الفرار إلى الدول المجاورة يموت أكثرهم في الطريق، فسدنة النظام الشيوعي قد جعلوا الأولوية للقضاء على المسلمين وقهرهم، وتبلغ نسبة المسلمين في فيتنام ٣٪ بينما في لاوس لا يزيد عددهم عن عدة آلاف، وفي كمبوديا ١٤,٧٪، ومعظمهم يعود إلى أصل تشامبي، والسياسة المتبعة ضدهم - مع اختلاف وسائلها - واحدة، وحملات الإبادة سارية والتعتيم الإعلامي مستمر والشيوعيون في الهند الصينية ماضون في قتل وإذلال المسلمين.

فطاني:

تقع منطقة فطاني في أقصى جنوب سيام (تايلاند) على حدودها مع ماليزيا في شبه جزيرة الملايو، وقد وصل الإسلام إليها في القرن الخامس الهجري واستمر انتشاره لمدة أربعة قرون، حتى أصبح المسلمون هم المسيطرون عليها ودانت لهم كل المنطقة وكانوا يتبعون إمارة مالاقا عام ٨٦٥هـ.

احتل التايلانديون البوذيون فطاني عام ٩١٧هـ ثم انسحبوا منها بسبب غزو البرتغاليين للمنطقة الذين احتلوا مالاقا.

وأقامت فطاني علاقات طيبة مع البرتغاليين واليابانيين والإنكليز والهولنديين لتتقى شرهم، فكان لهم مراكز تجارية في فطاني، ثم أعادت تايلاند الكرة على فطاني وتمكنت بعد عدة حروب من احتلالها عام ١٢٠١هـ وأخذت الثورات تعم فطاني ضد الاحتلال التايلاندي، وكان التايلانديون ينقلون أعداداً من سكان فطاني المسلمين إلى بانغوك، ويوطنون مكانهم مواطنين تايلانديين في محاولة لتغيير التركيبة السكانية لفطاني، وقسموا فطاني لعدة مقاطعات في محاولة لتفريق المسلمين.

حاول المسلمون مراراً الاستقلال عن تايلاند ولكنهم فشلوا وحاول
التايلانديون تحويل الفطانيين إلى تايلانديين بأن فرضوا عليهم الزى التايلاندى
واللغة والأسماء التايلاندية، ومنعوا المسلمين من الدعوة إلى دينهم.

واحتل اليابانيون فطانى والملايو فى الحرب العالمية الثانية، واتفق الإنكليز
مع الأمير محمود محى الدين من الأسرة التى كانت تحكم فطانى على طرد
اليابانيين، ووعدوه بإعطائه الاستقلال. إذا انسحب اليابانيون من فطانى، وبرغم
انتهاء الحرب وخروج اليابانيين من فطانى، إلا أن الإنكليز قد أدخلوا بعودهم
ولم يعطوا المسلمين استقلالهم، بل رفضوا انضمامهم لماليزيا التى خذل حكامها
فطانى فأعلن أحدهم أنه ضد التمرد فى فطانى.

وقد اتجه الفطانيون إلى الكفاح المسلح لإخراج التايلانديين من
أرضهم، وكون لذلك جيش التحرير الوطنى لفطانى وبدأ نشاطه عام
١٣٨٩هـ وتبلغ نسبة المسلمين فى تايلاند ١٤٪، معظمهم من أصل
فطانى يتركزون فى منطقة فطانى وحول العاصمة بانغوك.

الباب الثامن

أفريقيا

القارة الوحيدة في العالم التي يسكنها أغلبية من المسلمين؛ ولذلك كان لها النصيب الأكبر من بطش الاستعمار الأوروبى، والذي عمل على جعلها أفقر وأجهل قارة في العالم.

أفريقيا

من أهم ما يميز قارة أفريقيا عن غيرها من القارات أنها القارة الوحيدة التي يسكنها أغلبية من المسلمين.

وقد أشرنا في الفصول السابقة إلى الأجزاء الشمالية من القارة التي دخلها الإسلام مبكراً منذ عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية، والتي تتمثل في سواحل البحر المتوسط، وجزء من سواحل المحيط الأطلسي في مراكش؛ ولذلك في هذا الفصل لن نتعرض لدراستها مرة أخرى، ولكن سيضمحل هذا الفصل المنطقة الباقية من أفريقيا والتي دخلها الإسلام بعدة طرق منها الفتوحات، والدعوة، والتجارة، والهجرة إليها، وقد لقي الإسلام إقبالاً كبيراً من أبناء القارة؛ لأنه دين الفطرة ولما يضيفه على الإنسان من صفات حميدة، كالنظافة والأمانة، والصدق، والبشاشة، والثقافة، وحسن التعامل مع الناس، وكان لرجال الدين بصفة خاصة، وللمسلمين بصفة عامة قدر كبير من الاحترام والتقدير من سكان القارة وملوكها الوثنيين، ومن أسباب انتشار الإسلام في القارة أيضاً بغضه للصفات الذميمة، كالرق والتفريق العنصري الذي عامل المستعمر به أفريقيا.

لم يقف الأمر عند حد انتشار الإسلام في الممالك الوثنية التي كانت قائمة في ذلك الوقت، بل تكونت عدة ممالك إسلامية في القارة، وكان بعضها قد قام على أنقاض الممالك الوثنية السابقة والآخر قام بذاته، وأخذ يتوسع على حساب الممالك المجاورة له، حتى جاء الاستعمار الصليبي، والذي عكف على محاربة الإسلام وتنصير أهله، ولكن المقاومة الإسلامية لم تهدأ في القارة برغم القهر والتعذيب والاستعباد لأهل القارة.

وبعد حصول القارة على استقلالها ظهرت دول إسلامية يملكها مسلمون وأخرى يحكمها نصارى، برغم أن المسلمين يشكلون غالبيتها، إلا أن الاستعمار

قبل أن يرحل قد مكن للنصارى فيها وسلمهم السلطة؛ ولذلك تنفرد أفريقيا باحتوائها على دول أغليتها مسلمة وحكامها من غير المسلمين، وستتناول في هذا الباب ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الممالك الإسلامية التي تكونت في أفريقيا وكيف كان وصول الإسلام إليها وانتشاره حتى جاءها الاستعمار الأوروبي.
 الفصل الثاني: أفريقيا تحت وطأة الاستعمار الصليبي.
 الفصل الثالث: الدول المسلمة المستقلة في أفريقيا.



التظليل يوضح الدول الإسلامية في أفريقيا

الفصل الأول الممالك الإسلامية قبل قدوم الاستعمار الصليبي

أولاً: في غرب أفريقيا

مملكة مالي

قامت مملكة مالي على أنقاض مملكة غانا التي سبقتها في الظهور، وكانت مملكة غانا، وثنية وقد بدأ الإسلام يصل إليها من الشمال وانتشر بين أهلها، ووصل المسلمون فيها إلى مكانة مرموقة جعلت ملوكها الوثنيين يختارون منهم الحاشية والمقربين، ثم جاءها المرابطون من الغرب، وفتحوها وزاد انتشار الإسلام فيها بشكل كبير، ثم بدأت قبضة المرابطين تقل على البلاد مما دفع الكثير من القبائل للاستقلال، واستطاع ملوك غانا السابقون أن يعودوا للسلطة لكن في هذه المرة كان الإسلام قد ساد في البلاد وأصبح ملوكها من المسلمين، ثم بدأ نفوذ قبائل الماندنغو المسلمة يمتد إلى أنحاء مملكة غانا، حتى سيطروا عليها وأقاموا مملكة مالي، والتي أخذت تتوسع في عهد مؤسسها الملك سنديانا، الذي استطاع أن يمتد بدولته من الصحراء الكبرى شمالاً إلى المحيط الأطلسي جنوباً، ومن شمال نيجيريا (بلاد الهوسا) شرقاً إلى جبال أطلس غرباً، وحج الملك سنديانا وأخذ يعمل على نشر الإسلام في أنحاء دولته.

وجاء من بعده ابنه منسى موسى الذى أكمل مسيرة أبيه فى التوسع، فضم مملكة صنغاي المسلمة التى تقع على نهر النيجر وبلاد التكرور فى الغرب، واستمر فى دعم الدعوة للإسلام، وانتشر الإسلام فى عهده فى جهات نيجيريا، وكانت مملكة مالي غنية بمواردها المتمثلة فى الذهب، والذى تركز وجوده فى الجهات

الجنوبية، والملح الذى ينتشر فى الجهات الشمالية من المملكة، وبدأ الضعف يدب فى المملكة بعد وفاة منسى سليمان أخو منسى موسى، فأخذت الدولة فى التفكك والانحلال واستقلت أكثر أجزائها، فانكشمت الدولة حتى لم يبق لها إلا إمارة كنجابا منشأ مملكة مالى واستمرت حتى احتلها المستعمر الأوروبي.

مملكة صنغاي

كانت مملكة وثنية، ثم أسلم أحد ملوكها وأصبحت مملكة إسلامية وكانت فى حروب مستمرة مع إمارة كانجابا التى تحكمها قبيلة الماندنجو -التى كونت مملكة مالى فيما بعد- وفى البداية كانت الغلبة لمملكة صنغاي، ثم قامت مملكة مالى وانتقلت لهزيمتها السابقة، وضمت مملكة صنغاي، وأسرت ابنى ملك صنغاي، ثم ضعفت مملكة مالى واستطاع ابنا ملك صنغاي أن يفرا ويعودا إلى صنغاي، والتف حولهما الشعب، وأخذوا يجاربون مملكة مالى، واستطاعوا أن يتحرروا من نفوذها بل وامتد الأمر إلى الاستيلاء على جزء كبير من أملاكهم، وتوسعت المملكة فشملت كل الأراضى المحيطة بنهر النيجر، وضمت مملكة موشى الزنجية، ودخلت بلاد شمال نيجيريا (إمارة الهوسا) وبلاد الماندنجو وال فولانى، وأجزاء من بلاد الطوارق شمالاً، ووصلت المملكة لأقصى اتساع لها فى عهد أسكيا محمد، الذى امتد سلطان صنغاي فى عهده من بلاد الماندنجو وال فولانى فى الغرب إلى أغاديس وحدود بلاد الهوسا شرقاً، ومن بلاد الموشى جنوباً إلى بلاد قعازة شمالاً.

توالى الملوك على صنغاي حتى جاء أسكيا نوح الذى قتل فى حروبه مع مراكش، وانتهت سلطنة صنغاي وورث ملكهم المراكشيون المغاربة، وارتبطوا بسلطان مراكش لفترة من الزمن وكونوا دولة جعلوا عاصمتها مدينة تمبكتو، ثم ما لبثت أن تفككت الدولة وتمزقت مما جعلها لقمة سائغة فى فم الاستعمار الأوروبي.

مملكة الهوسا

منطقة الهوسا تمثل الآن شمال نيجيريا، وكانت بها عدة ممالك وثنية، وكانت كانوا من الممالك السبابة فى دخول الإسلام، فقد جاءها علماء مسلمون وعرضوا على ملكها عثمان (زمنقاوي) الإسلام فأسلم وعمل على نشر الإسلام فى مملكته، ومن أشهر ملوك كانوا الذين زاد انتشار الإسلام فى عهدهم الملك عمر.

وأخذ الإسلام ينتشر فى بلاد الهوسا وساهم فى الدعوة إليه قبائل الماندنحو فى الجهات الغربية، و الدعاة من مصر والسودان العربى، فى الجهات الشرقية والوسطى، وكذلك ساهم الفولانيون فى نشر الإسلام فى هذه الجهات.

وبرغم كون الممالك مفتتة فى بلاد الهوسا إلا أنها قد أخذت شكل الاتحاد فى بعض الأوقات، نتيجة سيطرة إحداها على الآخرين بل وامتد نفوذها فى بعض الأحيان إلى البلاد المحيطة بالهوسا، ومن أمثلة ذلك مملكة كبرى وكاتسينا وزنفرة وجوبر.

ومن أشهر القادة الذين عملوا على نشر الإسلام فى بلاد الهوسا هو عثمان دان فديو، الذى تزعم ثورة ضد ملك جوبر الوثنى الذى أراد محاربة الإسلام، واستطاع دان فديو أن ينتصر على هذا الملك الوثنى، وسيطر على مملكة جوبر الواسعة ونشر بها الإسلام، بل وأخذ يهاجم مراكز الوثنية فى بلاد الهوسا لإعلاء كلمة التوحيد وكون دان فديو مملكة واسعة واستطاع أن يضم إليها بعض الممالك الإسلامية، ولم تضعف مملكته إلا عندما ترك ابنه وأخاه يقسمانها وتفرغ هو للدعوة حتى جاء الاستعمار الأوروبى واستولى عليها.

برنو وكانم

تقع برنو إلى الشرق من ممالك الهوسا، وتضمها حدود نيجيريا الآن، أما

كانم فتقع إلى الشرق من برنو على بحيرة تشاد، وتضمها حدود تشاد وارتبط تاريخ كل من برنو وكانم لوقوعهما تحت سيطرة مشتركة في أغلب الأوقات. وكان أول ملك يدخل الإسلام في كانم هو هومية جيلمه، وتسمى بمحمد، وانتشر الإسلام في كانم وكونت مملكة عظيمة استطاعت أن تبسط نفوذها على برنو وغيرها، حتى أصبحت أكبر مملكة بين النيل والنيجر، ثم بدأ الضعف يعرف طريقه إلى مملكة كانم وامتلات بالصراعات الداخلية مما أتاح الفرصة لقبائل البولالا أن تهاجم مملكتهم وتدخل عاصمتها، ففر حكام كانم إلى برنو وبدءوا يعدون العدة لاستعادة سلطتهم المفقودة على كانم.

وجاء الملك إدريس واستطاع أن يستعيد السيطرة على كانم ويطرد منها البولالا، وأخذ يوسع مملكته وعمل على نشر الإسلام في ربوعها، ودخل في عهده الكثير من الناس في دين الله أفواجًا، وبعد موته توارد على حكم المملكة عدة ملوك، من أشهرهم الملك على بن عمر، ثم بدأ الملوك الضعفاء في الظهور وضعفت البلاد بسببهم وانكشمت المملكة.

وجاء الزعيم عثمان دان فديو وضم برنو، ثم ظهر في برنو الأمير محمد أمين الكانمى واستطاع أن يستقل بها وكون مملكة استطاعت أن تسترد الكثير من الأراضي التي كانت تشملها البلاد في عهد الملك إدريس، وتوالى على الحكم ملوك من أسرة الكانمى حتى ضعفت المملكة وظهر رابع الزيرى السودانى واستطاع أن يسيطر على البلاد، ومما هو جدير بالذكر أن رابع من قواد الزير الذى اشتهر بفتوحاته فى السودان العربى باسم الحكومة المصرية، وقد اتجه رابع من السودان العربى إلى الغرب ففتح سلطنة باجرمى، وكانم، وبرنو، وقضى على حكم أسرة كانم للبلاد، وظل يحكم البلاد حتى جاءها الاستعمار الأوروبى، وقد كان لبرنو اتصال وثيق مع العثمانيين الذين أمدهم بالأسلحة النارية التى ساهمت بشكل كبير فى تكوين مملكتهم.

باجرمى

تقع الآن فى جمهورية تشاد، وإلى الجنوب من كانم، كانت من الممالك الوثنية وصل الإسلام إليها عن طريق الدعوة والتجارة، وانتشر فى عهد الملك الوثنى مالو مما دفع أخاه عبد الله الذى اعتنق الإسلام إلى الثورة عليه، واستطاع عبد الله أن يسيطر على باجرمى، وأخذ يعمل على نشر الإسلام بها، واستطاع أن يوسع مملكته ويضم إليها الكثير من المناطق المجاورة وكانت باجرمى تدفع الجزية للملك إدريس ملك برنو، وبعد وفاة الملك إدريس توقفت باجرمى عن دفع الجزية وقد أصاب باجرمى الضعف فى عهد الملك عبد الرحمن جوارنج فاستغل عبد الكريم صابون ملك واداي الفرصة واحتل باجرمى، ثم ضعفت واداي واستطاعت باجرمى أن تستقل عنها ثم ظهر رابح الزبيرى الذى استطاع أن يضمها إلى مملكته فتحالف ملك باجرمى مع الفرنسيين فى الحرب ضد رابح الزبيرى، وهزم رابح فضم الفرنسيون باجرمى.

واداي

وتقع شرقى باجرمى وهى جزء من جمهورية تشاد الآن، وقد زحف على واداي قبائل الزغاوة المسلمة التى جاء معها الإسلام إلى واداي، ثم احتلت قبائل التنجور واداي وهى قبائل مسلمة تعود إلى أصل نوبي، ولكنها لم تعتن بنشر الإسلام، ثم ظهر عبد الكريم الصالح وأخذ يعمل على نشر الإسلام وجمع حوله الجيوش وانتصر على التنجور، وأقام أسرة حكمت واداي من أشهر ملوكها عبد الكريم صابون الذى ضم باجرمى، ثم استقلت باجرمى عن واداي وجاء رابح الزبيرى وضم واداي إليه، ولكن الفرنسيين استطاعوا أن يهزموا رابح ووقعت تحت وطأة الاحتلال الفرنسي.

ثانياً: السودان العربى

كان العرب يطلقون على المنطقة التى تقع جنوب الصحراء الكبرى والتى

يسكنها السود لفظ السودان، وقد احتفظت السودان العربية بهذا الاسم حتى الآن. وقبل أن يصل العرب إلى السودان الحالية كانت تحتوى على قبائل وممالك وثنية، وستتناول الآن مناطق السودان وكيفية دخول الإسلام إليها، والدول الإسلامية التي ظهرت على مر الزمان فى السودان العربى حتى جاءها الاستعمار.

دارفور

دخل إليها الإسلام عن طريق هجرة بعض القبائل العربية إليها وامتزاجهم بالسكان، مما أدى إلى تأثر السكان الأصليين بالعرب، ودخل الكثير منهم فى الإسلام وبدأت اللغة العربية تنتشر، ومن أهم القبائل العربية التي هاجرت إلى دارفور قبائل التنجور من تونس، وقد استطاع أحد أفرادها ويدعى أحمد أن يلفت نظر ملك دارفور الوثنى، فأعجب به وقربه إليه وترك له إدارة البلاد، فأصلح البلاد ووجد جهاتها وأضفى عليها الاستقرار، وتزوج ابنة الملك الوثنى الذى مات ولم يكن له ولد، فورث أحمد ملك البلاد وأنجب سليمان الذى أصبح سلطاناً للبلاد بعد وفاة أبيه، وبذلك أصبحت دارفور بلدًا إسلاميًا، وتوارد على حكامها سلاطين مسلمون، حتى جاء عهد أسرة محمد على فاستطاع الزبير باشا أن يدخلها، ويضمها إلى أملاك مصر، ثم ضمها الدراويش، ثم حدث الهجوم الثنائى على دارفور (الإنكليز والمصريون) فأعادوا على بن دينار أحد أفراد أسرة أحمد للحكم، بحيث تتبع حكومة السودان التابعة للإنكليز، ثم وقعت الحرب بين على بن دينار وحكومة السودان التي انتصرت عليه وضمت دارفور.

كردفان

هاجرت إليها قبائل عربية جاء الكثير منها من مصر بعد سقوط الدولة

الفاطمية، وجاءها الحكم المصرى فى عهد أسرة محمد على، وكان للمصريين دور كبير فى نشر الإسلام بها، وقدم إليها الكثير من الدعاة، من أشهرهم محمد عثمان الميرغنى، ونجح فى استقطاب الكثير من أهلها إلى الإسلام، وانطلقت منها الحركة المهدية التى استطاعت أن تتوغل فى السودان حتى قضى عليها الإنكليز وضمت إلى الحكم الثنائى (المصرى - الإنكليزى).

البجة

تقع فى شرق السودان، وقد حاول عبد الله بن أبى السرح فتحها، ولكن وعورة الطريق إليها وقلة الماء منعه من ذلك، وكذلك موافقة أهلها على دفع الجزية، ولكنهم أخذوا ينقضون عهودهم مع المسلمين فى عهد العباسيين، ووقعت الحرب بينهم وبين المسلمين، وفى كل مرة كان المسلمون ينتصرون ويخضعونهم ويتعاهد معهم أهل البجة على الخضوع، ثم ما يلبثون أن يعودوا للتمرد وقتال المسلمين، وأخذت القبائل العربية تهاجر إلى البجة وتختلط بالسكان وتؤثر فيهم، وقد وقعت البجة تحت سيطرة مملكة الفونج التى قامت فى مقرة وعلوة، وظلت هكذا حتى ضمها المصريون فى عهد أسرة محمد على.

مملكة الفونج

كانت كل من مقرة وعلوة دولتين مسيحتين فى جنوب بلاد النوبة تقعان قبل التقاء النيل الأزرق بالنيل الأبيض، وعندما جاء الإسلام إلى مصر وقعت حروب بين هاتين الدولتين والمسلمين، ثم عقد صلح عرف بمعاهدة البقط التى تضمنت التبادل الاقتصادى بين شمال وجنوب الوادى، ثم بدأت مقرة فى نقض المعاهدة فى عهد الماليك، وأخذوا يساعدون الصليبيين ضد الماليك فخرج إليهم الظاهر بيبرس بجيش جرار وأصبح تعيين الملوك عليها يتم من قبل الماليك وهاجرت إليها الكثير من القبائل العربية وبدءوا يسيطرون على البلاد

ونشروا الإسلام فيها وأصبحت السلطة بيد القبائل العربية.

أما عن علوة فقد تأخرت سيطرة المسلمين عليها برغم هجرة الكثير من العرب والمسلمين إليها، حتى جاءها الفونج الذين ينتسبون إلى عمارة دونقس من قبيلة الفونج المنتسبة للأمويين، والعدلات الذين ينتسبون إلى عبد الله جماع من عربان القواسمة المسلمين، الذين جعلوا منها ومن مقرة مملكة إسلامية كبيرة عرفت باسم مملكة الفونج، وكان الفونج قد وكلوا العبادلة في حكم الأراضى التى كانت تمثل مملكة مقرة وتركز الفونج فى أراضى علوة، وأخذت مملكة الفونج تتوسع فشملت أكثر أراضى البجة وكردفان، ووقعت حروب بينهما وبين الحبشة المسيحية، انتصرت فى أكثرها الفونج، وظلت مملكة الفونج قائمة حتى ضمت إلى مصر فى عهد أسرة محمد على ثم الاحتلال الإنكليزي.

السودان فى عهد الحكم المصري:

بدأ الاتجاه المصرى للسودان العربى فى عهد محمد على، وقد سبق وأن تكلمنا عن هذا العهد فى الكلام عن مصر، وعلمنا أن التوغل فى السودان بلغ أوجه فى عهد الخديوى إسماعيل الذى فاق توسعه السودان، ليمتد إلى منابع نهر النيل، وجميع سواحل البحر الأحمر ومنطقة القرن الإفريقى وإقليم هرر فى الحبشة.

وكان يمكن أن تمتد الفتوحات المصرية فى إفريقيا لأكثر من ذلك، لولا وجود قائدين إنكليزيين فى الجيش المصرى بالمنطقة الاستوائية، وهما صموئيل وغوردون اللذين وضعوا العراقيل فى استمرار الفتوحات المصرية، فقد عرض حاكم زنجبار أن يكون تحت الحماية المصرية، ولكن القائد غوردون رفض ذلك وراسل حاكم زنجبار وحذره من وقوع زنجبار تحت الحماية المصرية، وكان لغوردون دور كبير فى إقالة الزبير باشا صاحب الفتوحات الكبيرة فى السودان وكذلك ابنه سليمان، ومما هو جدير بالذكر أن دخول الجيوش المصرية لهذه

المناطق فى إفريقيا قد ساهم بشكل كبير فى انتشار الإسلام بها، ولذلك نجد أكثرية هذه الأجزاء حتى الآن تدين بالإسلام، وظلت تبعيتها لمصر حتى جاء الاستعمار الإنكليزى الذى عمل على إيجاد الحكم الثنائى للسودان، وقسمت الأملاك المصرية فى إفريقيا بين الإنكليز والفرنسيين والطيان والحبشة والبلجيك، كما سيأتى ذكره فى باب الاستعمار الأوروبى لإفريقيا.

ثالثاً: فى السواحل الشرقية لإفريقيا

دخل الإسلام السواحل الشرقية لإفريقيا عن طريق الفتوحات والدعوة، واستمر بها لفترة كبيرة وانتشر الإسلام بهذه الجهات، وتكونت عدة ممالك إسلامية بها حتى جاءها الاحتلال الأجنبي.

زيلع وهراة (مملكة عدل)

وقامت هذه الممالك الإسلامية فى الصومال الشمالى، وقبل قيام هذه الممالك كان مجيء الإسلام لهذه المناطق عن طريق الدعوة من الجزيرة العربية منذ عهد الرسول ﷺ، ومن المناطق التى انتشر فيها الإسلام مبكراً زيلع التى هاجر إليها مسلمون من الجزيرة العربية، وتكونت بها سلطنة إسلامية، وأخذت تتوسع وتكونت عدة ممالك إسلامية أخرى، وكانت من ضمنها أوفات وهرر إلا أن هرر كانت تحت سيطرة الأحباش، ولما قوى أمر أوفات وضعف أمر الأحباش استطاعت أوفات أن تنتزع هرر من الأحباش، وأصبحت هرر قاعدة الحرب بين المسلمين والنصارى الأحباش، ثم تكونت مملكة عدل التى ضمت أكثر الصومال الشمالى، ودارت رحى الحرب بينها وبين الأحباش، وتمكن المسلمون من إحراز انتصارات كبيرة فيها، وضم أجزاء واسعة من الحبشة خاصة بعد مؤازرة العثمانيين لهم بينما كان البرتغاليون يساعدون الأحباش، ومن أشهر ملوك عدل السلطان أحمد الذى كان أحد القساوسة فى الحبشة، ثم فر

إلى عدل وأعلن إسلامه واستطاع أن يصل إلى السلطة فيها، ويحارب الأحباش ويضم أجزاء من بلادهم بمساعدة العثمانيين، وأخذ ينشر الإسلام فى الأجزاء المفتوحة من الحبشة، ثم بدأت الخلافات والفتن بين العثمانيين ومملكة عدل، فضعف أمر عدل وأخذت تتراجع أمام الأحباش.

وضم العثمانيون سواحل الصومال الشمالية إليهم وكان بعضها تابعا لليمن فضمت إلى العثمانيين بعد ضم اليمن، وانحصر ملك مملكة عدل فى هرر التى بدأت تنقلص حتى اقتضرت على مدينة هرر نفسها أما بقية أجزائها فتوزعت بين الأحباش وقبائل الجالا، حتى جاء عهد الخديوى إسماعيل الذى استطاع أن ييسط نفوذه على الصومال الشمالى وهراه ويستعيد أكثر الأجزاء التى استولى عليها الأحباش وقبائل الجالا، واستمرت هذه المناطق تابعة لمصر، وازداد انتشار الإسلام بها حتى وقعت مصر تحت الاحتلال الإنكليزى فسمحت إنكلترا لفرنسا باحتلال جزء من الصومال، يمثل الآن جيبوتى وأعطوا هرر للحبشة.

مقديشو:

عندما نتكلم عن مملكة مقديشو المسلمة نعنى بها الكلام عن الصومال الجنوبي، وقد هاجر الكثير من العرب إلى الصومال الجنوبي وشيدوا عدة مدن منها مقديشو وبراوو ولعبت مقديشو دوراً كبيراً فى تجارة شرق إفريقيا واحتفظت لفترة كبيرة باستقلالها عن الممالك التى نشأت حولها.

وتمكنت قبيلة الأجل الصومالية من السيطرة على مقديشو وكونت بها مملكة تحكمها أسرة الشيخ عمر جلولة مؤسس هذه المملكة، وتمتع حكامها بعلاقة طيبة مع الممالك العثمانية، وأبدوا ولاءهم إليهم وساعد كل من الممالك والعثمانيون والعرب فى عمان مقديشو فى رد العدوان البرتغالى عن مقديشو، ومرت مقديشو بفترة ظهرت فيها الصراعات الداخلية وبات الخطر الاستعمارى

يهددها فبعث أهلها إلى سلطنة زنجبار يطلبون حمايتهم من الاعتداءات الصليبية، فأسرعت لمساعدتها وضممتها إلى مملكة الزنج، وكذلك مد الخديوى إسماعيل نفوذه إلى أجزاء كبيرة من الصومال الجنوبي.

وعندما احتل الإنكليز مصر بدأت الصومال فى التمزق وأعطيت مقديشو للطنان وكذلك الصومال الجنوبي.

مملكة الزنج:

هاجر الكثير من العرب إلى السواحل الشرقية من إفريقيا وشيدوا العديد من المدن والممالك وكذلك فعل الفرس، وتعتبر كلوة من أهم المدن التى شيدها الفرس، وكثرت الإمارات المسلمة من منطقة القرن الإفريقى إلى منطقة سفالة وانتشر بها الإسلام، وأقبل أهل البلاد عليه، وجاء سليمان بن على فوحد الإمارات من جنوب مقديشو إلى سفالة وضم إليها جزيرتى زنجبار وبمبة وكون مملكة الزنج.

واستمرت هذه المملكة لعدة قرون وامتد سلطانها إلى داخل إفريقيا وامتد معها انتشار الإسلام ثم بدأت الدولة تتفكك، وجاء الاحتلال البرتغالى الملىء بالحدق الشديد للمسلمين، واحتل أكثر أجزاء المملكة وارتكب كعاداته الجرائم الوحشية فى المسلمين، ثم بدأ البرتغاليون فى الضعف، وأخذ نفوذها يقل فى أكثر مستعمراتها، وتمكن اليعاربة فى عمان من طرد البرتغاليين من الجزيرة العربية بمؤازرة العمانيين، ولم يكف العمانيون بذلك بل تتبعوا البرتغاليين فى مستعمراتهم فى الهند وشرق أفريقيا، وكان المسلمون فى شرق أفريقيا يطلبون مساعدتهم فى طرد البرتغاليين وبالفعل استطاع العمانيون أن يطهروا مملكة الزنج من الجنس البرتغالى، واستقبلهم السكان بحفاوة بالغة وأصبحت مملكة الزنج تابعة لعمان، وازداد انتشار الإسلام فى مملكة الزنج.

وجاء إلى حكم عمان البوسعيديون فبلغت مملكة الزنج القمة فى المجد والتوسع حتى أن سعيد بن سلطان مؤسس الدولة البوسعيدية قد نقل عاصمته من مسقط إلى زنجبار، وتركز توسعه فى أفريقيا، ووصل لحدود الكونغو وأوغندا وروديسيا (زامبيا وزيمبابوي) وأخذ ينشر الإسلام فى الجهات التى فتحها، وأصبحت مملكة الزنج تمثل تجمعاً للبضائع الإفريقية ومنفذاً لتوزيعها على أنحاء العالم، وبعد وفاة بوسعيد انفصلت هذه الدولة الأفروآسيوية إلى دولتين إحداهما مملكة الزنج، ومن أشهر حكامها برغش بن سعيد، الذى ظهر فى عهده القائد المرجبى الذى استطاع أن يمد نفوذ مملكة الزنج إلى داخل الكونغو، وعمل على نشر الإسلام فيها، وفى عهده بدأ الاستعمار الأوروبى يتوغل فى أفريقيا وتعاون الإنكليز والبلجيك فى التخلص من المرجبى لخطورته على أهدافهم الاستعمارية، وقامت الحروب بين المرجبى من جهة والتحالف الاستعمارى من جهة أخرى، واستطاع التحالف الاستعمارى أن يطرد المرجبى من الكونغو.

وبدأ الاستعمار ينتشر فى مملكة الزنج واقتسمت كل من ألمانيا وإنكلترا مملكة الزنج، فأخذت إنكلترا الجزء الذى يمثل الآن كينيا، وأخذت ألمانيا الجزء الذى يمثل الآن تنزانيا، ولم يتركوا للبوسعيديين فى البداية إلا شريطاً ضيقاً على الساحل الأفريقي، ثم ما لبث الإنكليز أن احتلوا ما تبقى من مملكة الزنج، وبعد الحرب العالمية الأولى وهزيمة ألمانيا تم النفوذ الإنكليزى على تنزانيا.

الفصل الثاني الاحتلال الأوروبى الغاشم لأفريقيا

ما إن وطئت أقدام المستعمرين الأوروبين أفريقيا حتى بدءوا فى استغلال موارد القارة واستنزافها خالصة لأوروبا، وصبوا وابل الطغيان الشديد والقهر على الأفارقة، الذين كان لهم النصيب الأكبر فى تذوق أبشع ألوان الظلم والذل الإنسانى الذى عرفته البشرية حتى الآن، وستناول هذا الفصل من خلال ثلاث نقاط رئيسية وهى؛ تقسيم النفوذ الاستعمارى فى القارة، ومظاهر وحشية الاستعمار وسياسته فى القارة، ومقاومة الاستعمار.

تقسيم النفوذ الاستعمارى فى القارة:

وقعت أفريقيا بأكملها تحت الاحتلال الصليبي الأوروبى الغاشم، ولم يترك المحتل من أفريقيا إلا الحبشة وليبيريا، وذلك لجعلهما قاعدتين قويتين للمسيحية فى إفريقيا، فالحبشة احتفظت باستقلالها لمدة كبيرة، حتى احتلها الطليان الذين لم يكتثوا بها إلا قليلاً -٧ سنوات فقط- وخرجوا منها بعد هزيمتهم فى الحرب العالمية الثانية أما ليبريا فكانت من ضمن أملاك الولايات المتحدة ثم أعطتها الاستقلال وأعدت إليها أفارقة من الذين استعبدوا وتحولوا إلى المسيحية، ليعملوا على نشر المسيحية ومحاربة الإسلام، وقد تقاسمت فرنسا وإنكلترا وبلجيكا والبرتغال وألمانيا وأسبانيا، إفريقيا وكان هولندا بعض الجيوب فى جنوب إفريقيا، ثم تخلت عنها لإنكلترا، كما أن هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية قد أدت إلى تخليها عن أكثر مستعمراتها لإنكلترا.

مظاهر وحشية الاستعمار وسياسته فى القارة:

تعددت مظاهر وحشية الاستعمار الأوروبى فى إفريقيا وفاقت الوصف ومن أبرزها.

١- استولى الاستعمار الأجنبى على كافة موارد البلاد واقتصادياتها ولم يترك شيئاً لأهل البلاد الأصليين الذين عانوا الجوع والتشرد والأوبئة.

٢- لم يكتف الاستعمار بجرمان المواطنين الأصليين من خيرات بلادهم، وتسخيرها له، بل عمدوا إلى استغلال أهل البلاد أنفسهم، وذلك بتجارة العبيد التى مورست فى إفريقيا على نطاق كبير، وبشكل لم يسبق له مثيل فى الذل والظلم والتدنى، فقد أخذ المستعمرون يغيرون على سكان البلاد ويسوقون الرجال والنساء والأطفال إلى أسواق العبيد، وكان الجميع يتعرض لشتى ألوان المهانة والاعتداء فى هذا السوق -وعلى الأخص النساء- والويل لمن يعترض، ثم يزج بالعبيد المبيعون إلى الأرض الجديدة وجزر الكاريبى ليسخرهم الاستعمار فى الزراعة واستخراج الثروات منها.

وفى أثناء وجودهم بالسفن كان الآلاف يموتون نتيجة لسوء المعاملة والإهمال الصحى والغذائى، فيلقى بهم فى البحر ليكونوا طعاماً للأسماك، ويكون الجلد والقتل هو الوسيلة الرادعة للمتمردين، ليكونوا عبرة لغيرهم.

وما إن يصلوا إلى مقر ساداتهم إلا ويعانون أشد الويلات التى لا تنتهى ما داموا أحياء، وقد وضعت قوانين تجرد العبيد من كافة الحقوق الإنسانية، وتعطى الحق لساداتهم فى التصرف فيهم كيفما شاءوا.

وقد كان الاستعباد إحدى الوسائل التى يريد المحتل الصليبي بها محاربة المسلمين فى أفريقيا والقضاء على هويتهم، ولكنه اتبع هذه السياسة مع كل أبناء القارة المسلمين منهم وغير المسلمين، وقد بلغ عدد الرقيق الذين

هلكوا فى أثناء ترحيلهم إلى العالم الجديد ما يزيد عن ٨٠ مليوناً، وهو ما يقترب من نصف العدد الذى وصل إلى الأرض الجديدة.

٣- صادر الاستعمار أخصب الأراضى الأفريقية وأغناها وطرد منها سكانها الأصليين، الذين لجأوا إلى الغابات والجهات الفقيرة، واتخذوها مأوى لهم، وفى نفس الوقت شجع الاستعمار مواطنيه على الهجرة إلى أفريقيا وأقطعهم هذه الأراضى وسخر لهم البلاد.

٤- فتت الاستعمار قارة أفريقيا وأزال ممالكها السابقة وعمد إلى تقسيم أرضها وشعوبها لعدد كبير من الدول، وعندما انسحب من القارة كان قد انتهى من وضع بذور الفتن والانقسامات، وترك بها الكثير من المرتزقة وهم ضباط أجانب يجيدون حرب العصابات، وذلك لإشغال الصراعات فى أفريقيا ولكى تكون أفريقيا الجهة الرئيسية لترويج أسلحته.

٥- اتبع المستعمر سياسة التفريق العنصرى التى تجعل البيض يتمتعون بكافة مظاهر الحياة والرفاهية فى البلاد، بينما تحرم السكان الأصليين من ذلك وتجعلهم يحون حياة حقيرة، فيسكن البيض فى أرقى الأحياء وتكون لهم أعلى المناصب والمراكز، بينما يعيش السود فى أحياء متواضعة بعيدة عن الأحياء الراقية، ومحرم عليهم دخول أحياء البيض ومحظور تقلدهم أى منصب كبير فى بلادهم.

٦- عندما وجد الاستعمار أنه لن يستطيع البقاء فى أفريقيا، ترك زمام الأمر فى البلاد لعملائه حتى وإن كانوا أقلية فى البلاد، فعلى سبيل المثال يحكم الكثير من البلاد ذات الأغلبية المسلمة فى أفريقيا حكام من النصارى، يؤيدهم ويثبت أقدامهم نصارى العالم.

٧- عكف الاستعمار على محاربة الإسلام ونشر المسيحية ليربط السكان به سياسياً وقد لجأ إلى إنشاء المدارس والمستشفيات التبشيرية، لتكون الوسيلة الرئيسية في نشر المسيحية، وبرغم كل هذه المحاولات فإن النجاح الذي أحرزته الإرساليات المسيحية ضئيل، وينحصر أكثره في الوثنيين، أما غالبية الأفارقة فقد ولد الاستعمار في قلوبهم كرهاً شديداً للمستعمرين، وكل ما يتعلق بهم، حتى دينهم، بالإضافة إلى اتجاه الكثير من القساوسة والرهبان إلى تكوين الثروات، وتحقيق المصالح الشخصية في مراكز الإرساليات.

٨- قضى الاستعمار الأوروبي على كل المظاهر الحضارية والفكرية في البلاد، ولم يترك أفريقيا إلا وقد أصبحت أفقر وأجهل قارة في العالم وتعانى من ذلك حتى الآن.

مقاومة الاستعمار:

بدأت المقاومة للاستعمار في أفريقيا منذ نجست قدماء القارة، وزاد المقاومة التعسف والظلم الشديد الذى أذاقه الأوروبيون لسكان القارة، وكان المسلمون لهم الدور الأكبر فى مقاومة الاستعمار، وتبعهم فى ذلك بقية السكان الأفارقة، كما أن حركات الاستقلال التى ظهرت فى الدول الآسيوية قد وصل صداها إلى أفريقيا، وجعلها تسعى للاستقلال وكانت الحرب العالمية الثانية وهزيمة الحلفاء فى بدايتها لها دور كبير فى تأجج الثورات فى أفريقيا، وزوال الرهبة التى كانت لديها من المستعمر.

ومن أشهر الحركات الثورية فى أفريقيا لمناهضة الاستعمار ثورة بوشيرى بن سالين المسلم على الاحتلال الألماني لتنجانيا (تنزانيا)، والتى حققت انتصارات كبيرة على المستعمر، وألحقت به خسائر فادحة، وبعد صراع طويل مع

الاستعمار تمكن الألمان من القبض عليه وإعدامه.

ومن الحركات الثورية فى أفريقيا أيضاً حركة مهدي الصومال الذى أعجب بالحركة المهديّة فى السودان، التى كانت تناهض الاستعمار الإنكليزي، فأحب أن يكررها فى الصومال الإنكليزي، وحارب بها فى البداية الإرساليات المسيحية التى تتبع وسائل الضغط لإجبار السكان على التنصير، وتحولت المواجهة إلى المستعمر وظل يناهض الاستعمار حتى ظهر من بين صفوفه الخونة الذين استطاع الإنكليز استقطابهم وإغراءهم، فضعفت الثورة ومات المهدي بعد أن خارت قواه.

وظهرت العديد من الحركات الأخرى التى تناهض الاستعمار وأدت هذه المقاومة الشديدة للمستعمر إلى الاضطرار إلى الجلاء عن أفريقيا واحتفظ الاستعمار فيها ببعض الجزر الصغيرة والمواقع القليلة.

الفصل الثالث

الدولة المستقلة فى أفريقيا

سنحاول فى هذا الجانب أن نتناول الدول الأفريقية المستقلة ذات الأغلبية المسلمة، سواء التى تخضع لحكومات مسلمة، أو التى مكن الاستعمار للنصارى فى حكمها ونسب المسلمين فى بقية دول القارة.

أولا: الدول ذات الأغلبية الإسلامية التى يحكمها المسلمون

موريتانيا:

وهى دولة عربية غالبيتها من المسلمين وتعنى (مورو تانيا) أى بلاد المسلمين كما كان يسميها الأوروبيون والأسبان، وكانت خاضعة للاستعمار الفرنسى حتى استقلت عام ١٣٨٠هـ، وكان مختار ولد دادة أول رئيس لموريتانيا المستقلة وظهر الخلاف بين المغرب وموريتانيا والجزائر على الصحراء الغربية، بعد أن استقلت عن إسبانيا ثم حدث انقلاب عسكري فى البلاد عام ١٣٩٨هـ، واختير ولد مصطفى ولد محمد السالك رئيساً للجمهورية، ثم جعل رئيساً شرفياً لموريتانيا عام ١٣٩٩هـ، ولكن السلطة الحقيقية كانت بيد أحمد بوسيف -الذى توفى فى حادث طائرة فى نفس العام- واستبد برئاسة الوزراء، وتولى وزارة الدفاع المقدم محمد خونا ثم رأس اللجنة العسكرية للخلاص الوطنى، وكان قد عهد إلى معاوية ولد سيدى أحمد الطايح برئاسة الوزراء، ثم ما لبث أن خلعه فقام معاوية بانقلاب عسكري عام ١٤٠٥هـ أطاح فيه بمحمد خونا وأصبح معاوية هو رئيس الجمهورية ورئيس اللجنة العسكرية ورئيس الحكومة.

وظهر الجناح العسكري لجهة التحرير الأفريقى لموريتانيا، التى تعينها

الإرساليات الصليبية واليهود وحاولت القيام بانقلاب عسكري عام ١٤٠٨هـ وجعلت السبب أن العرب هم المسيطرون على الحكم، وأن الزنوج لا يتمتعون بمزاياهم ولكن الانقلاب فشل.

وفي عام ١٤٠٩هـ توترت العلاقات بين السنغال وموريتانيا، حيث حدثت عدة هجمات على الموريتانيين المقيمين في السنغال، وكرد فعل لها حدثت هجمات أخرى على السنغاليين المقيمين في موريتانيا، وانتهت الأزمة بتبادل الجالية الموريتانية في السنغال بالجالية السنغالية في موريتانيا.

وما زال الرئيس معاوية يشغل منصب رئيس الجمهورية في موريتانيا حتى الآن.

السودان:

كانت السودان تخضع للحكم الثنائي الإنكليزي المصري، ولما قامت ثورة ٢٣ يوليو عقدت مفاوضات مع الإنكليز لحق تقرير المصير للسودانيين، وخيرت السودان بين الارتباط بمصر أو الاستقلال التام فاخترت السودان الاستقلال التام عن مصر، وأعلن قيام الجمهورية السودانية عام ١٣٧٥هـ برئاسة إسماعيل الأزهرى وانضمت إلى جامعة الدول العربية في نفس العام.

وامتلاً تاريخ السودان المعاصر بالانقلابات العسكرية منها على سبيل المثال انقلاب عام ١٣٧٧هـ وفشل، ثم انقلاب آخر في نفس العام قاده إبراهيم عبود ونجح، ثم قامت ٣ انقلابات عسكرية عام ١٣٧٨هـ، نجح أولها وفشل الثاني والثالث ثم حدثت ثورة عام ١٣٨٤هـ، وشكل فيها مجلس للسيادة برئاسة إسماعيل الأزهرى، ثم حدثت في نفس العام محاولة أخرى ولكنها فشلت ثم جاء عام ١٣٨٩هـ وجاء انقلاب جديد بقيادة جعفر نميري، ثم حدث انقلاب عام ١٣٩١هـ، ولكنه فشل ثم حدث عام ١٣٩٥هـ ولكنه فشل، ثم حدث محاولة أخرى للإطاحة بجعفر نميري عام ١٣٩٦هـ، مستغلة وجوده خارج السودان

واستطاعت أن تحتل بعض المواقع العسكرية فى البلاد، وكانت هناك خطة لتدمير طائرة نميرى العائدة من الخارج، ولكنها فشلت وساعدت مصر نميرى فى القضاء على هذا التمرد (ولنميرى تورط كبير فى نقل اليهود الفلاشة (يهود أثيوبيا) إلى إسرائيل وتلقى نظير ذلك مبالغ طائلة).

وللإخوان المسلمين قاعدة عريضة فى السودان لها تأثير كبير على السلطة وكان لهم دور كبير فى تطبيق الشريعة الإسلامية فى السودان عام ١٤٠٣هـ وخشى نميرى من زيادة نفوذ الإخوان فى البلاد فاتهمهم عام ١٤٠٥هـ، بالقيام بتدبير مؤامرة للإطاحة به، وقبض على الكثير منهم، ولكنه لم يلبث أن أطيح به فى انقلاب عسكري جديد عام ١٤٠٥هـ والذي قام به وزير الدفاع عبد الرحمن سوار الذهب، والذي أصبح رئيساً للبلاد وعين الصادق المهدي رئيساً للوزراء عام ١٤٠٦هـ وحدثت عدة انقلابات لإعادة جعفر نميرى ولكنها فشلت، حتى جاء عام ١٤٠٩هـ وحدث انقلاب عسكري ناجح بقيادة عمر البشير الذى يتولى رئاسة السودان حتى الآن، وفى عهده توترت العلاقات بين مصر والسودان وبرزت قضية حلايب وشلاتين التى تزعم السودان أنها جزء من أرضها بينما تسيطر عليها مصر، وصنفت السودان من الدول الإرهابية، وخاصة بعد اتهامها بحماية مدبرى محاولة الاغتيال الفاشلة للرئيس محمد حسنى مبارك فى أديس أبابا، وتدخلت عدة قوى خارجية بشكل كبير فى مؤازرة المعارضة ويستخدم الصراع فى السودان والذي تشعله التخطيطات الصليبية.

مشكلة الجنوب:

وضع الاستعمار الإنكليزى بذور مشكلة الجنوب فى السودان منذ وطئت قدماه أرض السودان، فعمل على فصل الشمال عن الجنوب وخاصة أن الشمال مسلم، بينما الجنوب وثنى، فعمل على منع انتشار الإسلام فى الجنوب

وجعله تربة خصبة للإرساليات الصليبية، والتي أمدتها بكل الوسائل التي تؤثر بها على سكان الجنوب، مثل إنشاء المستشفيات التابعة للإرسالات وإدارتها للمدارس بالجنوب، وعمل الإنكليز على جعل منطقة الجنوب مغلقة ومنع وصول أهل الشمال إليها، بل ورحّل الكثير من المسلمين فيها إلى أماكن أخرى، ولم يكتف الاستعمار بكل هذا بل عمل على تقوية النزاعات الانفصالية فى الجنوب، والوقية بين الشمال والجنوب، وإيجاد الكراهية بينهما من خلال بعض الشائعات مثل أن الشماليين كانوا يستغلون الجنوب فى تجارة العبيد.

وعندما استقلت السودان بدأ الصدام بين الشمال والجنوب، وبدأت تظهر منظمات عسكرية فى الجنوب أشهرها منظمة انيانيا والتي يساعدها اليهود، ومجلس الكنائس العالمى والإرساليات الصليبية، وكذلك الدول الصليبية والدول المجاورة ذات الحكومات الصليبية مثل أثيوبيا وأوغندا وأفريقيا الوسطى وتشاد وغيرهم، ووقع الصدام مع الحكومة التي اتبعت فى البداية أسلوب البطش والإرهاب لسكان الجنوب، مما جعل الوضع يشتعل فى الجنوب حتى جاء عهد جعفر نميرى فعقدت اتفاقية أديس أبابا عام ١٣٩٢هـ والتي تضمنت وحدة الجنوب مع الشمال، ولكنها احتوت على امتيازات للجنوب أتاحت له فرصة التمرد والانفصال فى أى وقت، مثل توحيد محافظات الجنوب فى إقليم واحد وجعل نصف القوة العسكرية المرابطة فى الجنوب من الجنوبيين، وأتاحت الفرصة للإرساليات الصليبية فى ممارسة نشاطها، بالإضافة إلى الآثار السلبية التي خلفتها هذه المعاهدة على المسلمين فى الدول المجاورة، فقد منعت السودان من مساعدة المسلمين المطالبين باستقلال ارتيريا عن أثيوبيا، وكذلك الأغلبية المسلمة فى تشاد والتي تسعى لإسقاط الحكومة التشادية، المشكلة بواسطة الأقلية الصليبية فى البلاد.

وعاد التوتر فى الجنوب فى عام ١٤٠٠هـ عندما اتجهت الحكومة إلى تقسيم الجنوب إلى ٣ أقاليم، حتى لا تترك السيطرة فيه لقبيلة الدنكا كبرى قبائل

الجنوب ثم زاد التوتر عام ١٤٠٣هـ عندما طبقت السودان الشريعة الإسلامية، وظهر جون قرنق وهو أحد الضباط في الجيش السوداني المرابط في الجنوب، وأصله ينحدر من الجنوب، فانفصل بفرقة عن الجيش السوداني، وقاد حركة التمرد في الجنوب، وفي الوقت الذي يزيد فيه خطر التمرد في الجنوب نجد الشمال يقع في الصراع على الحكم، وتقوم الصليبية العالمية بدورها في تقوية التمرد والصراع في السودان، ومعها اليهود وتعيش السودان الآن فتره عصيبة بعد اتحاد المعارضة مع المتمردين ضد النظام في السودان، وبروز مشكلة دارفور حيث الصراع الدائم وشبح الحرب الأهلية المسيطر على الأجواء، وقد أدت الضغوط الدولية والتلويح بقطع المساعدات وفرض الحصار بعد ظهور مشكلة دارفور إلى قبول الحكومة السودانية بشروط الصلح بين الشمال والجنوب، والذي يعطي للجنوب امتيازات وحقوق كبيرة، كما تم تعديل الدستور وتعيين جون قرنق نائباً للرئيس السوداني في يوليو ٢٠٠٥، وكل المؤشرات تشير إلى تمزيق وتفجيت السودان بسبب الصراعات الدائرة على أرضه.

الصومال:

كانت الصومال تمثل مساحة تقترب من ضعف المساحة الحالية للبلاد، ولكن فتت المستعمرون الصليبيون الصومال إلى عدة أجزاء، فأخذت إنكلترا جزءاً عرف بالصومال الإنكليزي، وأخذت إيطاليا جزءاً عرف بالصومال الإيطالي، وأعطيت الحبشة جزءاً من الصومال، وهو إقليم أوغادين، وأعطيت كينيا جزءاً، وأخذت فرنسا جزءاً آخر عرف بالصومال الفرنسي.

ولم يتمكن الصوماليون من توحيد كل هذه الأجزاء المفتتة باستثناء الصومال الإنكليزي والصومال الإيطالي، وذلك أيضاً بعد أن أعطت إنكلترا جزءاً آخر من الصومال لأثيوبيا، وكون الصومال الفرنسي ما يعرف الآن بدولة جيبوتي،

وما زالت أثيوبيا وكينيا تحتفظان بما ضم إليهما من أراضي الصومال حتى الآن. عندما استقل كل من الصومال الإنكليزي والصومال الإيطالي عام ١٣٨٠هـ اتفقا في هدفهما نحو وحدة الصومال، وكونا جمهورية الصومال التي أعلنت أنها ستعمل على استعادة أراضيها المفقودة في أثيوبيا وكينيا، وتوترت العلاقات بين هاتين الدولتين والصومال حتى وقعت الحروب، وكان أولها في عهد الرئيس الصومالي عبد الرشيد على شير مارك، فقد وقع القتال بين الصومال وأثيوبيا عام ١٣٨٤هـ ثم أغتيل الرئيس الصومالي عام ١٣٨٩هـ واستطاع محمد زياد بري أن يسيطر على البلاد واتجه إلى الروس، وأعلن عن تطبيق الاشتراكية في البلاد وأعلن عن إلغاء اللغة العربية برغم كون الصومال أحد أعضاء جامعة الدول العربية، ثم حدثت الحرب بين الصومال وأثيوبيا عام ١٣٩٨هـ وفي هذه المرة دعمت الصومال جبهة تحرير الصومال الغربية في أثيوبيا، ودخلت قوات من الصومال إلى أثيوبيا، وتسبب هذا الهجوم في قطع العلاقات مع الروس الذين ساعدوا الأثيوبيين، واضطرت الصومال للانسحاب من أثيوبيا.

ظلت العلاقات متوترة بين البلدين حتى أبرم اتفاق السلام بين الدولتين عام ١٤٠٦هـ وبرغم ذلك أخذت أثيوبيا تدعم المعارضة الصومالية، وتدخل قواتها أرض الصومال، وبالنسبة لكينيا فقد تحسنت علاقاتها مع الصومال عام ١٤٠٤هـ، بيد أن كينيا قد اتهمت الصومال بدخول حدودها عام ١٤١٠هـ لمطاردة المعارضة، وتوترت العلاقات مرة أخرى بين الصومال وأثيوبيا لدعم أثيوبيا للمعارضة في الصومال، فأنشأت الصومال مكتباً للمعارضة الأثيوبية في مقديشو فزاد دعم أثيوبيا للمعارضة الصومالية، واشتدت المصادمات بين قوات حكومة الصومال وقوات فصائل المعارضة وحقت المعارضة انتصارات كبيرة على قوات الحكومة.

اضطر محمد زياد برى أن يفر من البلاد ودخلت قوات المعارضة مقديشو عام ١٤١١هـ بقيادة محمد فرح عيديد وعين على مهدي رئيساً للجمهورية بصفة مؤقتة لحين استقرار الأوضاع في البلاد، ثم حدث الخلاف بين فصائل المعارضة التي تنتمي إلى عدة قبائل في الصومال، فوقع الصدام بينها، وبدأت النزعات الانفصالية فأعلن في شمال الصومال عن تكوين جمهورية مستقلة في الوقت الذي يسيطر الحزب الاشتراكي الموالي لمحمد زياد برى على جنوب البلاد، بينما الصراع على أشده في مقديشو بين محمد فرح عيديد وعلى مهدي، وقتل الآلاف في الحرب الأهلية الدائرة في الصومال وفشلت الكثير من الجهود الرامية للمصالحة بين الفصائل المتنازعة، وحاولت الولايات المتحدة اتخاذ الظروف التي تمر بها البلاد ذريعة لتدخل قواتها الصومال، وبالفعل أرسلت قواتها إلى الصومال وساهمت معها دول أخرى متعددة الجنسيات ولكن هذه القوات لم تستطع إرساء الاستقرار في البلاد وقتل منها الكثير فاضطرت إلى الانسحاب من الصومال، وقتل محمد فرح عيديد في الحرب الدائرة في الصومال، وجاء ابنه ليتسلم مكانه وعقد في عام ١٤١٨هـ اتفاقاً للمصالحة بين الفصائل المتناحرة في الصومال بالقاهرة وهدأت الأوضاع إلى حد كبير، بعد آلاف الأرواح التي أزهرتها الحروب والمجاعات ونسأل الله عز وجل أن تستقر الأوضاع تماماً بالصومال وأن يتوقف نزيف الدم بها.

جيبوتي:

كانت خاضعة للاستعمار الفرنسي الذي كان يطلق عليها الصومال الفرنسي، ثم أطلق عليها عفار وعيسى، وهما القبيلتان اللتان يتكون منهما السكان في جيبوتي، واستقلت جيبوتي عن فرنسا عام ١٣٩٧هـ وتسلم حسن جوليد ابتدون رئاستها وتلزم جيبوتي سياسة الحيدة مع الدول المجاورة وهي

عضو في جامعة الدول العربية.

جزر القمر:

وتسكنها أغلبية مسلمة كاسحة وقد دخلها الإسلام عن طريق الدعوة، وهجرة مجموعة من العرب والفرس، وقد خضعت جزر القمر للاحتلال الفرنسي، واستمر الاحتلال حتى استقلت الجزر عام ١٣٩٥هـ، وقد منحت فرنسا الجزر استقلالها باستثناء جزيرة مايوت، بسب وجود جالية فرنسية كبيرة بها، ومما يميز جزر القمر عن بقية إفريقيا وجود المرتزقة الأوربيين بها بشكل كبير لحد وصل إلى تمكنهم من قلب نظام الحكم عدة مرات في الجزر.

وكان أول رئيس لجزر القمر بعد استقلالها أحمد عبد الله، ولم يشغل منصبه إلا قليلاً ثم قام انقلاب بقيادة على صويلح في نفس العام أطاح بأحمد عبد الله وتسلم سعيد محمد جعفر رئاسة الدولة، ثم أطاح على صويلح بسعيد محمد جعفر وتولى مكانه عام ١٣٩٦هـ، ثم لعب المرتزقة الأوربيون دورهم وقاموا بانقلاب قاده بوب دينار وقتلوا الرئيس على صويلح وأعيد الرئيس أحمد عبد الله إلى الحكم، وكان ذلك عام ١٣٩٨هـ وألغت منظمة الوحدة الأفريقية عضوية جزر القمر فيها لكثرة المرتزقة الأوربيين بها.

واستمرت محاولات الانقلاب التي يدبرها المرتزقة الأوربيون في الجزر وفشل أكثرها ثم اغتيل الرئيس القمري أحمد عبد الله في عام ١٤١٠هـ وتسلم بوب دينار السلطة حين اختيار رئيس جديد للدولة ثم اختير سعيد محمد جوهر رئيساً للبلاد وحاول بوب دينار أن يتمسك بالسلطة، إلا أن فرنسا استغلت هذا الموقف ووصلت إلى جزر القمر بحجة إرساء الاستقرار في الجزر، وفر على أثر ذلك بوب دينار مع مجموعة من المرتزقة إلى خارج جزر القمر، وأعلن الرئيس سعيد محمد جوهر أنه سيسمح للقوات الفرنسية بالتواجد في جزر القمر

لتدريب قوات الأمن القمرية، وقد حاولت جزر القمر الانضمام إلى جامعة الدول العربية، ولم تقبل الجامعة انضمامها إلا في عام ١٤١٧هـ وتعيش الآن جزر القمر فترة عصيبة أخرى من تاريخها بعد قيام عدة جزر بمحاولة الانفصال وتكوين دول مستقلة وقد قام المرتزقة الأوروبيون بدور فعال في هذه المحاولات وكان أشهرهم مرتزق فرنسي قام بانقلاب في عام ١٤١٨هـ.

تشاد:

وهي من الدول الأفريقية ذات الأغلبية المسلمة الكاسحة وقد خضعت للاستعمار الفرنسي حتى أعطاها الاستقلال في عام ١٣٨٠هـ بعد أن سلم النصارى مقاليد الحكم في البلاد، فقد تسلم رئاسة الجمهورية فرانسوا تمبالباي وهو نصراني برغم أن نسبة النصارى في البلاد لا تزيد عن ٥٪، وتكونت الحكومة التشادية بحيث شكل المسلمون نصفها والنصارى والوثنيون نصفها الآخر برغم أن نسبة المسلمين ٨٥٪ من السكان والوثنيين ١٠٪ والنصارى ٥٪ مما يعد إجحافاً كبيراً بحقوق المسلمين، وقد دعمت القوات العسكرية الفرنسية التسلط النصراني على البلاد، وذلك بالاتفاق معهم على وجود قواعد عسكرية فرنسية بتشاد.

وكانت الأوضاع في البداية مستقرة بالبلاد، ثم بدأ الحقد الصليبي يسقط أقنعتة المزيفة ويظهر بوجهه الحقيقي، وذلك عندما زار السفير اليهودي الرئيس التشادي والذي استقبله في عام ١٣٨١هـ، فاهتزت مشاعر المسلمين لذلك، وذلك لكون اليهود العدو رقم واحد للمسلمين، ولعدوانهم المستمر على الإسلام والمسلمين على مر التاريخ، فعارض الوزراء والسياسيون المسلمون قبول سفير لإسرائيل في البلاد، وأعلنوا ذلك للرئيس الذي لم يأبه برأيهم ووعده السفير الإسرائيلي بردع المسلمين، وبالفعل أجرى الرئيس التشادي تعديلاً

وزاريا أخرج فيه الوزراء المسلمين، وأحل مكانهم غير مسلمين واعتقل الوزراء والسياسيين المسلمين ونفى بعضهم إلى الخارج فاستيقظ أهل البلاد المسلمون من سباتهم العميق وعمت الثورات أرجاء البلاد حتى بلغت ذروتها عام ١٣٨٥هـ وتشكلت الجبهة الوطنية لتحرير تشاد واتخذت من السودان مقراً لها وزاد اشتعال الثورة في عام ١٣٨٧هـ وفي هذه المرة بقيادة الجبهة الوطنية لتحرير تشاد واستطاعت أن تسيطر على الأجزاء الشمالية من البلاد، وأخذت فرنسا تساعد الرئيس التشادى فى التصدى للثورة، وآزرت ليبيا الثوار التشاديين وانتقل مقر الجبهة الوطنية لتحرير تشاد إلى الجزائر وفى عام ١٣٩١هـ، فشل انقلاب بقيادة أحمد عبد الله الذى انتحر بمجرد فشل الانقلاب، واتهمت تشاد ليبيا بأنها وراء هذا الانقلاب، ثم تدخلت ليبيا بشكل أكبر فى المشكلة التشادية، واحتلت شريط أوزو عام ١٣٩٣هـ بالإضافة إلى دعمها للثوار التشاديين، وفى عام ١٣٩٥هـ حدث انقلاب عسكري بقيادة رئيس الأركان النصرانى عبد القادر كاموغا قتل على أثره الرئيس التشادى فرانسو تيمبالباس، وعين فيليكس مالوم النصرانى رئيساً للبلاد.

ثم عقد مؤتمر فى الخرطوم للمصالحة الوطنية، والذى يقضى بالاعتراف بفيليكس مالوم رئيساً للجمهورية وحسين حبرى رئيساً للوزراء، ثم ما لبث أن زادت الخلافات بين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، واستطاعت الجبهة الوطنية لتحرير تشاد أن تسيطر على أجزاء كبيرة من تشاد بقيادة غوكونى عويدي، الذى تؤازره ليبيا وذلك فى عام ١٣٩٨هـ، ثم انهارت السلطة تماماً فى تشاد ودخلت القوات الموالية لحسين حبرى العاصمة نجامينا وفر فيليكس مالوم خارج البلاد، ودخلت أيضاً القوات الموالية لغوكونى عويدي العاصمة نجامينا، ثم عقدت مفاوضات بين حسين حبرى وغونكى عويدي وطرحت عدة مقترحات لاستقرار البلاد، ولكن الاتفاقات التى عقدت لم تدخل حيز التنفيذ

إلا فترة وجيزة بالبلاد، ثم عادت الانقسامات والحرب الأهلية إليها وانسحبت القوات الفرنسية من تشاد عام ١٤٠٠هـ ليزيد احتدام القتال بين الأطراف المتصارعة وخاصة بعد أن أصبح الصراع بين المسلمين.

وفي عام ١٤٠٠هـ عقدت ليبيا معاهدة صداقة ودفاع مشترك مع حكومة غوكونى عويدى، وتدخلت القوات الليبية بشكل مباشر فى الحرب الدائرة بينه وبين حسين حبرى، واستطاع غوكونى عويدى أن ينتصر وانسحب حسين حبرى إلى الحدود مع السودان، ودعمه كل من مصر والسودان لخلافهم مع ليبيا فى ذلك الوقت وقد اقترح لقيام وحدة بين ليبيا وتشاد، ولكن غوكونى رفض وطلب من ليبيا الانسحاب من تشاد، فلبت ليبيا طلبه وسحبت قواتها عام ١٤٠٢هـ فاستغل حسين حبرى انسحاب ليبيا، واستطاع أن يدخل العاصمة نجامينا فى نفس العام، وشكل مجلس برئاسته وشغل منصب رئيس الجمهورية، وفر غوكونى من البلاد وبدعم من ليبيا استطاع أن يسيطر على الأجزاء الشمالية من البلاد بينما تسيطر على الأجزاء الجنوبية من البلاد قوات موالية لعبد القادر كامونغا، وتوهجت نيران الحرب الأهلية فى البلاد وزاد عدد اللاجئين إلى الدول المجاورة.

تعاونت فرنسا مع حسين حبرى بينما تعاونت ليبيا مع غوكونى عويدى وتعاونت الدول الصليبية فى أفريقيا ونصارى العالم مع عبد القادر كامونغا واستغل سماسرة السلاح فى العالم هذه الحرب للحصول على الأموال الطائلة وكثيراً ما وقعت المصادمات بين ليبيا وفرنسا داخل تشاد، ثم بدأت القوات الليبية تضعف وسلمت أكثر مواقعها إلى قوات غوكونى عويدى، واستطاعت القوات التشادية الموالية لحسين حبرى أن تسيطر على مدينة أوزو من القوات الليبية ووقع الكثير من الليبيين فى الأسر ولكن ليبيا استطاعت استعادتها مرة أخرى ورفضت الجمعية العامة للأمم المتحدة التحكيم فى قضية إقليم أوزو المتنازع عليه بين ليبيا وتشاد

وأرجعت السبب إلى أن هذه القضية من اختصاص منظمة الوحدة الأفريقية، وظل الوضع غير مستقر في تشاد وظهر إدريس ديبي رئيس أركان الجيش التشادي، ومستشار حسين حبري الذي تحول إلى معارضة حسين حبري، وفي نفس الوقت عمل حسين حبري على استغلال الأسرى الليبيين في الانضمام لصفوف المعارضة الليبية المتمثلة في الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا، والتي يرأسها محمد المقريف.

وفر إدريس ديبي إلى السودان ثم إلى ليبيا والتقى بمعمر القذافي الذي وعده بمساعدته ضد حسين حبري، وبدأ الخلاف يدب بين حسين حبري وفرنسا، ووقع القتال بين قوات حسين حبري والحركة الوطنية للإنقاذ برئاسة إدريس ديبي في شرق البلاد ولكنه انهزم أمام إدريس ديبي الذي استطاع دخول العاصمة نجامينا وفر حسين حبري خارج البلاد واعترف غوكوني عويدي بالنظام الجديد للحكم وأطلق سراح الأسرى الليبيين وبدأ الاستقرار يعود للبلاد ولكن ظهرت المعارضة من جديد وحدثت محاولتا انقلاب عام ١٤١٢هـ ولكنهما فشلتا وسكان الجنوب يعترضون على الحكم، ويدعون أن الجيش يتسلط عليهم كما أن هناك بعض المعارضين في شمال البلاد للحكم لانتماء حسين حبري إليهم.

النيجر:

استقلت النيجر عن فرنسا عام ١٣٨٠هـ وتولى هاماني ديوري منصب رئيس الجمهورية ومكث في المنصب أكثر من عشر سنوات ثم قامت القوات المسلحة بانقلاب عسكري ضده، وعين القائد العام للقوات المسلحة سيني كاونتشي رئيساً للجمهورية، وانسحبت في عهده القوات الفرنسية المتبقية في النيجر، وتوفي الرئيس النيجري عام ١٤٠٨هـ نتيجة لمرضه وتولى رئاسة النيجر على سايبو.

مالي:

وكانت تعرف بالسودان الفرنسي في عهد الاحتلال الفرنسي، وقد شكلت قبل

استقلالها مع السنغال دولة متحدة تحت التبعية الفرنسية، ثم ما لبث أن انحل هذا الاتحاد وأعلنت جمهورية مالي المستقلة عام ١٣٨٠هـ، وتسلم الرئيس موديو كيتا رئاسة للجمهورية، الذى اتسم بسياسته المتضمنة العزلة والاستبداد، ثم قام ضده انقلاب عسكري عام ١٣٨٨هـ أطاح به، وتسلم موسى تراورى منصب رئيس الجمهورية، وفى عهده نشبت مشكلة النزاع حول الشريط الحدودى بين مالي وبوركينا فاسو، ووقعت مصادمات بينهما عام ١٤٠٦هـ ثم اتفقت الدولتان على التحكيم الدولى الذى أقر بتقسيم المنطقة بين الدولتين مناصفة.

وفى عام ١٤١١هـ استطاع أحمد توماني ثورى أن يستولى على السلطة ويطيح بموسى تراورى.

السنغال:

كما سبق وأن ذكرنا فإن السنغال ومالي شكلا دولة مالي المتحدة فى ظل الاحتلال الفرنسى، وما إن استقلت هذه الدولة عن فرنسا حتى انفصلت السنغال عن اتحاد مالي، وأعلنت جمهورية السنغال عام ١٣٨٠هـ وتولى ليوبولد سنجور منصب رئيس الجمهورية، والذى استقال من منصبه عام ١٤٠١هـ وترك الرئاسة لرئيس وزرائه عبده ضيوف، وفى عهده جرت مفاوضات للاتحاد مع غامبيا ودخلت السنغال غامبيا ثم فشلت الوحدة بينهما، وانسحبت القوات السنغالية من غامبيا عام ١٤١٠هـ، وكذلك وقعت أزمة سياسية بين موريتانيا والسنغال سبق أن تكلمنا عليها فى الجزء الخاص بموريتانيا.

غامبيا:

وقع تنازع بين إنكلترا وفرنسا عليها انتهت بتنازل فرنسا عنها لإنكلترا واستقلت عام ١٣٩٠هـ وأعلن قيام الجمهورية التى تولى رئاستها داود غاوارا وفى عام ١٤٠٠هـ طلب من السنغال أن تدخل قواتها غامبيا لمساعدتها فى ضبط الأمن بها، وحدث فى

عام ١٤٠١هـ انقلاب في غامبيا أطاح بدادود غاوارا، وتسلم كاكوي سامبا سانينغ رئاسة الجمهورية، ودخلت القوات السنغالية غامبيا، واستطاعت أن تقضى على الانقلاب وأعدت داود غاوار رئيساً لغامبيا، وقد وضعت خطة لاتحاد غامبيا مع السنغال في دولة واحدة يطلق عليها سنغامبيا، بحيث يكون عبده ضيوف رئيساً لها ويكون داود غاوارا نائباً له ثم اختلف الرئيسان وانحل الاتحاد عام ١٤١٠هـ.

تنزانيا (تنجانيقا):

خضعت تنجانيقا للاستعمار الألماني، ثم حل الاستعمار الإنكليزي محله بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، أما سلطنة زنجبار التي كانت تمثل شريطاً ضيقاً على الساحل الشرقي لأفريقيا وجزيرتي زنجبار ومببا، فقسمت أراضيها بين الفرنسيين والإنكليز والألمان واليطاليين، حتى لم يبق لسلطانها إلا جزيرتا زنجبار ومببا، ثم آلت كل سلطنة زنجبار إلى الإنكليز عام ١٣٨٠هـ وأعطت إنكلترا تنجانيقا (تنزانيا) الاستقلال عام ١٣٨١هـ وأصبحت من دول الكومنولث البريطاني، ومنحت سلطنة زنجبار استقلالها عام ١٣٨٣هـ وكان سلطانها هو جلمشيد بن عبد الله خليفة، فلعبت السياسة الدولية دورها في زنجبار وخلقت الفتنة بين المسلمين والأفارقة والعرب في زنجبار، فوقع انقلاب عسكري في زنجبار عام ١٣٨٣هـ بقيادة عبيد كرومي أطاح فيه بالسلطان جلمشيد وقتل في هذا الانقلاب ما يزيد عن ١٦٠٠٠ عربي لأن الاستعمار صور للأفارقة أن العرب محتلون للجزيرة لا يحق لهم حكمها، وقتل من المسلمين ما يزيد عن ٥٤٠٠٠ ووقع عبيد كرومي مع حكومة تنجانيقا اتفاقاً ينص على الاتحاد معها في دولة واحدة أطلق عليها تنزانيا، وكان رئيس تنزانيا يوليوس نيريري قد جعل عبيد كرومي نائباً له.

وانتقم الله من عبيد كرومي الذي ظن أنه بما فعل سينال أعلى المناصب في

البلاد، ولكنه نسي أن أعداء الإسلام لا يقون على أحد، وخاصة إن كان من المسلمين، وقد رأوا أن دوره قد انتهى ووجوده يمثل نفوذاً مسلماً فى البلاد فاغتيل عام ١٣٩٤هـ، وعين عبود جومبى حاكماً لجزيرة زنجبار وأصبح الشعب الزنجبارى غير راض عن الاتحاد بين زنجبار وتنزانيا، وذلك لأن السلطة بيد النصارى، بينما السكان فى كل زنجبار وتنزانيا أغليبتهم مسلمون، وكان الحكم النصرانى يمارس أبشع وسائل القهر للمسلمين فى تنزانيا، وقد ساعدت القوات التنزانية الجبهة الوطنية الأوغندية فى الإطاحة بالرئيس الأوغندى المسلم عىدى أمين عام ١٣٩٩هـ، واستقال عبود جومبى من منصبه عام ١٤٠٣هـ، وعين على حسن مويناي حاكماً على زنجبار عام ١٤٠٣هـ وكان يشغل فى نفس الوقت منصب نائب الرئيس التنزانى وانتخب رئيساً لتنزانيا عام ١٤٠٥هـ بعد يوليوس نيريرى، وأصبح بالفعل رئيساً للجمهورية وساعدت تنزانيا موزمبيق ضد المعارضين للحكومة عام ١٤٠٧هـ وأنزلت قواتها إليها ثم انسحبت فى عام ١٤٠٨هـ ودعمت موسيفينى الذى استولى على السلطة فى أوغندا عام ١٤٠٦هـ، وتبلغ نسبة المسلمين فى تنزانيا ٦٢% أما النصارى فيبلغون ٢٧% والوثنيون ١١% وتزيد نسبة المسلمين فى زنجبار ففصل إلى ٩٠%.

نيجيريا:

استقلت نيجيريا عن إنكلترا عام ١٣٨٣هـ وكانت تتكون من عدة أقاليم اتحادية أضيف إليها جزء من الكاميرون قبل استقلالها، ونيجيريا من إحدى دول رابطة الشعوب الإنكليزية. وتبلغ نسبة المسلمين فى نيجيريا ٧٥%، وأما النصارى ١٥% والباقي وثنيون، وكالعادة قبل أن يترك الاستعمار البلاد ترك السلطة فى يد النصارى الأقلية فشغل ناندى أزيكوى منصب رئيس الجمهورية وفى نفس الوقت كان الضباط ذوى الرتب العالية فى الجيش من النصارى،

فأصبح الجيش أيضاً بأيديهم، وبرغم ذلك شغل منصب رئاسة الوزراء أبو بكر تفاوة ونائبه أحمد بيللو وهما من المسلمين، وقد عملا على إحياء روح الإسلام في نيجيريا وإفشال أى محاولة للنفوذ اليهودى، بل أعلنوا ذلك على الملأ وبدأت اللعبة الدولية النصرانية لإخراس أى صوت إسلامى فى نيجيريا، فدعموا أحد الضباط النيجيريين وهو تشوكوجانزوغو فقام بحركة تمرد قتل فيها أحمد بيللو وأبو بكر تفاوة والوزراء المسلمين فى الحكومة.

بل امتد الذبح لمن شك فى تعاونهم مع المسلمين وكان ذلك عام ١٣٨٥هـ ولحبك المؤامرة الدولية استسلم تشوكو مانزوغو لقائد الجيش النصرانى جونسون أغوى إيروني.

ومما هو جدير بالذكر أن أكثر سكان شمال نيجيريا من المسلمين، ويكثر النصرارى فى شرق نيجيريا وهم من قبيلة الإييو، وقد عمل الاستعمار الإنكليزى على دعمهم ليكونوا عوناً له فى تثبيت سلطانهم فى البلاد وسلموهم سلطة البلاد عندما رحلوا منها.

وحتى لا يغضب المسلمون فى الشمال مما يحدث ويفتكون بالنصارى قامت لعبة نصرانية جديدة بدعم الضابط يعقوب غاوون أحد نصارى الشمال الذى يقل فيه النصرارى، واستولى على السلطة عام ١٣٨٦هـ وذلك لتهدئة مسلمى الشمال، حيث أن الحاكم منهم، ولكنه فى النهاية نصرانى، وفى العام نفسه أمر الحاكم العسكرى لشرقى نيجيريا بجمع جميع المسلمين الموجودين فى الاقليم الشرقى ونقلهم إلى مدينة أونيتشا، وأقام فيهم مذبحه عظيمة نجا منها أفراد قليلون هربتهم قبيلة الكالابار القاطنة فى هذا الإقليم، فلما علم سكان الإقليم الشمالى بذلك انتفضوا وهجموا على ثكنات الجيش فى الشمال، واستولوا على الأسلحة وانتقموا من أفراد قبيلة الاييو المقيمين فى الشمال، والذين أقاموا

المذبحة للمسلمين فى مدينة أونيتشا، واستثنى الشماليون المسلمون من القتل النساء والأطفال، ولم يقتربوا من أفراد قبيلة الكالابار، وحاول تشوكوميكا أوجوكو حاكم الإقليم الشرقى الانفصال عن نيجيريا، وجرت حرب أهلية طاحنة فى البلاد بينه وبين القوات الحكومية انتصرت فى نهايتها القوات الحكومية وفر تشوكوميكا أوجوكو من البلاد.

وفى عام ١٣٩٥هـ عندما كان الرئيس النيجيرى يعقوب غاوون فى مؤتمر القمة الإفريقية فى أوغندا اختار القادة العسكريون فى نيجيريا مرتضى الله رحمة محمد ليكون رئيساً للبلاد، وحكم لمدة عام ثم اغتيل عام ١٣٩٦هـ فتولى أولسيغن أوباسنجو رئيس أركان الجيش السلطة، وفى انتخابات الرئاسة عام ١٣٩٨هـ فاز شيخوشاغارى على برئاسة نيجيريا، وظل يشغل هذا المنصب حتى حدث انقلاب عسكري بالبلاد عام ١٤٠٤هـ قادة محمد بخارى وتولى السلطة فى البلاد حتى عام ١٤٠٥هـ حيث جرى انقلاب عسكري آخر بقيادة بابا نغيدا الذى استولى على السلطة فى البلاد.

الجابون:

خضعت للاستعمار الفرنسى واستقلت عنها عام ١٣٨٠هـ وتوالى على الحكم نصارى حتى جاء عام ١٣٨٧هـ، وتولى الرئيس عمر بونغو رئاسة الجابون وأشهر إسلامه عام ١٣٩٣هـ وبإسلامه أسلمت كل أسرته وقبيلته (البونغو) وأعلنت الكثير من القبائل الأخرى إسلامها: الباو ودوناو وبونو، ووصلت نسبة المسلمين فى الجابون إلى ٥٥٪.

ثانياً: الدول المستقلة ذات الأغلبية الإسلامية ولكن يحكمها غير المسلمين

تنفرد القارة الأفريقية بهذه الخاصية الغريبة بين قارات العالم الأخرى، فتوجد عدة دول بها تشكل أغلبية مسلمة، وبرغم ذلك تحكمها الأقلية

النصرانية، ويرجع سبب ذلك إلى الاستعمار النصراني الذي مكن للنصارى من حكم هذه البلاد، وحتى الآن يساعد النظام الحاكم على الاستبداد بالحكم، وتثبيت الأقدام، وتعمل السلطات الحاكمة بهذه البلاد على إعطاء إحصائيات عن المسلمين تظهرهم أقلية لتثبط همم المسلمين فى البلاد، ولإيهامهم أن الحكام النصارى هم الأغلبية، وللأسف الشديد تنصاغ الكثير من الدول الإسلامية لهذه الإحصائيات وتعترف بها، وهذه الدول هى غينيا، الكاميرون، غينيا بيساو، بنين، توجو، بوركينافاسو، كوت دى فوار، أفريقيا الوسطى، سيراليون، وأثيوبيا.

غينيا:

استقلت غينيا عن فرنسا عام ١٣٧٨هـ، وبعد مرور عام على استقلالها أعلن عن قيام وحدة بينها وبين غانا، ولكنها لم تستمر وانفصلت الدولتان، وكان أول رئيس للبلاد هو أحمد سيكوتورى الذى قاد النضال ضد الاحتلال الفرنسى، وجرت عدة محاولات للانقلاب ولكنها باءت بالفشل، وتوفى أحمد سيكوتورى عام ١٤٠٤هـ وهو يجرى عملية جراحية فى الولايات المتحدة، فاستولى الجيش على الحكم واختير لانزانا كونتية رئيساً للدولة، وهو نصرانى، وكان رئيس الوزراء المسلم ديارا تراورى قد أنزله الرئيس الغينى الجديد من منصبه إلى منصب وزير التربية الوطنية، فحاول القيام بانقلاب عام ١٤٠٥هـ أثناء وجود الرئيس الغينى فى توجو ولكن المحاولة فشلت وقتل ديارا تراورى، وظل النصارى مسيطرين على هذا البلد المسلم والذى تبلغ نسبة المسلمين فيه ٩٣٪.

الكاميرون:

فى البداية كانت خاضعة لفرنسا، ثم انفقت على التنازل عنها لألمانيا فى مقابل إطلاق العنان للفرنسيين فى المغرب، ثم دخلتها قوات الحلفاء بعد هزيمة ألمانيا فى

الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٧هـ وتقاسم الفرنسيون والإنكليز الكاميرون، ولكن نصيب الأسد منها كان لفرنسا، بينما احتفظت إنكلترا بجزء صغير في الغرب ضم شماله إلى نيجيريا وحصلت الكاميرون على استقلالها عام ١٣٧٩هـ، وضمت إليها إقليم الكاميرون الجنوبي الذي كان يحتله الإنكليز عام ١٣٨١هـ، وأعلن قيام جمهورية الكاميرون وعين أحمد أهيدجو رئيساً للجمهورية وتنازل أحمد أهيدجو عن منصبه في عام ١٤٠٣هـ لرئيس الوزراء بول بيا النصراني بدون سبب مقنع، فأخذ الرئيس الجديد يعزل السياسيين المسلمين، وطرد كل من رئيس الوزراء ووزير الدفاع المسلمين، لاتهامهما بتدبير مؤامرة للإطاحة به، بل وقدم الرئيس السابق أحمد أهيدجو الذي تنازل له عن المنصب إلى المحاكمة، بتهمة التورط في الانقلاب وحكم عليه بالإعدام غيابياً ثم استبدل بالحبس مدى الحياة، ولكنه كان قد فر خارج البلاد مما يبين مدى سذاجة أحمد أهيدجو وغدر وخساسة بول بيا.

وحاول العقيد صالح إبراهيم التمرد على السلطة الجديدة في البلاد عام ١٤٠٤هـ، ولكن قوات بول بيا سحقتم التمرد وأخذ الرئيس بول بيا يعزل الكثير من السياسيين المسلمين بحجة أنهم من مؤيدي الرئيس السابق، بل وزج بأكثرهم ومن أيدهم في غياهب السجون والمعتقلات، يذوقون فيها أشد ألوان العذاب وكانت العلاقات مع إسرائيل مقطوعة في عهد أحمد أهيدجو فوصلها الرئيس الصليبي عام ١٤٠٦هـ وقد حدثت صراعات على الحدود بين الكاميرون ونيجيريا، ولكن ما لبث أن تحسنت العلاقات بينهما.

ومما هو جدير بالذكر أن نسبة المسلمين في الكاميرون ٦٠% بينما نسبة النصارى لا تزيد عن ١٦% والبقية وثنيون والسلطة ما زالت بين النصارى.

غينيا بيساو

عانت هذه المنطقة من نير الاحتلال البرتغالي الذي اشتهر بقسوته ودمويته

في كل مستعمراته، وبخاصة تجاه المسلمين وكانت البرتغال وأسبانيا دائماً سباقتين في الفتك بالمسلمين وصب ألوان العذاب عليهم، وقد أخذ أعداء الإسلام القدوة منهما في إبادة المسلمين.

استطاعت غينيا بيساو بعد عناء شديد أن تستقل عن البرتغال عام ١٣٩٤هـ وبرغم أن حوالي ٦٠% من السكان مسلمون، إلا أن البرتغاليين قد تركوا السلطة بيد النصارى الذين يمثلون أقلية في البلاد.

بنين

وكان يطلق عليها داهومي وخضعت للاستعمار الفرنسي، واستقلت عنه عام ١٣٨٠هـ وتغير اسمها إلى بنين عام ١٣٩٥هـ وتبلغ نسبة المسلمين في البلاد ٦٠% ونسبة النصارى الذين بيدهم السلطة ١٠%.

توجو:

اشتركت كل من فرنسا وإنكلترا في السيطرة على توجو ونالت استقلالها عام ١٣٧٩هـ وتبلغ نسبة المسلمين بها ٥٥% وطبعاً كغيرها ترك المستعمر السلطة للنصارى من أهل البلاد الذين لا يشكلون أكثر من ١٥% والباقي وثنيون.

بوركينافاسو:

وقد استقلت عن فرنسا عام ١٣٨٠هـ، وكان يطلق عليها فولتا العليا ثم تغير اسمها إلى بوركينافاسو عام ١٤٠٤هـ، وبرغم أن نسبة المسلمين ٦٥% إلا أن المستعمر ترك السلطة للنصارى حتى الآن، وقد قامت بها عدة انقلابات عسكرية ولا فرق بين أى منها، فالحكم في النهاية يؤول للنصارى الذين لا تزيد نسبتهم في البلاد عن ١٠%.

كوت دى فوار:

وكانت خاضعة للاحتلال الفرنسى واستقلت عام ١٣٨٠هـ، وكان يطلق

عليها ساحل العاج ثم احتفظت باللفظ الفرنسي وهو كوت دى فوار، ليكون الاسم الوحيد الدال على الدولة عام ١٤٠٦هـ، وبرغم أكثرية المسلمين فيها الذين تزيد نسبتهم عن ٦٠% من السكان، إلا أن المستعمر قد ترك السلطة بيد النصارى الذين لا تزيد نسبتهم عن ١٢%.

أفريقيا الوسطى:

استقلت عن فرنسا عام ١٣٨٠هـ وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٥٥% وبرغم ذلك فالسلطة بيد النصارى البالغ نسبتهم ٢٥% وحدثت بها عدة انقلابات فى البلاد لم تغير بها الحال فقد ظل الحكم للنصارى.

سيراليون:

كانت للاستعمار الإنكليزى واستقلت عنه عام ١٣٨٠هـ برغم أن أكثرية السكان من المسلمين، إلا أن المحتل قبل أن يرحل قد أعطى السلطة إلى النصارى الذين لا تزيد نسبتهم عن ١٠% من السكان، بينما يشكل المسلمون أكثر من ٨٠% من السكان.

أثيوبيا وإريتريا:

كما سبق وأن ذكرنا أن الحبشة (أثيوبيا) قد نجت من الاستعمار الأوروبى للتخطيط الاستعماري، الذى عمل على دعمها كدولة نصرانية تحيط بها الدول الإسلامية لتكون قاعدة الصليبية فى شرق أفريقيا، فتكون لها أطماع توسعية فى بلاد المسلمين حولها، وكذلك تكون عوناً لأى محاولة تزعزع استقرار الدول المحيطة بها.

وكان موسوليني ذو الأطماع التوسعية قد عارض الكنيسة، بل ألغى الفاتيكان، وتوسع فى الحبشة واحتلها لفترة قليلة وكانت الحبشة تضم فى ذلك الوقت هضبة الحبشة وإقليم هرر وإقليم أوغادين ذوى الأغلبية المسلمة الكاسحة، الذين أهداهما الإنكليز والطلبان للحبشة عندما احتلوا الصومال ومصر، وكانت إيطاليا تحتل

إريتريا فأعلن موسوليني عن تشكيل أفريقية الشرقية الإيطالية التي تتكون من إريتريا والحبشة والقسم الجنوبي من الصومال، ثم قامت الحرب العالمية الثانية وانهزمت إيطاليا ودخلت قوات الحلفاء أملاكها الأفريقية، وأعلنت الحبشة الحرب على دول المحور، ثم قررت الأمم المتحدة فصل الحبشة عن إريتريا والصومال الجنوبي والغربي (هررو وأوغادين) وأعطت الحبشة استقلالها، وبذلك فهي لم تخضع للاستعمار أكثر من ٧ سنوات، بينما أعلنت أن الصومال الجنوبي والغربي وإريتريا من أملاك إيطاليا، وأخذ إمبراطور الحبشة هيلاسيلاسى يعلن عداوته الصريحة للإسلام، وأخذ يعمل على ضم الأجزاء الإيطالية إلى الحبشة والدول النصرانية معجبة جداً باتجاه أثيوبيا، فعملت على تحقيق أهدافها على حساب المسلمين فأصدرت الأمم المتحدة قرارها عام ١٣٧٠هـ بإقامة اتحاد بين إريتريا والحبشة، وبذلك ضمت إريتريا للحبشة، ثم أرسلت الحبشة جيشها عام ١٣٧٢هـ فاحتل إريتريا، وواصلت الحبشة أساليبها القمعية في إريتريا، فمنعت تدريس اللغة العربية وعملت على إسكان النصارى وإقطاعهم الأراضي الخصبة في إريتريا، وطرده المسلمين إلى أفقر المناطق.

هذه أمثلة قليلة من البشاعة التي ارتكبتها الأحباش في إريتريا وما كانوا يرتكبونه في الحبشة، وكل المناطق الإسلامية الخاضعة لهم، وعلى الصعيد الخارجي وطدت الحبشة علاقتها مع اليهود وأطلقت العنان لنفوذهم في البلاد وتدريب الجيش، ومن ناحية أخرى زادت أعمال القمع ضد المسلمين في البلاد، وتأسست جبهة تحرير إريتريا في مقديشو وفي عام ١٣٨٢هـ صدر قرار حكومي من الحبشة باحتلال إريتريا عسكرياً بحيث يكون ضمها رسمياً.

مشكلة الصومال الغربي

أطلقت إنكلترا وفرنسا وإيطاليا العنان للحبشة في التوسع في الصومال الغربي، فضمت الحبشة منطقة هرر وأوغادين ثم جاء الاحتلال الإيطالي للحبشة وأعلن ضم الصومال الغربي إلى الصومال الإيطالي، ثم خرج الطليان من الحبشة ودخلتها قوات

الحلفاء التي أعلنت أنها ستمنح الصومال الغربي استقلاله بعد عشر سنوات، وقبل أن تمر السنوات العشر سحبت القوات الإنكليزية قواتها من الصومال الغربي لتركه لقمة سائغة للأحباش، بعد أن أبرمت معهم اتفاقاً بذلك عام ١٣٧٤هـ فدخل الأحباش الصومال الغربي وضموه إلى الحبشة، ولم تظهر الأمم المتحدة أى اعتراض على هذا التصرف، وواصل الأحباش تعنتهم وبغيهم فى الصومال الغربى (أوغادين وهرر) فأغلقوا دور حفظ القرآن وجرموا تعليم اللغة العربية، ومارست وسائل القمع المتعددة مع المسلمين من قتل واعتقال وتعذيب، وقامت حركة كبيرة فى أوغادين عام ١٣٨٣هـ بقيادة الشيخ طاهر تمكنت من السيطرة على هرر ومناطق كثيرة محيطة بها، وحقت الكثير من الانتصارات على الجيش الحبشى، فوقف اليهود والنصارى فى العالم مع الحبشة، وكان فى جيش الحبشة الكثير من النصارى واليهود والكثير من الأسلحة اليهودية والأمريكية والأوروبية، فقضت على الحركة الإسلامية، وواصل الأحباش سياستهم القمعية للمسلمين، وتاريخ الأحباش حافل بالمذابح والإبادة للمسلمين ومحاولات التنصير الإجبارية المستمرة لهم، وسبى النساء، وخطف الأطفال، والإرهاب، وفرض الضرائب الباهظة عليهم، بالإضافة إلى المحاولات المستمرة بطمس هويتهم، وبناء الكنائس فى مدنهم، واستمر الاضطهاد والتنكيل بالمسلمين على نطاق أوسع وأشرس.

الأطماع فى جنوب السودان

عملت الحبشة على مساعدة الانفصاليين فى جنوب السودان لعدة أهداف منها؛ أنها تطمع فى ضم جنوب السودان، حيث يقود النصارى فكرة الانفصال، كما أن السودان تساعد جبهة تحرير إريتريا، فتريد أن تضغط على السودان ليكف عن مساعدة الإريتريين، وعلى الأقل ستستفيد بزعة الأوضاع فى بلد مسلم مجاور كما رسم لها التخطيط الصليبي.

سقوط نظام هिला سيلاسى

قامت القوات المسلحة الأثيوبية بانقلاب عسكري عام ١٣٩٤هـ، وأسقطت نظام هिला سيلاسى مستغلة المجاعة والأحوال المتردية بالبلاد، وأعلن قيام الجمهورية فى أثيوبيا، والذي طبق فيها النظام الشيوعى وأصبح منغستو هو الحاكم العسكرى للبلاد المسيطر عليها، ونشأت عدة مجموعات معارضة للحكم الجديد.

الوضع فى الصومال الغربى

قامت قوات جمهورية الصومال عام ١٣٩٧هـ بهجوم يستهدف تحرير الصومال الغربى من الاحتلال الحبشى، واستطاعت إحراز انتصارات كبيرة على الجيش الأثيوبى، ولكن المساعدات الروسية تدفقت على أثيوبيا - وكذلك - اليهود، فانقلبت الآية وتراجعت القوات الصومالية أمام أثيوبيا، التى أخذت تتبعها ودخلت أراضى جمهورية الصومال، ثم اتفقت الدولتان على العودة للحدود الدولية بينهما، وكانت الصومال تدعم المعارضة الأثيوبية فى أثيوبيا؛ ولذلك دعمت أثيوبيا المعارضة الصومالية، وكان لأثيوبيا دور كبير فى سقوط نظام زياد برى عام ١٤١١هـ، ووقوع الحرب الأهلية بها بدعمها للفصائل المتناحرة فى الصومال.

الوضع فى إريتريا

زاد نشاط جبهة تحرير إريتريا منذ عام ١٤٠٤هـ ودخلت عملياتها العسكرية نطاقاً واسعاً ضد القوات الحكومية، وفى نفس الوقت وجدت جبهة تحرير تجرة التى تعاونت مع جبهة تحرير إريتريا ضد القوات الحكومية، وأخذت الهزائم تتوالى على القوات الحكومية، وانضمت جبهة تحرير تجرة مع المعارضة الأثيوبية تحت اسم الجبهة الديمقراطية الثورية لتحرير شعوب أثيوبيا، واستطاعت المعارضة الأثيوبية أن تسيطر على أكثر أراضى البلاد، فى الوقت الذى سيطرت فيه جبهة تحرير إريتريا على أكثر أجزاء إريتريا، وجاء عام

١٤١١ هـ فاستطاعت قوات تحرير تجرة دخول العاصمة أديس أبابا وإسقاط نظام منغستو واتفق على استفتاء فى إريتريا لتقرير مصيرها، واختارت الانفصال، وبالفعل أعلن قيام جمهورية إريتريا المستقلة عام ١٤١٤ هـ ورئيسها أساياسى أفورقى، وقبل أن نترك أثيوبيا ونتكلم عن إريتريا تجدر الإشارة إلى أن سكان أثيوبيا تزيد فيهم نسبة المسلمين عن ٦٠٪ أما فى إريتريا فتزيد نسبة المسلمين عن ذلك بكثير، وبرغم أكثرية المسلمين فى أثيوبيا إلا أن السلطة بيد النصارى شديدي الحقد والبطش على المسلمين.

إريتريا:

عمت الفرحة فى كثير من بلدان المسلمين باستقلال إريتريا عن أثيوبيا بعد أن ذقت الأمرين من النصارى الأحباش، ولكن غاب عن الكثير من المسلمين الأهداف اليهودية والأمريكية من وراء استقلال إريتريا وقد أجابت الأيام عن هذه الاستفسارات (١).

وعلى الصعيد الخارجى شنت إريتريا هجوماً مفاجئاً على جزر حنيش

(١) فقد فرض نصارى العالم واليهود حاكماً غير مسلم كشرط لإعطاء إريتريا استقلالها، وبمجرد سيطرته (أساياسى أفورقى) على الحكم حتى مضى فى تحقيق الأهداف الصليبية العالمية فى هذا البلد الذى تزيد نسبة المسلمين فيه عن ٧٥٪ فدمج عدة أقاليم إسلامية فى مقاطعات مسيحية وشكل حكومة تتكون من ١٢ وزير ٩ منهم نصارى و٣ مسلمين وعمل على طمس الهوية الإسلامية العربية، ورفض انضمام إريتريا إلى جامعة الدول العربية، وعمل على جعل اللغة التجريدية اللغة الرئيسية فى البلاد، ورفض سيادة اللغة العربية برغم أنها اللغة الأكثر انتشاراً فى البلاد، واعتيل الكثير من الشخصيات الإسلامية البارزة فى البلاد واعتقل آخرون، عمل أفورقى على التطبيع الكامل مع إسرائيل، وأغلق الكثير من المعاهد الإسلامية ورفض فتح مكاتب للكثير من المنظمات الإسلامية، بينما فتح الباب على مصراعيه للإرساليات التنصيرية وازداد بطش الجبهة الشعبية بالمسلمين فى إريتريا، واعتدوا على العديد من القرى بها، وأخذوا أكثر من خمسمائة امرأة مسلمة، وأختطفوا العديد من الأطفال، وغيرها من الأفاعيل الخسيسة التى تليق بأعداء الإسلام.

التابعة لليمن والقريبة من سواحل إريتريا، واتضحَت السياسة اليهودية والأمريكية التي كانت ترمى لجعل إريتريا موقعاً لِمنازلة المسلمين وإحداث الواقعة بينهم، وهذا أسلوب يفوق دعم الحبشة النصرانية ضد المسلمين فهنا يكون العداء بين المسلمين أنفسهم، مما يؤدي إلى نتائج أشع وأخطر بكثير من العداء بين المسلمين وغير المسلمين، بالإضافة إلى تقوية النفوذ اليهودي والأمريكي في المنطقة، فقد شارك الجيش الإسرائيلي بعدد من قواته في احتلال جزر حنيش، كما أمد إريتريا بأسلحة عالية الكفاءة لحسم المعارك مع اليمن، ولم تعقب الولايات المتحدة ولا العالم على هذا الاعتداء، بل ضغط على اليمن لتقبل التحكيم الدولي على جزر حنيش، ومما زاد تأكيد التخطيط الأمريكي اليهودي لتحركات إريتريا مساعدة إريتريا للمعارضة السودانية، والتي جعلت من السودان مسرحاً للحروب والصراعات.

ويقود المقاومة ضد نظام أفورقي حركة الجهاد الإسلامي وجبهة التحرير.

ثالثاً: الدول المستقلة ذات الأقلية المسلمة

وتشمل بقية دول القارة وسنقتصر على عرض نسبة المسلمين في بعض الدول فيها

١ - كينيا ٣٥٪.

٢ - أوغندا ٣٠٪ وقد وصل المسلمون إلى الحكم فيها بقيادة عيدي أمين الذي أسقط نظامه بتخطيط صليبي عام ١٣٩٩هـ وذبح في إسقاطه أكثر من نصف مليون مسلم على يد الجيش التنزاني الذي دخل أوغندا، وكانت تنزانيا في ذلك الوقت يحكمها نصارى، وتتلقى دعماً صليبياً عالمياً لإسقاط نظام عيدي أمين المسلم في أوغندا، وللأسف نجحت في ذلك وكان بأوغندا مملكة بوغندا الإسلامية في عهد الحكم المصري، حتى جاء الاستعمار الإنكليزي فعمل على إسقاطها.

٣- موزمبيق ٣٠٪.

٤- مالاوت ٣٥٪.

٥- مالا جاش ٢٥٪.

٦- ليبيريا ٣٥٪ وقد شهدت حرباً أهلية فى الآونة الأخيرة استهدفت إبادة المسلمين بقيادة عصابة تشارلز تيلور، وارتكب فيهم أبشع جرائم القتل والتمثيل مثل قطع ألسنة المؤذنين، وأبيد الآلاف من المسلمين، واستطاع البعض الفرار إلى الدول المجاورة مثل غينيا وسيراليون، وتبعت عصابة تشارلز تيلور المسلمين فى سيراليون، وقتلت الكثير منهم وأخذ المسلمون يوحدون صفوفهم لوقف المجازر، وتكونت لذلك حركة إنقاذ مسلمى ليبيريا، واستطاعت أن تسيطر على الكثير من الأجزاء ذات الأغلبية المسلمة، والتي بلغت حوالى ثلث مساحة ليبيريا وعندما عملت الأمم المتحدة على المصالحة بين الفصائل المتناحرة، وجرى انتخاب رئيس مسلم لليبيريا أضرمت الصليبية العالمية الحرب الأهلية من جديد وحدث انقلاب عسكري فى البلاد أطاح بالرئيس المسلم.

٧- غانا ٣٠٪.

٨- غينيا الاستوائية الجديدة ٣٥٪.

٩- موريشيوس ٢٠٪.

١٠- بوروندى ٢٥٪.

١١- الكونغو ٢٠٪.

١٢- زائير ١٠٪.

الملاحق

- ملحق (١) العطاء الحضارى للمسلمين
ملحق (٢) الفرق الإسلامية وأثرها فى التاريخ
ملحق (٣) منظمات وأفكار ضد الإسلام
ملحق (٤) العبر والعظات

ملحق (١)

أولاً : العطاء العلمى للمسلمين عبر التاريخ

إن انطلاقة المسلمين الأولى فى مجال العلوم والمعرفة إنما تنبعث من عقيدتهم. يقول تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾. والرسول ﷺ يقول: «من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع» فيجعل مقام طلب العلم فى صف المجاهدين لإعلاء كلمة الله - عز وجل - من ناحية المنزلة والأجر، ويعتبر الرسول ﷺ للطريق الذى يسلكه طالب العلم طريقاً مؤدياً إلى الجنة فيقول: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة».

ولم يفرق القرآن بين علم الدنيا وعلم الدين، بل أوصى بهما جميعاً، وجمع علوم الكون فى آية واحدة، وحث عليها وجعل العلم بها سبيل إلى خشية الله وطريق معرفته وذلك فى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾ وفى ذلك إشارة إلى الهيئة والفلك وارتباط السماء بالأرض، ثم قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ وفى ذلك إشارة إلى علم النبات وغرائبه وعجائبه وكيميائه، ثم قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾ وفى ذلك الإشارة إلى علم الجيولوجيا وطبقات الأرض وأدوارها وأطوارها، ثم قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ وفيها الإشارة إلى علم البيولوجيا والحيوان بأقسامه من إنسان وحشرات وبهائم، فهل ترى هذه الآيات غادرت شيئاً من علوم الكون؟ ثم يردف ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ أفلمست ترى من هذا التركيب العجيب أن الله يأمر الناس بدراسة الكون ويحضهم على ذلك، ويجعل العارفين منهم بدقائقه وأسراره هم أهل معرفته وخشيته؟

ولسنا فى حاجة إلى الاستطراد فى هذا المعنى، فإن الواقع العلمى الذى ستحدث عنه الآن يوضح لنا إلى أى مدى أخذ العلماء المسلمون الأوائى على عاتقهم مهمة رفع العلم والاكتشاف والبحث والابتكار.

معرفة تمحيص لا معرفة تبعية وتقليد:

كان أول انفتاح المسلمين الجاد فى مجال العلوم الدنيوية فى العصر العباسى، وقد بدأت بنقل وترجمة تراث الحضارات السالفة وأنفقوا فى سبيل ذلك أموالاً طائلة، فترجم مثلاً كتاب أبقراط الطيب اليونانى، وكتاب تحليل القياس لأرسطو وكتاب التشريح لجالينوس وبصريات بطليموس، والموازنة له، وكتب أخرى حول الساعة المائية والأجسام الطافية لأرشميدس، لقد أحيا العلماء المسلمون كثيراً من تراث الأمم السابقة بعد أن كاد يندثر... حتى أنهم كانوا يبحثون عن أصول كتب فقدت ويئس الناس من العثور عليها: (فقد قضى البيرونى أكثر من أربعين سنة يفتش عن نسخة من كتاب مانى «سفر الأسرار» إلى أن وفق فى الحصول عليها).

تقول زيغريد هونكة صاحبة كتاب (شمس العرب تسطع على

الغرب):

(لقد عرفت أوروبا تراث العالم القديم عن طريق العرب فقط، فترجمة العرب للمخطوطات اليونانية، والشروح التى وضعها العرب عليها، والكتب التى ألفها العرب، كل هذه كانت العامل القوى فى النهضة العقلية الجرمانية...).

وقد أنشأ المأمون مدرسة ببغداد أطلق عليها (بيت الحكمة) يتعلم فيها أبناء العرب اللغات المختلفة، حتى يجيدوا النقل عن تلك اللغات، وقد جعل النظر فى أمر هذه المدرسة إلى طبيب نسطورى هو (يحيى بن ماسوية) المتوفى سنة ٢٤٣هـ على علم بالسريانية والعربية.

تطوير وإبداع:

هضم المسلمون علوم الأولين، ثم انطلقوا يطورون فيها ويبحثون، فكانت نهضتهم العلمية السريعة واحتلالهم مكان السيادة في هذا المجال أمراً معجزاً.

تقول زيغريد: (... إن هذا الشعب الصحراوي حمل لواء النهضة العلمية الفكرية في العالم وبسرعة البرق، وظل أبناء الصحراء حاملين لهذا اللواء دون منازع، مدة لا تقل عن ثمانية قرون).

وتقول: (لم يتسلم العرب التراث دون تفكير، بل أخذوه وخلقوه خلقاً جديداً).

أمثلة:

١ - كان المسلمون أول من استعمل المنهج التجريبي في علمهم

ولم تكن هذه طريقة الأقدمين ولا يهتمون بذلك، فلم يقتنعوا إلا بالتجربة العلمية في أبسط الأشياء، فعندما شرع السلطان عضد الدولة في بناء مستشفى جديد، كلف الطبيب المشهور أبا بكر الرازي اختيار أنسب مكان وأصح، فاستدعى الرازي بعض غلمانه، وأعطاهم قطعاً من اللحم، وأمرهم بتعليقها في أماكن متفرقة من نواحي بغداد، ثم مر بعد وقت على قطع اللحم المعلقة، واختار المكان الذي لم تتغير فيه قطع اللحم بسرعة، ولم يعترها التلف، فبنى المستشفى، بهذه التجربة البسيطة نجد أن أبا بكر الرازي اختار المكان الصحي الخالي من الجراثيم.

ولقد اكتشف الحسن بن الهيثم من خلال البحث والتجربة، الخطأ الذي وقع فيه بطليموس وأويقليد. فقد قال كل منهما أن العين ترسل شعاعاً، وإن هذا الشعاع هو الذي يسبب الرؤية، ولكن العكس هو الصحيح؛ لأن الأجسام المرئية هي التي ترسل الأشعة إلى العين، وإن عدسة العين هي التي تستقبل تلك

الأشعة فترى بها الأشياء. وهذا لأن ابن الهيثم جلس فى حجرة مظلمة فلم ير شيئاً، فسقط شعاع على بعض ما فى الحجرة، فرأى ذلك الشيء الذى سقط عليه الشعاع فقط. إذاً لو كانت العين هى التى ترسل الأشعة لرأينا الأشياء فى الظلام، ولكننا لا نراها إلا إذا وقع عليها الضوء، وانعكست منها الأشعة، وأكمل تجاربه، وأخرج القانون.

٢ - كتابة الأعداد

كانت أوروبا تستعمل فى ذلك الوقت الطريقة الرومانية غير الأنيقة فى كتابة الأعداد، بحيث يعبر عن العدد بوضع أجزائه المؤلفة بجانب بعضها. فمثلاً إذا أردنا أن نكتب رقم ١٨٢٥ نكتب بالأرقام الرومانية على النحو التالى $mdccc\ xx\ v$ لأن مقدار $M = ١٠٠٠$ و $D = ٥٠٠$ و $C+C+C = ١٠٠ + ١٠٠ + ١٠٠ = ٣٠٠$ و $C = ٢٠$ و $x + x = ١٠ + ١٠$ و $V = 5$ فاستبدل علماء المسلمين هذه الطريقة بالطريقة العشرية الحديثة، التى لا تزال نسميها بالطريقة العربية حتى الآن، وهذه الطريقة تتطلب ابتكار الصفر، ليرتب عليه النظام الذى يحدد مقدار العدد.

٣ - وفى علم الفلك

يقول غوستاف لوبون: (إن آلات الرصد التى اعتمد عليها اليوزجاني كانت على جانب عظيم من الدقة، فإنه رصد الميول بربع دائرة نصف قطرها ٢١ قدمًا، وذلك ما لا يسهل على الفلكيين فى يومنا هذا).

٤ - وفى مجال الجغرافيا

لم يكن لأوروبا مصدر لتصور شكل العالم إلا ما رسمه الشريف الإدريسي، الذى صنع كرة فضية ضخمة، تمثل الكرة الأرضية وما تزال محفوظة فى متاحف برلين حتى اليوم، وكتابه (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) مترجم إلى معظم لغات أوروبا الحديثة.

٥ - وفى مجال الطب

يقول المستشرق سيريو:

(إن الرازى وابن سينا سيطروا بكتبهما الطبية على مدارس الغرب زمنًا طويلاً، وعرف ابن سينا فى أوروبا طبيياً، فكان له على مدارسها سلطان مطلق ستة قرون تقريباً، فترجم كتابه (القانون فى الطب) المشتمل على خمسة أجزاء فطبع عدة مرات، باعتباره أساساً للدراسات فى جامعات فرنسا وإيطاليا..).

٦ - فى الصيدلة وعلم الأدوية

اشتهر ابن البيطار الذى ساح فى أسبانيا والمغرب ومصر وسوريا وآسيا الصغرى، ومن مؤلفاته (المغنى فى الأدوية المفردة) (والجامع لمفردات الأدوية والأغذية) وكتاب (المغرب) وهذا الأخير ضم فيه ٢٣٣٠ فصلاً من الأطعمة والأدوية النباتية، وقد عثر على (٣٠٠) وصف لأدوية كانت مجهولة قبل ذلك، حتى عرف فى أوروبا بأنه (أبو علم النبات).

إن الأدلة على العطاء الحضارى للمسلمين فى هذه الفترة الزمنية كثيرة. يقول غوستاف لوبون: (إن أول من قام بالتجربة والرصد فى الغرب هو بيكن، ولكنه يجب أن يعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم). وتقول هونكة: (حاول اليونانى المفكر شرح وتعليل المعرفة عن طريق الفلسفة، فباشر كيمياء نظرية، وفلسفة طبيعية.. أما العرب فهم أول من ابتدع طريقة الملاحظة، والملاحظة الدقيقة المنظمة).

ثم تقول: (إن أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية، وإن الدِّينَ الذى فى عنق أوروبا وسائر القارات للعرب كبير جداً، وكان يجب على أوروبا أن تعترف بهذا الصنيع من زمن بعيد، لكن التعصب الدينى، واختلاف العقائد، أعمى

عيوننا، وترك عليها غشاوة، حتى أننا نقرأ ثمانية وتسعين كتاباً من مائة، فلا نجد فيها إشارة لفضل العرب وما أسدوه إلينا من علم ومعرفة).

وهكذا بإيجاز شديد كانت أمة الإسلام فى عطائها العلمى للبشرية دافعهم الأول رضا ربهم تبارك وتعالى، وحبهم للإنسانية والرغبة فى إسعادها، فلما دار الزمان وبعد المسلمون عن دينهم، صاروا فى مؤخرة الركب أتباع وأذئاب لحضارة غربية همجية، تستخدم العلم لتدمير البشرية بلا حدود ولا ضابط من خشية الله والخوف من عذابه.

وإليك المزيد من أسماء علماء الإسلام الأفاضل وسوف تلاحظ أمراً عجبياً وهو نبوغ الواحد منهم فى أكثر من مجال وتخصص:

اسم العالم	نشأته	المجالات التى اشتهر وبرع فيها
الزهرائى	(٣٢٥ - ٤٠٤) هـ ولد بالأندلس وتوفى بها	أعظم جراح فى الإسلام ومؤلفاته مترجمة إلى اللاتينية ولغات أخرى.
ابن سينا	(٣٧٠ - ٤٢٨) هـ. ولد قرب بخارى وتوفى فى همدان بإيران	فيلسوف وطبيب وكيميائى ورياضى وشاعر من أشهر مؤلفاته: القانون فى الطب ترجم إلى لغات عديدة وكان أشهر كتب الطب فى القرون الوسطى. علقته صورته فى كنائس كثيرة فى أوروبا، وهى لا تزال تزين قاعات كلية الطب بجامعة باريس، كما أن له مؤلفات فى شتى المجالات.

اسم العالم	نشأته	المجالات التي اشتهر وبرع فيها
ثابت بن قرة	(٢٢٠ - ٢٨٥)هـ ولد فى حران (تركيا) وتوفى فى بغداد	فيلسوف وطبيب ورياضى وفلكى يعتبر واضع اللبانات الأولى لعلم حساب التفاضل والتكامل. وله مؤلفات فى كافة المجالات العلمية السابقة
نجم الدين المصري	من علماء القرن السابع الميلادى ولد فى مصر	خريج الأزهر الشريف برع فى علوم الفلك واهتم بدراسة الميقات. له فى مكتبة أكسفورد بانجلترا مخطوطة عربية تضم جداول فلكية بها أكثر من ربع مليون قيمة محسوبة بدقة متناهية.
ابن النفيس	(٦٠٧ - ٦٨٧)هـ ولد بدمشق وتوفى بالقاهرة.	طبيب - فيلسوف - فقيه مكتشف الدورة الدموية الصغرى والتي بنى على أساسها هارفى الإنكليزى اكتشافه للدورة الكبرى بعد ثلاثة قرون من وفاة ابن النفيس.
الحسن بن الهيثم	(٣٥٤ - ٤٣٠)هـ ولد فى البصرة وتوفى فى القاهرة	عالم البصريات - الرياضة - الفلك له أكثر من مائتى مؤلف. وقد سبق الإشارة إلى بعض إنجازاته العلمية.
الجاحظ	(١٦٤ - ٢٥٥)هـ ولد وتوفى بالبصرة	أديب وعالم وله ثلاثمائة وخمسين مؤلف فى مجالات علمية مختلفة من أشهرها كتاب الحيوان والبخلاء.

اسم العالم	نشأته	المجالات التي اشتهر وبرع فيها
جمشيد	ظهر فى القرن التاسع الهجرى نشأ فى إيران	فلكى ورياضى رصد كسوف الشمس له فيه مؤلفات وهو أول من أدخل الكسر العشرى فى الحساب.
الخوارزمي	(١٦٤ - ٢٣٢) هـ - ولد فى خوارزم وتوفى فى العراق	فلكى ورياضى أول من ألف علم الحساب، وهو مكتشف الصفر أطلق عليه الغرب كبير الرياضيين.
الدميري	(٧٤٨ - ٨٠٨) ولد بصعيد مصر (قرية دميرة) درس بالأزهر وأصبح من أساتذته.	علم الأحياء - الأدب - مؤلف كتاب حياة الحيوان الكبرى وهذا الكتاب يعتبر مزيج من العلم والأدب والتاريخ والفقہ.
الرازي	(٢٤٠ - ٨٥٤) هـ - ولد وتوفى فى الرى بالقرب من طهران بإيران.	فيلسوف وطبيب وصيدلى وكيميائى ورياضى وموسيقى. قيل: أن الطب كان ميئاً حتى أحياء جالينوس وكان متفرقا حتى جمعه الرازي، وكان ناقصا حتى أكمله ابن سينا. عدد مؤلفاته يصل إلى ٢٢٤ كتاب.
ابن رشد	(٥١٩ - ٥٩٥) هـ - ولد فى قرطبة بأسبانيا وتوفى فى مراكش بالمغرب	فيلسوف وفلكى وطبيب شرح كتب أرسطو وبسطها، تولى مناصب رفيعة لأمراء الأندلس إلا أنه لأسباب ما اضطهد وسجن عدة مرات، وحرمت كتبه وأحرقت على مرأى ومسمع منه.

اسم العالم	نشأته	المجالات التي اشتهر وبرع فيها
الشریف الإدريسی من نسل الأدارسة	(٤٩٤ - ٥٦٢)هـ— ولد في سبته وتوفي في صقلية.	برع في الجغرافيا، وله مؤلف فيه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) وبرع كذلك في العقاقير والنباتات الطيبة وله فيه (الجامع لصفات أشتات النبات).
البتاني	(٢٤٠ - ٧٧٩)هـ ولد في حران وتوفي بالعراق	نبغ في الفلك، أطلق عليه بطليموس العرب، حدد بدقة طول السنة المدارية والفصول. أول من استخدم الجيوب والأوتار في قياس المثلثات والزوايا.
ابن بطوطة	(٧٠٤ - ٧٧٩)هـ— ولد في طنجة (المغرب) وتوفي في مراكش	رحالة وجغرافي بلغ مجموع أسفاره ١٢٠٠٠٠ كيلو متر أمضى فيها ٣٨ سنة من عمره.
البوزجاني	(٣٢٩ - ٣٨٨)هـ ولد في بوزجان بإيران وتوفي في بغداد	رياضي وفلكي أول من وضع النسبة المثلثية (الظل) كما أنه أدخل القاطع وقاطع التمام، وفضله واضح في حساب المثلثات

اسم العالم	نشأته	المجالات التي اشتهر وبرع فيها
البيروني	(٣٦٢ - ٤٤٣) هـ. ولد في خوارزم وتوفي في العراق	فيلسوف ومؤرخ وطبيب وكيميائي ورياضي وفلكي. وله مؤلفات عديدة قدرت بمائة وثمانية مؤلفات.
ابن البيطار	(٥٩٤ - ٦٤٧) هـ. ولد بالأندلس وتوفي بدمشق	عالم في النبات والأعشاب الطبية والصيدلة.
جابر بن حيان	(١٠٣ - ٢١٠) هـ.	فيلسوف وكيميائي، وقيل أنه سمي جابر لأنه جبر (أى أصلح) علوم الكيمياء، نقلها من الصنعة القديمة إلى العلم الحديث، وهو شيخ الكيميائيين العرب. وبلغ عدد مؤلفاته مائة وتسعين مؤلفاً..
الخازن	من علماء القرن السادس الميلادي بيزنطي الأصل	رياضي وفلكي وفيزيائي وميكانيكي اخترع ميزاناً لوزن الأجسام في الهواء وفي الماء، وكانت حساباته وأوزانه بالغة الدقة.

ثانياً: حركة التدوين والجمع والأئمة المجتهدين

(العهد الذهبي للتشريع الإسلامي)

لقد ترك لنا رسول الله ﷺ بعد وفاته قانوناً مكتوباً من نصوص الأحكام في القرآن والسنة، ومواد هذا القانون الأساسى ليس كل واحد من المسلمين أهلاً لأن يرجع إليها بنفسه ويستنبط منها الأحكام، خاصة أن القرآن كان فى أول الأمر مدون فى صحف خاصة محفوظة فى بيت الرسول ﷺ وبيوت بعض الصحابة وهى متفرقة، أما السنة فلم تكن مدونة أصلاً إلا قليلاً..

فكان أهم عمل أنجزه الخلفاء الراشدون وأجمعت عليه الأمة أنهم جمعوا القرآن وفق منهج علمى دقيق لكى يكون مرجعاً كاملاً فى الاستنباط والتشريع. أما المصدر الثانى من التشريع وهو السنة فلم تدون كلها فكانت أيضاً متفرقة محفوظة فى الصدور يتناقلها الثقة، ولكن التدوين فيها تأخر إلى منتصف القرن الثانى، حينما نشطت حركة الجمع والتدوين للسنة النبوية، وكان ممن سبق إليها من رجال هذا القرن: ابن شهاب الزهري (١٢٤هـ) وابن جريح الملكى (١٥٠) وابن اسحق (١٥١هـ) وسفيان الثوري (١٦١هـ) ومالك ابن أنس (١٧٩هـ) وابن المبارك (١٨١هـ) ثم تتابع الناس.

ثم قيض الله لجمع الحديث فوجاً من طلبة العلم يعدون بالآلاف ويمتازون بعلو هممتهم وشدة نشاطهم وقوة احتمالمهم وصبرهم وقوة ذاكرتهم وحفظهم، وقد تدفق سيلهم من بلاد العجم، قد شغفوا بجمع الحديث حتى حال بينهم وبين الشهوات، فطاروا فى الآفاق ونقبوا فى البلاد فى البحث عن الروايات المختلفة والأسانيد الصحيحة، وكان لهم هيام وغرام لم يعرفا عن أمة من الأمم المحبة للعلم فى التاريخ، يدل على ذلك ما يروى عن أخبار المحدثين من التجول فى البلاد والسفر فى العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه:

فقد روى أن البخارى صاحب الصحيح قد بدأ رحلته العلمية وهو لا يزال فى الرابعة عشرة من عمره، وقد زار البلاد الإسلامية ما بين بخارى ومصر وشيوخها.

وروى عن أبى حاتم الرازى (٢٧٧هـ) أنه قال: (أول ما رحلت أقمت سبع سنين ومشيت على قدمى زيادة على ألف فرسخ، ثم تركت العدد وخرجت من البحرين إلى مصر ثم الرملة ماشياً ثم إلى طرطوس ولى عشرون سنة).

وقد سمع محدث الأندلس ابن حبون (٣٠٥هـ) الحديث فى الأندلس والعراق والحجاز واليمن وهكذا قطع قارة أفريقيا من طنجة إلى مصر وعبر البحر الأحمر..

ولم يقتصر عمل هؤلاء المخلصون على جمع الحديث وتدوينه، بل تعدت عنايتهم إلى البحث فى كل ما يتصل بعلم الحديث، ويساعد على معرفة درجة صحة الحديث، كعلم معرفة رجال الحديث أى البحث فى تاريخ وسيرة رواة الحديث، وهو العلم المسمى فى الاصطلاح علم الجرح والتعديل.. إن هذا العلم هو من مفاخر أمتنا التى لا يشاركها فيها أمة من الأمم، يقول الدكتور (اسبرنجر) Sprenger فى مقدمته الإنجليزية على كتاب الإصابة فى تمييز الصحابة ما ترجمته:

(لم تعرف أمة فى التاريخ -ولا توجد الآن على ظهر الأرض- وفقت لاختراع فن مثل أسماء الرجال الذى نستطيع -بفضله- أن نقف على ترجمة خمسمائة ألف (نصف مليون) من الرجال).

فكان العلماء لا يتخرجون من شيء ولا يهابون من أحد، وهم يتناولون هذا العلم، فهذا الذى يضعفوه أو يوثقونه طالما أنه اتصل بحديث رسول الله وجب بيان حاله، أهو كذاب أم صادق، هل حفظه متين أم ضعيف... ما

أخلاقه؟ وهكذا حتى يضمنوا صحة الحديث.

هكذا أصبح تدوين الحديث موضوع عناية هذه الأمة حتى خرّجت لنا كتب تجمع ما صح من حديث النبي ﷺ وفي مقدمتها الكتب السبعة التي تواضع عليها علماء هذا الشأن:

- ١- الجامع الصحيح للبخاري.
- ٢- الجامع الصحيح لمسلم.
- ٣- الموطأ للإمام مالك.
- ٤- الجامع للترمذي.
- ٥- السنن لأبي داود السجستاني.
- ٦- السنن للنسائي.
- ٧- السنن لابن ماجه.

ولا شك أن أميزها في الصحة والقبول هو (الجامع الصحيح) لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (٢٥٦هـ)، والتالي له (الجامع الصحيح) لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ).

تدوين الفقه:

بعد جمع القرآن وتدوين الحديث هذا التدوين الدقيق، أصبحت مصادر التشريع الرئيسية التي يرجع إليها الفقهاء والمجتهدون ممهدة وميسرة، مما شجع على تدوين الفقه كذلك.

وقيض الله لهذا الأمر رجالاً أيضاً من الأفاض والنوابغ، كان منهم الأئمة الأربعة أبو حنيفة (١٥٠هـ) مالك (١٧٩هـ) والشافعي (٢٠٤هـ) وأحمد بن حنبل (٢٤١هـ) ولقد قدر لفقهم أن يعيش حتى اليوم، وقد وهبوا حياتهم للعلم وآثروا ذلك على كل راحة ولذة وجاه، لقد عرض على الإمام أبي حنيفة منصب القضاء مرتين فأبى وامتنع، ومات في السجن، وضرب مالك مائتي سوط لأجل مسألة جهر بها، وخلعت كتفاه، وهى أن طلاق المكره ليس

بشيء، وقد قضى الشافعى معظم حياته فى عسر وضنك وبذل صحته وقوته فى استنباط الأحكام وتدوين الفقه، وعارض أحمد بن حنبل اتجاه حكومة هى كبرى الحكومات وأقواها على ظهر الأرض فى عصره، ودافع عن السنة والفكر الإسلامى الصحيح حتى عوقب وضرب وسجن.

وقد أنتج كل واحد منهم ثروة علمية وخلف تراثاً فقهياً ينوء بالمجامع العلمية والمؤسسات الكبيرة فى هذا العصر، فقد روى أن أبا حنيفة قال ستين ألف مسألة، وكذلك شأن مالك فى الفقه فكتابه المدونة الذى هو مجموعته الفقهية تبلغ نحو ستة وثلاثين ألف مسألة، وكتاب الأم الذى هو من إفادات الشافعى مجموعة فقهية ضخمة تقع فى سبعة أجزاء، وقد جمع بعض العلماء مسائل الإمام أحمد فى أربعين مجلداً وسموه الجامع لعلوم الإمام أحمد. ثم تتلمذ على يد هؤلاء فقهاء آخرون هم حشد كبير وذخر عظيم لهذه الأمة الخالدة.

عهد التقليد من (٤٥٠هـ)

هو العهد الذى فترت فيه همم العلماء عن الاجتهاد المطلق، والرجوع إلى المصادر الرئيسية مباشرة من قرآن وسنة، واكتفوا بمجرد تقليد الأئمة السابقين. ابتدأ هذا العصر من منتصف القرن الرابع الهجرى ويرجع المؤرخون أسباب وقوف حركة الاجتهاد إلى أسباب منها:

١- انقسام الدولة الإسلامية إلى عدة ممالك يتناحر ملوكها مما شغل ولاة الأمور بالحروب والفتن وتدبير وسائل القهر والغلبة، وشغل الناس معهم فذب الانحلال العام وفترت الهمم فى هذا المجال مما أدى إلى وقوف حركة الاجتهاد.

٢- أن العلماء فشت فيهم أمراض خُلُقِيَّة، حالت بينهم وبين السمو إلى

مرتبة الاجتهاد، فقد فشا بينهم التحاسد والأناية فكانوا إذا طرق أحدهم باب الاجتهاد فتح على نفسه أبواباً من التشهير به، وحط أقرانه من قدره؛ فلهذا كان العالم يتقى كيد زملائه وتجريحهم له بأنه مقلد وناقل لا مجتهد ومبتكر، وبهذا ماتت روح النبوغ ولم ترفع في الفقه رؤوس، وضعفت ثقة العلماء بأنفسهم وثقة الناس بهم فولوا وجههم نحو مذاهب الأئمة السابقين.

٣- التعصب المذهبي من جهال أتباع الأئمة الفقهاء الذين ينتصرون لمذهبهم أصوله أو فروعه بكل الوسائل المنطقية وغير المنطقية، فتنافرت القلوب حتى بلغ الأمر بأحد أتباع الحنفية أن قال: كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ!! والأئمة الأربعة براء من هؤلاء فقد كانوا إخوة متحابين غير متعصبين شعار أحدهم: (إذا صح الحديث فهو مذهبي) و(كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم ﷺ).

وأخيراً فإن حاجة الأمة إلى أئمة مجتهدين لا تنقطع خاصة مع كثرة الحوادث والمشكلات التي تظهر مع التطور التكنولوجي الهائل وغيره، فنسأل الله عز وجل أن يرزق الأمة أمثال هؤلاء الأفاضل، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

ثالثاً: غير المسلمين في الدولة الإسلامية

الأصل في هذا الموضوع قوله تعالى:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المتحنة: ٨، ٩].

فالأية واضحة في معاملة غير المسلمين غير المحاربين ...

وفي الشرع يسمى المواطنون من غير المسلمين في المجتمع الإسلامي (أهل

الذمة) أو (الذميون) والذمة معناها العهد والضمان والأمانة، ولا عيب فى المصطلح، فهذه الذمة تعطى أهلها من غير المسلمين ما يشبه فى عصرنا الجنسية السياسية التى تعطىها الدولة لرعاياها فيكتسبون بذلك حقوق المواطنين ويلتزمون بواجباتهم.

حقوق أهل الذمة

- ١- الحماية من الاعتداء الخارجى وقد أجمع العلماء على ذلك.
- ٢- الحماية من الظلم الداخلى لقوله ﷺ « من آذى ذمياً فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله ».
- ٣- حماية الدماء والأبدان والأموال والأعراض، وقد أجمع العلماء على ذلك ولقوله ﷺ « من قتل معاهداً لم يشم رائحة الجنة ».
- ٤- التأمين عند العجز والشيخوخة.
- ٥- حرية التدين - راجع معاهدة القدس وغيرها.
- ٦- حرية العمل والكسب.
- ٧- تولى وظائف الدولة، إلا ما غلب عليه الصبغة الدينية، مثل رئاسة الدولة والقيادة فى الجيش والقضاء بين المسلمين، والولاية على الصدقات ونحو ذلك، وما عدا ذلك من وظائف الدولة يجوز إسناده إليهم، بشرط توفر الكفاية والأمانة والإخلاص للدولة فلا يكونون ممن يضمرون الحقد والعداء للمسلمين.

واجبات أهل الذمة:

- ١- أداء الجزية والخراج والضريبة التجارية.
- والجزية هي: ضريبة سنوية على النفس تتمثل فى مقدار زهيد من المال

يفرض على الرجال والبائعين القادرين حسب ثروتهم أما الفقراء فمعفون منها إعفاءً تاماً.

والدليل عليه قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

ومعنى الصغار: التسليم وإلقاء السلاح والخضوع لحكم الدولة الإسلامية. ونظير ذلك يتمتع الذميون بكافة الحقوق السالف ذكرها بالإضافة إلى عدم إلزامهم بالخدمة العسكرية، والتزام الحكومة المسلمة برد أى اعتداء خارجى يقع على ذمى، فكأن الجزية بدل مالى عن الخدمة العسكرية المفروضة على المسلمين، بل إن الجزية تسقط إذا عجزت الدولة المسلمة عن الوفاء بالتزامها والدفاع عن مواطنيها الذميين.

٢- التزام أحكام القانون الإسلامى، ولا يعنى ذلك التزامهم بأى من التكاليف التعبدية مثل الزكاة وليس عليهم أن يتنازلوا عما أحله لهم دينهم فى أحوالهم الشخصية والاجتماعية، وفيما عدا ذلك فعليهم أن يتقيدوا بالشرعية الإسلامية فى النواحي المدنية والجنائية ونحوها شأنهم شأن المسلمين.

٣- مراعاة شعور المسلمين، فلا يجوز لهم مثلاً أن يسبوا الإسلام ورسوله جهرة، ولا أن يبيعوا الخمر لأفراد المسلمين.. وحتى ما يراه الإسلام منكراً فى حق أبنائه وهو مباح فى دينهم يجوز لهم فعله، بشرط ألا يعلنوا به ولا يظهروا بصورة المتحدى للجمهور.

ولم تكن هذه الأحكام نظريات ومثل بل صدقها الواقع العملى وباستطاعتك أختى القارئ إذا قرأت هذا الكتاب التالى أن تقف على هذه الحقيقة ...

ينقل أمير البيان شكيب أرسلان في تعليقاته على كتاب الحاضر الإسلامي:
إن السلطان سليم عندما رأى أن عدد أهل الكتاب من النصارى واليهود
في الدولة العثمانية قد زاد عن بضعة ملايين، وأن هذا العدد ما ينفك يزداد
عامًا بعد عام، حدثته نفسه أن يجد طريقة يجد بها من تزايدهم، فعزم على أن
يخيرهم بين اعتناق الإسلام أو فالطرد من أراضي الدولة العثمانية ولكن عندما
تناهى الخبر إلى مسامع شيخ الإسلام العالم المؤمن على أفندى الزنبيلي، انبرى
للسلطان معترضًا على هذا الرأي، وقال للسلطان سليم: ليس لنا على هؤلاء
النصارى واليهود إلا الجزية، فما داموا يؤدونها فقد عصموا منا دمائهم وأعراضهم
وعبادتهم، وما يعتقدون، فلا يحق لك أن ترعجهم في دينهم، ولا يحق لك أن تخرجهم من
ديارهم

فرضخ السلطان سليم لحكم الإسلام.

ملحق (٢)

منظمات ضد الإسلام

أولاً: التبشير

مصطلح استخدمه الصليبيون فيما أسموه «بتعليم الدين المسيحي ونشره»

النشأة

وحقيقة التبشير أعلنها زويمر زعيم المبشرين في العالم في مؤتمر القدس عام ١٩٣٥م في خطابه إلى المبشرين في جميع أنحاء العالم:

«أيها الإخوان الأبطال والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية، واستعمارها لبلاد الإسلام، فأحاطتكم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس، لقد أديتم الرسالة التي نيّطت بكم أحسن أداء ووفقتم لها أسمى توفيق، وإن كان ليخيل إلى أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه، لم يفتن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه، إنني أقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين، لقد كانوا كما قلت أحد ثلاثة:

- إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام.

- أو رجل مستخف بالأديان يبغي الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش.

- وآخر يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية.

ولكن مهمة التبشير التي نددتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليس هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن هذا هداية لهم وتكريم، وإنما

مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به في الأعوام المائة السالفة خير قيام، وهذا ما أهنتكم عليه وتهنتكم دول المسيحية والمسيحيون جميعاً كل التهئة.

لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية.. ونشرنا في تلك الربوع مكان من التبشير والكنائس والمدارس المسيحية الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية، والفضل إليكم وحدكم أيها الزملاء، إنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهد.

إنكم أعددتم شباباً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراد له الاستعمار، لا يهتم بالعظام ويجب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات، وإذا جمع المال فللشهووات وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء.

إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه، وانتهيتم إلى خير النتائج وباركتكم المسيحية، ورضى عنكم الاستعمار، فاستمروا في أداء رسالتكم فقد استحققتم بفضل جهادكم المبارك بركات الرب».

أصدرت الهيئة الدولية لبحث الإرساليات المسيحية نشرة إحصائية عن التبشير (التنصير) وأنشطته في العالم لعام ١٩٩١م جاء فيها:

أن عدد المؤسسات التنصيرية ووكالات الخدمات المسيحية بلغ ١٢٠٨٨٠

وكالة ومؤسسة، وبلغ دخل الكنائس العاملة في مجال التنصير ٩٣٢٠ بليون دولار، وأنفقت ١٦٣ بليون دولار في خدمة المشاريع المسيحية، وقد حققت الإرساليات الأجنبية دخلاً مقداره ٨,٩ بليون دولار، وذكرت النشرة أن ٨٢ مليون جهاز كمبيوتر يعمل في خدمة التنصير، لحفظ ونشر المعلومات وقد صدر ٨٨١٦٠ كتاباً و ٢٤٩٩٠ مجلة أسبوعية للدعوة المسيحية، وبلغ عدد الأناجيل الموزعة مجاًناً ٥٣ مليون نسخة، ويبلغ عدد محطات الإذاعة والتلفزيون المعنية بالتبشير ٢٣٤٠ محطة، وبحسبة بسيطة نجد أن المبالغ المنفقة في علميات التبشير بلغت ١٨١ مليار دولار.

وترجع جذور التبشير إثر الانهزامات التي منى بها الصليبيون في حروبهم ضد المسلمين، يقول الأب اليسوعي ميبز: (إن الحروب الصليبية الهادئة التي بدأها مبشرونا في القرن السابع عشر لا تزال مستمرة في أيامنا...). وأكثر ما يبرز نشاط المبشرين في المناطق الفقيرة في أندونيسيا وماليزيا وبنجلاديش والباكستان وأفريقيا. وهم يستخدمون وسيلة الخدمات الاجتماعية بصورة أساسية في نشر فكرتهم.

ثانياً: العلمانية

- فكرة تقوم أساساً على فصل الدين عن الدولة أو عن الحياة.
 - كانت النشأة أولاً في أوروبا مع بداية الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر.
 - وهي فكرة من صناعة اليهود.
- يقول الكاتب الأمريكي وليام غاي كار: (لقد كان اليهود وراء فكرة فصل الدين عن الدولة) ويؤكد ذلك ما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون:

(لن يمضى غير سنوات معدودات حتى نشهد احتضار المسيحية، ولن تتطلب الديانات الأخرى، إلا اليسير من الجهد حتى تتبع المسيحية فى الانهيار، وسينحصر الدين ورجاله فى أضيق نطاق حتى تزول عنهم الهيبة..).

لقد تخلت أوروبا عن دينها الباطل الذى يجارب العلم والعلماء، فتقدمت وظن الجاهلون من المسلمين - وكان الجمود العرفى قد سرى فى كيان الأمة الإسلامية - أنهم إذا قلدوهم وتخلوا عن دينهم فسيقدمون، وبهرتهم الحضارة الأوروبية فحملوا الفكرة العلمانية.

نماذج من العلمانية فى العالم العربى والإسلامى

فى مصر: أدخل الخديوى إسماعيل القانون الفرنسى سنة ١٨٨٣ م.

الهند: حتى سنة ١٧٩١ م كانت الأحكام وفق الشريعة ثم تدرج فى إلغائها بتدبير الإنجليز حتى انتهى العمل بها فى أواسط القرن التاسع عشر.

الجزائر: ألغيت الشريعة عقب الاحتلال الفرنسى سنة ١٨٣٠ م.

تونس: أدخل القانون الفرنسى فيها سنة ١٩١٣ م.

تركيا: عقب إلغاء الخلافة الإسلامية ألغيت كافة المظاهر الإسلامية، وهكذا لم تمض فترة وجيزة من الزمن، إلا وقد انصبغت مظاهر الحياة فى المجتمعات الإسلامية بالصبغة العلمانية، وذلك بتأثير المفكرين والمثقفين والشيوخ الذين انخدعوا بريق الفكرة.

ثالثاً: الماسونية

ومعنى الكلمة البنائون الأحرار، ويقصد بها الذين بنوا هيكل سليمان، وهى منظمة يهودية سرية إرهابية غامضة محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم.

وهى ترفع شعارات براقعة مثل قولهم:

- أنه لا يتسنى لأى إنسان أن يكون ماسونياً إلا إذا كان حر النسب طيب السيرة يكافح الباطل ويناصر الحق.
- إن الماسونية دعوة إلى الحرية والمساواة والإخاء بين بنى الإنسان.
- الدعوة إلى وحدة الأديان.

أما باطنها: فهي منظمة يهودية غايتها محاربة الأديان وإباحة الرذيلة وتدبير الثورات والمؤامرات.

ووسيلتها: استعمال المال والرشوة والجنس مع الأشخاص المستهدف ضمهم إلى محفلهم، وهم يركزون على المشاهير من أصحاب المناصب الحساسة فينصبون شباكهم حول أحدهم من كل جانب، لإحكام السيطرة عليه وتسييره كما يريدون، فإذا وقع فى حبالهم ضموه إليهم، واشترطوا عليه أن يتجرد من كل رابط دينى أو أخلاقى أو وطنى، وأن يكون ولاؤه خالصاً للماسونية فإذا تملل أو عارض، تدبر له فضيحة كبرى أو قد يكون مصيره القتل.

ويتم قبول العضو الجديد فى جو مرعب مخيف، حيث يقاد إلى الرئيس معصوب العينين، وما أن يؤدى يمين حفظ السر ويفتح عينيه حتى يفاجأ بسيوف مسلولة حول عنقه، وبين يديه كتاب العهد القديم ومن حوله غرفة مظلمة فيها جماجم بشرية، وأدوات هندسية مصنوعة من الخشب وكل ذلك لبث المهابة فى نفس العضو الجديد.

وللماسونية محافل فى كل العالم تقريباً حيث تسيطر على الشخصيات الهامة فى كل بلد لضمان سيطرتها عليه.

يتضرع عن الماسونية :

الروتارى أو نادى الروتارى وقد جاء هذا الاسم من التناوب (In rotation)

تلك العبارة التي صاحبت الاجتماعات الأولى لأعضاء النادى الذين كانوا يعقدونها فى مكاتبتهم بشكل متناوب.

تتفق مع جميع أفكار ومعتقدات الماسونية، وتختلف عن الماسونية فى أن قيادة الماسونية ورأسها مجهولان، على عكس الروتارى الذى يمكن معرفة أصوله ومؤسسيه، وقد كان بداية ظهور هذه الأندية بأمرىكا سنة ١٩٠٥ م. ثم أصبح لها فروع فى معظم دول العالم.

وهناك أندية أخرى تشبه الروتارى، وتعمل بنفس الصورة مع تعديل بسيط، وذلك لإكثار الأساليب التى يتم بواسطتها بث الأفكار والسموم ومن هذه الأندية:

الليونز: بمعنى الأسود تأسست سنة ١٩١٥ م.

ومنها جمعية بنائى يرث: أو أبناء العهد وهى تأسست قديماً سنة ١٨٤٣ م. والماسونية وما يتفرع عنها تعتمد فى تغطية أنشطتها الباطنة على الأعمال الخيرية والشعارات البراقة.

رابعاً: اليهودية - الصهيونية

يوم ٢٩ آب / أغسطس ١٨٩٧ م اجتمع ٣٠٠ شخص يهودى من عتاة الصهيونية العالمية فى فندق بمدينة بازل السويسرية يقودهم صحفى نمساوى يهودى هو: تيودور هرتزل - مؤسس الحركة الصهيونية - بغرض أساسى هو الدعوة لتجميع اليهود من كل أنحاء الأرض فى دولة واحدة وإنشاء دولة لهم ولأن هرتزل تنبأ بأن تنشأ هذه الدولة خلال ٥ أو ٥٠ سنة - كما قال - فقد اعتبر إنشاء الدولة اليهودية الإسرائيلية عام ١٩٤٨ م أى بعد ٥٠ عاماً من مؤتمر

بازل بمثابة تحقيق الهدف الصهيوني الأساسى، وانتصار الحركة الصهيونية وحددت هدفها الرئيسى فى (إنشاء وطن للشعب اليهودى بفلسطين يضمه القانون العام) فقد حدد أربع وسائل أساسية لتحقيق هذا الهدف هي:

١- العمل على استعمار فلسطين بالعمال الزراعيين والصناعيين اليهود، وفق أسس مناسبة.

٢- تنظيم الصهيونية العالمية وربطها بمنظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة فى كل بلد.

٣- تقوية الشعور والوعى القومى اليهودى وتغذيته.

٤- اتخاذ الخطوات التمهيديّة للحصول على المواقف الحكومية الضرورية، لتحقيق غاية الصهيونية.

والحقيقة أن الصهاينة سعوا من خلال كل أسلوب من هذه الأساليب لوضع عدة خطط فى سبيل سيطرتهم على العالم، وتوفير متطلبات قيام هذه الدولة اليهودية وحماتها، استناداً للقوى الدولية المؤثرة الموجودة على الساحة العالمية. بعبارة أخرى: سعوا لترسيخ وجودهم فى مراكز النفوذ العليا (السياسية والمالية والإعلامية) فى هذه الدول الكبرى للتأثير من خلال ذلك على سياسات هذه القوى الكبرى، ولذلك اعتبروا (المؤتمر الصهيونى) أشبه بحكومة سرية سوف تسعى لتحقيق الأهداف الصهيونية. ولا شك أنهم حققوا الهدف الأول. وهو إقامة الدولة، كما حققوا الهدف الثانى الخاص بالتغلغل فى مراكز صنع القرار فى الدول الكبرى، وخلقوا بذلك نوعاً من الحماية الدولية على دولتهم المغتصبة لأرض فلسطين.

ولو تتبعنا المسيرة الصهيونية فى هذا الصدد فسوق نلاحظ أنهم اعتمدوا فى البداية على بريطانيا التى قدمت لهم وعد بلفور، وحثتهم من بطش الجيوش

العربية، كما اعتمدوا على فرنسا التي أمدتهم بأول مفاعل نووي وبأهم الأسلحة الموجودة في ذلك الوقت خصوصاً الطائرات، ثم انتقلوا بعد الحرب العالمية مباشرة للولايات المتحدة، وألقوا بثقلهم في مراكز صنع القرار الحساسة مثل الكونجرس والبيت الأبيض - وما زالوا- ولولا أمريكا التي حمتهم لما استمروا يسيطرون على الأرض العربية المحتلة حتى الآن.

وقد بلغ الأمر لحد تنذر بعض الصحف الأمريكية على وجودهم المكثف في مراكز السلطة، فكتب أحدهم يعدد ممثلهم في البيت الأبيض وهيئة الأمن القومي وموظفي الرئاسة، ويقول ببلاغة حقيقية إن (اليهود يسيطرون على بلاط كليتون).

وإذا كان أمر سيطرة اليهود على مراكز النفوذ في أمريكا معروفاً طوال السنوات الماضية وليس فقط خلال فترة كليتون الرئاسية، فقد كانت المفاجأة الكبيرة أن الصحف الروسية كشفت بدورها - أثناء حكم يلتسين - أن اليهود أيضاً يسيطرون على بلاط الكرملين وأنهم الآن يسيطرون على المراكز المالية والإعلامية الروسية الكبرى.

صحيح أن الفكر الصهيوني التلمودي وضع من بين أهدافه السيطرة على حكومتى القوتين الكبيرين: أمريكا والاتحاد السوفيتي، كما أن هناك معلومات غزيرة عن وجود يهود مؤثرين مستترين في المراكز الفاعلة في القيادة السوفيتية الشيوعية السابقة، إلا أن وجودهم العلني الآن وافتخارهم بالسيطرة على البلاد بل ووصول الرئيس الروسى يلتسين لقعدهم الرئاسة بفضلهم - كلها علامات على نفوذهم الواسع والمتزايد.

فعلى سبيل المثال: يسيطر اليهود على مناصب النائب الأول لرئيس الوزراء (بوريس نيمتسوف) ووزير الاقتصاد (ياكوف أونيسوف) ونائب مدير ديوان رئيس

الجمهورية (الكسندر ليفتشيس) وبوريس بيزروفسكى نائب سكرتير مجلس الأمن القومى الروسى وهذا الأخير هو أخطرهم على الإطلاق فهو ملياردير، اشترى من الحكومة محطة التلفزيون (قناة - ٢) ويمتلك مؤسسة إعلامية ضخمة، وقد وصل به الخيلاء لحد أنه قال العام الماضى: إنه هو وستة من رجال الأعمال الكبار الآخرين (معظمهم يهود) يسيطرون على ٥٠% من الاقتصاد الروسى، بل وقال بوضوح وبلا حياء إنهم - أى اليهود - قد استأجروا (أناتولى تشوباييس) النائب الأول الحالى لرئيس الوزراء واستخدموا أموالاً طائلة لتمويل حملة الرئيس الروسى الحالى يلتسين لرئاسة الجمهورية؛ ولذلك (نحن نمتلك الحق فى شغل مناصب رفيعة وجنى ثمار ما حققناه من نصر) كما يسيطر اليهود - كذلك - على البنوك ومراكز المال، ومن الشخصيات البارزة لهم فى هذا فلاديمير جوسينسكى - رئيس المؤتمر اليهودى الروسى وصاحب الموسوعة المالية الضخمة (موست) وبالإضافة لذلك فهو يمتلك قناة تلفزيونية مستقلة هى (إن. تي. في) وصحيفة تسمى (سيفودنيا).

وكانت المنظمة الصهيونية العالمية قد أجرت استطلاعاً للرأى عام ١٩٦٦ م. كشف أن نسبة عالية ممن شملهم الاستطلاع يعتقدون بأن اليهود يؤثرون تأثيراً بالغاً فى أحداث العالم. ويبدو أن كشف يهود روسيا العلنى لدورهم فى تسيير شؤون روسيا إلى درجة تذكير الرئيس يلتسين أنهم وراء نجاحه الانتخابى قد أثار غضب الكثيرين فى موسكو، خصوصاً المعادين للصهيونية، والذين تدهورت أحوالهم الاقتصادية بسبب سياسات التحول إلى الاقتصاد الرأسمالى، فبدأت بعض الأصوات تتعالى عبر الصحف الحكومية تحذر من هذه السيطرة اليهودية العلنية، ولفت هذا نظر القيادات اليهودية فى الخارج. فبدأت توجيه النصح لهم بالتزام الحذر وعدم الظهور. وكان آخر وأبرز تحذير صدر لهم فى تموز / يوليو الماضى عبر صحيفة يهودية أمريكية تدعى (فوفورد) حيث دعتهم للتقية والتخفى!

المسألة إذا لم تكن مجرد أحاديث طنانة عن سيطرة اليهود على العالم وتخطيطهم للسيطرة على الحكومات العالمية، أو ما قيل عن تشكيل حكومة سرية تحكم العالم من خلال أعوانها في الدول المختلفة، وحتى ما قيل عن الماسونية ودورهم فيها كان صحيحًا، على الأقل في دول كشف فيها النقاب عن حقيقة دور المحافل الماسونية في نقل أخبار وأسرار الزوارة كما حدث في إيطاليا.

والحقيقة:

أن الصهيونية حققت بعض أهدافها ولكنها لم تحقق كل أهدافها والفارق بين ما تحقق من أهداف، وما لم يتحقق خطير بالنسبة لمن هم على دراية وخبرة بالمشروع الصهيوني.

فلعل الفشل الأكبر للمشروع الصهيوني هو عدم تمكنه من إعلان قيام إسرائيل الكبرى التي كان يفترض إعلانها عام ١٩٩٧ (من النيل إلى الفرات) كما لا يمكن إنكار الخلاف اليهودي حول من هو اليهودي، ذلك أن الكيان الصهيوني يقوم أساسًا على رؤية دينية يهودية، فإذا فشل في تحديد من هو اليهودي فإن أساس قيامه يكون قد انهار.

كذلك لا يمكن إنكار خطورة وجود تيار علماني متزايد داخل الكيان الصهيوني، لا يلتزم بالتعاليم الصهيونية القديمة، وبالتالي يهرب من التجنيد ويرفض الدفاع عن (الكيان الصهيوني) الحلم الصهيوني القديم - وبالمقابل لا يمكن كذلك إنكار ما حققه النفوذ اليهودي من تأثير في القوى الكبرى، خصوصًا أمريكا وروسيا، واستفادة الكيان الصهيوني من هذا النفوذ في استمرار التحدي للعرب والمسلمين، والسعي لتهويد باقي أرض فلسطين، وإنشاء المستوطنات، والسعي لهدم المسجد الأقصى، وبناء الهيكل دون أدنى مسئولية أو خوف من عقوبات دولية حقيقية.

ملحق (٣) الدروس والعبر

يستطيع القارئ الواعى أن يترجم ما قرأه من أحداث التاريخ إلى دروس عملية يستفيد بها فى واقعه الذى يحياه؛ ليربط الماضى بالحاضر ويتنبأ بأبعاد المستقبل.

إن القارئ للتاريخ لا بد وأن يشعر بحقيقة «أن التاريخ يعيد نفسه» مع اختلاف الزمان والمكان والأشخاص؛ لأن سنن الله لا تتغير ولا تتبدل: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ، فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾.

ولنتقل الآن إلى أهم الدروس والعبر التى يجب أن ننبه القارئ إليها والتى يجب عليه بعد ذلك أن يضيف هو إليها ما يفتح الله به عليه، بقدر ما يعيش مع الحدث ويتفاعل به، وسنبداً بمثال تطبيقى من خلال الدرس الأول ثم سنكتفى بذكر الدرس، وعلى القارئ أن يبحث عن الشواهد التاريخية.

الدرس الأول: ألف شهيد كل عام.

من خلال مراجعة التاريخ الإسلامى تتجلى لنا حقيقة أساسية أن هذا الدين إنما حفظه الله برجال بذلوا أرواحهم وما يملكون فى سبيل إعلاء كلمته، أى أن الأمر لا كما يظنه كثير من المسلمين، أنه طالماً أنه دين الله -عز وجل- فإن الله لا بد وأن ينصره دونما بذل جهد، وربما يتصور البعض أن النصر سيأتى بطريقة معجزة... ولكن سنة الله تبارك وتعالى اقتضت أن يأتى النصر تبعاً لبذل الجهد، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي آيَدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ويقول تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

الشواهد التاريخية:

لو أننا حصرنا عدد الشهداء فى الفترة الزمنية من بعد وفاة الرسول ﷺ أى فى العام الحادى عشر من الهجرة وحتى العام الحادى والثلاثين من الهجرة أى فترة عشرين عاماً فسنلاحظ الآتى:

فى حروب المرتدين بلغ عدد الشهداء ١٢٠٠ شهيد.

وفى معركة اليرموك بلغ عدد الشهداء ٣٠٠٠ شهيد.

وفى معركة الجسر بلغ عدد الشهداء ٤٠٠٠ شهيد.

وفى معركة القادسية بلغ عدد الشهداء ٨٥٠٠ شهيد.

وبذلك يصير عدد الشهداء ١٦٧٠٠ شهيد... ناهيك عن شهداء آخرين لم يستطع المؤرخون أن يحصروهم فى معركة نهاوند، وفى فتوحات بلاد الترك وفى ذات الصوارى التى قال عنها الإمام الطبري: (أن الدم كان غالباً على الماء فى هذه المعركة) وقد كانت معركة بحرية.

إذا نستطيع أن نقول إن العدد الإجمالى لشهداء المسلمين فى هذه الفترة يصل تقريباً إلى عشرين ألف شهيد أى بمعدل ألف شهيد كل عام يموتون فداء لدينهم، يحررون العالم من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار، فقد فتحت تماماً بلاد فارس وأزيمت دولتهم الطاغية من الوجود ودخل الفرس فى الإسلام أفواجاً بطواعية وحب.

الدرس الثانى: أن أمة الإسلام أمة لا تموت.

لأن الإسلام شريعة الله الخاتمة، كتب الله له الخلود والبقاء ومن ثم فهو يخلق له رجاله ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾.

لذلك نرى أن هذه الأمة لم تعدم فى عصر من عصورها مجددين فى الدين

وأئمة في العلم وأبطالاً في الجهاد لا يوجد نظيرهم - لا في الكمية ولا في الكيفية - في أمة من الأمم، ولم يكن ذلك من قبيل المصادفات والاتفاقات، إنما هو طبيعة هذه الأمة وصلاحتها للبعث والتجديد، وإنما هو لطف الله بهذه الأمة بل بالإنسانية؛ إذ لو ضاعت هذه الأمة لضاعت أمانة السماء ولضاعت أمانة الإنسانية. وإنا نترك لك أيها القارئ الحبيب الاستشهاد على هذا المعنى من واقع التاريخ.

استشهادات تاريخية:

.....

الدرس الثالث: خلفاء المسلمين

على الرغم مما وصّم به أعداء الإسلام الخلفاء المسلمين بأنهم كانوا فاسدين أو مترفين.

وقد ناقشنا بعض هذه المزاعم في مواضع من هذا الكتاب ولكننا نضيف الآتي:

- أن هؤلاء الخلفاء والحكام لم يفكروا للحظة واحدة في تنحية شريعة الإسلام عن الحكم ولم يتولد لديهم هذا الانفصال السائد اليوم من فصل الدين عن الدولة والسياسة.

- أنه كان غالباً مرجع الخلفاء لحكم الإسلام وعلماء المسلمين وكان لعلماء الإسلام هيبة لدى الخلفاء وكان لهم قوة في النصح والإرشاد حتى أنهم كانوا

يقولون: الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك.

- كانت الحالة العامة للمجتمع المسلم التمسك بالإسلام فلا يُرى فيه الجهر بالمنكرات والفواحش إلا قليلاً وإذا وجدت ظهر في الناس من يأخذ على يده. مشاهدات تاريخية يصيغها القارئ.

.....

.....

.....

.....

الدرس الرابع: هدف الجهاد الإسلامي

الجهاد الإسلامي ليس مقصوراً على حالات الدفاع عن الأوطان والأعراض فقط وإنما هو في الأساس لإزالة العوائق و الطواغيت التي تحول بين الناس وبين التعرف على الإسلام واختياره بملء حريتهم.

يقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينَ كُلُّهُ لِلَّهِ، فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنِ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩].

ولذا لما أزيلت هذه العوائق وأتيحت للناس فرصة سماع صوت الحق مجرداً عن أى مؤثر أو ضغوط دخلوا في دين الله أفواجاً:

مشاهدات تاريخية:

.....

.....

.....

.....

الدرس الخامس: التربية الإسلامية تصنع العظماء.

إن مشاهير الخلفاء و السلاطين الذين حكموا وهم شباب كانوا نتاج تربية إسلامية مبكرة، الأب يربي ابنه على القرآن والفتوة وحب الجهاد منذ الصغر.
مشاهدات تاريخية:

.....

.....

.....

.....

الدرس السادس: التسامح في الإسلام.

التسامح مع غير المسلمين لم يكن في التاريخ الإسلامي عن عجز أو ضعف
و إنما كان عقيدة وإيماناً ...
مشاهدات تاريخية:

.....

.....

.....

.....

الدرس السابع: ديننا للناس كافة.

إن من دلائل إعجاز الإسلام أن حمله في كثير من الأحيان أجناس من غير الجنس العربي سواء في الجانب الجهادي أو الجانب العلمي.
وهذا يدل على أن الإسلام دعوة للعالمين يستطيع أن يستوعب الناس كافة

فيحيوا به ويجاهدوا في سبيله.

مشاهدات تاريخية:

.....

.....

.....

.....

الدرس الثامن:

حسن ظن بعض قادة المسلمين بأعدائهم وعدم الحذر من مكرهم وغدرهم جلب عليهم وعلى أمتهم الوبال والهلاك.

والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عُنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأُتَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضِكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾

[آل عمران: ١١٨-١٢٠].

مشاهدات تاريخية:

.....

.....

.....

.....

الدرس التاسع: الصراعات السياسية وأثرها في إضعاف الأمة.

مشاهدات تاريخية:

.....

.....

.....

.....

الدرس العاشر: نقول: خلافة عثمانية إسلامية... لا استعمار تركي لماذا؟

مشاهدات تاريخية:

.....

.....

.....

.....

ونضيف هنا عوامل تأخر المسلمين:

لخص كثيرون عوامل التحلل والضعف فى عالم الإسلام فى نقاط.

- ١- الخلافات السياسية والعصبية، وتنازع الرئاسة والجاه مع التحذير الشديد الذى جاء به الإسلام فى ذلك، والتزهيد فى الإمارة، ولفت النظر إلى هذه الناحية التى هى سوس الأمم ومحطمة الشعوب والدول.
- ٢- الخلافات الدينية والمذهبية والانصراف عن روح الدين كعقائد وأعمال إلى ألفاظ ومصطلحات ميتة لا روح فيها ولا حياة، وإهمال كتاب الله وسنة رسوله، والجمود والتعصب للأراء والأقوال والولع بالجدل والمناظرات والمراء.
- ٣- الانغماس فى ألوان الترف والنعيم والإقبال على المتعة والشهوات، حتى أثر عن حكام المسلمين فى كثير من العصور ما لم يؤثر عن غيرهم.
- ٤- إهمال العلوم العملية، والمعارف الكونية، وصرف الأوقات وتضييع الجهد فى فلسفات نظرية عقيمة وعلوم خيالية، مع أن الإسلام يحثهم على النظر فى الكون واقتفاء أسرار الخلق.
- ٥- الغرور بسلطانهم، والانخداع بقوتهم، وإهمال النظر فى التطور الاجتماعى للأمم من غيرهم حتى سبقتهم فى الاستعداد والأهبة وأخذتهم على غرة، وقد أمرهم القرآن باليقظة وحذرهم من مغبة الغفلة.
- ٦- الانخداع بدسائس المتملقين من خصومهم، والإعجاب بأعمالهم، ومظاهر حياتهم، والاندفاع فى تقليدهم مما يضر ولا ينفع، مع النهى الشديد عن التشبه بهم، والأمر الصريح بمخالفتهم، والمحافظة على

مقومات الأمة الإسلامية والتحذير من مغبة هذا التقليد.

٧- اليأس من رحمة الله، وفقدان الثقة في النفس.

٨- استخذاء المسلمين أمام الأوروبيين وفقد أكثرهم عزة الإسلام.

٩- مواطأة المسلمين للأوروبيين على إخوانهم وخدمتهم إياها.

١٠- فقد روح التضحية التي سادت بها الأمم الأوروبية.

١١- فساد الأخلاق عامة، وأخلاق الأمراء خاصة.

١٢- فساد العلماء، الذين هم القوة المراقبة للحكومات.

ونترك لك -أخي القارئ- إضافة المزيد من الدروس و الفوائد والعبر من خلال قراءتك لهذه الموسوعة الميسرة، سائلين الله تبارك وتعالى أن يفيد بهذا العمل كل من قرأه وأن يغفر لكل من سعى في نشر هذا العلم وتيسيره.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

- ١- البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير الدمشقي.
- ٢- التاريخ الإسلامي، محمود شاكر.
- ٣- تاريخ ابن خلدون، العلامة عبد الرحمن بن خلدون.
- ٤- العواصم من القواصم، الإمام أبو بكر بن العربي.
- ٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام ابن حجر العسقلاني.
- ٦- الكامل في التاريخ، ابن الأثير.
- ٧- فتوح الشام، الواقدي.
- ٨- حروب الردة، أ. محمد أحمد باشميل.
- ٩- القادسية ومعارك العراق، أ. محمد أحمد باشميل.
- ١٠- الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية، المستشار سالم البهنساوي.
- ١١- تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي.
- ١٢- امبراطورية العرب، جون باجوت جلوب.
- ١٣- فتح العرب لمصر، د. الفردج. بتلر.
- ١٤- سلسلة المعارك الكبرى في الإسلام، أ. شوقي أبو خليل.
- ١٥- الدولة الأموية، محمد الخضرى بك.
- ١٦- الدولة العباسية، محمد الخضرى بك.
- ١٧- تاريخ غزو العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط،

- الأمير شكيب أرسلان .
- ١٨ - قادة فتح المغرب العربي، اللواء ركن محمود شيت خطاب.
- ١٩ - فجر الأندلس، د. حسين مؤنس.
- ٢٠ - موسوعة تاريخ الأندلس، د. حسين مؤنس.
- ٢١ - مع الرعيل الأول، العلامة محب الدين الخطيب.
- ٢٢ - الأدارسة، د. محمود إسماعيل.
- ٢٣ - شبهات حول العصر العباسي الأول، د. مؤيد فاضل.
- ٢٤ - أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد.
- ٢٥ - الطريق إلى القدس، د. جمال عبد الهادي.
- ٢٦ - خالد بن الوليد، محمد الصادق عرجون.
- ٢٧ - جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، د. محمد السيد الوكيل.
- ٢٨ - كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرزية،
تقى الدين أبي العباس أحمد بن علي المقرزي.
- ٢٩ - تاريخ الدولة الفاطمية، د. محمد جمال الدين سرور.
- ٣٠ - الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، د. عبد الحلیم محمود.
- ٣١ - موسوعة التاريخ الإسلامي، د. أحمد شلبي.
- ٣٢ - قسّمات العالم الإسلامي، مصطفى مؤمن.
- ٣٣ - العالم الإسلامي، أ. محمود شاكر.
- ٣٤ - أطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس.

- ٣٥- الإسلام وحركة التاريخ، أ. أنور الجندي.
- ٣٦- حاضر العالم الإسلامي، المركز العالمى للكتاب الإسلامى.
- ٣٧- الدولة العثمانية، د. جمال عبد الهادى وآخرون.
- ٣٨- من روائع حضارتنا، د. مصطفى السباعى.
- ٣٩- جوانب مضيئة فى تاريخ العثمانيين الأتراك، زياد أبو غنيمه.
- ٤٠- السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، أ. أنور الجندي.
- ٤١- سكان العالم الإسلامى، أ. محمود شاكر.
- ٤٢- تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك، قدرى حافظ طوقان.
- ٤٣- معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية، د. ناريمان عبد الكريم.
- ٤٤- التسامح فى الإسلام، د. شوقى أبو خليل.
- ٤٥- معركة التبشير والإسلام، د. عبد الجليل شليبي.
- ٤٦- غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى، د. يوسف القرضاوى.
- ٤٧- مجموعة الرسائل، الشهيد حسن البنا.
- ٤٨- أربعون سبباً فى سقوط الأندلس، د. عبد الحلیم عويس.
- ٤٩- أسباب الضعف فى الأمة الإسلامية، د. محمد السيد الوكيل.
- ٥٠- رجال الفكر والدعوة فى الإسلام، أبو الحسن الندوي.
- ٥١- ملامح من حضارتنا العلمية وأعلامها المسلمين، د. كارم السيد غنيم.
- ٥٢- حاضر العالم الإسلامى، لوثرروب ستودارد الأمريكى.
- ٥٣- تعليق الأمير شكيب أرسلان.

- ٥٤- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي.
- ٥٥- تاريخ مصر إلى الفتح العثماني، عمر الإسكندري.
- ٥٦- منهج السنة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم، د. يحيى اسماعيل.
- ٥٧- سيرة الإمام أحمد بن حنبل، أبو الفضل صالح أحمد بن حنبل.
- ٥٨- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد أحمد الخطيب.
- ٥٩- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.
- ٦٠- تاريخ المذاهب الإسلامية، الإمام محمد أبو زهرة.
- ٦١- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، غالب بن علي عواجي.
- ٦٢- نساء مؤمنات، د. يوسف القرضاوي.
- ٦٣- المجتمع الإسلامي المعاصر أفريقيا، د. جمال عبد الهادي.
- ٦٤- الإسلام الفاتح، د. حسين مؤنس.
- ٦٥- بين العقيدة والقيادة، اللواء محمود شيت خطاب.
- ٦٦- تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك المحامي.
- ٦٧- الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، د. توفيق الواعي.
- ٦٨- في حوار حول الحاضر بالماضي عبر الأندلس، د. رشدي فكار.
- ٦٩- دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية، د. عبد الحليم عويس.
- ٧٠- خلاصة تاريخ التشريع الإسلامي، أ. عبد الوهاب خلاف.
- ٧١- هجمات مضادة في التاريخ الإسلامي، د. عماد الدين أبو خليل.

- ٧٢- موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي.
- ٧٣- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي.
- ٧٤- شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكة.
- ٧٥- المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، د. عبد العظيم محمود الديب.
- ٧٦- كيف نكتب التاريخ الإسلامي، أ. محمد قطب.
- ٧٧- ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي.

رَفَع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس

الباب الخامس: تاريخ المغول المسلمين

- ٥..... أصل المغول
- ٧..... تقسيم دولة المغول الكبرى
- ٩..... انتشار الإسلام فى التتار
- ٢١..... الفصل الأول: المغول فى شرقى أوروبا وغربى سيبيريا
- ٢١..... باتو
- ٢٢..... تأثر مغول الشمال بالإسلام
- ٢٣..... صرتق
- ٢٣..... برکه خان
- ٢٣..... العداء بين برکه وهولاكو وغيرته على المسلمين
- ٢٤..... التعاون مع الممالیک
- ٢٥..... محاولات برکه خان لزعة وحدة المغول الوثنيين
- ٢٥..... مانكو تيمر
- ٢٦..... تدان مانكو
- ٢٦..... تلابغا
- ٢٦..... طقطاي
- ٢٧..... غياث الدين محمد أوزبك
- ٢٧..... محمود جاني بك
- ٢٧..... محمد بردى بك
- ٢٧..... انتشار الفوضى وانقسام دولة مغول الشمال

٢٨ خانۃ قازان
٢٨ محمد أوغلان خان
٢٩ محمود خان
٢٩ إبراهيم خان
٢٩ الھام خان
٣٠ محمد أمين خان
٣٠ صاحب کرای
٣١ صفا کرای
٣٢ خانۃ استراخان (الحاج طرخان)
٣٣ خانۃ سیبیریا
٣٤ خانۃ القمر
٣٤ مامای
٣٤ حاجی کرای
٣٤ منکلی کرای
٣٥ محمد کرای
٣٥ سعادت کرای
٣٦ اسلام کرای
٣٦ صاحب کرای
٣٦ دولت کرای
٣٦ محمد کرای الثانی
٣٦ النفوذ الروسی فی القمر
٤٢ مقاومة المسلمین

- ٤٣..... محاولات الاستقلال
- ٤٥..... الفصل الثاني: المغول فى إيران
- ٤٥..... هولاكو
- ٤٦..... أباقا خان
- ٤٦..... تكودار
- ٤٧..... أرغون
- ٤٧..... كيغاتو
- ٤٧..... بيدو
- ٤٧..... غازان
- ٤٧..... أولجايتو
- ٤٨..... أبو سعيد
- ٤٩..... الصفويون
- ٤٩..... إسماعيل الصفوي
- ٥٠..... طهماسب
- ٥٠..... عباس
- ٥١..... صفى الدين
- ٥١..... عباس الثانى
- ٥١..... سليمان الأول (صفى الثانى)
- ٥١..... حسين الأول
- ٥٢..... طهماسب الثانى
- ٥٣..... الأفسار
- ٥٣..... نادر خان

٥٤ على بن إبراهيم
٥٤ شاه رخ
٥٤ الزنديون
٥٤ كريم خان
٥٥ زكى خان
٥٥ سقوط الدولة الزندية
٥٥ القاجار
٥٥ أغا محمد قاجار
٥٦ فتح على شاه
٥٦ محمد شاه عباس
٥٧ ناصر الدين شاه
٥٧ مظفر الدين شاه
٥٧ محمد على شاه
٥٨ أحمد شاه
٥٨ انقلاب حوت
٥٩ الأسرة البهلوية
٥٩ رضا بهلوى
٦٠ إيران والحرب العالمية الثانية
٦١ محمد رضا بهلوى
٦٢ الثورة الإسلامية
٦٣ الحرب مع العراق
٦٥ الفصل الثالث: المغول فى بلاد الصين ومنغوليا

- ٦٥ أوغطای
- ٦٥ کیوک
- ٦٥ خروج منصب الخان الأعظم من أسرة أوغطای
- ٦٦ منطقة منغولیا وبلاد الخطا
- ٦٦ قیدو
- ٦٧ بلاد الصين
- ٦٧ عهد أسرة قوییلای
- ٦٨ عهد منغ
- ٦٩ العهد المنشوري
- ٧٠ العهد الجمهوري
- ٧١ الوضع في تركستان الشرقية
- ٧٢ الوضع أثناء الحرب العالمية الثانية
- ٧٥ الفصل الرابع: المغول في تركستان الغربية
- ٧٦ تیمورلنك
- ٧٦ تیمور یوسع ملكه
- ٧٨ تفكك الدولة التيمورية بعد وفاة تیمورلنك
- ٧٩ الأسرة الشيبانية
- ٨٠ الأسرة الجانية
- ٨٠ الأجزاء التي خضعت للاستعمار الروسي
- ٨٠ خانية بخارى
- ٨١ خانية خوارزم
- ٨١ خانية خوقند (فرغانة)

- ٨١ التركستان تحت وطأة الاحتلال الروسى
- ٨٣ التقسيمات السياسية فى تركستان
- ٨٣ ١- جمهورية قازاقستان (كازاخستان)
- ٨٣ ٢- أوزبكستان
- ٨٤ ٣- تركمانستان
- ٨٤ ٤- قيرغيزستان
- ٨٤ ٥- جمهورية طاجكستان
- ٨٤ الاستقلال عن روسيا
- ٨٥ أفغانستان
- ٨٥ أفغانستان تحت السيطرة الصفوية
- ٨٦ ظهور الدولة الأفغانية
- ٨٦ الأسرة الدورانية
- ٨٦ أحمد شاه
- ٨٧ تيمور شاه
- ٨٧ نزاع أبناء تيمور على الحكم
- ٨٨ دوست محمد خان
- ٨٨ شير على والاحتلال الإنكليزى لأفغانستان
- ٨٨ يعقوب بن شير على
- ٨٨ عبد الرحمن
- ٨٩ حبيب الله خان
- ٨٩ أمان الله خان
- ٩٠ عناية الله

- ٩٠ محمد نادر خان
- ٩٠ محمد ظاهر شاه
- ٩١ الحكم الشيوعي
- ٩١ محمد داود
- ٩٢ نور محمد تراقي
- ٩٣ حفيظ الله أمين
- ٩٣ بابر ككارمل
- ٩٤ المقاومة الإسلامية
- ٩٥ حركة طالبان
- ٩٧ الفصل الخامس: المغول في الهند
- ٩٧ الغزنويون
- ٩٨ الغوريون
- ٩٨ قطب الدين أيبك
- ٩٨ ايلتمش
- ٩٨ بلبن
- ٩٩ دولة الخلاجيين
- ٩٩ آل تغلق
- ١٠٠ آل خضر
- ١٠٠ اللوديون
- ١٠٠ الحكم المغولي (التيموريون)
- ١٠٠ محمد بابر شاه
- ١٠١ همايون

- ١٠١ محمود جلال الدين (أكبر شاه)
- ١٠٢ الاستعمار الأوروبى للهند
- ١٠٢ البرتغاليون
- ١٠٣ الهولنديون
- ١٠٣ الإنكليز
- ١٠٤ الفرنسيون
- ١٠٤ الاحتلال الإنكليزى للهند
- ١٠٥ سقوط الدولة المغولية فى الهند
- ١٠٦ تفاعل المسلمين فى الهند مع الأحداث فى العالم الإسلامى
- ١٠٧ استقلال الهند وتقسيمها
- ١٠٨ مشكلة كشمير
- ١١٢ الحرب الهندية الباكستانية الثانية
- ١١٣ الحرب الهندية الباكستانية الثالثة
- ١١٤ اتفاقية سيملا
- ١١٦ وضع المسلمين فى الهند

الباب السادس: الدولة العثمانية

- ١٢١ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى إلغاء الخلافة
- ١٢٣ نبذة عن الترك
- ١٢٦ نشأة الدولة العثمانية
- ١٢٨ السلطان الغازى عثمان الأول
- ١٢٩ السلطان الغازى أورخان الأول
- ١٢٩ الإصلاحات الداخلية ووضع نظام للجيش

- ١٣٠ فتوحات أورخان (الشئون الخارجية)
- ١٣١ الزواج من الأجنبيات
- ١٣١ العبور للبر الأوروبي
- ١٣٢ السلطان الغازى مراد الأول
- ١٣٢ الشئون الخارجية فى الأناضول
- ١٣٣ فى أوروبا
- ١٣٥ واقعة قوص أوه (كوسوفو)
- ١٣٦ الشئون الداخلية فى عهد مراد الأول
- ١٣٦ السلطان الغازى بايزيد الأول
- ١٣٦ نشاطه فى الأناضول
- ١٣٧ جهاده فى أوروبا
- ١٣٨ الحرب مع تيمورلنك وتجزؤ الدولة العثمانية
- ١٣٩ انتصار محمد على إخوته وانفراده بالسلطة
- ١٤٠ السلطان الغازى محمد الأول
- ١٤٠ الشئون الخارجية
- ١٤٠ الشئون الداخلية
- ١٤٠ ظهور الأمير مصطفى بن السلطان بايزيد
- ١٤١ السلطان الغازى مراد الثانى
- ١٤٢ فتنة أخو السلطان
- ١٤٢ فتنة قرة جنيد
- ١٤٢ نشاط السلطان مراد فى الأناضول
- ١٤٢ الجهاد فى أوروبا

- ١٤٤ تحالف صليبي جديد ضد المسلمين
- ١٤٤ موقعة وارنا (فارنا) ٨٤٨هـ
- ١٤٤ تمرد اسكندر بك
- ١٤٥ معركة كوسوفو الثانية عام ٨٥٢هـ
- ١٤٦ السلطان الغازي محمد الفاتح (محمد الثاني)
- ١٤٦ فتح القسطنطينية
- ١٥١ الفتوحات في أوروبا
- ١٥٢ تحويل ولاية الصرب على ولاية عثمانية
- ١٥٢ فتح بلاد مورة (جنوب اليونان)
- ١٥٢ فتح بلاد الأفلاق (جزء من رومانيا الحالية)
- ١٥٣ فتح بلاد البوسنة ودخول أهلها في دين الله أفواجا
- ١٥٣ اسكندربك يعود إلى الظهور
- ١٥٣ سيطرة العثمانيين على القرم والفشل في فتح بلاد البغدان
- ١٥٤ محاربة البنادقة
- ١٥٤ الفشل في فتح ترانسلفانيا (الجزء الغربي من رومانيا)
- ١٥٤ محاولة فتح إيطاليا
- ١٥٥ الفتوحات والتوسع في الأناضول
- ١٥٦ السلطان بايزيد الثاني
- ١٥٦ سيطرة سليم الأول على الحكم
- ١٥٧ الدولة العثمانية من مجرد دولة إلى مقر للخلافة الإسلامية
- ١٥٧ الخليفة سليم الأول
- ١٥٧ الاتجاه إلى توحيد العالم الإسلامي

- ١٥٧ الهجوم على الدولة الصفوية وموقعة جالديران
- ١٥٨ الهجوم على المماليك
- ١٥٨ موقعة مرج دابق
- ١٥٩ موقعة الريدانية
- ١٥٩ تسلم العثمانيين مقاليد الخلافة
- ١٥٩ الخليفة سليمان الأول
- ١٦٠ أعمال العثمانيين فى الأمصار الإسلامية
- ١٦٠ تمرد حكام الشام
- ١٦٠ فى بلاد فارس (الدولة الصفوية)
- ١٦٠ فى بلاد العرب
- ١٦١ البحارة خير الدين وأخوه عروج
- ١٦١ ضم الجزائر
- ١٦١ ضم طرابلس الغرب (ليبيا)
- ١٦٢ فى تونس
- ١٦٢ فى الجزيرة العربية والهند
- ١٦٣ الجهاد فى أوروبا
- ١٦٣ فتح جزيرة رودس
- ١٦٤ تحويل القرم إلى ولاية عثمانية
- ١٦٤ تحويل الأفلاق إلى ولاية عثمانية
- ١٦٤ تحالف العثمانيين مع فرنسا
- ١٦٤ فتح بلغراد
- ١٦٤ فتح بلاد المجر

- ١٦٥ الحرب مع النمسا ومحاصرة ويانة (فيينا)
- ١٦٥ فرنسا تنقض الحلف مع العثمانيين
- ١٦٥ تحريض أمير البغدان على العثمانيين
- ١٦٥ مواصلة الحروب مع النمسا
- ١٦٦ السيطرة على ترانسلفانيا
- ١٦٦ عقد الاتفاقيات مع فرنسا
- ١٦٧ الأفعى روكسلان ويهود الدونمة
- ١٦٨ الخليفة سليم الثانى
- ١٦٩ أعمال العثمانيين فى الأمصار الإسلامية
- ١٦٩ قمع الثورات فى اليمن
- ١٦٩ تحرير تونس من الإسبان وجعلها ولاية عثمانية
- ١٦٩ الأعمال فى أوروبا
- ١٦٩ مع النمسا
- ١٦٩ مع فرنسا
- ١٦٩ مع لهستان أو بولونيا (بولندا الحالية)
- ١٧٠ فتح قبرص
- ١٧٠ موقعة ليبانت البحرية
- ١٧٠ فى البغدان
- ١٧١ الخليفة مراد الثالث
- ١٧١ الشؤون الداخلية
- ١٧١ الأعمال فى الأمصار الإسلامية
- ١٧١ فى مراکش

- ١٧١..... مع الدولة الصفوية
- ١٧٢..... الأعمال في أوروبا
- ١٧٢..... بولندا تحت الحماية الفعلية للعثمانيين
- ١٧٢..... مشاكل الإنكشارية التي لا تنتهي
- ١٧٣..... الخليفة محمد الثالث
- ١٧٣..... موقعة كرزت
- ١٧٣..... اندلاع الثورات
- ١٧٣..... ثورة فرارى
- ١٧٤..... ثورة الخيالة
- ١٧٤..... الخليفة أحمد الأول
- ١٧٤..... حركات التمرد في الدولة العثمانية
- ١٧٥..... انتشار الدخان
- ١٧٥..... التراجع أمام الصفويين
- ١٧٥..... في أوروبا
- ١٧٦..... الخليفة مصطفى الأول
- ١٧٦..... الخليفة عثمان الثانى
- ١٧٧..... الخليفة مراد الرابع
- ١٧٧..... الشؤون الداخلية
- ١٧٧..... ثورة أباطة باشا
- ١٧٧..... ثورة الإنكشارية
- ١٧٧..... تجدد ثورة فخر الدين المعنى
- ١٧٧..... الحروب مع الصفويين

- ١٧٨ الخليفة إبراهيم الأول
- ١٧٨ العمل فى أوروبا
- ١٧٩ فتح جزيرة كريت
- ١٧٩ الخليفة محمد الرابع
- ١٧٩ الشؤون الداخلية
- ١٧٩ ثورة قاطرجى أوغلى
- ١٨٠ الحروب فى أوروبا
- ١٨٠ تولى محمد كوبريلى الصدارة العظمى
- ١٨٠ تمرد أمراء ترانسلفانيا والفلاق والبغدان
- ١٨١ تولى أحمد كوبريلى منصب الصدر الأعظم
- ١٨١ فتوحات عثمانية جديدة
- ١٨٢ توتر العلاقة مع فرنسا
- ١٨٢ الحروب مع بولندا
- ١٨٣ تجدد الحروب مع النمسا
- ١٨٣ التحالف الصليبي ضد العثمانيين
- ١٨٤ الخليفة سليمان الثانى
- ١٨٤ الشؤون الداخلية
- ١٨٤ الشؤون الخارجية
- ١٨٤ تولى مصطفى كوبريلى الصدارة العظمى
- ١٨٥ الخليفة أحمد الثانى
- ١٨٥ الخليفة مصطفى الثانى
- ١٨٥ استمرار الحروب مع أوروبا

- ١٨٦..... معاهدة كارلوفتس
- ١٨٧..... الخليفة أحمد الثالث
- ١٨٧..... الحروب فى أوروبا
- ١٨٧..... الحرب مع روسيا ومحاصرة القيصر
- ١٨٧..... تطهير كريت من البنادقة
- ١٨٨..... معاهدة ساروفتس
- ١٨٨..... الحرب مع الصفويين
- ١٨٩..... الخليفة محمود الأول
- ١٨٩..... معاهدة بلغراد
- ١٩٠..... الخليفة عثمان الثالث
- ١٩٠..... الخليفة مصطفى الثالث
- ١٩٠..... الحرب مع الروس
- ١٩١..... الفتن الداخلية
- ١٩١..... ثورة نصارى المورة
- ١٩١..... ثورة على بك الكبير فى مصر
- ١٩٢..... الخليفة عبد الحميد الأول
- ١٩٢..... اتفاقية قينارجة
- ١٩٤..... التخلص من ضاهر العمر
- ١٩٤..... الخليفة سليم الثالث
- ١٩٥..... معاهدة ياسى
- ١٩٥..... الشؤون الداخلية
- ١٩٥..... الحملة الفرنسية على مصر وتوتر العلاقات

- ١٩٧..... الخليفة مصطفى الرابع
- ١٩٨..... الخليفة محمود الثاني
- ١٩٨..... الحركة الوهابية
- ١٩٩..... الأوضاع في أوروبا
- ١٩٩..... ثورة الصرب
- ٢٠٠..... ثورة اليونان
- ٢٠١..... مؤتمر لندن
- ٢٠١..... معاهدة أدرنه
- ٢٠٢..... احتلال الجزائر
- ٢٠٢..... إلغاء الانكشارية
- ٢٠٣..... زيادة أطماع محمد على
- ٢٠٣..... معاهدة كوتاهية
- ٢٠٤..... معاهدة خونكار اسكله سي
- ٢٠٤..... الخليفة عبد الحميد الأول
- ٢٠٤..... استمرار الحرب مع محمد على
- ٢٠٦..... معاهدة المضائق
- ٢٠٦..... حروب القرم مع روسيا
- ٢٠٧..... الفتن الداخلية
- ٢٠٨..... الفتن الطائفية في الشام
- ٢٠٨..... الخليفة عبد العزيز
- ٢٠٩..... الخليفة مراد الخامس
- ٢٠٩..... الخليفة عبد الحميد الثاني

- ٢٠٩ على الصعيد الداخلي
- ٢٠٩ انتشار مفاهيم القومية
- ٢١٠ ازدياد نفوذ يهود الدوثة
- ٢١١ أخطار الماسونية
- ٢١٢ تنظيم الاتحاد والترقى
- ٢١٣ انتشار الثورات فى الولايات الأوروبية
- ٢١٤ ثورة الصرب والجبل الأسود
- ٢١٥ على الصعيد الخارجى
- ٢١٥ الحرب مع روسيا
- ٢١٥ معاهدة سان استيفانوس
- ٢١٦ معاهدة برلين
- ٢١٧ احتلال تونس
- ٢١٧ احتلال مصر
- ٢١٧ احتلال السودان
- ٢١٧ شرقى أفريقيا التابع لمصر
- ٢١٧ الخليفة محمد الخامس
- ٢١٧ احتلال إيطاليا لليبيا
- ٢١٨ الحروب البلقانية
- ٢١٨ الحرب البلقانية الأولى
- ٢١٨ عودة الاتحاد والترقى
- ٢١٨ الحرب البلقانية الثانية
- ٢١٩ الحرب العالمية الأولى

- ٢٢٠..... الخليفة محمد السادس (وحيد الدين)
- ٢٢١..... مصطفى كمال أتاتورك
- ٢٢٢..... الخليفة عبد المجيد الثاني
- ٢٢٢..... مؤتمر لوزان
- ٢٢٦..... تركيا (من إلغاء الخلافة حتى الآن)
- ٢٢٦..... أتاتورك
- ٢٢٦..... حركة الأكراد
- ٢٣٢..... حزب العدالة والتنمية
- ٢٣٣..... الفصل الثاني:بلاد العرب
- ٢٣٥..... المبحث الأول:الجزيرة العربية
- ٢٣٥..... السعودية
- ٢٣٥..... الدولة السعودية
- ٢٣٦..... الدولة السعودية الثانية
- ٢٣٦..... الدولة السعودية الثالثة
- ٢٣٦..... عبد العزيز الثاني
- ٢٣٧..... سعود بن عبد العزيز
- ٢٣٨..... الملك فيصل بن عبد العزيز
- ٢٣٨..... الملك خالد بن عبد العزيز
- ٢٣٨..... الملك فهد بن عبد العزيز
- ٢٣٨..... سلطنة عمان
- ٢٣٩..... البوسعيديون.. أحمد بوسعيد
- ٢٤١..... اليمن

- ٢٤١.....الأجزاء الشمالية من اليمن
- ٢٤١.....الإمام يحيى
- ٢٤٢.....الإمام أحمد
- ٢٤٣.....الأجزاء الجنوبية من اليمن
- ٢٤٤.....الوحدة اليمنية
- ٢٤٥.....مشكلة جزر حنيش
- ٢٤٥.....البحرين
- ٢٤٧.....قطر
- ٢٤٨.....دولة الإمارات العربية المتحدة
- ٢٤٩.....الكويت
- ٢٥١.....المبحث الثاني:العراق
- ٢٥٢.....الحرب العراقية الإيرانية
- ٢٥٣.....مجلس التعاون العربى
- ٢٥٣.....حرب الخليج
- ٢٥٧.....المبحث الثالث: بلاد الشام (سوريا)
- ٢٥٧.....الاحتلال الأجنبى لبلاد الشام وتقسيمها
- ٢٦٠.....سوريا
- ٢٦١.....لبنان
- ٢٦٢.....الحرب الأهلية فى لبنان
- ٢٦٥.....لبنان بعد الحرب الأهلية
- ٢٦٦.....المملكة الأردنية الهاشمية
- ٢٦٧.....فلسطين والصراع العربى الإسرائيلي

- ٢٦٧ المخطط الصهيونى لاحتلال فلسطين
- ٢٦٨ وعد بلفور
- ٢٦٩ تقسيم ٤٧ لفلسطين
- ٢٦٩ حرب فلسطين ٤٨
- ٢٧٠ حرب ٥٦ (العدوان الثلاثي)
- ٢٧٠ نكسة ٦٧ (١٣٨٧هـ)
- ٢٧٠ حرب عام (١٣٩٣هـ) أكتوبر ١٩٧٣
- ٢٧٢ ضرب المفاعل النووى العراقى
- ٢٧٤ المبحث الرابع: جمهورية مصر العربية
- ٢٧٤ محمد على
- ٢٧٤ عباس
- ٢٧٥ سعيد
- ٢٧٥ إسماعيل
- ٢٧٦ توفيق والاحتلال الإنكليزى لمصر
- ٢٧٧ عباس حلمى
- ٢٧٨ حسين كامل
- ٢٧٨ أحمد فؤاد
- ٢٧٩ الملك فاروق
- ٢٧٩ ثورة ٥٢ (١٣٧٢هـ)
- ٢٧٩ محمد مجيب
- ٢٨٠ محمد أنور السادات
- ٢٨١ المبحث الخامس - بلاد المغرب العربى

- ٢٨١ ليبيا
- ٢٨١ المجاهد الكبير الشيخ عمر المختار
- ٢٨١ الحرب العالمية الثانية ومجيء الاحتلال الانكليزي والفرنسى
- ٢٨٢ استقلال ليبيا
- ٢٨٢ نورة الفاتح وإلغاء الملكية
- ٢٨٣ العدوان الأمريكى على ليبيا
- ٢٨٣ تونس
- ٢٨٤ الجزائر
- ٢٨٦ مشكلة تندوف
- ٢٨٦ الانقلاب العسكرى. عام ١٣٨٥هـ
- ٢٨٧ المملكة المغربية
- ٢٨٨ سياسة العزلة فى المغرب
- ٢٨٩ الاحتلال الأجنبي
- ٢٨٩ استقلال المغرب من قيود الاحتلال
- ٢٨٩ مراحل استقلال المغرب
- ٢٩٠ المناطق الخاضعة للاحتلال الأسباني
- ٢٩١ الفصل الثالث - البلقان
- ٢٩١ بلغاريا
- ٢٩٤ رومانيا
- ٢٩٤ مولدافيا
- ٢٩٤ المجر
- ٢٩٥ سلوفاكيا

- ۲۹۶..... النمسا
- ۲۹۶..... اليونان
- ۲۹۸..... ألبانيا
- ۲۹۹..... يوغوسلافيا
- ۳۰۸..... بولندا
- ۳۰۸..... قبرص
- ۳۱۱..... الفصل الرابع: بلاد القوقاز
- ۳۱۱..... المغول
- ۳۱۲..... العثمانيون والفرس
- ۳۱۳..... الاستعمار الروسى
- ۳۱۴..... مقاومة أهالى القوقاز
- ۳۱۶..... داغستان
- ۳۱۶..... أوستينيا الشمالية
- ۳۱۶..... قبارديا بلكاريا
- ۳۱۶..... قراتشاي الشركسية
- ۳۱۷..... الأديغة
- ۳۱۷..... الشيشان - أنغوشيا
- ۳۱۹..... ما وراء القوقاز
- ۳۲۰..... ۱- جورجيا
- ۳۲۱..... ۲- أذربيجان
- ۳۲۱..... ۳- أرمينيا
- ۳۲۱..... الصراع الأذربيجانى الأرمينى

الباب السابع: جنوب شرقي آسيا

- ٣٢٥ جنوب شرقي آسيا
- ٣٢٦ جزر الهند الشرقية
- ٣٢٦ ماليزيا
- ٣٢٦ الاستعمار
- ٣٢٦ البرتغاليون
- ٣٢٧ الهولنديون
- ٣٢٧ الإنكليز
- ٣٢٨ اليابان
- ٣٢٩ سياسة ماليزيا تجاه مشكلة فطاني
- ٣٣٠ إندونيسيا
- ٣٣٠ الاستعمار الصليبي
- ٣٣٠ الاستعمار الهولندي
- ٣٣٢ الإحتلال الياباني
- ٣٣٢ الاستقلال عن هولندا
- ٣٣٣ غينيا الجديدة
- ٣٣٣ تيمور الشرقية
- ٣٣٣ الأوضاع الداخلية
- ٣٣٤ الفلبين
- ٣٣٥ الغزو الأسباني لجزر الفلبين
- ٣٣٨ مؤتمر طرابلس عام ١٣٩٧هـ
- ٣٣٩ الهند الصينية

- ٣٤٠ تشامبا
 ٣٤١ فطاني

الباب الثامن: أفريقيا

- ٣٤٥ أفريقيا
 ٣٤٧ الفصل الأول: الممالك الإسلامية قبل قدوم الاستعمار الصليبي
 ٣٤٧ أولاً: فى غرب أفريقيا
 ٣٤٧ مملكة مالي
 ٣٤٨ مملكة صنغاي
 ٣٤٩ مملكة الهوسا
 ٣٤٩ برنو وكانم
 ٣٥١ باجرمي
 ٣٥١ واداي
 ٣٥١ ثانياً: السودان العربي
 ٣٥٢ دارفور
 ٣٥٢ كردفان
 ٣٥٣ البجة
 ٣٥٣ مملكة الفونج
 ٣٥٤ السودان فى عهد الحكم المصري
 ٣٥٥ ثالثاً: فى السواحل الشرقية لإفريقيا
 ٣٥٥ زيلع وهرارة (مملكة عدل)
 ٣٥٦ مقديشو
 ٣٥٧ مملكة الزنج

- ٣٥٩..... الفصل الثاني: الاحتلال الأوروبى الغاشم لأفريقيا
- ٣٥٩..... تقسيم النفوذ الاستعمارى فى القارة
- ٣٦٠..... مظاهر وحشية الاستعمار وسياسته فى القارة
- ٣٦٢..... مقاومة الاستعمار
- ٣٦٤..... الفصل الثالث: الدول المستقلة فى أفريقيا
- ٣٦٤..... أولا: الدول ذات الأغلبية الإسلامية والتي يحكمها المسلمون
- ٣٦٤..... موريتانيا
- ٣٦٥..... السودان
- ٣٦٦..... مشكلة الجنوب
- ٣٦٨..... الصومال
- ٣٧٠..... جيبوتي
- ٣٧١..... جزر القمر
- ٣٧٢..... تشاد
- ٣٧٥..... النيجر
- ٣٧٥..... مالي
- ٣٧٦..... السنغال
- ٣٧٦..... غامبيا
- ٣٧٧..... تنزانيا (تنجانيقا)
- ٣٧٨..... نيجيريا
- ٣٨٠..... الغابون
- ٣٨٠..... ثانياً: الدول المستقلة ذات الأغلبية الإسلامية ولكن يحكمها غير المسلمين
- ٣٨١..... غينيا

- ٣٨١ الكاميرون
- ٣٨٢ غينيا بيساو
- ٣٨٣ بنين
- ٣٨٣ توجو
- ٣٨٣ بوركينا فاسو
- ٣٨٣ كوت دى فوار
- ٣٨٤ أفريقيا الوسطى
- ٣٨٤ سيراليون
- ٣٨٤ إثيوبيا و إريتريا
- ٣٨٦ الأطماع فى جنوب السودان
- ٣٨٧ سقوط نظام هيل سيلاسي
- ٣٨٨ إريتريا
- ٣٨٩ ثالثاً: الدول المستقلة ذات الأقلية المسلمة

الملاحق

- ٣٩٣ ملحق ١: أولاً: العطاء العلمى للمسلمين عبر التاريخ
- ٣٩٤ معرفة تمحيص لا معرفة تبعية وتقليد
- ٣٩٥ تطوير وإبداع
- ٣٩٥ المسلمون أول من استعمل المنهج التجريبي فى علمهم
- ٤٠٣ ثانياً: حركة التدوين والجمع والأئمة المجتهدين
- ٤٠٣ العهد الذهبى للتشريع الإسلامى
- ٤٠٥ تدوين الفقه
- ٤٠٦ عهد التقليد من (٤٥٠هـ)

- ٤٠٧ ثالثاً: غير المسلمين فى الدولة الإسلامية
- ٤٠٨ حقوق أهل الذمة
- ٤٠٨ واجبات أهل الذمة
- ٤١١ ملحق ٢: منظمات ضد الإسلام
- ٤١١ أولاً: التبشير
- ٤١٣ ثانياً: العلمانية
- ٤١٤ ثالثاً: الماسونية
- ٤١٦ رابعاً: اليهودية - الصهيونية
- ٤٢٢ ملحق ٣: العبر والعظات
- ٤٣١ المراجع
- ٤٣٧ الفهرس

